

البَيْدَانِيُّ وَالنَّبْهَانِيُّ

في التاريخ

للامام الحافظ المفسر المؤرخ عماد الدين أبي الفداء اسماعيل

ابن عمر بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هـ

الجزء الثاني عشر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعمئة ﴾

في يوم الثلاثاء مستهل المحرم منها وقعت فتنة بين أهل السنة والروافض ، ثم سكن الفتنة الوزير نضر الملك على أن تعمل الروافض بدعتهم يوم عاشوراء من تعليق المسوح والنوح . وفي هذا الشهر ورد الخبر بوقوع وباء شديد في البصرة أعجز الحفارين ، والناس عن دفن موتاهم ، وأنه أظلمت البلاد سحابة في حزينان . فامطرتهم مطرا شديدا . وفي يوم السبت ثالث صفر تولى المرتضى نقابة الطالبين والمظالم والحج ، وجميع ما كان يتولاه أخوه الرضى ، وقرئ تقليده بحضرة الأعيان ، وكان يوما مشهودا . وفيها ورد الخبر عن الحجاج بأنه هلك منهم بسبب العطش أربعة عشر ألفا ، وسلم ستة آلاف ، وأنهم شربوا بول الابل من العطش . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند فأخذه الادلاء فسلكوا به على بلاد غربية فانتهاوا إلى أرض قد غمرها الماء من البحر فخاض بنفسه الماء أياما وخاض الجيش حتى خلصوا بعد ما غرق كثير من جيشه ، وعاد إلى خراسان بعد جهد جهيد . ولم ينجح فيها من العراق ركب لفساد البلاد من الاعراب .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ الشيخ أبو حامد الاسفرايني ﴾

إمام الشافعية ، أحمد بن محمد بن أحمد بن أحمد الشافعية في زمانه ، ولد في سنة أربع وأربعين وثلثمائة وقدم بغداد وهو صغير سنة ثلاث أو أربع وستين وثلثمائة ، فدرس الفقه على أبي الحسن ابن المرزبان ، ثم على أبي القاسم الداركي ، ولم يزل تترقى به الأحوال حتى صارت إليه رئاسة

الشافعية ، وعظم جاهه عند السلطان والعوام ، وكان فقيهاً إماماً ، جليلاً نبيلاً ، شرح المزني في تعليقه حافلة نحواً من خمسين مجلداً ، وله تعليقة أخرى في أصول الفقه ، وروى عن الاسماعيلي وغيره . قال الخطيب : ورأيت غيرة مرة وحضرت تدرسه بمسجد عبد الله بن المبارك ، في صدر قطيعة الربيع ، وحدثنا عنه الازجي والخلال ، وصحمت من يذكرون أنه كان يحضر تدرسه سبعمائة متفقه ، وكان الناس يقولون : لو رآه الشافعي لفرح به . وقال أبو الحسن القدوري : ما رأيت في الشافعية أفقه من أبي حامد ، وقد ذكرت ترجمته مستقصاة في طبقات الشافعية : وذكر ابن خلكان أن القدوري قال : هو أفقه وأنظر من الشافعي . قال الشيخ أبو إسحاق : ليس هذا مسلماً إلى القدوري فإن أبا حامد وأمثاله بالنسبة إلى الشافعي كما قال الشاعر :

نزلوا بمكة في قبائل نوفل * ونزلت بالبليداء أبعد منزل

قال ابن خلكان : وله مصنفات : التعليقة الكبرى ، وله كتاب البستان ، وهو صغير فيه غرائب قال وقد اعترض عليه بعض الفقهاء في بعض المناظرات فأنشأ الشيخ أبو حامد يقول :

جفاء جرى جهرا لدى الناس وانبسط * وعذر أتى سرّاً فأكد ما فرط

ومن ظن أن يححو جلي جفائه * خفي اعتذار فهو في أعظم الغلط

توفي ليلة السبت لاحدى عشرة بقيت من شوال منها ، ودفن بداره بعدما صلى عليه بالصحرَاء وكان الجمع كثيراً والبكاء غزيراً ، ثم نقل إلى مقبرة باب حرب في سنة عشر وأربعمائة . قال ابن الجوزي : وبلغ من العمر إحدى وستين سنة وأشهرآ .

﴿ أبو أحمد الفرضي ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن علي بن مهران ، أبو مسلم الفرضي المقرئ . سمع المحاملي ويوسف ابن يعقوب ، وحضر مجلس أبي بكر بن الأتباري ، وكان إماماً ثقة ، ورعاً وقوراً ، كثير الخير ، يقرأ القرآن كثيراً ، ثم سمع الحديث ، وكان إذا قدم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، نهض إليه حافياً فتلقيه إلى باب المسجد ، توفي وقد جاوز الثمانين .

﴿ الشريف الرضي ﴾

محمد بن الطاهر أبو أحمد الحسين بن موسى أبو الحسن العلوي لقبه بهاء الدولة بالرضي ، ذي الحسينتين ، ولقب أخاه المرتضى ذي المجدين ، ولي نقابة الطالبين ببغداد بعد أبيه ، وكان شاعراً مطبقاً ، سخياً جواداً . وقال بعضهم : كان الشريف في كثرة أشعاره أشعر قریش فمن شعره المستجاد قوله :

اشتر العز بما شئت * ت فها العز بغال

بالقصار إن شئت * ت أو بالسمر الطوال

ليس بالمغبون عقلا * من شرى عزاً بجمال

إنما يذخر الما * ل الحاجات الرجال

والفنى من جعل الأموا * ل أثمان المعالي

وله أيضاً يا طائر البان غريدا على فتن * ما هاج نوحك لى يا طائر البان

هل أنت مبلغ من هام الفؤاد به * إن الطليق يؤدي حاجة العاني

جناية ما جناها غير متلفنا * يوم الوداع وواشوقى إلى الجاني

لولا تذكر أيام بنى سلم * وعند رامة أو طارى وأوطانى

لما قدحت بنار الوجد فى كبدي * ولا بلات بماء الدمع أجفاني

وقد نسب إلى الرضى قصيدة يتمنى فيها أن يكون عند الحاكم العبيدى ، ويذكر فيها أباه وباليته كان عنده ، حين يرى حاله ومنزلته عنده ، وأن الخليفة لما بلغه ذلك أراد أن يسيره إليه ليقضى أربه ويعلم الناس كيف حاله . قال فى هذه القصيدة :

أليس الذل فى بلاد الأعاد * ي وبمصر الخليفة العلوى

وأبوه أبى ومولاه مولا * ي إذا ضامنى البعيد القصى

إلى آخرها ، فلما سمع الخليفة القادر بأمر هذه القصيدة انزعج وبعث إلى أبيه الموسوى يعاتبه ، فأرسل إلى ابنه الرضى فأنكر أن يكون قالها بالمرّة ، والروافض من شأنهم التزوير . فقال له أبوه : فإذا لم تكن قلتها فقل أبياتا تذكر فيها أن الحاكم بمصر دعى لانصب له ، فقال : إني أخاف غائلة ذلك ، وأصر على أن لا يقول ما أمره به أبوه ، وترددت الرسائل من الخليفة إليهم فى ذلك ، وهم ينكرون ذلك حتى بعث الشيخ أبى حامد الاسفراينى والقاضى أبى بكر إليهما ، فحلف لهما بالآيمان المؤكدة أنه ما قالها والله أعلم بحقيقة الحال . توفى فى خامس المحرم منها عن سبع وأربعين سنة ، وحضر جنازته الوزير والقضاة ، وصلى عليه الوزير ودفن بداره بمسجد الأنبارى ، وولى أخوه المرتضى ما كان يليه ، وزيد على ذلك أشياء ومناصب أخرى ، وقد رثى الرضى أخاه بمروءة حسنة .

﴿ باديس بن منصور الحميرى ﴾

أبو المعز مناذر بن باديس^(١) نائب الحاكم على بلاد إفريقية وابن نائبها ، لقبه الحاكم بنصير الدولة ، كان ذا همّة وسطوة وحرمة وافرة ، كان إذا هزر محاسره ، توفى فجأة ليلة الأربعاء سلخ ذى القعدة منها ، ويقال إن بعض الصالحين دعى عليه تلك الليلة ، وقام فى الأمر بعده ولده المعز مناذر .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعمائة ﴾

فى ربيع الأول منها ، احترق مشهد الحسين بن على [بكر بلاه] وأروقته ، وكان سبب ذلك

(١) فى النجوم الزاهرة : المعز بن باديس بن منصور بن بلكين الحميرى .

أن القومة اشعلوا شمعتين كبيرتين فالتتا في الليل على التاثير، وفندت النار منه إلى غيره حتى كان ما كان . وفي هذا الشهر أيضاً احترقت دار القطن ببغداد وأما كن كثيرة بباب البصرة ، واحترق جامع سامرا . وفيها وزد الخبز بتسعين الركن الباني من المسجد الحرام ، وسقوط جدار بين يدي قبر الرسول ﷺ بالمدينة ، وأنه سقطت القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس ، وهذا من أغرب الاتفاقات وأعجبها . وفي هذه السنة قتلت الشيعة الذين ببلاد إفريقية ونهبت أموالهم ، ولم يترك منهم إلا من لا يعرف . وفيها كان ابتداء دولة العلويين ببلاد الأندلس ، ولها على بن حمود بن أبي العيس العلوي ، فدخل قرطبة في المحرم منها ، وقتل سليمان بن الحكم الأموي ، وقتل أباه أيضاً ، وكان شيخاً صالحاً ، وبايعه الناس وتلقب بالمتوكل على الله ، ثم قتل في الحمام في ثامن ذي القعدة منها عن ثمان وأربعين سنة ، وقام بالأمر من بعده أخوه القاسم بن حمود ، وتلقب بالمأمون ، فأقام في الملك ست سنين ، ثم قام ابن أخيه يحيى بن ادريس ، ثم ملك الأمويون حتى ملك أمر المسلمين على بن يوسف ابن تاشفين . وفيها ملك محمود بن سبكتكين بلاد خوار زم بعد ملكها خوارزم شاه مأمون بن مأمون وفيها استوزر سلطان الدولة أبا الحسن على بن الفضل الزاهر مزي ، عوضاً عن نخر الملك ، وخلع عليه . ولم يمحج أحد في هذه السنة من بلاد المغرب لفساد البلاد والطرق .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن يوسف بن دوست ﴾

أبو عبد الله البزار ، أحد حفاظ الحديث ، وأحد الفقهاء على مذهب مالك ، كان يذكر بمحضرة الدارقطني ويتكلم على علم الحديث ، فيقال إن الدارقطني تكلم فيه لذلك السبب ، وقد تكلم في غيره بما لا يقدر فيه كبير شيء . قال الأزهري : رأيت كتبه طرية ، وكان يذكر أن أصوله العتيق غرقت ، وقد أملى الحديث من حفظه ، والمخلص وابن شاهين حيان موجودان . توفي في رمضان عن أربع وثمانين سنة . ﴿ الوزير نخر الملك ﴾

محمد بن علي بن خلف أبو غالب الوزير ، كان من أهل واسط ، وكان أبوه صيرفيا ، فتنقلت به الأحوال إلى أن وزر لبهاء الدولة ، وقد اقتنى أموالاً جزيلة ، وبني داراً عظيمة ، تعرف بالفخرية ، وكانت أولاً للخليفة المتقي لله ، فأنفق عليها أموالاً كثيرة ، وكان كريماً جواداً ، كثير الصدقة ، كسى في يوم واحد ألف فقير ، وكان كثير الصلاة أيضاً ، وهو أول من فرق الخلاوة ليلة النصف من شعبان ، وكان فيه ميل إلى التشيع ، وقد صدره سلطان الدولة بالأهواز ، وأخذ منه شيئاً أزيد من ستمائة ألف دينار ، خارجاً عن الاملاك والجواهر والمناع ، قتله سلطان الدولة ، وكان عمره يوم قتل ثنتين وخمسين سنة وأشهرًا وقيل إن سبب هلاكه أن رجلاً قتله بعض غلمانه ، فاستمدت امرأة الرجل على الوزير هذا ، ورفعت إليه قصصتها ، وكل ذلك لا يلتفت إليها ، فقالت له ذات يوم : أيها الوزير

أرأيت القصص التي رفعتها إليك ، فلم تلتفت إليها قد رفعتها إلى الله عز وجل ، وأنا أنتظر التوقيع عليها ، فلما مسك قال قد والله خرج توقيع المرأة ، فكان من أمره ما كان .
﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعمائة ﴾

فيها وقعت فتنة عظيمة بين أهل السنة والروافض ببغداد ، قتل فيها خلق كثير من الفريقين . وفيها ملك أبو المظفر بن خاقان بلاد ما وراء النهر وغيرها ، وتلقب بشرف الدولة ، وذلك بعد وفاة أخيه طغان خان ، وقد كان طغان خان هذا ديناً فاضلاً ، يحب أهل العلم والدين ، وقد غزا الترك مرة فقتل منهم مائتي ألف مقاتل ، وأسر منهم مائة ألف ، وغنم من أواني الذهب والفضة ، وأواني الصين شيئاً لا يحمد لأحد مثله ، فلما مات ظهرت ملوك الترك على البلاد الشرقية . وفي جمادى الأولى منها ولى أبو الحسين أحمد بن مهذب الدولة على بن نصر بلاد البطائح بعد أبيه ، فقاتله ابن عمه فغلبه وقتله ، ثم لم تطل مدته فيها حتى قتل ، ثم آلت تلك البلاد بعد ذلك إلى سلطان الدولة صاحب بغداد ، وطمع فيهم العامة ، فنزلوا إلى واسط فقاتلهم مع الترك . وفيها ولى نور الدولة أبو الأغرد بيس ابن أبي الحسن على بن مزيد بعد وفاة أبيه . وفيها قدم سلطان الدولة إلى بغداد ، وضرب الطبل في أوقات الصلوات ، ولم تجر بذلك عادة ، وعقد عقده على بذت قرواش على صدق خمسين ألف دينار . ولم يحج أحد من أهل العراق لفساد البلاد ، وعيث الأعراب وضعف الدولة . قال ابن الجوزي في المنتظم : أخبرنا سعد الله بن علي البزار أنبأ أبو بكر الطريثي أنبأ هبة الله بن الحسن الطبري . قال : وفي سنة ثمان وأربعمائة استتاب القادر بالله الخليفة فقهاء المعتزلة ، فأظهروا الرجوع وتبرؤا من الاعتزال والرفض والمقاتلات المخالفة للإسلام ، وأخذت خطوطهم بذلك ، وأنهم متى خالفوا أحل فيهم من النكال والعقوبة ما يتعظ به أمثالهم ، وامثل محمود بن سبكتكين أمير المؤمنين في ذلك واستن بسننه في أعماله التي استخلفه عليها من بلاد خراسان وغيرها ، في قتل المعتزلة والرافضة والاسماعيلية والقرامطة والجهمية والمشبهة ، وصلبهم وحبسهم ونفاهم ، وأمر بلعنهم على المنابر ، وأبعد جميع طوائف أهل البدع ، ونفاهم عن ديارهم ، وصار ذلك سنة في الإسلام . وفيها توفي من الأعيان الحاجب الكبير . ﴿ شباشي أبو نصر ﴾

مولي شرف الدولة ، ولقبه بهاء الدولة بالسيّد ، وكان كثير الصدقة والوقوف على وجوه القربات فمن ذلك أنه وقف ديارها على المارستان وكانت تغل شيئاً كثيراً من الزروع والثمار والخراج وبني قطرة الخندق والمارستان والناصرية وغير ذلك ، ولم مات دفن بمقبرة الأمام أحمد وأوصى أن لا يبنى عليه فخالفوه ، فعقدوا قبة عليه فسقطت بعد موته بنحو من سبعين سنة واجتمع نسوة عند قبره ينحنن يبكين ، فلما رجعن رأيت عجوز منهن - كانت هي المقدمة فيهن - في المنام كأن تركيا خرج إليهن من

قبره ومعه دبوس فحمل عليهن وزجرهن عن ذلك ، وإذا هو الحاجب السعيد ، فانتبهت مذعورة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس السابع عشر من الحرم قرىء بدار الخلافة في الموكب كتاب في مذهب أهل السنة وفيه أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر حلال الدم . وفي النصف من جمادى الأولى منها فاض البحر الملح وتدفانى إلى الأبله ، ودخل البصرة بعد يومين . وفيها غزا محمود بن سبكتكين بلاد الهند وتواقع هو وملك الهند فاقتل الناس قتالا عظيما ، ثم انجلت عن هزيمة عظيمة على الهند ، وأخذ المسلمون يقتلون فيهم كيف شاؤوا ، وأخذوا منهم أموالا عظيمة من الجواهر والذهب والفضة ، وأخذوا منهم مائتي فيل ، واقتصوا آثار المنهزمين منهم ، وهدموا معامل كثيرة . ثم عاد إلى غزنة مؤيدا منصورا . ولم ينجح أحد من درب العراق فيها لفساد البلاد وعيث الأعراب .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ رجاء بن عيسى بن محمد ﴾

أبو العباس الأنصاري ، نسبة إلى قرية من قرى مصر يقال لها أنصنا ، قدم بغداد فحدث بها وسمع منه الحفاظ ، وكان ثقة فقيها مالكيًا عدلا عند الحكام ، مرضيا . ثم عاد إلى بلده وتوفى فيها ، وقد جاوز الثمانين . ﴿ عبد الله بن محمد بن أبي علان ﴾

أبو أحمد قاضي الأهواز ، كان ذاملا ، وله مصنفات منها كتاب في معجزات النبي ﷺ ، جمع فيه ألف معجزة ، وكان من كبار شيوخ المعتزلة ، توفى فيها عن تسع وثمانين سنة .

﴿ علي بن نصر ﴾

ابن أبي الحسن ، مذهب الدولة ، صاحب بلاد البطيحة ، له مكارم كثيرة ، وكان الناس يلجئون إلى بلاده في الشدائد فيؤويهم ، ويحسن إليهم ، ومن أكبر مناقبه إحسانه إلى أمير المؤمنين القادر لما استجار به ونزل عنده بالبطائح فارا من الطائع ، فآواه وأحسن إليه ، وكان في خدمته حتى ولى إمرة المؤمنين ، وكان له بذلك عنده اليد البيضاء ، وقد ولى البطائح ثنتين وثلاثين سنة وشهورا ، وتوفى فيها عن ثنتين وسبعين سنة ، وكان سبب موته أنه افتصد فانتفخ زراعته فمات .

﴿ عبد الغنى بن سعيد ﴾

ابن علي بن بشر بن مروان بن عبد العزيز ، أبو محمد الأزدي المصري ، الحافظ ، كان عالما بالحديث وفنونه ، وله فيه المصنفات الكثيرة الشهيرة . قال أبو عبد الله الصوري الحافظ : ما رأيت عيناى مثله في معناه ، وقال الدارقطني : ما رأيت بمصر مثل شاب يقال له عبد الغنى ، كأنه شعلة نار ، وجعل ينفخ أمره ويرفع ذكره . وقد صنف الحافظ عبد الغنى هذا كتابا فيه أوهام الحاكم ، فلما وقف الحاكم عليه جعل يقرؤه على الناس ويعترف لعبد الغنى بالفضل ، ويشكره ويرجع فيه إلى ما أصاب

فيه من الرد عليه ، رحمه الله ، ولد عبد الغنى ليلتين بقيتا من ذى القعدة سنة ثنتين وثلثمائة وتوفى في صفر من هذه السنة رحمه الله .

﴿ محمد بن أمير المؤمنين ﴾

ويكنى بابي الفضل ، كان قد جعله ولي عهد من بعده ، وضربت السكة باسمه وخطب له الخطباء على المنابر ، ولقب بالغالب بالله ، فلم يقدر ذلك . توفى فيها عن سبع وعشرين سنة .

﴿ محمد بن إبراهيم بن محمد بن يزيد ﴾

أبو الفتح البزار الطرسوسى ، ويعرف بابن البصرى ، سمع الكثير من المشايخ ، وسمع منه الصورى بيت المقدس ، حين أقام بها ، وكان ثقة مأموناً .

﴿ ثم دخلت سنة عشر وأربعمائة ﴾

فيها ورد كتاب بين الدولة محمود بن سبكتكين ، يذكر فيه ما افتتحه من بلاد الهند في السنة الخالية ، وفيه أنه دخل مدينة فيها ألف قصر مشيد ، وألف بيت للأصنام . وفيها من الأصنام شيء كثير ، ومبلغ ما على الصنم من الذهب ما يقارب مائة ألف دينار ، ومبلغ الأصنام الفضة زيادة على ألف صنم ، وعندهم صنم معظم ، يؤرخون له وبه بجهااتهم ثلثمائة ألف عام ، وقد سلبنا ذلك كله وغيره مما لا يحصى ولا يعد ، وقد غنم المجاهدون في هذه الغزوة شيئاً كثيراً ، وقد عمموا المدينة بالاحراق ، فلم يتركوا منها إلا الرسوم ، وبلغ عدد القتلى من الهندوس خمسين ألفاً ، وأسلم منهم نحو من عشرين ألفاً ، وأفرد خمس الرقيق فبلغ ثلاثاً وخمسين ألفاً ، واعترض من الأفيال ثلثمائة وست وخمسين فيلاً ، وحصل من الأموال عشرون ألف ألف درهم ، ومن الذهب شيء كثير . وفي ربيع الآخر منها قرى عهد أبى الفوارس ولقب قوام الدولة ، وخلع عليه خلعة حملت إليه بولاية كرمان ، ولم ينجح في هذه السنة أحد من العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان الأصغر الذى كان يخفر الحجاج .

﴿ أحمد بن موسى بن مردويه ﴾

ابن فورك ، أبو بكر الحافظ الأصبهاني ، توفى في رمضان منها .

﴿ هبة الله بن سلامة ﴾

أبو القاسم الضرير المقرئ المفسر ، كان من أعلم الناس وأحفظهم للتفسير ، وكانت له حلقة في جامع المنصور ، روى ابن الجوزى بسنده إليه قال : كان لنا شيخ قرأ عليه فمات بعض أصحابه فراه في المنام فقال له : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لى . قال : فما كان حالك مع منكر ونكير ؟ قال : لما أجلسانى وسألانى ألهمنى الله أن قلت : بحق أبى بكر وعمر دعانى ، فقال أحدهما للآخر : قد أقسم بمظلمين فدعه ، فتركاى وذهبا .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وأربع مائة ﴾

فيها عدم الحاكم بمصر، وذلك أنه لما كان ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من شوال فقد الحاكم بن المعز الفاطمي صاحب مصر، فاستبشر المؤمنون والمسلمون بذلك، وذلك لأنه كان جبارا عنيدا، وشيطانا مريدا. ولندكر شيئا من صفاته القبيحة، وسيرته الملعونة، أخزاه الله.

كان كثير التلون في أفعاله وأحكامه وأقواله، جاثرا، وقد كان يروم أن يدعى الألوهية كما ادعاه فرعون، فكان قد أمر الرعية إذا ذكر الخطيب على المنبر اسمه أن يقوم الناس على أقدامهم صفوا، إعظاما لذكركه واحتراما لاسمه، فعل ذلك في سائر ممالكه حتى في الحرمين الشريفين، وكان قد أمر أهل مصر على الخصوص إذا قاموا عند ذكره خروا سجدا له، حتى إنه ليسجد بسجودهم من في الأسواق من الرعاع وغيرهم، ممن كان لا يصلي الجمعة، وكانوا يتركون السجود لله في يوم الجمعة وغيره ويسجدون للحاكم، وأمر في وقت لأهل الكتابين بالدخول في دين الإسلام كرها، ثم أخذ لهم في العود إلى دينهم، وخرب كنائسهم ثم عمرها، وخرب القمامة ثم أعادها، وابتقى المدارس. وجعل فيها الفقهاء والمشايخ، ثم قتلهم وأخربها، وألزم الناس بغلق الأسواق نهارا، وفتحها ليلا، فامتلأ ذلك دهرًا طويلا، حتى اجتاز مرة برجل يعمل النجارة في أثناء النهار. فوقف عليه فقال: ألم أنكم؟ فقال: يا سيدي لما كان الناس يتعيشون بالنهار كانوا يسهرون. بالليل، ولما كانوا يتعيشون بالليل سهروا بالنهار فهذا من جملة السهر، فتبسم وتركه. وأعاد الناس إلى أمرهم الأول، وكل هذا تغيير للرسوم، واختبار اطاعة العامة له، أير في ذلك إلى ما هو أشد وأعظم منه. وقد كان يعمل الحسبة بنفسه فكان يدور بنفسه في الأسواق على حمار له - وكان لا يركب إلا حماراً - فن وجده قد غش في معيشة أمر عبدا أسود معه يقال له مسعود، أن يفعل به الفاحشة العظمى، وهذا أمر منكر ملعون، لم يسبق إليه، وكان قد منع النساء من الخروج من منازلهن وقطع شجر الأغراب حتى لا يتخذ الناس منها خرا، ومنعهم من طبخ الملوخية، وأشياء من الرعونات التي من أحسنها منع النساء من الخروج، وكراهة الخمر، وكانت العامة تبغضه كثيرا، ويكتبون له الأوراق بالشتيمة البالغة له ولأسلافه، في صورة قصص، فاذا قرأها ازداد غيظا وحنقا عليهم، حتى إن أهل مصر عملوا صورة امرأة من ورق بخفيها وإزارها. وفي يدها قصة من الشتم واللعن والخالفة شيء كثير، فلما رآها ظنها امرأة، فذهب من ناحيتها وأخذ القصة من يدها فقرأها فرأى ما فيها، فأغضبه ذلك جدا، فأمر بقتل المرأة، فلما تحققت من ورق ازداد غيظا إلى غيظه، ثم لما وصل إلى القاهرة أمر السودان أن يذهبوا إلى مصر فيحرقوها وينهبوا ما فيها من الأموال والمتاع والحريم، فذهبوا فامتلأوا ما أمرهم به، فقاتلهم أهل مصر قتالا شديدا، ثلاثة أيام، والنار تعمل في الدور والحريم، وهو في كل يوم قبيح الله، يخرج فيقف من بعيد وينظر ويبكي ويقول: من أمر

هؤلاء العبيد بهذا ثم اجتمع الناس في الجوامع ورففوا المصاحف وصاروا إلى الله عز وجل ، واستغاثوا به ، فرق لهم الترك والمشاركة وانحازوا إليهم ، وقاتلوا معهم عن حريمهم ودورهم ، وتفاقم الحال جدا ، ثم ركب الحاكم لعنه الله ففصل بين الفريقين ، وكف العبيد عنهم ، وكان يظهر التنصل مما فعله العبيد وأنهم ارتكبوا ذلك من غير علمه وإذنه ، وكان ينفذ إليهم السلاح ويحتمهم على ذلك في الباطن ، وما انجلى الأمر حتى احترق من مصر نحو ثمانها ، ونهب قريب من نصفها ، وسببت نساء وبنات كثيرة وفعل معهن الفواحش والمنكرات ، حتى أن منهن من قتلت نفسها خوفا من العار والفضيحة ، واشترى الرجال منهم من سبي لهم من النساء والحريم . قال ابن الجوزي : ثم ازداد ظلم الحاكم حتى أنه أن يدعى الربوبية ، فصار قوم من الجهال إذا رأوه يقولون : يا واحدا يا أحد يا محي يا محيت قبضهم الله جميعا .

﴿ صفة مقتله لعنه الله ﴾

كان قد تعدى شره إلى الناس كلهم حتى إلى أخته ، وكان يتهمها بالفاحشة ، ويسمها أغاظ الكلام ، فتبرمت منه ، وعملت على قتله ، فراسلت أكبر الأمراء ، أميراً يقال له ابن دواس ، فتوافقت هي وهو على قتله ودماره ، وتواطأ على ذلك ، فجهز من عنده عبيدين ، أسودين شهيين ، وقال لهما : إذا كانت الليلة الفلانية فكونا في جبل المقطم ، ففي تلك الليلة يكون الحاكم هناك في الليل لينظر في النجوم ، وليس معه أحد إلا ركبتي وصبي ، فاقتلاه واقتلاه معه ، وافترق الحال على ذلك . فلما كانت تلك الليلة قال الحاكم لأمه : على في هذه الليلة قطع عظيم ، فان نجوت منه عمرت نحواً من ثمانين سنة ، ومع هذا فأنقلى حواصلي إليك ، فان أخوف ما أخاف عليك من أختي ، وأخوف ما أخاف على نفسي منها ، فنقل حواصله إلى أمه ، وكان له في صناديق قريب من ثلثمائة ألف دينار ، وجواهر أخرى ، فقالت له أمه : يا مولانا إذا كان الأمر كما تقول فارحمي ولا تركب في ليلتك هذه إلى موضع وكان يجربها . فقال : أفعل ، وكان من عادته أن يدور حول القصر كل ليلة ، فدار ثم عاد إلى القصر ، فنام إلى قريب من ثلث الليل الأخير ، فاستيقظ وقال : إن لم أركب الليلة فاضت نفسي ، فنار فركب فرسا وصحبه صبي وركابي ، وصعد الجبل المقطم فاستقبله ذاك العبدان فأنزلاه عن مركوبه ، وقطعا يديه ورجليه ، وبقرابطه ، فأتيا به مولاهما ابن دواس ، فحمله إلى أخته فدفنته في مجلس دارها ، واستدعت الأمراء والأكابر والوزير وقد أطلعت على الجلية ، فبايعوا لولد الحاكم أبي الحسن على ، ولقب بالظاهر لأعزاز دين الله ، وكان بدمشق ، فاستدعت به وجعلت تقول للناس : إن الحاكم قال لي : إنه يغيب عنكم سبعة أيام ثم يعود ، فاطمأن الناس ، وجعلت ترسل ركابين إلى الجبل فيصعدونه ، ثم يرجعون فيقولون تركناه في الموضع الفلاني ، ويقول الذين بعدهم لأمه : تركناه في موضع كذا وكذا . حتى اطمأن الناس وقدم ابن أخيها واستصحب معه من دمشق ألف ألف دينار ، وألفي ألف درهم ، فحين وصل ألبسته

تاج جد أبيه العز ، وحلة عظيمة ، وأجاسته على السرير ، وبأيعه الأمراء والرؤساء ، وأطلق لهم الأموال ، وخاضت على ابن دواس خلعة سنية هائلة ، وعملت عزاء أخيها الحساكم ثلاثة أيام ، ثم أرسلت إلى ابن دواس طائفة من الجند ليكونوا بين يديه بسيوفهم وقوفاً في خدمته ، ثم يقولوا له في بعض الأيام : أنت قاتل ولانا ، ثم يبرونه بسيوفهم ، ففعلوا ذلك ، وقتلت كل من اطاع على سرها في قتل أخيها ، فمظمت هيبتها وقويت حرمتها وثبتت دولتها . وقد كان عمر الحاكم يوم قتل سبعمائة وثلاثين سنة ، ومدة ملكه من ذلك خمسا وعشرين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وأربعمائة ﴾

فيها تولى القاضي أبو جعفر أحمد بن محمد السمناقي الحسبة والمواريث ببغداد ، وخلع عليه السواد وفيها قالت جماعة من العلماء والمسلمين للملك الكبير بين الدولة ، محمود بن سبكتكين : أنت أكبر ملوك الأرض ، وفي كل سنة تفتح طائفة من بلاد الكفر ، وهذه طريق الحج ، قد تعطلت من مدة سنين وفتحك لها أوجب من غيرها . فتقدم إلى قاضي القضاة أبي محمد الناصحي أن يكون أمير الحج في هذه السنة ، وبعث معه بثلاثين ألف دينار للأعراب ، غير ما جهز من الصدقات ، فسار الناس بصحبته ، فلما كانوا بقرية اعترضهم الأعراب فصالحهم القاضي أبو محمد الناصحي بخمسة آلاف دينار ، فامتنعوا وصمم كبيرهم - وهو جواز بن عدي - على أخذ الحجيج ، وركب فرسه وجال جولة واستنهض شياطين العرب ، فتقدم إليه غلام من سمرقند [يقال له ابن عفان] فرماه بسهم فوصل إلى قلبه فسهط ميتا ، وانهرمت الأعراب ، وسلك الناس الطريق فخرجوا ورجعوا سالمين ولله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو سعد الماليني ﴾

أحمد بن محمد بن أحمد بن إسماعيل بن حفص ، أبو سعد الماليني ، ومالين قرية من قرى هراة ، كان من الحفاظ المكثرين الراحين في طلب الحديث إلى الآفاق ، وكتب كثيراً ، وكان ثقة صدوقاً صالحاً ، مات بمصر في شوال منها .

﴿ الحسن بن الحسين ﴾

ابن محمد بن الحسين بن رامين القاضي ، أبو محمد الاستراباذي ، نزل بغداد وحدث بها عن إسماعيلي وغيره ، كان شافعيّاً كبيراً ، فاضلاً صالحاً .

﴿ الحسن بن منصور بن غالب ﴾

الوزير الملقب ذا السماتين ، ولد بسيراف سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة ، ثم صار وزيراً ببغداد ثم قتل وصودر أبوه على ثمانين ألف دينار .

﴿الحسين بن عمرو﴾

أبو عبد الله الغزال ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم . قال الخطيب : كتبت عنه وكان ثقة صالحا كثير البكاء عند الذكر .

﴿محمد بن عمر﴾

أبو بكر العبدي الشاعر ، كان أديبا ظريفا ، حسن الشعر ، فمن ذلك قوله :
إني نظرت إلى الزما * ن وأهله نظراً كفاني
فعرفته وعرفتهم * وعرفت عزي من هواني
فلذلك أطرح الصد * يق فلا أراه ولا براني
وزهدت فيما في يدي * ودونه نيل الأمانى
فتمجبوا لمغالب * وهب الاقاصى للأداني
وانسل من بين الزحا * م فحاله في الغلب ثاني

قال ابن الجوزي : وكان متصوفاً ثم خرج عنهم وذمهم بقصائد ذكرتها في تلبيس إبليس توفي يوم الخميس ثاني عشر جمادى الأولى منها .

﴿محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد﴾

ابن روق بن عبد الله بن يزيد بن خالد ، أبو الحسن البزار ، المعروف بابن رزقويه . قال الخطيب : هو أول شيخ كتبت عنه في سنة ثلاث وأربعمائة ، وكان يذكر أنه درس القرآن ودرس الفقه على مذهب الشافعي ، وكان ثقة صدوقا كثير السماع والكتابة ، حسن الاعتقاد ، جميل المذهب ، مديما لتلاوة القرآن ، شديدا على أهل البدع ، وأكب دهرأ على الحديث ، وكان يقول : لا أحب الدنيا إلا لذكر الله وتلاوة القرآن ، وقراءتي عليكم الحديث ، وقد بعث بهض الأمراء إلى العلماء بذهب فقبلوا كلهم غيره ، فانه لم يقبل شيئا ، وكانت وفاته يوم الاثنين السادس عشر من جمادى الأولى منها ، عن سبع وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من مقبرة معروف الكرخي .

﴿أبو عبد الرحمن السلمي﴾

محمد بن الحسين بن محمد بن موسى ، أبو عبد الرحمن السلمي النيسابوري ، روى عن الأصم وغيره ، وعنه مشايخ البغداديين ، كالأزهري والعشاري وغيرهما ، وروى عنه البيهقي وغيره . قال ابن الجوزي : كانت له عناية بأخبار الصوفية ، فصنف لهم تفسيراً على طريقتهم ، وسننا وتاريخاً ، وجمع شيوخا وتراجم وأبوابا ، له بنيسابور دار معروفة ، وفيها صوفية وبها قبره ، ثم ذكر كلام الناس في تضعيفه في الرواية ، فحكى عن الخطيب عن محمد بن يوسف القطان أنه قال : لم يكن بثقة ، ولم يكن سمع

من الأصم شيئاً كثيراً ، فلما مات الحاكم روى عنه أشياء كثيرة جداً ، وكان يضع للصوفية الأحاديث . قال ابن الجوزي : وكانت وفاته في ثالث شعبان منها .

﴿ أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري ﴾

كان يعظ الناس ويتكلم على الأحوال والمعرفة ، فن كلامه : من تواضع لأحد لأجل دينه ذهب ثلثا دينه ، لأنه خضع له بلسانه وأركانه ، فان اعتقد تعظيمه بقلبه أو خضع له به ذهب دينه كله . وقال في قوله تعالى (اذ كروني اذ كرم) اذ كروني وأنتم أحياء اذ كرم وأنتم أموات تحت التراب ، وقد تخلى عنكم الأقارب والأصحاب والأحباب . وقال : البلاء إلا كبراً أن تريدوا تراءد ، وتدنو قترد إلى الطرد والابعاد ، وأنشد عند قوله تعالى (فتولى عنهم وقال يا أسفى على يوسف)

جننا بليلي وهي جنت بغيرنا * وأخرى بنا مجنونة لا نريدها

وقال في قوله ﷺ « حفت الجنة بالمكاره » : إذا كان هذا الخلق لا وصول إليه إلا بتحمل المشاق فما الظن بمن لم يزل ؟ وقال في قوله عليه السلام « جبلت القلوب على حب من أحسن إليها » . يا عجباً لمن لم يرحمنا غير الله كيف لا يميل بكايته إليه ؟ قلت : كلامه على هذا الحديث جيد والحديث لا يصح بالسكينة ﴿ صريع الدلال الشاعر ﴾

أبو الحسن علي بن عبيد الواحد ، الفقيه البغدادي ، الشاعر الماجن ، المعروف بصريع الدنياه ، قتيل الغواني ذى الرفاعتين ، له قصيدة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد يقول فيها :

وَألف حمل من متاع تستر * أنفع للمسكين من لقط النوى
من طبخ الديك ولا يذبحه * طار من القدر إلى حيث انتهى
من دخلت في عينه مسألة * فسله من ساعته كيف العمى
والذقن شعر في الوجوه طالع * كذلك المقصة من خلف الغنى
إلى أن ختمها بالبیت الذي حسد عليه وهو قوله :

من فاته العلم وأخطاه الغنى * فذاك والسكب على حد سوى

قدم مصر في سنة ثمانى عشرة وأربعمائة وامتدح فيها خليفته الظاهر لأعزاز دين الله بن الحاكم واتفقت وفاته بها في رجبها .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وأربعمائة ﴾

فيها جرت كائنة غريبة عظيمة ، ومصيبة عامة ، وهي أن رجلاً من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء ، وذلك أنه لما كان يوم النفر الأول طاف هذا الرجل بالبیت ، فلما انتهى إلى الحجر الأسود جاء ليقبله فضر به بديرس كان معه ثلاث ضربات

منواليات ، وقال : إلى متى نعبس هذا الحجر ؟ ولا محمد ولا علي يمنعني مما أفعله ، فاني أهدم اليوم هذا البيت ، وجعل يرتعد ، فاتقاه أكثر الحاضرين وتأخروا عنه ، وذلك لأنه كان رجلا طوالا جسيما أحمر اللون أشقر الشعر ، وعلى باب الجامع جماعة من الفرسان ، وقوف ليمنعوه ممن يريد منعه من هذا الفعل ، وأرادوه بسوء ، فتقدم إليه رجل من أهل اليمن معه خنجر فوجأه بها ، وتكاثر الناس عليه فقتلوه وقطعوه قطعا ، وحرقوه بالنار ، وتقبعوا أصحابه فقتلوا منهم جماعة ، ونهبت أهل مكة الركب المصري ، وتعدى النهب إلى غيرهم ، وجرت خبطة عظيمة ، وفنته كبيرة جدا ، ثم سكن الحال بعد أن تتبع أولئك النفر الذين تماثروا على الالحاد في أشرف البلاد غير أنه قد سقط من الحجر ثلاث فائق مثل الأظفار ، وبدا ما تحتها أسمر يضرب إلى صفرة ، محببا مثل الخشخاش ، فأخذ بنو شيبة تلك الفائق فحجزوها بالأسك والأك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت ، فاستمسك الحجر واستمر على ما هو عليه الآن ، وهو ظاهر أن تأمله . وفيها فتح المارستان الذي بناه الوزير مؤيد الملك ، أبو علي الحسن ، وزير شرف الملك بواسط ، ورتب له الخزائن والأشربة والأدوية والعقاقير ، وغير ذلك مما يحتاج إليه .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ ابن البواب الكاتب ﴾

صاحب الخط المنسوب ، علي بن هلال أبو الحسن ابن البواب ، صاحب أبي الحسين بن سمعون الواعظ ، وقد أثنى على ابن البواب غير واحد في دينه وأمانته ، وأما خطه وطريقته فيه فأشهر من أن نفيه عليها ، وخطه أوضح تعريبا من خط أبي علي بن مقلة ، ولم يكن بعد ابن مقلة أكتب منه ، وعلى طريقته الناس اليوم في سائر الأقاليم إلا القليل . قال ابن الجوزي : توفي يوم السبت ثاني جمادى الآخرة منها ، ودفن بمقبرة باب حرب ، وقد رثاه بعضهم بأبيات منها قوله :

فللهلوب التي أبهجتها حرق * وللميون التي أقررتها سحر

فما لعيش وقد ودعته أرج * وما لليل وقد فارقت سحر

قال ابن خلكان : ويقال له الستري ، لأن أباه كان ملازما لستر الباب ، ويقال له ابن البواب وكان قد أخذ الخط عن عبد الله بن محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزار ، وقد سمع أسد هذا على النجاد وغيره ، وتوفي سنة عشر وأربعمائة ، وأما ابن البواب فإنه توفي في جمادى الأولى من هذه السنة ، وقبل في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، وقد رثاه بعضهم فقال :

استشعرت الكتاب فقدك سالفنا * وقضت بصحة ذلك الأيام

فلذلك سودت الدوى كآبة * أسفعا عليك وشقت الاقلام

ثم ذكر ابن خلكان أول من كتب بالعربية ، فقيل إسماعيل عليه السلام ، وقيل أول من

كتب بالعربية من قریش حرب بن أمية بن عبد شمس ، أخذها من بلاد الحيرة عن رجل يقال له أسلم بن سدره ، وسأله ممن اقتبسها ؟ فقال : من واضعها رجل يقال له مرامر بن مروءة ، وهو رجل من أهل الأنبار . فاصل الكتابة في العرب من الأنبار . وقال الهيثم بن عدي : وقد كان لخير كتابة يسمونها المسند ، وهي حروف متصلة غير منفصلة ، وكانوا يمنعون العامة من تعلمها ، وجميع كتابات الناس تنتهي إلى اثني عشر صنفاً وهي العربية والحيرية ، واليونانية ، والفارسية ، والرومانية ، والعبرانية ، والرومية ، والقبطية ، والبربرية ، والهندية والاندلسية ، والصينية . وقد اندرس كثير منها قل من يعرف شيئاً منها .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ علي بن عيسى ﴾

ابن سليمان بن محمد بن أبان ، أبو الحسن الفارسي المعروف بالسكري الشاعر ، وكان يحفظ القرآن ويعرف القراءات ، وصحب أبا بكر البائلي ، وأكثر شعره في مدح الصحابة وذم الرافضة . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة ودفن بالقرب من قبر معروف ، وقد كان أوصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات التي عملها وهي قوله :

نفس ، يا نفس كم تهادين في تلقى * وتمشين في الفعل المعيب
راقبي الله واحذري موقف العر * ض وخافي يوم الحساب العصيب
لا تغرنك السلامة في العيد * ش فان السليم رهن الخطوب
كل حي فليمنون ولا يد * فع كأس المنون كيد الأديب
واعلمي أن للمنية وقتنا * سوف يأتي مجلان غير هبوب
إن حب الصديق في موقف الـ * حشر أمان للخائف المطلوب

﴿ محمد بن أحمد بن محمد بن منصور ﴾

أبو جعفر البسيع ، ويعرف بالعتيق ، ولد سنة إحدى وثلاثين وثلثمائة ، وأقام بطرسوس مدة ، وسمع بها وبغيرها ، وحدث بشي يسير .

﴿ ابن النعمان ﴾

شيخ الامامية الروافض ، والمصنف لهم ، والمحامي عن حوزتهم ، كانت له وجاهة عند ملوك الأطراف ، لميل كثير من أهل ذلك الزمان إلى التشيع ، وكان مجلسه يحضره خلق كثير من العلماء من سائر الطوائف ، وكان من جملة تلاميذه الشريف الرضي والمرقضي ، وقد رثاه بقصيدة بعد وفاته في هذه السنة ، منها قوله :

من لعضل أخرجت منه حساما * ومعان فضضت عنها ختاماً ؟

من بشر العقول من بعد ما * كن همودا ويفتح الافهاما ؟

من يعبر الصديق رأيا * إذا ماسل في الخطوب حساما ؟

﴿ ثم دخلت سنة أربع عشرة وأربع مائة ﴾

فيها قدم الملك شرف الدولة إلى بغداد فخرج الخليفة في الطيارة لتلقيه ، وصحبته الأمراء والقضاة والفقهاء والوزراء والرؤساء ، فلما واجهه شرف الدولة قبل الأرض بين يديه مرات والجيش واقف برمته ، والعمامة في الجانبين . وفيها ورد كتاب من عيين الدولة محمود بن سبكتكين إلى الخليفة يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضاً ، وأنه فتح بلاداً ، وقتل خلقاً منهم ، وأنه صالحه بعض ملوكهم وحمل إليه هدايا سنية ، منها فيول كثيرة ، ومنها طائر على هيئة القمرى ، إذا وضع عند الخوان وفيه سم دمعت عيناه وجرى منهما ماء ، ومنها حجر يحك ويؤخذ منه ما تحصل منه فيطلى بها الجراحات ذات الأنفواء الواسعة فيأحجمها ، وغير ذلك . وحج الناس من أهل العراق ولكن رجعوا على طريق الشام لاحتياجهم إلى ذلك .

وفيهما توفى من الأعيان ﴿ الحسن بن الفضل بن سهلان ﴾

أبو محمد الرامهرمزي ، وزير سلطان الدولة ، وهو الذى بنى سور الحائر عند مشهد الحسين ، قتل في شعبان منها ﴿ الحسن بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو عبد الله الكشغلى الطبرى ، الفقيه الشافعى ، تفقه على أبي القاسم الداركي ، وكان فهما فاضلا صالحا زاهداً ، وهو الذى درس بعد الشيخ أبي حامد الاسفرائيني في مسجده ، مسجد عبد الله بن المبارك . في قطيعة الربيع ، وكان الطلبة عنده مكرمين ، اشتكى بعضهم إليه حاجة وأنه قد تأخرت عنه نفقته التى ترد إليه من أبيه ، فأخذه بيده وذهب إلى بعض التجار فاستقرض له منه خمسين ديناراً . فقال التاجر : حتى تأكل شيئاً ، فد السماط فأكلوا وقال : يا جارية هاتى المال ، فأحضرت شيئاً من المال فوزن منها خمسة ديناراً ودفعها إلى الشيخ ، فلما قاما إذا بوجه ذلك الطالب قد تغير ، فقال له الكشغلى : مالك ؟ فقال : يا سيدى قد سكن قلبى حب هذه الجارية ، فرجع به إلى التاجر ، فقال له : قد وقعنا في فتنة أخرى ، فقال : وما هى ؟ فقال : إن هذا الفقيه قد هوى الجارية فأمر التاجر الجارية أن تخرج فتسلمها الفقيه ، وقال ربما أن يكون قد وقع في قلبها منه مثل الذى قد وقع في قلبه منها ، فلما كان عن قريب قدم على ذلك الطالب نفقته من أبيه ستمائة دينار ، فوفى ذلك التاجر ما كان له عليه من ثمن الجارية والقرض ، وذلك بسفارة الشيخ . توفى في ربيع الآخر منها ودفن بباب حرب .

﴿ على بن عبد الله بن جهضم ﴾

أبو الحسن الجهضمى الصوفى المكي ، صاحب بهجة الأسرار ، كان شيخ الصوفية بمكة ، وبها توفى قال ابن الجوزى : وقد ذكر أنه كان كذاباً ، ويقال إنه الذى وضع حديث صلاة الرغائب .

﴿ القاسم بن جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو عمر الهاشمي البصري ، قاضيا ، سمع الكثير ، وكان ثقة أمينا ، وهو راوي سنن أبي داود عن أبي علي اللؤلؤي ، توفي فيها وقد جاوز التسعين .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن عبد الجبار ﴾

أبو الفرج القاضي الشافعي ، يعرف بابن سمكة ، روى عن النجاد وغيره ، وكان ثقة ، توفي في ربيع الأول منها ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

أبو جعفر النسفي ، عالم الحنفية في زمانه ، وله طريقة في الخلاف ، وكان فقيرا منزهدا ، بات ليلة قلعا لما عنده من الفقر والحاجة ، فعرض له فكر في فرع من الفروع كان أشكل عليه ، فانفتح له فقام يرقص ويقول : أين الملوك ؟ فسألته امرأته عن خبره فأعلمها بما حصل له ، فتمعجت من شأنه رحمه الله ، وكانت وفاته في شعبان منها .

﴿ هلال بن محمد ﴾

ابن جعفر بن سعدان ، أبو الفتح الحفار ، سمع إسماعيل الصفار والنجاد وابن الصواف ، وكان ثقة توفي في صفر منها عن اثنتين وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشرة وأربعمائة ﴾

فيها أزم الوزير جماعة الأتراك والمولدين والشريف المرتضى ونظام الحضرة أبا الحسن الزينبي وقاضي القضاة أبا الحسن بن أبي الشوارب ، والشهود ، بالحضور لتجديد البيعة لشرف الدولة ، فلما بلغ ذلك الخليفة توهم أن تكون هذه البيعة لنية فاسدة من أجله ، فبعث إلى القاضي والرؤساء ينههم عن الحضور ، فاختلفت الكلمة بين الخليفة وشرف الدولة ، واصطلحا وتضافيا ، وجددت البيعة لكل منهما من الآخر . ولم يحجج فيها من ركب العراق ولا خراسان أحد ، واتفق أن بعض الأمراء من جهة محمود بن سبكتكين شهد الموسم في هذه السنة ، فبعث إليه صاحب مصر بخلع عظيمة ليحملها للملك محمود ، فلما رجع بها إلى الملك أرسل بها إلى بغداد إلى الخليفة القادر فخرت بالنار .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عمر بن الحسن ﴾

أبو الفرج المعدل المعروف بابن المسلة ، ولد سنة سبع وثلاثين وثلثمائة ، وسمع أباه وأحمد بن كامل والنجاد والجهضمي ودعبلج وغيرهم ، وكان ثقة . سكن الجانب الشرقي من بغداد ، وكان يعمل في أول كل سنة مجلسا في الحرم ، وكان عاقلا فاضلا ، كثير المعروف ، داره مآلف لأهل العلم ، وتفق به أبي بكر الرازي ، وكان يصوم الدهر ، ويقرأ في كل يوم سبعا ، ويعيده بعينه في التهجد ، توفي في ذي القعدة منها

﴿ أحمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن القاسم بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان الضبي ، أبو الحسن الحاملي ، نسبة إلى المحامل التي يحمل عليها الناس في السفر ، تفقه على أبي حامد الاسفراييني ، وبرع فيه ، حتى إن الشيخ كان يقول : هو أحفظ للفقهاء مني ، وله المصنفات المشهورة ، منها الباب ، والأوسط والمقنع وله في الخلاف ، وعناق على أبي حامد تعليقة كبيرة . قال ابن خلكان : ولد سنة ثمان وستين وثلاثمائة ، وتوفي في يوم الأربعاء لتسع بقين من ربيع الآخر منها ، وهو شاب .

﴿ عبيد الله بن عبد الله ﴾

ابن الحسين أبو القاسم الخفاف ، المعروف بابن النقيب ، كان من أئمة السنة ، وحين بلغه موت بن المعلم فقيه الشيعة سجد لله شكرا . وجلس للتهنئة وقال : ما أبالي أي وقت مت بعد أن شاهدت موت ابن المعلم ، ومكث دهرًا طويلًا يصلي الفجر بوضوء العشاء . قال الخطيب : وسألته عن مولده فقال في سنة خمس وثلاثمائة ، وأذكر من الخلفاء المقتدر والقاهر والرضي والمتقي لله والمستكفي والمطيع والطائع والقادر والغالب بالله ، الذي خطب له بولاية العهد ، توفي في سلخ شعبان منها عن مائة وعشر سنين .

﴿ عمر بن عبد الله بن عمر ﴾

أبو حفص الدلال ، قال سمعت الشبلي ينفذ قوله :

وقد كان شيءٌ سمى السرور * قديما سمعنا به ما فعل

خليلى ، إن دام هم النفوس * س قليلا على ما نراه قتل

يؤمل دنيا لتبقى له * فبات المؤمل قبل الأمل

﴿ محمد بن الحسن أبو الحسن ﴾

الاقساسي العلوي ، نائب الشريف المرتضى في إمرة الحجيج ، حج بالناس سنين متعددة ، وله فصاحة وشعر ، وهو من سلالة زيد بن علي بن الحسين .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وأربعمائة ﴾

فيها قوى أمر العيارين ببغداد ونهبوا الدور رجرجة ، واستهانوا بأمر السلطان ، وفي ربيع الأول منها توفي شرف الدولة بن بويه الديلمي صاحب بغداد والعراق وغير ذلك ، فكثرت الشرور ببغداد ونهبت الخزائن ، ثم سكن الأمر على تولية جلال الدولة أبي الطاهر ، وخطب له على المنابر ، وهو إذ ذاك على البصرة ، وخلع على شرف الملك أبي سعيد بن ماكولا وزيره ، ولقب علم الدين سعد الدولة أمين الملة شرف الملك ، وهو أول من لقب بالألقاب الكثيرة ، ثم طلب من الخليفة أن يبايع لأبي كاليجار ولي عهد أبيه سلطان الدولة ، الذي استخلفه بهاء الدولة عليهم ، فتوقف في الجواب ثم

واقفهم على ما أرادوا ، وأقيمت الخطبة للملك أبي كاليبجار يوم الجمعة سادس عشر شوال منها ، ثم تغافم الأمر ببغداد من جهة العيارين ، وكبسوا الدورليلا ونهارا ، وضربوا أهلها كما يضرب المصادرون ويستغيث أحدهم فلا يغاث ، واشتد الحال وهربت الشرطة من بغداد ولم تثن الأتراك شيئا ، وعملت السرايح على أفواه السكك فلم يقد ذلك شيئا ، وأحرقت دار الشريف المرتضى فانتقل منها ، وغلت الأسعار جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ سَابُور بن ازدشير ﴾

وزر لبهاء الدولة ثلاث مرات ، ووزر لشرف الدولة ، وكان كاتباً شديداً عفيفاً عن الأموال ، كثير الخير ، سليم الخاطر ، وكان إذا سمع المؤذن لا يشغله شيء عن الصلاة ، وقد وقف داراً للعلم في سنة إحدى وثمانين وثلثمائة ، وجعل فيها كتباً كثيرة جداً ، ووقف عليها غلة كبيرة ، فبقيت سبعين سنة ثم أحرقت عند مجيء الملك طغرل بك في سنة خمسين وأربعمائة ، وكانت محلتها بين السورين ، وقد كان حسن المعاشرة إلا أنه كان يعزل عماله سريعاً خوفاً عليهم من الاشر والبطر ، توفى فيها وقد قارب التسعين .

﴿ عثمان النيسابوري ﴾

الجدوى الواعظ . قال ابن الجوزي : صنف كتباً في الوعظ من أبرد الأشياء ، وفيه أحاديث كثيرة موضوعة ، وكمات مرذولة ، إلا أنه كان خيراً صالحاً ، وكانت له وجهة عند الخلفاء والملوك ، وكان الملك محمود بن سبكتكين إذا رآه قام له ، وكانت محلته حتى يحتجى بها من الظلمة ، وقد وقع في بلدة نيسابور موت ، وكان يغسل الموتى محتسباً ، فغسل نحواً من عشرة آلاف ميتاً ، رحمه الله .

﴿ محمد بن الحسن بن صالحان ﴾

أبو منصور الوزير لشرف الدولة ولهباء الدولة ، كان وزير صدق جيد المباشرة حسن الصلاة ، محافظاً على أوقاتها ، وكان محسناً إلى الشعراء والعلماء ، توفى فيها عن ست وسبعين سنة .

﴿ الملك شرف الدولة ﴾

أبو علي بن بهاء الدولة ، أبي نصر بن عضد الدولة بن بويه ، أصابه مرض حار فتوفى لثمان بقين من ربيع الآخر عن ثلاث وعشرين سنة ، وثلاثة أشهر وعشرين يوماً .

﴿ التهامي الشاعر ﴾

علي بن محمد التهامي أبو الحسن ، له ديوان مشهور ، وله مرثاة في ولده وكان قد مات صغيراً أولها :

حكم المنية في البرية جاري * ما هذه الدنيا بدار قرار

ومنها : - إني لأرحم حاسدي الحرّما * ضمت صدورهم من الاوغار

نظروا صنيع الله بي فعيونهم * في جنة وقلوبهم في نار

ومنها في ذم الدنيا :

جبلت على كدروأنت نرومها * صفوا من الاقدار والا كدار
ومكلف الأيام ضد طباعها * متطلب في الماء جذوة نار
وإذا رجوت المستحيل فانما * تبني الرجاء على شفيرهار
ومنها قوله في ولده بعد موته :

جاورت أعدائي وجاور ربه * شتان بين جواره وجواري
وقد ذكر ابن خلدكان أنه رآه بعضهم في المنام في هيئة حسنة فقال له بعض أصحابه : بم نلت هذا ؟
فقال : بهذا البيت * شتان بين جواره وجواري *

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وأربعمائة ﴾

في العشرين من محرمها وقعت فتنة بين الاسفهلارية وبين العيارين ، وركبت لهم الأتراك
بالدبابات ، كما يفعل في الحرب ، وأحرقت دور كثيرة من الدور التي احتوى فيها العيارون ، وأحرق
من الكرخ جانب كبير ، ونهب أهله ، وتعمدى بالنهب إلى غيرهم ، وقامت فتنة عظيمة ثم خمدت
الفتنة في اليوم الثاني ، وقرر على أهل الكرخ مائة ألف دينار ، مصادرة ، لاثارتهم الفتن والشروع .
وفي شهر ربيع الآخر منها شهد أبو عبد الله الحسين بن علي ، الصيمري عند قاضي القضاة ابن
أبي الشوارب بعد ما كان استنابه عما ذكر عنه من الاعتزال . وفي رمضان منها انقض كوكب سمع له
دوى كدوى الرعد ، ووقع في سلخ شوال برد لم يعهد مثله ، واستمر ذلك إلى العشرين من ذي
الحجة ، وجمد الماء طول هذه المدة ، وقامى الناس شدة عظيمة ، وتأخر المطر وزيادة دجلة ، وقلت
الزراعة ، وامتنع كثير من الناس عن التصرف . ولم يحج أحد من أهل العراق وخراسان في هذه
السنة لفساد البلاد وضعف الدولة .

وفيهما توفي من الأعيان قاضي القضاة ابن أبي الشوارب .

﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن العباس بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب ، أبو الحسن القرشي الأموي ، قاضي قضاة
بغداد بعد ابن الأكفاني بثنتي عشرة سنة ، وكان عفيفاً نزهة ، وقد سمع الحديث من أبي عمر الزاهد
وعبد الباقي بن قانع ، إلا أنه لم يحدث . قاله ابن الجوزي : وحكى الخطيب عن شيخه أبي العلاء
الواسطي : أن أبا الحسن هذا آخر من ولي الحكم ببغداد ، من سلالة محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب
وقد ولي الحكم من سلالته أربعة وعشرون ، منهم ولوا قضاء قضاة بغداد . قال أبو العلاء : ما رأينا
مثل أبي الحسن هذا ، جلالة ونزاهة وصيانة وشرفاً . وقد ذكر القاضي الماوردي أنه كان له صديقا

وصاحباً ، وأن رجلاً من خيار الناس أوصى له بمائتي دينار ، فحملها إليه الماوردي فأبى القاضي أن يقبلها ، وجهد عليه كل الجهد فلم يفعل ، وقال له : سألتك بالله لا تذكرن هذا لأحد مادمت حياً ، ففعل الماوردي ، فلم يخبر عنه إلا بعد موته ، وكان ابن أبي الشوارب فقيراً إليها ، وإلى ما هو دونها فلم يقبلها رحمه الله . توفي في شوال منها .

﴿ جعفر بن أبان ﴾

أبو مسلم الختلى سمع ابن بطة ودرس فقه الشافعي على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وكان ثقة ديناً ، توفي في رمضان منها ﴿ عمر بن أحمد بن عبدويه ﴾

أبو حازم الهذلي النيسابوري ، سمع ابن نجيد والاسماعيلي ، وخلقا ، وسمع منه الخطيب وغيره ، وكان الناس يفتنعون بأفادته وانتخابه ، توفي يوم عيد الفطر منها .

﴿ علي بن أحمد بن عمر بن حفص ﴾

أبو الحسن المقرئ المعروف بالحامي ، سمع النجاد والخلدي وابن السماك وغيرهم ، وكان صدوقاً فاضلاً ، حسن الاعتقاد ، وتفرد بأسانيد القراءات وعلوها ، توفي في شعبان منها عن تسع وعشرين سنة .

﴿ صاعد بن الحسن ﴾

ابن عيسى الربعي البغدادي ، صاحب كتاب الفصوص في اللغة على طريقة القنالي في الامالي ، صنفه للمصور بن أبي عامر ، فأجازه عليه خمسة آلاف دينار ، ثم قيل له إنه كذاب منهم ، فقال في ذلك بعض الشعراء :

قد غاص في الماء كتاب الفصوص * وهكذا كل ثقل يغوص
فلما بلغ صاعدا هذا البيت أنشد :

عاد إلى عنصره إنما * يخرج من قعر البحور الفصوص

قلت : كأنه سمي هذا الكتاب بهذا الاسم ليشاكل به الصحاح للجوهري ، ولكنه كان مع فصاحته وبلاغته وعلمه منهما بالكذب ، فلهذا رفض الناس كتابه ، ولم يشتهر ، وكان ظريفاً ما جنى سريع الجواب ، سأله رجل أعمى على سبيل التهمك فقال له : ما الحر ثقل ؟ فأطرق ساعة وعرف أنه يفعل هذا من عند نفسه ثم رفع رأسه إليه فقال : هو الذي يأتي نساء العميان ، ولا يتعداهن إلى غيرهن ، فاستحي ذلك الأعمى وضحك الحاضرون . توفي في هذه السنة سماحه الله .

﴿ الففال المروزي ﴾

أحد أئمة الشافعية الكبار ، علماً وزهداً وحفظاً وتصنيفاً ، وإليه تنسب الطريقة الخراسانية ، ومن أصحابه الشيخ أبو محمد الجويني ، والقاضي حسين ، وأبو علي السبغيني ، قال ابن خلدكان :

وأخذ عنه إمام الحرمين ، وفيما قاله نظر . لأن سن إمام الحرمين لا يحتمل ذلك ، فان القفال هذا مات في هذه السنة وله تسعون سنة ، ودفن بسجستان ، وإمام الحرمين ولد سنة تسع عشرة وأربعمائة كما سيأتي ، وإنما قيل له القفال لأنه كان أولا يعمل الأقفال ، ولم يشغل إلا وهو ابن ثلاثين سنة ، رحمه الله تعالى ﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وأربعمائة ﴾

في ربيع الأول منها وقع برد أهلك شيئا كثيرا من الزروع والثمار ، وقتل خلقا كثيرا من الدواب . قال ابن الجوزي : وقد قيل إنه كان في برده كل بردة رطلان وأكثر ، وفي واسط بلغت البردة أرطالا ، وفي بغداد بلغت قدر البيض . وفي ربيع الآخر سألت الأسفهلارية الغلمان الخليفة أن يعزل عنهم أبا كايجار ، لتهاونه بأمرهم ، وفساده وفساد الأمور في أيامه ، ويولي عليهم جلال الدولة ، الذي كانوا قد عزلوه عنهم ، فما ظلمهم الخليفة في ذلك وكتب إلى أبي كايجار أن يتدارك أمره ، وأن يسرع الأوبة إلى بغداد ، قبل أن يفوت الأمر ، وألح أولئك على الخليفة في تولية جلال الدولة ، وأقاموا له الخطبة ببغداد ، وتفاقم الحال ، وفسد النظام . وفيها ورد كتاب من محمود بن سبكتكين يذكر أنه دخل بلاد الهند أيضا ، وأنه كسر الصنم الأعظم الذي لهم المسمى بسومنات ، وقد كانوا يفدون إليه من كل فج عميق ، كما يفد الناس إلى الكعبة البيت الحرام وأعظم ، وينفقون عنده النفقات والأموال الكثيرة ، التي لا توصف ولا تعد ، وكان عليه من الأوقاف عشرة آلاف قرية ، ومدينة مشهورة ، وقد امتلأت خزائنه أموالا ، وعنده ألف رجل يخدمونه ، وثلاثمائة رجل يحملون رؤس حجيجيه ، وثلاثمائة رجل يغنون ويرقصون على بابه ، لما يضرب على بابه الطبول والبوقات ، وكان عنده من المجاورين ألف يأكلون من أوقافه ، وقد كان البعيد من الهنود يتعنى لو بلغ هذا الصنم ، وكان يعوقه طول المفاز وكثرة الموانع والأفات ، ثم استخار الله السلطان محمود لما بلغه خبر هذا الصنم وعباده ، وكثرة الهنود في طريقه ، والمفاز المهلكة ، والأرض الخطرة ، في تجشم ذلك في جيشه ، وأن يقطع تلك الأهوال إليه ، فندب جيشه لذلك فانتدب معه ثلاثون ألفا من المقاتلة ، ممن اختارهم لذلك ، سوى المتطوعة ، فسلمهم الله حتى انتهوا إلى بلد هذا الوثن ، ونزلوا بساحة عباده ، فإذا هو بمكان بقدر المدينة المظيمة ، قل : فما كان بأسرع من أن ملكناه وقتلنا من أهله خمسين ألفا وقلعنا هذا الوثن وأوقدنا تحته النار . وقد ذكر غير واحد أن الهنود بذلوا للسلطان محمود أموالا جزيلة ليترك لهم هذا الصنم الأعظم ، فأشار من الأمراء على السلطان محمود بأخذ الأموال وإبقاء هذا الصنم لهم ، فقال : حتى أستخير الله عز وجل ، فلما أصبح قال : إني فكرت في الأمر الذي ذكر فرأيت أنه إذا نوديت يوم القيامة أين محمود الذي كسر الصنم ؟ أحب إلى من أن يقال الذي ترك الصنم لأجل ما يناله من الدنيا ، ثم عزم فكسره رحمه الله ، فوجد عليه وفيه من الجواهر والآلى والذهب والجواهر

النفسية ما يذيف على ما بذلوه له بأضعاف مضاعفة ، ونرجو من الله له في الآخرة الثواب الجزيل الذي مثقل دائق منه خير من الدنيا وما فيها ، مع ما حصل له من الشناء الجليل الديوى ، فرحمه الله وأكرم مثواه . وفي يوم السبت ثالث رمضان دخل جلال الدولة إلى بغداد فتلقاه الخليفة في دجلة في طيارة ، ومعه الأكبر والأمرء ، فلما واجه جلال الدولة الخليفة قبل الأرض دفعت ، ثم سار إلى دار الملك ، وعاد الخليفة إلى داره ، وأمر جلال الدولة أن يضرب له الطبل في أوقات الصلوات الثلاث ، كما كان الأمر في زمن عضد الدولة ، وصمصامها وشرفها وبهاثها ، وكان الخليفة يضرب له الطبل في أوقات الخمس ، فأراد جلال الدولة ذلك فقبل له يحمل هذه المساواة الخليفة في ذلك ، ثم صمم على ذلك في أوقات الخمس . قال ابن الجوزي : وفيها وقع برد شديد حتى جمد الماء والنبيد وأبوال الدواب والمياه الكبار ، وحافظت دجلة . ولم ينج أحد من أهل العراق .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو عبد الله الشاهد ، خطب له في جامع المنصور في سنة ست وثمانين وثلثمائة ، ولم يخطب له إلا بخطبة واحدة جمعات كثيرة متعددة ، فكان إذا سمعها الناس منه ضجوا بالبكاء وخشعوا لصوته .

﴿ الحسين بن علي بن الحسين ﴾

أبو القاسم المغربي الوزير ، ولد بمصر في ذي الحجة سنة تسعين وثلثمائة ، وهرب منها حين قتل صاحبها الحاكم أباه وعمه محمدا ، وقصد مكة ثم الشام ، ووزر في عدة أماكن ، وكان يقول الشعر الحسن ، وقد تذاكر هو وبعض الصالحين فأنشده ذلك الصالح شعراً :

إذا شئت أن تحيا غنيا فلا تكن * على حالة إلا رضيت بدونها

فاعتزل المناصب والسلطان ، فقال له بعض أصحابه : تركت المنازل والسلطان في عفوان شبابك ؟ فأنشأ يقول :

كنت في سفر الجهل والبطالة * حينما فخان مني القديوم

تبت من كل مأثم فعسى * يحكي بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين تمدا * ألا إن الآله القديم كريم

توفي بميا فارقين في رمضان منها عن خمس وأربعين سنة ، ودفن بمشهد على .

﴿ محمد بن الحسن بن إبراهيم ﴾

أبو بكر الوراق ، المعروف بابن الخفاف ، روى عن القطيعي وغيره ، وقد اتهموه بوضع الحديث والاسانيد ، قاله الخطيب وغيره .

﴿ أبو القاسم اللالكاني ﴾

هبة الله بن الحسن بن منصور : الرازي ، وهو طبري الأصل ، أحد تلامذة الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، كان يفهم ويحفظ ، وعنى بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة ، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه ، وله كتاب في السنة وشرفها ، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك ، وقع لنا سماعه على الحجار عاليا عنه ، توفي بالدينور في رمضان منها ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي ، قال بهم ؟ قال بشئ قليل من السنة أحييته :

﴿ أبو القاسم بن أمير المؤمنين القادر ﴾

توفي ليلة الأحد في جمادى الآخرة ، وصلى عليه غير مرة ، ومشى الناس في جنازته ، وحزن عليه أبوه حزنا شديدا ، وقطع الطبل أياما .

﴿ ابن طباطبا الشريف ﴾

كان شاعرا ، وله شعر حسن .

﴿ أبو إسحاق ﴾

وهو الأستاذ أبو إسحاق الاسفراييني إبراهيم بن محمد بن مهران . الشيخ أبو إسحاق الامام العلامة ، ركن الدين الفقيه الشافعي ، المتكلم الأصولي ، صاحب التصانيف في الأصولين ، جامع الحلي في مجلدات ، والتعليقة النافذة في أصول الفقه ، وغير ذلك ، وقد سمع الكثير من الحديث من أبي بكر الامامعلي ودعلج وغيرهما ، وأخذ عنه البيهقي والشيخ أبو الطيب الطبري ، والحاكم النيسابوري ، وأثنى عليه ، توفي يوم عاشوراء منها بنيسابور ، ثم نقل إلى بلده ودفن بمشهده .

﴿ القدوري ﴾

صاحب الكتاب المشهور في مذهب أبي حنيفة ، أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان ، أبو الحسن القدوري الحنفي ، صاحب المصنف المختصر ، الذي يحفظ ، كان إماما بارعا عالما ، وثبتا مناظرا ، وهو الذي تولى مناظرة الشيخ أبي حامد الاسفراييني من الحنفية ، وكان القدوري يطريه ويقول : هو أعلم من الشافعي ، وأنظر منه ، توفي يوم الأحد الخامس من رجب منها ، عن ست وخمسين سنة ، ودفن إلى جانب الفقيه أبي بكر الخوارزمي الحنفي .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وأربعمائة ﴾

فيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة ونهبوا دار وزيره ، وجرت له أمور طويلة ، آل الحال فيها إلى اتفاقهم على إخراجه من البلد ، فهي له برذون رث ، فخرج وفي يده طير نهارة ، فجعلوا لا يلتفتون إليه ولا يفكرون فيه ، فلما عزم على الركوب على ذلك البرذون الرث رثاله ورقوا له ولهيئته وقبلوا الأرض بين يديه ، وانصلحت قضيته بعد فسادها . وفيها قل الرطب جدا بسبب هلاك النخل في

السنة الماضية بالبرد ، فبيع الرطب كل ثلاثة أرتال بدينار جلالى ، ووقع برد شديد أيضا فأهلك شيئا كثيرا من النخيل أيضا . ولم يحج أحد من أهل المشرق ولا من أهل الديار المصرية فيها ، إلا أن قوماً من خراسان ركبوا فى البحر من مدينة مكران فأنتموا إلى جدة فحجوا .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ حمزة بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أبو الخطاب المنجم ، حظى عند بهاء الدولة وعلماء النجوم ، وكان له بذلك وجاهة عنده ، حتى أن الوزراء كانوا يخافونه ويتوسلون به إليه ، ثم صار أمره طريدا بعيداً حتى مات يوم مات بالكرخ من سامرا غريباً ، فقيرا مغلولاً ، قد ذهب ماله وجاهه وعقله .

﴿ محمد بن محمد بن إبراهيم بن مخلد ﴾

أبو الحسن التاجر ، سمع الكثير على المشايخ المتقدمين ، وتفرد بملو الاسناد ، وكان ذا مال جزيل يخاف من المصادرة ببغداد فانتقل إلى مصر فأقام بها سنة ، ثم عاد إلى بغداد فاتفق مصادرة أهل محله ففقط عليه ما أفقره ، ومات حين مات ولم يوجد له كفن ولم يترك شيئا فأرسل له القادر بالله ما كفن فيه . ﴿ مبارك الأنطاقي ﴾

كان ذا مال جزيل نحو ثلثمائة ألف دينار ، مات ولم يترك وارثا سوى ابنة واحدة ببغداد ، وتوفى هو بمصر . ﴿ أبو الفوارس بن بهاء الدولة ﴾

كان ظلماً ، وكان إذا سكر يضرب الرجل من أصحابه أو وزيره مائة مفرقة ، بعد أن يحلفه بالطلاق أنه لا يتأوه ، ولا يخبر بذلك أحدا . فيقال إن حاشيته مسموم ، فلما مات نادوا بشعار أخيه كاليبجار . ﴿ أبو محمد بن الساد ﴾

وزير كاليبجار ، ولقبه بمز الدولة ، فلك الدولة ، رشيد الأمة ، وزير الوزراء ، عماد الملك ، ثم سلم بعد ذلك إلى جلال الدولة فاعتقله ومات فيها .

﴿ أبو عبد الله المتكلم ﴾

توفى فيها ، هكذا رأيت ابن الجوزى ترجمه مختصرا .

﴿ ابن غلبون الشاعر ﴾

عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب أبو محمد الشامي ثم الصورى ، الشاعر المطبق ، له ديوان مليح ، كان قد نظم قصيدة بليغة فى بعض الرؤساء ، ثم أنشدها لرئيس آخر يقال له ذو النعمتين ، وزاد فيها بيتا واحدا يقول فيه :

ولك المناقب كلها * فلم اقتصر على اثنين

فأجازه جائزة سنية ، فقيل له : إنه لم يقلها فيك ، فقال : إن هذا البيت وحده بقصيدة ، وله أيضا فى بخيل نزل عنده :

وأخ مسه نزولى بقرح * مثل ما مسنى من الجرح
بت ضيفا له كما حكم الدهر * ر وفي حكمه على الحر فتح
فابتدأنى يقول وهو من الـ * سكر بالهم طافح ليس يصحو
لم تغربت؟ قلت قال رسول الله * ه والقول منه نصيح ونجيح
«سافروا تغنموا» فقال وقد * قال تمام الحديث «صوموا تصحوا»
(ثم دخلت سنة عشرين وأربعمائة)

فيها سقط بناحية المشرق مطر شديد، معه برد كبار. قال ابن الجوزى: حذرت البردة الواحدة منه مائة وخمسون رطلا، وغاصت في الأرض نحو من ذراع. وفيها ورد كتاب من محمود ابن سبكتكين أنه أحل بطائفة من أهل الرى من الباطنية والروافض قتلًا ذريعًا، وصلبًا شنيعًا، وأنه انتهب أموال رئيسهم رستم بن على الديلمى، فحصل منها ما يقارب ألف ألف دينار، وقد كان في حيازته نحو من خمسين امرأة حرة، وقد ولدن له ثلاثًا وثلاثين ولدًا بين ذكر وأنثى، وكانوا يرون إباحة ذلك. وفي رجب منها انقض كواكب كثيرة شديدة الضوء شديدة الصوت. وفي شعبان منها كثرت العملات وضعت رجال المعونة عن مقاومة العيارين. وفي يوم الاثنين منها ثمان عشر رجب غار ماء دجلة حتى لم يبق منه إلا القليل، ووقفت الأرحاء عن الطحن، وتعذر ذلك. وفي هذا اليوم جمع القضاة والعلماء في دار الخلافة، وقرئ عليهم كتاب جمعه القادر بالله، فيه مواعظ وتفصيل مذاهب أهل البصرة، وفيه الرد على أهل البدع، وتفسيق من قال بخلق القرآن، وصفة ما وقع بين بشر المريسي وعبد العزيز بن يحيى الكتانى من المناظرة، ثم ختم القول بالمواعظ، والقول بالمعروف، والنهي عن المنكر. وأخذ خطوط الحاضرين بالموافقة على ما سمعوه. وفي يوم الاثنين غرة ذى القعدة جمعوا أيضًا كلهم وقرئ عليهم كتاب آخر طويل يتضمن بيان السنة والرد على أهل البدع ومناظرة بشر المريسي والكتانى أيضًا، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفضل الصحابة، وذكر فضائل أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضى الله عنهما، ولم يفرغوا منه إلا بعد العتمة، وأخذت خطوطهم بموافقة ما سمعوه. وعزل خطباء الشيعة، وولى خطباء السنة والله الحمد والمنة على ذلك وغيره. وجرت فتنة بمسجد برائنا، وضربوا الخطيب السنى بالآجر، حتى كسروا أنفه وخلصوا كتفه، فانتصر لهم الخليفة وأهان الشيعة وأذلهم، حتى جاؤا يمتدرون مما صنعوا، وأن ذلك إنما تعاطاه السفهاء منهم. ولم يتمكن أحد من أهل العراق وخراسان في هذه السنة من الحج.

ومن توفى فيها من الأعيان * الحسن بن أبى القين *

أبو على الزاهد، أحد العباد والزهاد وأصحاب الأحوال، دخل عليه بعض الوزراء فقبل يده،

فصوتب الوزير بذلك فقال: كيف لا أقبل يدا ما امتدت إلا إلى الله عز وجل .

﴿ علي بن عيسى بن الفرج بن صالح ﴾

أبو الحسن الربى النحوى ، أخذ العربية أولاً عن أبي سعيد السيرافى ، ثم عن أبي على الفارسى ولازمه عشرين سنة حتى كان يقول : قولوا له لو سار من المشرق إلى المغرب لم يجد أحداً أتقى منه ، كان يوماً يشى على شاطئ دجلة إذ نظر إلى الشريفة الرضى والمرضى فى سفينة ، ومعهما عثمان بن جنى ، فقال لهما : من أعجب الأشياء عثمان معكما ، وعلى بعيد عنكما ، يشى على شاطئ الفرات . [فضحكا وقالوا : باسم الله] توفى فى المحرم منها عن ثنتين وتسعين سنة ، ودفن بباب الدبر ، ويقال إنه لم يتبع جنازته إلا ثلاثة أنفس ﴿ أسد الدولة ﴾

أبو على صالح بن مرداس بن إدريس الكلابى ، أول ملوك بنى مرداس بحلب ، انتزعها من يدى نائبها عن الظاهر بن الحاكم العبيدى ، فى ذى الحجة سنة سبع عشرة وأربعمائة ، ثم جاءه جيش كثيف من مصر فاقتتلوا فقتل أسد الدولة هذا فى سنة تسع عشرة ، وقام حفيده نصر .
﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وأربعمائة ﴾

فبها توفى الملك الكبير المجاهد المغازى ، فاتح بلاد الهند محمود بن سبكتكين رحمه الله ، لما كان فى ربيع الأول من هذه السنة توفى الملك العادل الكبير الناظر المرباط ، المؤيد المنصور ، بين الدولة أبو القاسم محمود بن سبكتكين ، صاحب بلاد غزنة ومالك تلك الممالك الكبار ، وفاتح أكثر بلاد الهند قهرا ، وكسر أصنامهم وندودهم وأوثانهم وهنودهم ، وسلمطانهم الأعظم قهرا ، وقد مرض رحمه الله نحواً من سنتين لم يضطجع فيهما على فراش ، ولا نوسد وساداً ، بل كان ينكس جالساً حتى مات وهو كذلك ، وذلك لشهامته وصرامته ، وقوة عزمه ، وله من العمر ستون سنة رحمه الله . وقد عهد بالأمر من بعده لولده محمد ، فلم يتم أمره حتى عافسه أخوه مسعود بن محمود المذكور ، فاستحوذ على ممالك أبيه ، مع ما كان يليه مما فتحه هو بنفسه من بلاد الكفار ، من الرساتيق الكبار والصغار ، فاستقرت له الممالك شرقاً وغرباً فى تلك النواحي ، فى أواخر هذا العام ، وجاءته الرسل بالسلام من كل ناحية ومن كل ممالك ، وبالتيه والاكرام ، وبالخضوع التام ، وسيأتى ذكر أبيه فى الوفيات . وبها استحوذت السرية التى كان بها الملك المذكور محمود إلى بلاد الهند على أكثر مدائن الهند وأكبرها مدينة ، وهى المدينة المسماة نرسى ، دخلوها فى نحو من مائة ألف مقاتل ، ما بين فارس وراجل ، قهروا سوق العطار والجواهر بها نهاراً كاملاً ، ولم يستطيعوا أن يحولوا ما فيه من أنواع الطيب والمسك والجواهر والآلى واليوافيت ، ونوع هذا لم يدرأ أكثر أهل البلد بشئ من ذلك لاتساعها ، وذلك أنها كانت فى غاية الكبير : طولها مسيرة منزلة من منازل الهند ، وعرضها كذلك ، وأخذوا منها من الأموال والتحف

والأثاث مالا يحصى ولا يوصف ، حتى قيل إنهم اقتصموا الذهب والفضة بالكيل ، ولم يصل جيش من جيوش المسلمين إلى هذه المدينة قط ، لا قبل هذه السنة ولا بعدها ، وهذه المدينة من أكثر بلاد الهند خيراً ومالاً ، بل قيل إنه لا يوجد مدينة أكثر منها مالاً ورزقاً ، مع كفر أهلها وعبادتهم الأصنام ، فليسلم المؤمن على الدنيا سلام . وقد كانت محل الملك ، وأخذوا منها من الرقيق من الصبيان والبنات مالا يحصى كثرة . وفيها عملت الرافضة بدعتهم الشنعاء ، وحادثهم الصلحاء ، في يوم عاشوراء ، من تعليق المسوح ، وتعليق الاسواق ، والنوح والبكاء في الأزقة ، فأقبل أهل السنة إليهم في الحديد فاقبلوا قتلاً شديداً ، فقتل من الفريقين طوائف كثيرة ، وجرت بينهم فتن وشرور مستطيرة . وفيها مرض أمير المؤمنين القادر بالله وعهد بولاية العهد من بعده إلى ولده أبي جعفر القائم بأمر الله ، بمحض من القضاة والوزراء والأمراء ، وخطب له بذلك ، وضرب اسمه على السكة المتعامل بها . وفيها أقبل ملك الروم من قسطنطينية في مائة ألف مقاتل ، فسار حتى بلغ بلاد حلب ، وعليها شبل الدولة نصربن صالح بن مرداس ، فنزلوا على مسيرة يوم منها ، ومن عزم ملك الروم أن يستحوذ على بلاد الشام كلها ، وأن يستردها إلى دين النصرانية ، وقد قال رسول الله ﷺ « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده » وقيصر هو من ملك الشام من الروم مع بلاد الروم فلا سبيل لملك الروم إلى هذا . فلما نزل من حلب كاذباً كرنا أرسل الله عليهم عطشاً شديداً ، وخالف بين كلهم ، وذلك أنه كان معه الدمستق ، فعامل طائفة من الجيش على قتله ليستقل هو بالأمر من بعده ، ففهم الملك ذلك فكر من فوره راجعاً ، فاتبعهم الأعراب ينهبونهم ليلاً ونهاراً ، وكان من جملة ما أخذوا منهم أربعمائة فحل محجل محملة أموالاً وثياباً للملك ، وهلك أكثرهم جوعاً وعطشاً ، ونهبوا من كل جانب والله الحمد والمنة . وفيها ملك جلال الدولة واسطاً واستتاب عليها ولده ، وبعث وزيره أبا علي بن ماكولا إلى البطائح ففتحها ، وسار في الماء إلى البصرة وعليها نائب لأبي كاليجار ، فهزمهم البصريون فسار إليهم جلال الدولة بنفسه فدخلها في شعبان منها . وفيها جاء سيل عظيم بغرزة فأهلك شيئاً كثيراً من الزروع والأشجار . وفي رمضان منها تصدق مسعود بن محمود بن سبكتكين بألف ألف درهم ، وأدرار زاقا كثيرة للفقهاء والعلماء ببلاده ، على عادة أبيه من قبله ، وفتح بلاداً كثيرة ، واتسعت ممالكه جداً ، وعظم شأنه ، وقويت أركانه ، وكثرت جنوده وأعوانه . وفيها دخل خلق كثير من الأكراد إلى بغداد يسرقون خيل الأتراك ليلاً ، فتحصن الناس منهم فأخذوا الخيول كلها حتى خيل الساطان . وفيها سقط جسر بغداد على نهر عيسى . وفيها وقعت فتنة بين الأتراك النازلين بباب البصرة ، وبين الهاشميين ، فرفقوا المصالحف وروثهم الأتراك بالنشاب ، وجرت خبطة عظيمة ثم أصالح بين الفريقين . وفيها كثرت العملات ، وأخذت الدور جهرة ، وكثر العيارون ولصوص

الأكراد . وفيها تعطل الحج أيضاً سوى شردمة من أهل العراق ركبوا من جمال البادية مع الأعراب ، فغازوا بالحج .

ذكر من توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الله بن أحمد ﴾
أبو الحسن الواعظ ، المعروف بابن الأكرات ، صاحب كرامات ومعاملات ، كان من أهل الجزيرة فسكن دمشق ، وكان يعظ الناس بالرفادة القليلة ، حيث كان يجلس القصاص . قاله ابن عساكر . قال : وصنف كتباً في الوعظ ، وحكى حكايات كثيرة ، ثم قال : سمعت أبا الحسن أحمد بن عبد الله الأكرات الواعظ ينفذ أبياتاً :

أنا ما أصنع باللذا * ت شغلي بالذنوب
إنما العيد لمن فا * ز بوصل من حبيب
أصبح الناس على رو * ح وريحان وطيب
ثم أصبحت على نوح * وحزن ونحيب
فرحوا حين أهلوا * شهرهم بعد المغيب
وهلالي متوار * من ورا حجب الغيوب
فلهذا قلت للذا * ت غيبي ثم غيبي
وجعلت الهم والحز * ن من الدنيا نصيبي
يا حياتي ومماتي * وشقائي وطبيبي
جد لنفس تنلظي * منك بالرحب الرحيب

﴿ الحسين بن محمد الخليع ﴾

الشاعر ، له ديوان شعر حسن ، عمر طويلاً ، وتوفي في هذه السنة .

﴿ الملك الكبير العادل ﴾

محمود بن سبكتكين ، أبو القاسم الملقب بـ « بين الدولة » ، وأمين الملة ، وصاحب بلاد غزنة ، وما والاها ، وجيشه يقال لهم السامانية ، لأن أباه كان قد نكح عليهم ، وتوفي سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة فتملك عليهم بعده ولده محمود هذا . فسار فيهم وفي سائر دغاياه سيرة عادلة ، وقام في نصر الاسلام قياماً تاماً ، وفتح فتوحات كثيرة في بلاد الهند وغيرها ، وعظم شأنه ، واتسعت مملكته ، وامتدت دغاياه ، وطالت أيامه له دله وجهاده ، وما أعطاه الله إياه ، وكان بخطب في سائر ممالك الخلافة القادر بالله ، وكانت رسل الفاطميين من مصر تفتد إليه بالكتب والهدايا لأجل أن يكون من جهنم ، فيحرق بهم ويحرق كتبهم وهداياهم ، وفتح في بلاد السكفار من الهند فتوحات هائلة ، لم يتفق لغيره من

الملوك ، لا قبله ولا بعده ، وغنم مغائم منهم كثيرة لا تنحصر ولا تنضب ، من الذهب واللاآلى ، والسبي ، وكسر من أصنامهم شيئاً كثيراً ، وأخذ من حليتها . وقد تقدم ذلك مفصلاً متفرقاً فى السنين المتقدمة من أيامه ، ومن جملة ما كسر من أصنامهم صنم يقل له سومنان ، بلغ ما تحصل من حليته من الذهب عشرين ألف ألف دينار ، وكسر ملك الهند الأكبر الذى يقال له صينال ، وقهر ملك الترك الأعظم الذى يقال له إيلك الخان ، وأباد ملك السامانية ، وقد ملكوا العالم فى بلاد سمرقند وما حولها ، ثم هلكوا . وبنى دلى جيحون جسراً تهجز الملوك والخلفاء عنه ، غرم عليه ألفى ألف دينار ، وهذا شئ لم يتفق لغيره ، وكان فى جيشه أربعمائة قبل تقاتل ، وهذا شئ عظيم هائل ، وجرت له فصول يطول تفصيلها ، وكان مع هذا فى غاية الديانة والصيانة وكراهة المعاصى وأهلها ، لا يحب منها شيئاً ، ولا يألوه ، ولا أن يسمع بها ، ولا يجسر أحد أن يظهر معصية ولا خيراً فى مملكته ، ولا غير ذلك ، ولا يحب الملاحى ولا أهلها ، وكان يحب العلماء والمحدثين ويكرمهم ويجالسهم ، ويجب أهل الخير والدين والصلاح ، ويحسن إليهم ، وكان حنفياً ثم صار شافعياً على يدى أبى بكر القفال الصغير على ما ذكره إمام الحرمين وغيره ، وكان على مذهب السكرامية فى الاعتقاد ، وكان من جملة من يجالسه منهم محمد بن الهيثم ، وقد جرى بينه وبين أبى بكر بن فورك مناظرات بين يدى السلطان محمود فى مسألة العرش ، ذكرها ابن الهيثم فى مصنف له ، قال السلطان محمود إلى قول ابن الهيثم ، وتقم على ابن فورك كلامه ، وأمر بطرده وإخراجه ، وأفاقته لرأى الجهمية ، وكان عادلاً جيداً ، اشتكى إليه رجل أن ابن أخت الملك يهجم عليه فى داره وعلى أهله فى كل وقت ، فيخرجه من البيت ويختلى بامرأته ، وقد حار فى أمره ، وكلما اشتكاه لأحد من أولى الأمر لا يجسر أحد عليه خوفاً وهيبة للملك . فلما سمع الملك ذلك غضب غضباً شديداً وقال للرجل ، ويحك متى جاءك فائتى فأعلمنى ، ولا تسمع من أحد منك من الوصول إلى ، ولو جاءك فى الليل فائتى فأعلمنى ، ثم إن الملك تقدم إلى الحجة وقال لهم : إن هذا الرجل متى جاء فى لا يمنعه أحد من الوصول إلى من ليل أو نهار ، فذهب الرجل مسروراً داعياً ، فما كان إلا ليلة أوليلتان حتى هجم عليه ذلك الشاب فأخرجه من البيت واختلى بأهله ، فذهب باكياً إلى دار الملك فقبل له إن الملك نأثم ، فقال : قد تقدم إليكم أن لا أمنع منه ليلاً ولا نهاراً ، فنبهوا الملك فخرج معه بنفسه وليس معه أحد ، حتى جاء إلى منزل الرجل فنظر إلى الغلام وهو مع المرأة فى فراش واحد ، وعندهما شمعة تقد ، فتقدم الملك فأطفأ الضوء ثم جاء فاحتز رأس الغلام وقال للرجل : ويحك الحقنى بشربة ماء ، فأناه بها فشرب ثم انطلق الملك ليذهب ، فقال له الرجل : بالله لم أطفأت الشمعة ؟ قال : ويحك إنه ابن أختى ، وإبنى كرهت أن أشاهده حالة الذبح ، فقال : ولم طلبت الماء سريعاً ؟ فقال الملك : إبنى آليت على نفسى منذ أخبرتنى أن لا أطعم طعاماً ولا أشرب

شرباً حتى أنصرك ، وأقوم بمحكك ، فكنت عطشاناً هذه الأيام كلها ، حتى كان ما كان مما رأيت .
فدعا له الرجل وأنصرف الملك راجعاً إلى منزله ، ولم يشعر بذلك أحد . وكان مرض الملك محمود هذا
بسوء المزاج ، اعتراه معه انطلاق البطن سنتين ، فكان فيهما لا يضطجع على فراش ، ولا يتكئ
على شيء ، لقوة بأسه وسوء مزاجه ، وكان يستند على مخاد توضع له ويحضر مجلس الملك ، ويفصل
على عادته بين الناس ، حتى مات كذلك في يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر من هذه السنة
عن ثلاث وستين سنة ، ملكه منها ثلاث وثلاثون سنة ، وخاف من الأموال شيئاً كثيراً ، من ذلك
سبعون رطلاً من جوهر ، الجوهرة منه لها قيمة عظيمة سماحه الله . وقام بالأمر من بعده ولده محمد ، ثم
صار الملك إلى ولده الآخر مسعود بن محمود فأشبهه أباه ، وقد صنف بعض العلماء مصنفاً في سيرته وأيامه
وفتوحاته ومملكته . ﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة القادر بالله الخليفة ، وخلافة ابنه القائم بأمر الله على ما سيأتي تفصيله وبيانه .
وفيها وقعت فتنة عظيمة بين السنة والروافض ، فقويت عليهم السنة وقبلوا خلقاً منهم ، ونهبوا الكرخ
ودار الشريف المراتضى ، ونهبت العامة دور اليهود لأنهم نسبوا إلى معاونه الروافض ، وتعدى النهب
إلى دور كثيرة ، وانتشرت الفتنة جداً ، ثم سكنت بعد ذلك . وفيها كثرت العملات وانتشرت
الحنة بأمر العيارين في أرجاء البلد ، ونجاسوا على أمور كثيرة ، ونهبوا دوراً وأما كن سرا وجهراً ،
ليلاً ونهاراً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ خلافة القائم بالله ﴾

أبي جعفر عبد الله بن القادر بالله ، بويع له بالخلافة لما توفي أبوه أبو العباس أحمد بن المقتدر بن
المعتضد بن الأميين أبو أحمد الموفق بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد بن المهدي بن المنصور ، في
ليلة الاثنين الحادي عشر من ذي الحجة من هذه السنة ، عن ست وثمانين سنة ، وعشرة أشهر
وإحدى عشر يوماً ، ولم يعمّر أحد من الخلفاء قبله هذا العمر ولا بعده ، مكث من ذلك خليفة إحدى
وأربعين سنة وثلاثة أشهر ، وهذا أيضاً شيء لم يسبقه أحد إليه ، وأمه أم ولد اسمها عني ، مولاة عبد
الواحد بن المقتدر ، وقد كان حليماً كريماً ، محباً لأهل العلم والدين والصلاح ، ويأمر بالمعروف وينهى
عن المنكر ، وكان على طريقة السلف في الاعتقاد ، وله في ذلك مصنفات كانت تقرأ على الناس ،
وكان أبيض حسن الجسم طويل اللحية عريضاً مخضبها ، وكان يقوم الليل كثير الصدقة ، محباً للسنة
وأهلها ، مبغضاً للبدعة وأهلها . وكان يكثر الصوم ويبر الفقراء من أقطاعه ، يبعث منه إلى
المجاورين بالحرمين وجامع المنصور ، وجامع الرصافة ، وكان يخرج من داره في زى العامة فيزور قبور
الصلحين ، وقد ذكرنا طرفاً صالحاً من سيرته عند ذكر ولايته في سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة ، وجلسوا

في عزائه سبعة أيام لعظم المصيبة به ، ولتوطيد البيعة لولده المذكور ، وأمه يقال لها قطر الندى ، أرمنية أدركت خلافته في هذه السنة ، وكان مولده يوم الجمعة الثامن عشر من ذي القعدة سنة إحدى وتسعين وثلاثمائة ، ثم بويع له بمحضرة القضاة والأمراء والكبراء في هذه السنة ، وكان أول من بايعه المرتضى وأنشده أبياتاً :

فأما مغي جبل وانقضى * فمك لنا جبل قد رسي
وأما فجعنا بيدر التمام * فقد بقيت منه شمس الضحى
لنا حزن في محل السرور * فكم ضحك في محل البكا
فيا صار ما أغمدته يد * لنا بعدك الصارم المنتضى
ولما حضرنا لعقد البياع * عرفنا بهديك طرق الهدى
فقابلتنا بوقار المشيب * كما لا وسنك سن الفتى

فطالبته الأتراك برسم البيعة فلم يكن مع الخليفة شيء يعطيهم ، لأن أباه لم يترك شيئاً ، وكادت الفتنة تقع بين الناس بسبب ذلك ، حتى دفع عنه الملك جلال الدولة مالا جزيلاً لهم ، نحووا من ثلاثة آلاف دينار ، واستوزر الخليفة أبا طالب محمد بن أيوب ، واستقضى ابن ما كولا . ولم يحج أحد من أهل المشرق سوى شرذمة خرجوا من الكوفة مع العرب فخرجوا .

وفيها توفي من الأعيان غير الخليفة * الحسن بن جعفر *

أبو علي بن ما كولا الوزير لجلال الدولة ، قتله غلام له وجارية تعامل عليه فقتلاه ، عن ست وخمسين سنة * عبد الوهاب بن علي *

ابن نصر بن أحمد بن الحسن بن هارون بن مالك بن طوق ، صاحب الرحبة ، التغابي البغدادي أحد أئمة المالكية ، ومصنفهم ، له كتاب التلميع يحفظه الطلبة ، وله غيره في الفروع والأصول ، وقد أقام ببغداد دهرآ ، وولى قضاء داريا وما كسايا ، ثم خرج من بغداد لضيق حاله ، فدخل مصر فأكرمه المغاربة وأعطوه ذهباً كثيراً ، فتمول جدا ، فأنشأ يقول متشوقاً إلى بغداد .

سلام على بغداد في كل موقف * وحق لها مني السلام مضاعف
فو الله ما فارقتها عن ملالة * وإني بشطى جانبها لعارف
ولكنها ضاقت على بأسرها * ولم تكن الارزاق فيها تساعف
فكانت كحل كنت أهوى دنوه * وأخلاقه تنأى به وتخالف

قال الخطيب : سمع القاضي عبيد الوهاب من ابن السماك ، وكتبت عنه ، وكان ثقة ، ولم تر المالكية أحداً أفقه منه . قال ابن خلكان : وعند وصوله إلى مصر حصل له شيء من المال ، وحسن حاله ، مرض من أكلة اشتهاها فذكر عنه أنه كان يتقلب ويقول : لا إله إلا الله ، عند ما عشنا متنا

قال : وله أشعار رائعة فمنها قوله :

ونائمة قبلتها فتذهبت * فقالت تعالوا واطلبوا اللص بالحد
فقلت إني فديتك غاصب * وماحكموا في غاصب بسوى الرد
خذيها وكفى عن أئيم طلابه * وإن أنت لم ترضى فالفاعل العد
فقلت قصاص يشهد العقل أنه * على كبد الجاني ألد من الشهد
فبانت يميني وهي هيمان خصرها * وبانت يساري وهي واسطة العقد
فقلت ألم تخبر بأنك زاهد * فقلت بلى ، ما زلت أزهد في الزهد
ومما أنشده ابن خلكان للقاضي عبد الوهاب :

بغداد دار لأهل المال طيبة * وللهفليس دار الضنك والضيق
ظلت حيران أمشي في أزقتها * كأني مصحف في بيت زنديق
(ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة) ٢٠٢

في سادس المحرم منها استسقى أهل بغداد لتأخر المطر عن أوامه ، فلم يستقوا ، وكثر الموت في
الناس ، ولما كان يوم عاشوراء عملت الروافض بدعتهم ، وكثر النوح والبكاء ، وامتلأت بذلك
الطرق والأسواق . وفي صفر منها أمر الناس بالخروج إلى الاستسقاء فلم يخرج من أهل بغداد مع
اتساعها وكثرة أهلها مائة واحد . وفيها وقع بين الجيش وبين جلال الدولة فاتفق على خروجه إلى
البصرة منفيا ، ورد كثيرا من جواريه ، واستبقى بعضهم معه ، وخرج من بغداد ليلة الاثنين
سادس ربيع الأول منها . وكتب العلمان الاسفهلارية إلى الملك أبي كاليبجار ليقدم عليهم ، فلما
قدم تمهدت البلاد ولم يبق أحد من أهل العناد والاحاد ، ونهبوا دار جلال الدولة وغيرها ، وتأخر
مجيء أبي كاليبجار ، وذلك أن وزيره أشار عليه بعدم القدوم إلى بغداد . فأطاعه في ذلك ، فكثير
العيارون وتفاقم الحال ، وفسد البلد ، وافترق جلال الدولة بحيث أن احتاج إلى أن باع بعض ثيابه
في الأسواق ، وجعل أبو كاليبجار يتوهم من الأتراك ويطلب منهم رهائن ، فلم يتفق ذلك ، وطال
الفصل فرجعوا إلى مكتبة جلال الدولة ، وأن يرجع إلى بلده ، وشرعوا يعتذرون إليه ، وخطبوا له في
البلد على عادته ، وأرسل الخليفة الرسل إلى الملك كاليبجار ، وكان فيمن بعث إليه القاضي أبو الحسن
الماوردي ، فلم عليه مستوحشا منه ، وقد تحمل أمرا عظيما ، فسأل من القضاة أن يلقب بالسلطان
الأعظم مالك الأمم ، فقال الماوردي : هذا مالا سبيل إليه ، لأن السلطان المعظم هو الخليفة ،
وكذلك مالك الأمم ، ثم اتفقوا على تلقيبه بملك الدولة ، فأرسل مع الماوردي تحفا عظيمة منها ألف
ألف دينار سابورية ، وغير ذلك من الدراهم آلاف مؤلفة ، والتحف والأطراف ، واجتمع الجند على

طلب من الخليفة فتعذر ذلك فراموا أن يقطعوا خطبته ، فلم تصل الجمعة ، ثم خطب له من الجمعة القابلة ، وتخطط البلد جداً ، وكثر العياريون . ثم في ربيع الآخر منها حلف الخليفة لجلال الدولة بخلوص النية وضمانها ، وأنه على ما يحب من الصدق وصلاح السريرة . ثم وقع بينهما بسبب جلال الدولة وشربه النبيذ وسكره . ثم اعتذر إلى الخليفة واصطلحها على فساد / وفي رجب غلت الأسعار جداً ببغداد وغيرها ، من أرض العراق . ولم يحج أحد منهم .

وفيهما وقع موتان عظيم ببلاد الهند وغزنة وخراسان وجرجان والري وأصبهان ، خرج منها في أدنى مدة أربعون ألف جنازة . وفي نواحي الموصل والجبل وبغداد طرف قوى من ذلك بالجدري ، بحيث لم تخل دار من مصاب به ، واستمر ذلك في حزيران وتموز وآذار وأيلول وتشرين الأول والثاني ، وكان في الصيف أكثر منه في الخريف . قاله ابن الجوزي في المنتظم . وقد رأى رجل في منامه من أهل أصبهان في هذه السنة منادياً ينادى بصوت جهورى : يا أهل أصبهان سكت ، نطق ، سكت ، نطق ، فانتبه الرجل مدعوراً فلم يدر أحد تأويلها ما هو ، حتى قال رجل بيت أبي العتاهية فقال : احذروا يا أهل أصبهان فاني قرأت في شعر أبي العتاهية قوله :

سكت الدهر زماناً عنهم * ثم أبكاهم دما حين نطق

فما كان إلا قليل حتى جاء الملك مسعود بن محمود فقتل منهم خلقاً كثيراً ، حتى قتل الناس في الجوامع . وفي هذه السنة ظفر الملك أبو كاليبجار بالخدام جندل فقتله ، وكان قد استحوذ على مملكته ولم يبق معه سوى الاسم ، فاستراح منه . وفيها مات ملك الترك الكبير صاحب بلاد ما وراء النهر ، واسمه قدرخان .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ روح بن محمد بن أحمد ﴾

أبو زرعة الرازي . قال الخطيب : سمع جماعة ، وفد علينا حاجاً فكتبت عنه ، وكان صدوقاً فهماً ، أديباً ، يتفقه على مذهب الشافعي ، وولى قضاء أصبهان . قال : وبلغني أنه مات بالكربخ سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة .

﴿ علي بن محمد بن الحسن ﴾

ابن محمد بن نعيم بن الحسن البصري ، المعروف بالنعيمي ، الحافظ الشاعر ، المتكلم الفقيه الشافعي . قال البرقاني : هو كامل في كل شيء لولا بادرة فيه ، وقد سمع على جماعة ، ومن شعره قوله :

إذا أظمأتك أ كف اللثام * كفتك القناعة شعباً ورياً

فكن رجلاً رجلاً في الثرى * وهامة هم في الثريا

أياً لنائل ذي نعمة * نراه بما في يديه أياً

فان إراقة ماء الحيا * ة دون إراقة ماء الحيا

﴿ محمد بن الطيب ﴾

ابن سعد بن موسى أبو بكر الصباغ ، حدث عن النجاد وأبي بكر الشافعي ، وكان صدوقا ، حكى الخطيب أنه تزوج تسعمائة امرأة ، وتوفي عن خمس وتسعين سنة .

﴿ علي بن هلال ﴾

الكاتب المشهور ، ذكر ابن خلكان أنه توفي في هذه السنة ، وقيل في سنة ثلاث عشرة كما تقدم

﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها تفاقم الحال بأمر العيارين ، وتزايد أمرهم ، وأخذوا العملات الكثيرة ، وقوى أمر مقدمهم البرجي ، وقتل صاحب الشرطة غيلة ، وتواترت العملات في الليل والنهار ، وحرس الناس دورهم ، حتى دار الخليفة منه ، وكذلك سور البلد ، وعظم الخطب بهم جدا ، وكان من شأن هذا البرجي أنه لا يؤذي امرأة ولا يأخذ مما عليها شيئا ، وهذه مروءة في الظلم ، وهذا كما قيل * خنانيك بعض الشر أهون من بعض * وفيها أخذ جلال الدولة البصرة وأرسل إليها ولده العزيز ، فأقام بها الخطبة لأبيه ، وقطع منها خطبة أبي كاليبجار في هذه السنة والتي بعدها ، ثم استرجعت ، وأخرج منها ولده . وفيها نارت الأتراك بالملك جلال الدولة ليأخذوا أرزاقهم ، وأخرجوه من داره ، ورمموا عليه في المسجد ، وأخرجت حريمه ، فذهب في الليل إلى دار الشريف المرتضى فترها ، ثم اصطلحت الأتراك عليه وحلفوا له بالسمع والطاعة ، وردوه إلى داره ، وكثر العيارون واستطالوا على الناس جدا . ولم ينجح أحد من أهل العراق وخراسان لفساد البلاد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن الحسين بن أحمد ﴾

أبو الحسين الواعظ المعروف بابن السماك ، ولد سنة ثلاثين وثلاثمائة ، وسمع جعفر الخلدی وغيره وكان يهظ بجامع المنصور وجامع المهدي ، ويتكلم على طريق الصوفية ، وقد تكلم بعض الأئمة فيه ، ونسب إليه الكذب . توفي فيها عن أربع وتسعين سنة ودفن بباب حرب .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وأربعمائة ﴾

فيها غزا السلطان مسعود بن محمود بلاد الهند ، وفتح حصونا كثيرة ، وكان من جملة ما أنه حاصر قلعة حصينة نفرت من السور محجوز كبيرة ساحرة ، فأخذت مكنسة قبلتها ورشها من ناحية جيش المسلمين ، فرض السلطان تلك الليلة مرضا شديدا ، فأرتمل عن تلك القلعة ، فلما استقل ذاهبا عنها عوفي عافية كاملة ، فرجع إلى غزنة سالما . وفيها ولي البساسيري حماية الجانب الشرقي من بغداد ، لما تفاقم أمر العيارين . وفيها ولي سنان بن سيف الدولة بعد وفاة أبيه ، فقصده معه قرواشا فأقره

وساعده على أموره . وفيها هلك ملك الروم أرمانوس ، فملكهم رجل ليس من بيت ملكهم ، قد كان صيرفيا في بعض الأحيان ، إلا أنه كان من سلالة الملك قسطنطين . وفيها كثرت الزلازل بمصر والشام فهدمت شيئا كثيرا ، ومات تحت الردم خلق كثير ، وانهدم من الرملة ثلثها ، وتقطع جامعيها تقطيعاً ، وخرج أهلها منها هاربين ، فأقاموا بظواهرها ثمانية أيام ، ثم سكن الحال فعادوا إليها ، وسقط بعض حائط بيت المقدس ، ووقع من محراب داود قطعة كبيرة ، ومن مسجد إبراهيم قطعة ، وسلمت الحجرة ، وسقطت منارة عسقلان ، ورأس منارة غزة ، وسقط نصف بنيان نابلس ، وخسف بقرية البارزاد وبأهلها وبقراها وغنمها ، وساخت في الأرض . وكذلك قرى كثيرة هنالك ، وذكر ذلك ابن الجوزي . ووقع غلاء شديد ببلاد إفريقية ، وعصفت ريح سوداء بنصيبين فألقت شيئا كثيرا من الأشجار كالتوت والجوز والعناب ، واقتلعت قصراً مشيداً بحجارة وآجر وكلس فألقته وأهلها فهلكوا ، ثم سقط مع ذلك مطر أمثال الأكف ، والزنود والأصابع ، وجزر البحر من تلك الناحية ثلاث فراسخ ، فذهب الناس خلف السمك فرجع البحر عليهم فهلكوا . وفيها كثر الموت بالخوانيق حتى كان يغلق الباب على من في الدار كلهم موتى ، وأكثر ذلك كان ببغداد ، فمات من أهلها في شهر ذي الحجة سبعون ألفاً . وفيها وقعت الفتنة بين السنة والروافض حتى بين العيارين من الفريقين مع ابنا الاصفهاني وهما مقدمي عيارين أهل السنة ، منعوا أهل الكرخ من ورود ماء دجلة فضاق عليهم الحال ، وقتل ابن البرجمي وأخوه في هذه السنة . ولم يحج أحد من أهل العراق .
 وفيها توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن غالب ﴾

الحافظ أبو بكر المعروف بالبرقاني ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ، وسمع الكثير ، ورحل إلى البلاد ، وجمع كتباً كثيرة جداً ، وكان علماً بالقرآن والحديث والفقه والنحو ، وله مصنفات في الحديث حسنة نافعة . قال الأزهري : إذا مات البرقاني ذهب هذا الشأن ، وما رأيت أتعن منه . وقال غيره : ما رأيت أعبد منه في أهل الحديث . توفي يوم الخميس مستهل رجب ، وصلى عليه أبو علي بن أبي موسى الهاشمي ، ودفن في مقبرة الجامع ببغداد ، وقد أورد له ابن عساكر من شعره :

أعلل نفسي بكتب الحديث * وأجل فيه لها الموعدا
 وأشغل نفسي بتصنيفه * وتخرجه دائماً سرمد
 فطوراً أصنفه في الشيو * خ وطوراً أصنفه مسنداً
 وأقفو البخاري فيما حوا * ه وصنفه جاهداً مجهدا
 ومسلم إذ كان زين الانام * بتصنيفه مسلماً مرشدا
 ومالي فيه سوى أنني * أراه هوى صادق المقصدا

وأرجو الثواب بكتب الصلاة * على السيد المصطفى أحمد

﴿ أحمد بن محمد بن عبد الرحمن بن سعيد ﴾

أبو العباس الأبيوردي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة في جامع المنصور لافنتيا : وكان يدرس في قطعة الربيع ، وولى الحكم ببغداد نيابة عن ابن الألفاني ، وقد سمع الحديث ، وكان حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، فصيح اللسان ، صبوراً على الفقر ، كآماله ، وكان يقول الشعر الجيد ، وكان كما قال تعالى (يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً) توفي في جمادى الآخرة ، ودفن بمقبرة باب حرب :

﴿ أبو علي البندنجي ﴾

الحسن بن عبد الله بن يحيى ، الشيخ أبو علي البندنجي ، أحد أئمة الشافعية ، من تلاميذ أبي حامد أيضاً ، ولم يكن في أصحابه مثله ، تفقه ودرس وأفتى وحكم ببغداد ، وكان ديناً ورعاً . توفي في جمادى الآخرة منها أيضاً .

﴿ عبد الوهاب بن عبد العزيز ﴾

الحارث بن أسد ، أبو الصباح التميمي ، الفقيه الحنبلي الواعظ ، سمع من أبيه أثرًا مسلسلًا عن علي الحنان : الذي يقبل على من أعرض عنه ، والمثان الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال « توفي في ربيع الأول ودفن في مقبرة أحمد بن حنبل .

﴿ غريب بن محمد ﴾

ابن مفتي سيف الدولة أبو سنان ، كان قد ضرب السكة باسمه ، وكان ملكاً متمكناً في الدولة ، وخلف خمسمائة ألف دينار ، وقام ابنه سنان بعده ، وتقوى بعمه قرواش ، واستقامت أموره ، توفي بالكرخ ساور عن سبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وأربعمائة ﴾

في محرمها كثر تردد الأعراب في قطع الطرقات إلى حواشي بغداد وما حولها ، بحيث كانوا يسلبون النساء ما عليهن ، ومن أسروه أخذوا ما معه وطالبوه بفداء نفسه ، واستفحل أمر العيارين وكثرت شرورهم ، وفي مستهل صفر زادت دجلة بحيث ارتفع الماء على الضياع ذراعين ، وسقط من البصرة في مدة ثلاثة نحو من ألفي دار . وفي شعبان منها ورد كتاب من مسعود بن محمود بأنه قد فتح فتحاً عظيماً في الهند ، وقتل منهم خمسين ألفاً وأسر تسعين ألفاً ، وغنم شيئاً كثيراً ، ووقعت فتنة بين أهل بغداد والعيارين ، ووقع حريق في أماكن من بغداد ، واتسع الخرق على الراقع ، ولم يحج أحد من هؤلاء ولا من أهل خراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن كليب الشاعر ﴾

وهو أحد من هلك بالعشق ، روى ابن الجوزي في المنتظم بسنده أن أحمد بن كليب هذا المسكين المغتر عشق غلاما يقال له أسلم بن أبي الجعد ، من بني خلد^(١) وكان فيهم وزارة ، أي كانوا وزراء للملوك وحجابا ، فأنشد فيه أشعارا تحدث الناس بها ، وكان هذا الشاب أسلم يطلب العلم في مجالس المشايخ فلما بلغه عن ابن كليب ما قال فيه استحى من الناس وانقطع في دارهم ، وكان لا يجتمع بأحد من الناس ، فازداد غرام ابن كليب به حتى مرض من ذلك مرضا شديدا ، بحيث عاده منه الناس ، ولا يدرون ما به ، وكان في جملة من عاده بعض المشايخ من العلماء ، فسأله عن مرضه فقال : أنتم تعلمون ذلك ، ومن أي شيء مرضى ، وفي أي شيء دوائى ، لو زارنى أسلم ونظر إلى نظرة ونظرتة نظرة واحدة لبرأت ، فرأى ذلك العالم من المصلحة أن لو دخل على أسلم وسأله أن يزوره ولو مرة واحدة محتفيا ، ولم يزل ذلك الرجل العالم بأسلم حتى أجابه إلى زيارته ، فانطلقا إليه فلما دخلا دربه ومحلته نجبت الغلام واستحى من الدخول عليه ، وقال للرجل العالم : لا أدخل عليه ، وقد ذكرنى ونوه باسمي ، وهذا مكان ريبة ونهمة ، وأنا لا أحب أن أدخل مداخل التهم ، فحرص به الرجل كل الحرص ليدخل عليه فأبى عليه ، فقال له : إنه ميت لا محالة ، فإذا دخلت عليه أحييته . فقال : يموت وأنا لا أدخل مدخلا يسخط الله على وينفضه ، وأبى أن يدخل ، وانصرف راجعا إلى دارهم ، فدخل الرجل على ابن كليب فذكر له ما كان من أمر أسلم معه ، وقد كان غلام ابن كليب دخل عليه قبل ذلك وبشره بقدم معشوقه عليه ، ففرح بذلك جدا ، فلما تحقق رجوعه عنه اختلط كلامه واضطرب في نفسه ، وقال لذلك الرجل الساعى بينهما : اسمع يا أبا عبد الله واحفظ عني ما أقول ، ثم أنشده :

أسلم ياراحة الليل * رفقا على الهائم النحيل

وصلك أشهى إلى فؤادى * من رحمة الخالق الجليل

فقال له الرجل : ويحك اتق الله تعالى ، ما هذه العظيمة ؟ فقال : قد كان ما سمعت ، أو قال القول ما سمعت . قال فخرج الرجل من عنده فما توسط الدار حتى سمع الصراخ عليه ، وسمع صيحة الموت وقد فارق الدنيا على ذلك . وهذه زلة شنعاء ، وعظيمة صلحاء ، وداهية دهاية ، ولولا أن هؤلاء الأئمة ذكروها ما ذكرتها ، ولكن فيها عبرة لأولى الألباب ، وتنبيه لذوى البصائر والعقول ، أن يسألوا الله رحمته وعافيته ، وأن يستعينوا بالله من الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، وأن يرزقهم حسن الخاتمة عند الممات إنه كريم جواد .

قال الحميدى : وأنشدنى أبو علي بن أحمد قال : أنشدنى محمد بن عبد الرحمن لأحمد بن كليب وقد أهدى إلى أسلم كتاب الفصيح لتغلب :

(١) في النجوم الزاهرة : أسلم بن أحمد بن سعيد قاضى قضاة الاندلس .

هذا كتاب الفصيح * بكل لفظ مليح * وهبته لك طوعا * كما وهبتك روى
 (الحسن بن أحمد)

ابن إبراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان بن حرب بن مهران البزاز، أحد مشايخ الحديث،
 سمع الكثير، وكان ثقة صدوقا، جاء يوما شاب غريب فقال له: إني رأيت رسول الله ﷺ في
 المنام فقال لي: اذهب إلى أبي علي بن شاذان فسلم عليه وأقره مني السلام. ثم انصرف الشاب فبكي
 الشيخ وقال: ما أعلم لي عملا أستحق به هذا غير صبرى على سماع الحديث، وصلاتي على رسول
 الله ﷺ كما ذكر. ثم توفي بعد شهرين أو ثلاثة من هذه الرؤيا في محرمها، عن سبع وثمانين سنة
 ودفن بباب الدبر. (الحسن بن عثمان)

ابن أحمد بن الحسين بن سورة، أبو عمر الواعظ المعروف بابن الغلو، سمع الحديث عن جماعة.
 قال ابن الجوزي: وكان يعظ، وله بلاغة، وفيه كرم، وأمر معروف ونهى عن منكر، ومن شعره
 قوله: دخلت على السلطان في دار عزه * بفقر ولم أجلب بخيل ولا رجل
 وقلت: انظروا ما بين فقري وملككم * بمقدار ما بين الولاية والعزل
 توفي في صفر منها وقد قارب الثمانين، ودفن بمقبرة حرب إلى جانب ابن السماك رحمه الله.
 (ثم دخلت سنة سبع وعشرين وأربعمائة)

في الحرم منها تكاملت قنطرة عيسى التي كانت سقطت، وكان الذي ولي مشارفة الانفاق عليها
 الشيخ أبو الحسين القدوري الحنفي، وفي الحرم وما بعده تفاقم أمر العيارين، وكبسوا الدور
 وتزايد شرهم جدا.

وفيها توفي صاحب مصر الظاهر أبو الحسن علي بن الحاكم الفاطمي، وله من العمر ثلاث وثلاثون
 سنة، وقام بالأمر من بعده ولده المستنصر وعمره سبع سنين، واسمه معد، وكنيته أبو تميم، وتكفل
 بأعباء المملكة بين يديه الأفضل أمير الجيوش، واسمه بدر بن عبيد الله الجمالي، وكان الظاهر هذا
 قد استوزر الصاحب أبا القاسم علي بن أحمد الجرجاني، وكان مقطوع اليدين من المرققين، في سنة
 ثمانى عشرة، فاستمر في الوزارة مدة ولاية الظاهر، ثم لولده المستنصر، حتى توفي الوزير الجرجاني
 المذكور في سنة ست وثلاثين، وكان قد سلك في وزارته العفة العظيمة، وكان الذي يعلم عنه القاضي
 أبو عبد الله القاضي صاحب كتاب الشهاب، وكانت علامته الحمد لله شكرياً لنعمه، وكان الذي
 قطع يديه من المرققين الحاكم، لجنابة ظهرت منه في سنة أربع وأربعمائة، ثم استعمله في بعض
 الأعمال سنة تسع، فلما فقد الحاكم في السابع والعشرين من شوال، سنة إحدى عشرة، تنقلت
 بالجرجاني المذكور الأحوال حتى استوزر سنة ثمانى عشرة كما ذكرنا، وقد هجاه بعض الشعراء

فقال : يا أجمعا اسمع وقل • ودع الرقاعة والتحامق

أآقت نفسك في الثقة • توهبك فيما قلت صادق

أمن الأمانة والتقى * قطعت يداك من المرافق

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعالبي ﴾

ويقال الثعلبي أيضا - وهو لقب أيضا وليس - بنسبة ، النيسابوري المفسر المشهور ، له التفسير الكبير ، وله كتاب العرايس في قصص الأنبياء عليهم السلام ، وغير ذلك ، وكان كثير الحديث واسع السماع ، ولهذا يوجد في كتبه من الغرائب شيء كثير ، ذكره عبد الغافر بن إسماعيل الفارسي في تاريخ نيسابور ، وأثنى عليه ، وقال : هو صحيح النقل موثوق به ، توفي في سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وقال غيره : توفي يوم الاربعاء لسبع بقين من المحرم منها ، ورؤيت له منامات صالحة رحمه الله . وقال السمعاني : ونيسابور كانت مغصبة فأمر سابور الثاني ببنائها مدينة .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ﴾

فيها خلع الخليفة على أبي تمام محمد بن محمد بن علي الزينبي ، وقلده ما كان إلى أبيه من نقابة العباسيين والصلاة . وفيها وقعت الفرقة بين الجند وبين جلال الدولة وقطعوا خطبته وخطبة الملك أبي كالجار ، ثم أعادوا الخطبة ، واستوزر أبا المعالي بن عبد الرحيم ، وكان جلال الدولة قد جمع خلقا كثيرا معه ، منهم البساسيري ، وديس بن علي بن مرثد ، وقر واش بن مقلد ، ونازل بغداد من جانبها الغربي حتى أخذها قهرا ، واصطلم هو وأبو كالجار نائب جلال الدولة على يدي قاضي القضاة الماوردي ، وتزوج أبو منصور بن أبي كالجار بابنة جلال الدولة على صداق خمسين ألف دينار وانفقت كلمتهما وحسن حال الرعية . وفيها نزل مطر بيلاد قم الصلح ومعه سمك وزن السمكة رطل ورطلان ، وفيها بعث ملك مصر بمال لاصلاح نهر بالكوفة إن أذن الخليفة العباسي في ذلك ، فجمع الخليفة الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا المال في المسلمين ، يصرف في مصالحهم . فأذن في صرفه في مصالح المسلمين . وفيها ثار العيارون ببغداد وفتحوا السجن بالجانب الشرقي ، وأخذوا منه رجالا وقتلوا من رجال الشرط سبعة عشر رجلا ، وانتشرت الشرور في البلد جدا . ولم يهج أحد من أهل العراق وخراسان لاختلاف الكلمة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ القنوري أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن جعفر ، أبو الحسن القنوري الحنفي البغدادي ، سمع الحديث ولم يحدث إلا بشيء يسير . قال الخطيب : كتبت عنه . وقد تقدمت وفاته ، ودفن بداره في درب خلف .

﴿ الحسن بن شهاب ﴾

ابن الحسن بن علي ، أبو علي المكبري ، الفقيه الحنبلي الشاعر ، ولد سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة

سمع من أبي بكر بن مالك وغيره ، وكان كما قال البرقاني ثقة أميناً ، وكان يسترزق من الوراقه - وهو النسخ - يقال إنه كان يكتب ديوان المتنبي في ثلاث ليال فيبيعه بمائتي درهم ، ولما توفي أخذ السلطان من تركته ألف دينار سوى الأملاك ، وكان قد أوصى بذلك ماله في متفقه الخبالة ، فلم تصرف ﴿ لطف الله أحمد بن عيسى ﴾

أبو الفضل الهاشمي ، ولي القضاء والخطابة بدرب ربحان ، وكان ذا لسان ، وقد أضر في آخر عمره ، وكان يروي حكايات وأناشيد من حفظه ، توفي في صفر منها .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن علي بن موسى بن عبد المطلب ، أبو علي الهاشمي ، أحد أئمة الخبالة وفضلائهم .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن علي أبو الحسن الأيهوازي ، ويعرف بابن أبي علي الأصهباني ، ولد سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ، وقدم بغداد وخرج له أبو الحسن النعماني أجزاء من حديثه ، فسممها منه البرقاني ، إلا أنه بان كذبه ، حتى كان بعضهم يسميه جراب الكذب ، أقام ببغداد سبع سنين ، ثم عاد إلى الأهواز فمات بها ﴿ مهيار الديلمي الشاعر ﴾

مهيار بن مرزويه أبو الحسين الكاتب الفارسي ، ويقال له الديلمي ، كان مجوسياً فأسلم ، إلا أنه سلك سبيل الرافضة ، وكان ينظم الشعر القوي الفحل في مذاهبهم ، من سب الصحابة وغيرهم ، حتى قال له أبو القاسم بن برهان : يا مهيار انتقلت من زاوية في النار إلى زاوية أخرى في النار ، كنت مجوسياً فأسلمت فصرت تسب الصحابة ، وقد كان منزله بدرب رباح من الكرخ ، وله ديوان شعر مشهور ، فمن مستجاد قوله :

أستنجد الصبر فيكم وهو مغلوب * وأسأل النوم عنكم وهو مسلوب
وأبتغي عندكم قلباً سمحت به * وكيف يرجع شيء وهو موهوب
ما كنت أعرف مقدار حبكم * حتى هجرت وبعض الهجر تأديب
ولم يارأيضاً : أجاتنا بالغور والركب منهم * أيعلم خال كيف بات المتيم
رحلتم وجر القلب فينا وفيكم * سواء ولكن ساهرون ونوّم
فبنتم عنا ظاعنين وخلفوا * قلوباً أبت أن تعرف الصبر عنهم
ولما خلى التوديع عما حذرته * ولم يبق إلا نظرة لي تغنم
بكيت على الوادي وحرمت مائه * وكيف به ماء وأكثره دم

قال ابن الجوزي : ولما كان شعره أكثره جيئداً اقتصر على هذا القدر . توفي في جمادى

﴿ هبة الله بن الحسن ﴾

أبو الحسين المعروف بالحاجب ، كان من أهل الفضل والأدب والدين ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا ليلة سلك الزما * ن في طيها كل مسلك
إذ ترتقى روى المسر * ة مدركا ما ليس يدرك
والبدر قد فضح الزما * ن وسره فيه مهتك
وكانما زهر النجو * م بلمها شعل تحرك
والغيب أحيانا يلو * ح كأنه ثوب ممسك
وكان نجميد الريا * ح لدجلة ثوب مفرك
وكان نشر المسك * ينفع في الذسيم إذا تحرك
وكانما المنثور مصفر * الذرى ذهب مسبك
والنور يبسم في الريا * ض فان نظرت إليه سررك
شارطت نفسى أن أقو * م بحقه والشرط أملك
حتى تولى الليل * نهزما وجاء الصبح يضحك
وذا الفتى لو أنه * في طيب العيش يترك
والدهر بحسب عمره * فاذا أتاه الشيب فذلك

﴿ أبو على بن سينا ﴾

الطبيب الفيلسوف ، الحسن بن عبد الله بن سينا الرئيس ، كان بارعا في الطب في زمانه ، كان أبوه من أهل بلخ ، وانتقل إلى بخارى ، واشتغل بها فقرأ القرآن وأتقنه ، وهو ابن عشر سنين ، وأتقن الحساب والجبر والمقابلة وإقليدس والمجسطى ، ثم اشتغل على أبي عبد الله الناطلي الحكيم ، فبرع فيه وفاق أهل زمانه في ذلك ، وتردد الناس إليه واشتغلوا عليه ، وهو ابن ست عشرة سنة ، وعالج بعض الملوك السامانية ، وهو الأمير نوح بن نصر ، فأعطاه جائزة سفية ، وحكه في خزانة كتبه ، فرأى فيها من العجائب والحاسن ما لا يوجد في غيرها ، فيقال إنه عزا بعض تلك الكتب إلى نفسه ، وله في الآليات والطبيعات كتب كثيرة ، قال ابن خلكان : له نحو من مائة مصنف ، صغار وكبار ، منها القانون ، والشفاء ، والنجاة ، والاشارات ، وسلامان ، وإنسان ، وحى بن يقظان ، وغير ذلك . قال وكان من فلاسفة الاسلام ، أورد له من الأشعار قصيدته في نفسه التي يقول فيها :

هبطت إليك من المقام الأرفع * ورقاء ذات تعزز وتمنع
محجوبة عن كل مقلة عارف * وهى التي سمرت ولم تتبرقع

وصلت على كره إليك وربما * كرهت فراقك وهي ذات تفجع
وهي قصيدة طويلة وله :

اجعل غذاءك كل يوم مرة * واحذر طعاما قبل هضم طعام
واحفظ منيك ما استنطعت فانه * ماء الحياة براق في الارحام
وذكر أنه مات بالقولنج في همدان ، وقيل بأصبهان ، والأول أصح ، يوم الجمعة في شهر رمضان
منها ، عن ثمان وخمسين سنة . قلت : قد حصر الفزالي كلامه في مقاصد الفلاسفة ، ثم رد عليه في
تهافت الفلاسفة في عشرين مجلساً له ، كفره في ثلاث منها ، وهي قوله بقديم العالم ، وعدم المعاد
الجناني ، وأن الله لا يعلم الجزئيات ، وبدعه في البواقى ، ويقال إنه تاب عند الموت فأن الله أعلم .
(ثم دخلت سنة تسع وعشرين وأربعمائة)

فيها كان بدو ملك السلاجقة ، وفيها استولى ركن الدولة أبو طالب طغرل بك محمد بن ميكائيل بن
سلجوق ، على نيسابور ، وجلس على سرير ملكها ، وبعث أخاه داود إلى بلاد خراسان فملكها ،
وانتزعها من نواب الملك مسعود بن محمود بن سبكتكين . وفيها قتل جيش المصريين لصاحب حلب
وهو شبل الدولة نصر بن صالح بن مرداس ، واستولوا على حلب وأعمالها . وفيها سأل جلال الدولة
الخليفة أن يلقب ملك الدولة ، فأجابه إلى ذلك بعد تمنع . وفيها استدعى الخليفة بالقضاة والفقهاء
وأحضر جاثليق النصارى ورأس جالوت اليهود ، وألزموا بالغيار . وفي رمضان منها لقب جلال الدولة
شاهنشاه الأعظم ملك الملوك ، بأمر الخليفة ، وخطب له بذلك على المنابر ، فنشرت العامة من ذلك
ورموا الخطباء بالآجر ، ووقعت فتنة شديدة بسبب ذلك ، واستفتوا القضاة والفقهاء في ذلك فأفتى
أبو عبد الله الصيمري أن هذه الأسماء يعتبر فيها القصد والنية ، وقد قال تعالى (إن الله قد بعث لكم
طالوت ملكا) وقال (وكان وراءهم ملك) وإذا كان في الأرض ملوك جاز أن يكون بعضهم فوق
بعض ، وأعظم من بعض ، وليس في ذلك ما يوجب التكبير والمماثلة بين الخالق والمخلوقين . وكتب
القاضي أبو الطيب الطبري أن إطلاق ملك الملوك جائز ، ويكون معناه ملك ملوك الأرض ، وإذا
جاز أن يقال كافي الكفاة وقاضي القضاة ، جاز أن يقال ملك الملوك ، وإذا كان في اللفظ ما يدل على
أن المراد به ملوك الأرض زالت الشبهة ، ومنه قولهم : اللهم أصلح الملك ، فيصرف الكلام إلى
المخلوقين . وكتب التميمي الحنبلي نحو ذلك ، وأما الماردي صاحب الحاوي الكبير فقد نقل عنه أنه
أجاز ذلك أيضاً ، والمشهور عنه ما نقله ابن الجوزي والشيخ أبو منصور بن الصلاح في أدب المفتي أنه
منع من ذلك وأصر على المنع من ذلك ، مع صحبته للملك جلال الدولة ، وكثرة ترداده إليه ، ووجاهته
عنده ، وأنه امتنع من الحضور عن مجلسه حتى استدعاه جلال الدولة في يوم عيد ، فلما دخل عليه ،

دخل وهو وجل خائف أن يقع به مكرها ، فلما واجهه قال له جلال الدولة : قد علمت أنه إنما منعك من موافقة الذين جوزوا ذلك مع صحبتك إياي ووجاهتك عندي ، دينك واتباعك الحق ، وإن الحق آثر عندك من كل أحد ، ولو حابيت أحدا من الناس لحابيتني ، وقد زادك ذلك عندي محبة ومحبة ، وعلو مكانة .

قلت : والذي حمل القاضى الماوردى على المنع هو السنة التى وردت بها الأحاديث الصحيحة من غير وجه . قال الامام أحمد : حدثنا سفيان بن عيينة عن أبى الزناد عن الأعرج عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ أنه قال : « أضع اسم عند الله يوم القيامة رجل تسمى بملك الأملاك » . قال الزهرى : سألت أبا عمرو الشيبانى عن أضع اسم قال : أضع . وقد رواه البخارى عن على بن المدينى عن ابن عيينة ، وأخرجه مسلم من طريق همام عن أبى هريرة عن النبى ﷺ أنه قال : « أغبط رجل على الله يوم القيامة وأخبرته رجل تسمى ملك الأملاك لا ملك إلا الله عز وجل » . وقال الامام أحمد : حدثني محمد بن جعفر حدثنا عوف عن جلاس عن أبى هريرة ، قال قال رسول الله ﷺ « اشتد غضب الله على من قتله نبى ، واشتد غضب الله على رجل تسمى بملك الأملاك ، لا ملك إلا الله عز وجل » .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الثعالبي صاحب يقيمة الدهر ﴾ أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابورى ، كان إماماً فى اللغة والأخبار وأيام الناس ، بارعاً مفيداً ، له النصائيف الكبار فى النظم والنثر والبلاغة والفصاحة ، وأكبر كتبه يقيمة الدهر فى محاسن أهل العصر . وفيها يقول بعضهم :

أبيات أشعار اليتيمة * أبكار أفكار قديمة

ماتوا وعاشت بعدهم * فلذلك سميت اليتيمة

وإنما سعى الثعالبي لأنه كان رفاء يخيظ جلود الثعالب ، وله أشعار كثيرة مليحة ، ولد سنة خمسين وثلثمائة ، ومات فى هذه السنة .

﴿ الأستاذ أبو منصور ﴾

عبد القاهر بن طاهر بن محمد ، البغدادي الفقيه الشافعى ، أحد الأئمة فى الأصول والفروع ، وكان ماهراً فى فنون كثيرة من العلوم ، منها علم الحساب والفرائض ، وكان ذامال وثروة أنفقه كله على أهل العلم ، وصنف ودرس فى سبعة عشر علماً ، وكان اشتغاله على أبى إسحاق الاسفرائينى ، وأخذ عنه ناصر المروزى وغيره . ثم دخلت سنة ثلاثين وأربعمائة ﴿

فيها التقى الملك مسعود بن محمود ، والملك طغرل بك السلجوقى ، ومعه أخوه داود ، فى شعبان ،

فهرزهما مسعود ، وقتل من أصحابهما خلقا كثيرا . وفيها خطب شبيب بن ريان للقائم العباسي بمران والرحبة وقطع خطبة الفاطمي العبيدي . وفيها خطب أبو منصور بن جلال الدولة بالملك العزيز ، وهو مقيم بواسط ، وهذا العزيز آخر من ملك بغداد من بني بويه ، لما طغوا وتمردوا وبغوا وتسموا بملك الأملاك ، فسلمهم الله ما كان أنعم به عليهم ، وجعل الملك في غيرهم ، كما قال الله تعالى (إن الله لا يغير ما يقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) الآية . وفيها خلع الخليفة على القاضي أبي عبد الله بن ما كولا خلمة تشریف . وفيها وقع ثلج عظيم ببغداد مقدار شبر . قال ابن الجوزي : وفي جمادى الآخرة تملك بنو ساجوق بلاد خراسان والجبل ، وتقسّموا الأطراف ، وهو أول ملك السلجوقية ولم يحج أحد فيها من العراق وخراسان ، ولا من أهل الشام ولا مصر إلا القليل .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحافظ أبو نعيم الأصبهاني ﴾

أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران ، أبو نعيم الأصبهاني ، الحافظ الكبير ذو التصانيف المفيدة الكثيرة الشهيرة ، منها حلية الأولياء في مجلدات كثيرة ، دلت على اتساع روايته ، وكثرة مشايخه ، وقوة اطلاعه على مخارج الحديث ، وشعب طرقه ، وله معجم الصحابة ، وهو عندي بخطه ، وله صفة الجنة ودلائل النبوة ، وكتاب في الطب النبوي ، وغير ذلك من المصنفات المفيدة . وقد قال الخطيب البغدادي : كان أبو نعيم يخط المسموع له بالمجاز ، ولا يوضح أحدهما من الآخر . وقال عبد العزيز النخشي : لم يسمع أبو نعيم مسند الحارث بن أبي أسامة من أبي بكر بن خلاد بتمامه ، فحدث به كله ، وقال ابن الجوزي : سمع الكثير وصنف الكثير ، وكان يميل إلى مذهب الأشعري في الاعتقاد ميلا كثيرا ، توفى أبو نعيم في الثامن والعشرين من المحرم منها عن أربع وتسعين سنة رحمه الله ، لأنه ولد فيما ذكره ابن خلكان في سنة ست وثلاثين وثلثمائة . قال وله تاريخ أصبهان . وذكر أبو نعيم في ترجمة والده أن مهران أسلم ، وأن ولدهم لعبد الله بن معاوية بن عبد الله ابن جعفر بن أبي طالب . وذكر أن معنى أصبهان وأصله بالفارسية شاهان ، أي مجمع العساكر ، وأن الاسكندر بناها ﴿ الحسن بن حفص ﴾

أبو الفتوح العلوي أمير مكة الحسن بن الحسين ، أبو علي البرجي ، وزر لشرف الدولة سفتين ثم عزل ، وكان عظيم الجاه في زمانه ، وهو الذي بنى مارستان واسط ، ورتب فيه الأشربة والأطباء والأدوية ، ووقف عليه كفايته . توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين رحمه الله .

﴿ الحسين بن محمد بن الحسن ﴾

ابن علي بن عبد الله المؤدب ، وهو أبو محمد الخلال ، سمع صحيح البخاري من إسماعيل بن محمد الكشميني ، وسمع غيره ، توفى في جمادى الأولى ودفن بباب حرب .

﴿عبد الملك بن محمد﴾

ابن عبد الله بن محمد بن بشر بن مهران ، أبو القاسم الواعظ ، سمع النجاد ودعلج بن أحمد والآخرى وغيرهم ، وكان ثقة صدوقا ، وكان يشهد عند الأحكام فترك ذلك رغبة عنه ورهبة من الله ، ومات في ربيع الآخر منها ، وقد جاوز التسعين ، وصلى عليه في جامع الرصافة ، وكان الجمع كثيرا حافلا ، ودفن إلى جانب أبي طالب المكي ، وكان قد أوصى بذلك .

﴿محمد بن الحسين بن خلف﴾

ابن الفراء ، أبو حازم القاضي أبو يعلى الحنبلي ، سمع الدارقطني وابن شاهين ، قال الخطيب : كان لا بأس به ، ورأيت له أصولا سماعه فيها ، ثم إنه بلغنا أنه خلط في الحديث بمصر واشتري من الوراقين صحفا فروى منها ، وكان يذهب إلى الاعتزال . توفي بتنيس من بلاد مصر .

﴿محمد بن عبد الله﴾

أبو بكر الدينوري الزاهد ، كان حسن العيش ، وكان ابن القزويني يثني عليه ، وكان جلال الدولة صاحب بغداد يزوره ، وقد سأله مرة أن يطلق للناس مكث الملح ، وكان مبلغه ألفي دينار فتركه من أجله ، ولما توفي اجتمع أهل بغداد لجنائزته وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب رحمه الله تعالى .

﴿الفضل بن منصور﴾

أبو الرضى ، ويعرف بابن الظريف ، وكان شاعرا ظريفا ومن شعره قوله :

يا قالة الشعر قد نصحت لكم * ولست أدهى إلا من النصيح
قد ذهب الدهر بالكرام * وفي ذاك أمور طويلة الشرح
أطلبون النوال من رجل * قد طبعت نفسه على الشح
وأنتم تمدحون بالحسن والظرف * وجوهاً في غاية القبح
من أجل ذا تحرمون رزقكم * لأنكم تكذبون في المدح
صونوا القوافي فما أرى * أحدا يفتر فيه بالنجح
فان شككتكم فيما أقول لكم * فكذبوني بواحد سمح

﴿هبة الله بن علي بن جعفر﴾

أبو القاسم بن ماكولا ، وزير لجلال الدولة مرارا ، وكان حافظا للقرآن ، عارفا بالشعر والأخبار ، خنق بهيت في جمادى الآخرة منها .

﴿أبو زيد الدبوسي﴾

عبد الله بن عمر بن عيسى الفقيه الحنفي ، أول من وضع علم الخلاف وأبرزه إلى الوجود . قاله

ابن خلكان ، وكان يضرب به المثل ، والدبوس نسبة إلى قرية من أعمال بخارى ، قال : وله كتاب الأسرار والتقويم للدلة ، وغير ذلك من التصانيف والتعاليق ، قال وروى أنه ناظر فقيها فبقى كلما ألزمه أبو زيد إلزامات بسبب أو ضحك ، فأنشد أبو زيد في ذلك :

مالي إذا ألزمته حجة * قابلي بالضحك والفقه
إن ضحك المرء من فقهه * فالذب بالصحراء ما أفقهه

﴿ الحوفي صاحب إعراب القرآن ﴾

أبو الحسن علي بن إبراهيم بن سعيد بن يوسف الحوفي النحوي ، له كتاب في النحو كبير ، وإعراب القرآن في عشر مجلدات ، وله تفسير القرآن أيضاً ، وكان إماماً في العربية والنحو والأدب وله تصانيف كثيرة ، انتفع بها الناس . قال ابن خلكان : والحوفي نسبة لناحية بمصر يقال لها الشرقية ، وقصبتها مدينة بلبيس ، فجميع ريفها يسمون حوف ، واحد حوفي وهو من قرية يقال لها شبرا النخلة من أعمال الشرقية المذكورة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها زادت دجلة زيادة عظيمة بحيث حملت الجسر ومن عليه فآلتهم بأسفل البلد وسلعوا ، وفيها وقع بين الجند وبين جلال الدولة شغب ، وقتل من الفريقين خلق ، وجرت شرور يطول ذكرها . ووقع فساد عريض واتسع الخرق على الراقع ، ونهبت دور كثيرة جداً ، ولم يبق للملك عندهم حرمة ، وغلت الأسعار . وفيها زار الملك أبو طاهر مشهد الحسين ، ومشى حافياً في بعض تلك الأزوار . ولم يحج أحد من أهل العراق . وفيها بعث الملك أبو كاليبجار وزيره العادل إلى البصرة فملكها له .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن أحمد ﴾

ابن عبد الله أبو عبد الرحمن الضربير الخيري ، من أهل نيسابور ، كان من أعيان الفضلاء الأذكياء ، والثقات الأمناء ، قدم بغداد حاجاً في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة ، فقرأ عليه الخطيب جميع صحيح البخاري في ثلاث مجالس بروايته له عن أبي الهيثم الكشميهني ، عن الفربري عن البخاري ، توفى فيها وقد جاوز التسعين .

﴿ بشري الغاتني ﴾

وهو بشري بن مسيس من سبي الروم ، أهده أمراء بني حمدان الغاتن غلام المطيع ، فأدبه وسمع الحديث عن جماعة من المشايخ ، وروى عنه الخطيب . وقال : كان صدوقاً صالحاً ديناً ، توفى يوم

عيد الفطر منها رحمه الله ﴿ محمد بن علي ﴾

ابن أحمد بن يعقوب بن مروان أبو العلاء الواسطي ، وأصله من قم الصلح ، سمع الحديث وقرأ

القرآآت و رواها، وقد تكلموا في روايته في القراءات والحديث فله أعلم . توفي في جمادى الآخرة منها وقد جاوز الثمانين .

(ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وأربعمائة)

فيها عظم شأن السلجوقية ، وارتفع شأن ملكهم طغرل بك ، وأخيه داود ، وهما ابنا ميكائيل بن سلجوق بن بغاق ، وقد كان جداهم بغاق هذا من مشايخ الترك القدماء ، الذين لهم رأى ومكيدة ومكانة عند ملكهم الأعظم ، ونشأ ولده سلجوق نجيباً شهماً ، فقدمه الملك ولقبه شبامى ، فأطاعته الجيوش وانقاد له الناس بحيث تخوف منه الملك وأراد قتله ، فهرب منه إلى بلاد المسلمين ، فأسلم فازداد عزاً وعلواً ، ثم توفي عن مائة وسبع سنين ، وخلف أرسلان وميكائيل وموسى ، فأما ميكائيل فإنه اعتنى بقتال الكفار من الأتراك ، حتى قتل شهيداً ، وخلف ولديه طغرل بك محمد ، وجعفر بك داود ، فعظم شأنهما في بنى عمهما ، واجتمع عليهما الترك من المؤمنين ، وهم ترك الأيمان الذين يقول لهم الناس تركان ، وهم السلاجقة بنو سلجوق جداهم هذا ، فأخذوا بلاد خراسان بكاملها بعد موت محمود بن سبكتكين ، وقد كان يتخوف منهم محمود بعض التخوف ، فلحقات وقام ولده مسعود بعده قاتلهم وقانلوه مراراً ، فكانوا يهزمونه في أكثر المواقف ، واستكمل لهم ملك خراسان بأسرها ، ثم قصدهم مسعود في جنود يضيق بهم الفضاء فكسروه ، وكبسه مرة داود فانهزم مسعود فاستحوذ على حواصله وخيامه ، وجلس على سريرته ، وفرق الغنائم على جيشه ، ومكث جيشه على خيولهم لا ينزلون عنها ثلاثة أيام ، خوفاً من دهمة العدو ، وبمثل هذا تم لهم ما راموه ، وكل لهم جميع ما أملوه ، ثم كان من سمعائتهم أن الملك مسعود توجه نحو بلاد الهند لسي بها وترك مع ولده مودود جيشاً كثيفاً بسبب قتال السلاجقة ، فلما عبر الجسر الذى على سيحون نهبت جنوده حواصله ، واجتمعوا على أخيه محمد بن محمود ، وخلعوا مسعوداً فرجع إليهم مسعود فقاتلهم فهزموه وأسروه ، فقال له أخوه : والله لست بقاتلك على شرفيكم إلى ، ولكن اختر لنفسك أى بلد تكون فيه أنت وعيالك ، فاختر قلعة كبرى ، وكان بها ، ثم إن الملك محمد أخا مسعود جعل لولده الأمر من بعده ، وبايع الجيش له ، وكان ولده اسمه أحمد ، وكان فيه هرج ، فاتفق هو ويوسف بن سبكتكين على قتل مسعود ليصفوهم الأمر ، ويتم لهم الملك ، فسار إليه أحمد من غير علم أبيه فقتله ، فلما علم أبوه بذلك غاظه وعتب على ابنه عتبا شديداً ، وبعث إلى ابن أخيه يعتذر إليه ويقسم له أنه لم يعلم بذلك ، حتى كان ما كان . فكتب إليه مودود بن مسعود : رزق الله ولدك المعتوه عقلاً يمشى به ، فقد ارتكب أمراً عظيماً ، وقدم على إراقة دم مثل والدى الذى لقبه أمير المؤمنين بسيد الملوك والسلاطين ، وستعلمون أى حيف تورطتم ، وأى شراً بطتم (وسيعلم الذين ظلموا أى منقلب ينقلبون) ثم سار إليهم في جنود فقاتلهم فقهروهم

وأُسْرِمَ ، فقتل عمه محمداً وابنه أحمد وبنى عمه كلهم ، إلا عبد الرحمن وخلقا من رؤس أمرائهم ، وابتقى قرية هنالك ومباها فتخا أبداً ، ثم سار إلى غزنة فدخلها في شعبان ، فأظهر العدل وسلك سيرة جده محمود ، فأطاعه الناس ، وكتب إليه أصحاب الأطراف بالانقياد والاتباع والطاعة ، غير أنه أهلك قومه بيده ، وهذا من جملة سمادة السلاجقة .

وفيها اختلف أولاد حماد على العزيز باديس صاحب إفريقية ، فسار إليهم فحاصروهم قريباً من سنتين ، ووقع بإفريقية في هذه السنة غلاء شديد بسبب تأخر المطر ، ووقع ببغداد فتنة عظيمة بين الروافض والسنة من أهل الكرخ ، وأهل باب البصرة ، فقتل بينهم خلق كثير من الفريقين . ولم ينج أحد من أهل العراق وخراسان .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن الفضل بن العباس ، أبو يعلى البصرى الصوفى ، أذهب عمره في الاسفار والتغريب ، وقدم ببغداد في سنة ثنتين وثلاثين ، فحدث بها عن أبي بكر بن أبي الحديد الدمشقي ، وأبي الحسين بن جميع الغساني ، وكان ثقة صدوقاً ديناً حسن الشعر .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها ملك طغرل بك جرجان وطبرستان ، ثم عاد إلى نيسابور مؤيداً منصوراً . وفيها ولي ظهير الدولة بن جلال الدولة أبي جعفر بن كالويه بعد وفاة أبيه ، فوقع الخلف بينه وبين أخويه أبي كاليبجار وكرسانيف . وفيها دخل أبو كاليبجار همذان ودفع الغز عنها . وفيها شعنت الأكراد ببغداد لسبب تأخر العطاء عنهم . وفيها سقطت قنطرة بنى زريق على نهر عيسى ، وكذا القنطرة الكشيقة التي تقابلها . وفيها دخل بغداد رجل من البلغار يريد الحج ، وذكر أنه من كبارهم ، فأنزل بدار الخلافة وأجرى عليه الأرزاق ، وذكر أنهم مولدون من الترك والصقالبة ، وأنهم في أقصى بلاد الترك ، وأن النهار يقصر عندهم حتى يكون ست ساعات ، وكذلك الليل ، وعندهم عيون وزروع ونمار ، على غير مطر ولا سقى . وفيها قرى الاعتقاد القادرى الذى جمعه الخليفة القادر ، وأخذت خطوط العلماء والزهاد عليه بأنه اعتقاد المسلمين ، ومن خالفه فسق وكفر ، وكان أول من كتب عليه الشيخ أبو الحسن على بن عمر القزويني ، ثم كتب بعده العلماء ، وقد سرده الشيخ أبو الفرج ابن الجوزي بتمامه في منتظمه ، وفيه جملة جيدة من اعتقاد السلف .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ بهرام بن منافية ﴾

أبو منصور الوزير لأبي كاليبجار ، كان عفيفاً نزهة صينياً ، عادلاً في سيرته ، وقد وقف خزانة

كتب في مدينة فيروزباد ، تشتمل على سبعة آلاف مجلد ، من ذلك أربعة آلاف ورقة بخط أبي علي وأبي عبد الله بن مقلة ^(١) .

﴿ محمد بن جعفر بن الحسين ﴾

المعروف بالجرمي ، قال الخطيب : هو أحد الشعراء الذين لقيناهم وسمعنا منهم ، وكان يجيد القول ، ومن شعره :
يا ويح قلبي من تقلبه * أبدا نحن إلى معذبه
قالوا كتمت هواه عن جلد * لو أن لي جلد لبحث به
ما بي جننت غير مكترث * عني ولكن من تغيبه
حسبي رضا من الحياة وما * يلقي وموتى من تغضبه

﴿ مسعود الملك بن الملك محمود ﴾

ابن الملك سبكتكين ، صاحب غزنة وابن صاحبها ، قتله ابن عمه أحمد بن محمد بن محمود ، فانتقم له ابنه مودود بن مسعود ، فقتل قاتل أبيه وعمه وابن عمه وأهل بيته ، من أجل أبيه ، واستتب له الأمر وحده من غير منازع من قومه كما تقدم ﴿ بنت أمير المؤمنين المتقي بالله ﴾ تأخرت مدتها حتى توفيت في هذه السنة في رجب منها عن إحدى وتسعين سنة ، بالحريم الظاهر ، ودفنت بالرصافة .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها أمر الملك جلال الدولة أبا طاهر بجباية أموال الجوالى ، ومنع أصحاب الخليفة من قبضها ، فانزعج لذلك الخليفة القائم بالله ، وعزم على الخروج من بغداد . وفيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة تبريز ، فهدمت قلعتها وسورها ودورها ، ومن دار الامارة عامة قصورها ، ومات تحت الهدم خمسون ألفا ، ولبس أهلها المسوح لشدة مصابهم . وفيها استولى السلطان طغرل بك على أكثر البلاد الشرقية من ذلك مدينة خوارزم ودهستان وطيس والرى وبلاد الجبل وكرمان وأعمالها ، وقزوين . وخطب له في تلك النواحي كلها ، وعظم شأنه جدا ، واتسع صيته . وفيها ملك سمالك بن صالح بن مرداس حلب ، أخذها من الفاطميين ، فبعث إليه المصريون من حاربه . ولم يحجج أحد من أهل العراق وغيرها ، ولا في اللواتى قبلها .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبوذر الهروي ﴾

عبد الله بن أحمد بن محمد الحافظ المالكي ، سمع الكثير ورحل إلى الاقاليم ، وسكن مكة ، ثم تزوج في العرب ، وكان يحج كل سنة ويقيم بمكة أيام الموسم ويسمع الناس ، ومنه أخذ المغاربة مذهب الأشعرى عنه ، وكان يقول إنه أخذ مذهب مالك عن الباقلاني ، كان حافظا ، توفى في

(١) كذا في الاصل . وابن مقلة هو أبو علي محمد بن علي .

ذى القعدة .

﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن محمد بن جعفر ، أبو الفتح الشيباني العطار ، ويعرف بقطيط ، سافر الكثير إلى البلاد ، وسمع الكثير ، وكان شيخا ظريفا ، سلك طريق التصوف ، وكان يقول : لما ولدت سميت قطيطا على أسماء البادية ، ثم سماني بعض أهلي محمداً .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها ردت الجوالى إلى نواب الخليفة . وفيها ورد كتاب من الملك طغرل بك إلى جلال الدولة يأمره بالاحسان إلى الرعايا والوصاة بهم ، قبل أن يحل به ما يسوءه .

﴿ ذكر ملك أبي كالجار بغداد بعد وفاة أخيه جلال الدولة ﴾

وفيها توفي جلال الدولة أبو طاهر بن بهاء الدولة ، فملك بغداد بعده أخوه سلطان الدولة أبو كالجار بن بهاء الدولة ، وخطب له بها عن ممالأة أمرائها ، وأخرجوا منها الملك العزيز أبا منصور بن جلال الدولة ، فتنقل في البلاد وتسرب من مملكته إلى غيرها حتى توفي سنة إحدى وأربعين ، وحمل فدفن عند أبيه بمقابر قریش / وفيها أرسل الملك مودود بن مسعود عسكريا كثيفا إلى خراسان فبرز إليهم ألب أرسلان بن داود السامجوق فاقنتلا قتالا عظيما ، وفي صفر منها أسلم من الترك الذين كانوا يطرقون بلاد المسلمين نحو من عشرة آلاف خركاة ، وضحووا في يوم عيد الأضحى بعشرين ألف رأس من الغنم ، وتفرقوا في البلاد ، ولم يسلم من خطا والنتر أحد وهم بنواحي الصين . وفيها نفى ملك الروم من القسطنطينية كل غريب له فيها دون العشرين سنة . وفيها خطب المعز أبو تميم صاحب إفريقية ببلادة للخليفة العباسي ، وقطع خطبة الفاطميين وأحرق أعلامهم ، وأرسل إليه الخليفة الخلع والواء المنشور ، وفيه تعظيم له وثناء عليه . وفيها أرسل القائم بأمر الله أبا الحسن على بن محمد ابن حبيب الماوردي قبل موت جلال الدولة إلى الملك طغرل بك ليصلح بينه وبين جلال الدولة وأبي كالجار ، فسار إليه فالتقاه بمرجان فتلقاته الملك على أربعة فراسخ إكراما للخليفة ، وأقام عنده إلى السنة الآتية . فلما قدم على الخليفة أخبره بطاعته وإكرامه لأجل الخليفة .

﴿ الحسين بن عثمان ﴾

وفيها توفي من الأعيان

ابن سهل بن أحمد بن عبد العزيز بن أبي دلف المعجلي ، أبو سعد أحد الرحالين في طلب الحديث إلى البلاد المتباعدة ، ثم أقام ببغداد مدة وحدث بها ، وروى عنه الخطيب ، وقال : كان صدوقا ، ثم انتقل في آخر عمره إلى مكة فأقام بها حتى مات في شوال منها .

﴿ عبد الله بن أبي الفتح ﴾

أحمد بن عثمان بن الفرغ بن الأزهر ، أبو القاسم الأزهرى ، الحافظ المحدث المشهور ، ويعرف

بابن السوارى ، سمع من أبى بكر بن مالك وخلق يطول ذكركم ، وكان ثقة صدوقا ، دينيا ، حسن الاعتقاد والسيرة ، توفى ليلة الثلاثاء تاسع عشر صفر منها عن ثمانين سنة وعشرة أيام .

﴿ الملك جلال الدولة ﴾

أبو طاهر بن بهاء الدولة بن بويه الديلمى ، صاحب العراق ، كان يحب العباد ويزورهم ، ويلتمس الدعاء منهم ، وقد نكب مرات عديدة ، وأخرج من داره ، وقارة أخرج من بغداد بالكلية ، ثم يعود إليها حتى اعتراه وجع كبده فمات من ذلك فى ليلة الجمعة خامس شعبان منها ، وله من العمر إحدى وخمسين سنة وأشهر ، تولى العراق من ذلك ستة عشرة سنة وإحدى عشر شهرا والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وأربعمائة ﴾

ففيها دخل الملك أبو كاليبجار بغداد وأمر بضرب الطبل فى أوقات الصلوات الخمس ، ولم تكن الملوك تفعل ذلك ، إنما كان يضرب لمضد الدولة ثلاث أوقات ، وما كان يضرب فى الأوقات الخمس إلا للخليفة ، وكان دخوله إليها فى رمضان ، وقد فرق على الجند أموالا جزيلة ، وبعث إلى الخليفة بعشرة آلاف دينار ، وخلع على مقدمى الجيوش وهم البساسيرى ، والنشاورى ، والهمام أبو اللقاء ، ولقبه الخليفة محبى الدولة ، وخطب له فى بلاد كثيرة بأمر ملوكها ، وخطب له بهمدان ، ولم يبق لنواب طغرل بك فيها أمر . وفيها استوزر طغرل بك أبا القاسم عبد الله الجوينى ، وهو أول وزير وزر له . وفيها وزر أبو نصر أحمد بن يوسف الصاحب مصر ، وكان يهوديا فأسلم بعد موت الجرجارى . وفيها تولى نقابة الطالبين أبو أحمد بن عدنان بن الرضى ، وذلك بعد وفاة عمه المرتضى . وفيها ولى القضاء أبو الطيب الطهرى ، قضاء الكرخ ، مضافا إلى ما كان يتولاه من القضاء بباب الطلاق ، وذلك بعد موت القاضى الصيمرى . وفيها نظر رئيس الرؤساء أبو القاسم ابن المسلم فى كتاب ديوان الخليفة ، وكان عنده بمنزلة عالية . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

﴿ الحسين بن على ﴾

ابن محمد بن جعفر ، أبو عبد الله الصيمرى نسبة إلى نهر البصرة يقال له صيمر ، عليه عدة قرى ، أحد أئمة الحنفية ، ولى قضاء المدائن ثم قضاء ربيع الكرخ ، وحدث عن أبى بكر المفيد ، وابن شاهين وغيرهما ، وكان صدوقا وافر العقل ، جميل المعاشرة ، حسن العبادة ، عارفا بحقوق العلماء . توفى فى شوال عن خمس وثمانين سنة .

﴿ عبد الوهاب بن منصور ﴾

ابن أحمد ، أبو الحسن المعروف بابن المشتري الأهوازى ، كان قاضيا بالأهواز^(١) ونواحها ،

(١) فى ابن الأثير : قاضى خوزستان وفارس .

شافعي المذهب ، كان له منزلة كبيرة عند السلطان ، وكان صدوقا كثير المال ، حسن السيرة .

﴿ الشريف المرتضى ﴾

علي بن الحسين بن موسى بن محمد بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، الشريف الموسوي ، الملقب بالمرتضى ، ذي المجدين ، كان أكبر من أخيه ذي الحسينين وكان جليلا في الشعر على مذهب الإمامية والاعتزال ، يناظر على ذلك ، وكان يناظر عنده في كل المذاهب ، وله تصانيف في التشيع ، أصولا وفروعا ، وقد نقل ابن الجوزي أشياء من تفرداته في التشيع ، فمن ذلك أنه لا يصح السجود إلا على الأرض أو ما كان من جنسها ، وأن الاستجمار إنما يجزئ في الغائط لا في البول ، وأن الكنايات حرام ، وكذا ذبائح أهل الكتاب ، وما ولدوه هم وسائر الكفار من الأطعمة حرام ، وأن الطلاق لا يقع إلا بحضور شاهدين ، والمعلق منه لا يقع وإن وجد شرطه ، ومن نام عن صلاة العشاء حتى انتصف الليل وجب قضاؤها ، ويجب عليه أن يصبح صائما كفارة لما وقع منه . ومن ذلك أن المرأة إذا جزت شعرها يجب عليها كفارة قتل الخطأ ، ومن شق ثوبه في مصيبة وجب عليه كفارة اليمين ، ومن تزوج امرأة لها زوج لا يملكه وجب عليه أن يتصدق بخمسة دراهم ، وأن قطع السارق من رأس الأصابع . قال ابن الجوزي : نقلته من خط أبي الوفاء ابن عقيل . قال : وهذه مذاهب عجيبة ، تخرق الإجماع ، وأعجب منها ذم الصحابة رضي الله عنهم . ثم سرد من كلامه شيئا قبيحا في تكفير عمر بن الخطاب وعثمان وعائشة وحفصة رضي الله عنهم وأخزاه الله وأمثله من الأرجاس الأنجاس ، أهل الرضا والارتكاس ، إن لم يكن تاب ، فقد روى ابن الجوزي قال : أنبأنا ابن ناصر عن أبي الحسن بن الطيوري قال سمعت أبا القاسم بن برهان يقول : دخلت على الشريف المرتضى وإذا هو قد حول وجهه إلى الجدار وهو يقول : أبو بكر وعمر وإليهما فعذرا واسترحا فرحا ، فأنا أقول ارتدا بعد ما أسلما ؟ قال فقامت عنه فما بلغت عتبة داره حتى سمعت الزعقة عليه . توفي في هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة . وقد ذكره ابن خلدون فليس عليه على عادته مع الشعراء في الثناء عليهم ، وأورد له أشعارا رائقة . قال ويقال : إنه هو الذي وضع كتاب نهج البلاغة

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن شعيب بن عبد الله بن الفضل ، أبو منصور الروائي ، صاحب الشيخ أبي حامد الاسفراييني قال الخطيب : سكن بغداد وحدث بها ، وكتبنا عنه ، وكان صدوقا يسكن قطيعة الربيع . توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

﴿ أبو الحسين البصري المعتزلي ﴾

محمد بن علي بن الخطيب ، أبو الحسين البصري المتكلم ، شيخ المعتزلة والمنصر لهم ، والحامى

عن ذمهم بالتصانيف الكثيرة ، توفي في ربيع الآخر منها ، وصلى عليه القاضي أبو عبد الله الصيمري ، ودفن في الشونيزي ، ولم يرو من الحديث سوى حديث واحد ، رواه الخطيب البغدادي في تاريخه : حدثنا محمد بن علي بن الطيب قرئ على هلال بن محمد بن أخى هلال الرأى ، بالبصرة وأنا أسمع ، قيل له حدثكم أبو مسلم الكجى وأبو خليفة الفضل بن الحباب الجحى والغلابى والمازنى والزرىقي قالوا : حدثنا القعنبي عن شعبة عن منصور عن ربيع عن أبي مسعود البدرى . قال قال رسول الله ﷺ : « إن مما أدرك الناس من كلام النبوة إذا لم تستح فاصنع ما شئت » . والغلابى اسمه محمد ، والمازنى اسمه محمد بن حامد ، والزرىقي أبو علي محمد بن أحمد بن خالد البصرى .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها بعث السلطان ظفر بك السلجوق أخاه إبراهيم إلى بلاد الجبل فملكها ، وأخرج عنها صاحبها كرشاف بن علاء الدولة ، فالتحق بالأكراد ، ثم سار إبراهيم إلى الدينور فملكها أيضاً ، وأخرج صاحبها وهو أبو الشوك ، فسار إلى حلوان فتبعه إبراهيم فملك حلوان قهرا ، وأحرق داره وغنم أمواله ، فعند ذلك تجهز الملك أبو كاليبج لقتال السلاجقة الذين تعمدوا على أتباعه ، فلم يمكنه ذلك لقلة الظهر ، وذلك أن الآفة اعترت في هذه السنة الخليل فمات له فيها نحو من اثني عشر ألف فارس ، بحيث جافت بغداد من جيف الخليل . وفيها وقع بين الروافض والسنة ثم اتفق الفريقان على نهب دور اليهود ، وإحراق الكنيسة العنيفة ، التي لهم ، واتفق موت رجل من أكابر النصارى بواسطة مجلس أهله لعزائه على باب مسجد هناك وأخرجوا جنازته جهرا ، ومعها طائفة من الأتراك يحرسونها ، فعملت عليهم العامة فهزموم وأخذوا الميت منهم واستخرجوه من أكفانه فأحرقوه ، ورموا رماده في دجلة ، ومضوا إلى الدبر فنهبوه ، وعجز الأتراك عن دفعهم . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ فارس بن محمد بن محمد بن عناز ﴾

صاحب الدينور وغيرهم ، توفي في هذا الأوان .

﴿ خديجة بنت موسى ﴾

ابن عبد الله الواعظة ، وتعرف ببنت البقال ، وتمكنى أم سلمة ، قال الخطيب : كتبت عنها وكانت فقيرة صالحة فاضلة .

﴿ أحمد بن يوسف السليكي المنازى ﴾

الشاعر الكاتب ، وزير أحمد بن مروان الكردي ، صاحب ميفارقين وديار بكر ، كان فاضلا بارعا لطيفا ، تردد في الترس إلى القسطنطينية غير مرة ، وحصل كتباً عزيزة أوقفها على جامعى آمد

ومياقارقين ، ودخل يوما على أبي العلاء الممرى فقال له : إني معتزل الناس وهم يؤذونني ، وتوكت لهم الدنيا ، فقال له الوزير : والآخرة أيضاً . فقال والآخرة يا قاضى ؟ قال : نعم . وله ديوان قليل النظر عزيز الوجود ، حرص عليه القاضى الفاضل فلم يقدر عليه ، توفي فيها . ومن شعره فى وادى بزاعة .

وقانا لفحة الرمضاء واد * وقاه مضاعف النبت العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المروضات على الفطيم
وأرشفنا على ظمأ زلالا * ألد من المدامة للنديم
براعى الشمس أنى قابلته * فيحجبها ليأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

قال ابن خلكان : وهذه الأبيات بديعة فى بابها .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة ﴾

استهلت هذه السنة والموتان كثير فى الدواب جدا ، حتى جافت بغداد . قال ابن الجوزى : وربما أحضر بعض الناس الأطباء لاجل دوابهم فيسقونها ماء الشهير ويطيبونها . وفيها حاصر السلطان بن طغرل بك أصبهان فصالحه أهلها على مال يحملونه إليه ، وأن يخطب له بها ، فأجابوه إلى ذلك . وفيها ملك مهمل قرميسين والدينور . وفيها تأمر على بنى خلفاجة رجل يقال له رجب بن أبى منيع بن ثمال ، بعد وفاة بدران بن سلطان بن ثمال ، وهؤلاء الأعراب أكثر من يصد الناس عن بيت الله الحرام ، فلا جزام الله خيرا .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو محمد الجوينى ﴾

إمام الشافعية : عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيسويه الشيخ أبو محمد الجوينى ، وهو والد إمام الحرمين أبو المعالى عبد الملك بن أبى محمد ، وأصله من قبيلة يقال لها سنابس ، وجوين من نواحي نيسابور ، سمع الحديث من بلاد شتى على جماعة ، وقرأ الأدب على أبيه ، وتفقه بأبى الطيب سهل ابن محمد الصعلوكى ، ثم خرج إلى مرو إلى أبى بكر عبد الله بن أحمد القفال ، ثم عاد إلى نيسابور وعقد مجلس المناظرة ، وكان مهيبا لا يجرى بين يديه إلا الجدة ، وصنف التصانيف الكثيرة فى أنواع العلوم وكان زاهدا شديدا احتياط لدينه حتى ربما أخرج الزكاة مرتين . وقد ذكرته فى طبقات الشافعية وذكرت ما قاله الأئمة فى مدحه ، توفى فى ذى القعدة منها . قال ابن خلكان : صنف التفسير الكبير المشتمل على أنواع العلوم ، وله فى الفقه التبصرة والتذكرة ، وصنف مختصر المختصر ، والفرق والجمع ، والسلسلة وغير ذلك ، وكان إماما فى الفقه والاصول والأدب والعربية . توفى فى هذه السنة ، وقيل سنة أربع وثلاثين . قاله السمعانى فى الانساب ، وهو فى سن الكهولة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وأربعمائة ﴾

فيها اصطالح الملك طغرلبك وأبو كاليجار ، وتزوج طغرلبك بابنته ، وتزوج أبو منصور بن كاليجار ، بابنة الملك داود أخى طغرلبك . وفيها أمرت الأكراد سرخاب أخا أبي الشوك وأحضره بين يدي أميرهم ينال ، فأمر بقلع إحدى عينيه . وفيها استولى أبو كاليجار على بلاد البطيحة ونجا صاحبها أبو نصر بنفسه . وفيها ظهر رجل يقال له الأصغر التغلبي ، وادعى أنه من المذكورين في الكتب ، فاستغوى خلقا ، وقصد بلادا فغنم منها أموالا تقوى بها ، وعظم أمره . ثم اتفق له أسروا وحمل إلى نصر الدولة بن مروان صاحب ديار بكر ، فاعتقله وسد عليه باب السجن . وفيها كان وباء شديد بالعراق والجزيرة ، بسبب جيف الدواب التي ماتت ، فمات فيها خلق كثير ، حتى خلت الأسواق وقلت الأشياء التي يحتاج إليها المرضى ، وورد كتاب من الموصل بأنه لا يصلى الجمعة من أهلها إلا نحو أربعمائة ، وأن أهل الذمة لم يبق منهم إلا نحو مائة وعشرين نفسا . وفيها وقع غلاء شديد أيضا ووقعت فتنة بين الروافض والسنة ببغداد ، قتل فيها خلق كثير . ولم يحج فيها أحد من ركب العراق ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد ﴾

أبو الفضل القاضي الهاشمي ، الرشيدى ، من ولد الرشيد ، ولى القضاء بسجستان ، وسمع الحديث من الغطاري . قال الخطيب : أنشدني لنفسه قوله :

قالوا اقتصد في الجود إنك منصف * عدل وذو الانصاف ليس بجور
فأجبتهم إني سلالة معشر * لهم لواء في الندى منشور
تالله إني شائد ما قدموا * جدى الرشيد وقبله المنصور

﴿ عبد الواحد بن محمد ﴾ بن يحيى بن أيوب أبو القاسم الشاعر المعروف بالمطرز ، ومن شعره قوله

يا عبدكم لك من ذنب ومعصية * إن كنت ناسيها فالله أحصاها
لا بد يا عبد من يوم تقوم به * ووقفة لك يدمى القلب ذكراها
إذا عرضت على قلبي تذكراها * وساء ظنى فقلت استغفر الله

﴿ محمد بن الحسن بن علي ﴾

ابن عبد الرحيم أبو سعد الوزير ، وزر الملك جلال الدولة ست مرات ، ثم كان موته بجزيرة ابن عمر فيها عن ست وخمسين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن موسى ﴾

أبو عبد الله الواعظ الشيرازي ، قال الخطيب : قدم بغداد وأظهر الزهد والتقشف والورع ، وعزوف النفس عن الدنيا ، فافتن الناس به ، وكان يحضر مجلسه خلق كثير ، ثم إنه بعد حين كان

يعرض عليه الشيء فيقبله ، فكثرت أمواله ، ولبس الثياب الناعمة ، وجرت له أمور ، وكثرت أتباعه وأظهر أنه يريد الغزو فاتبعه نفر كثير ، فمسكر بظاهر البلد ، وكان يضرب له الطبل في أوقات الصلوات وسار إلى ناحية أذر بيجان ، فالتف عليه خلق كثير ، وضاهها أمير تلك الناحية ، وكانت وفاته هناك في هذه السنة . قال الخطيب : وقد حدث ببغداد وكتبت عنه أحاديث يسيرة ، وحدثني بعض أصحابنا عنه بشيء يدل على ضعفه ، وأنشد هو لبعضهم :

إذا ما أطعت النفس في كل لذة * نسبت إلى غير الحمى والتكرم
إذا ما أجبت الناس في كل دعوة * دعتك إلى الأمر القبيح المحرم
(المظفر بن الحسين)

ابن عمر بن برهان ، أبو الحسن الغزال ، سمع محمد بن المظفر وغيره ، وكان صدوقا .
(محمد بن علي بن إبراهيم)

أبو الخطاب الحنبلي الشاعر ، من شعره قوله :
ما حكم الحب فهو ممثّل * وما جناه الحبيب محتمل
يهوى ويشكو الضنى وكل هوى * لا ينحل الجسم فهو منتحل
وقد سافر إلى الشام فاجتاز بمكة النعمان فامتدحه أبو العلاء المعري بأبيات ، فأجابه مرتجلا عنها .
وقد كان حسن العيين حين سافر ، فما رجع إلى بغداد إلا وهو أعمى . توفي في ذي القعدة منها ويقال إنه كان شديد الرفض فأنه أعلم .

(الشيخ أبو علي السنجى)

الحسين بن شعيب بن محمد شيخ الشافعية في زمانه ، أخذ عن أبي بكر القفال ، وشرح الفروع لابن الحداد ، وقد شرحها قبله شيخه ، وقبله القاضي أبو الطيب الطبري ، وشرح أبو علي السنجى كتاب التلخيص لابن القاص ، شرحا كبيرا ، وله كتاب المجموع ، ومنه أخذ الغزالي في الوسيط . قال ابن خلدكان : وهو أول من جمع بين طريقة العراقيين والخراسانيين . توفي سنة بضع وثلاثين وأربعمائة
(ثم دخلت سنة أربعين وأربعمائة)

في هذه السنة توفي الملك أبو كاليجار في جمادى الأولى منها ، صاحب بغداد ، مرض وهو في برية ، ففصد في يوم ثلاث مرات ، وحمل في محفة فمات ليلة الخميس ، ونهبت الفلجان الخزائن ، وأحرق الجوارى الخيام ، سوى الخيمة التي هو فيها ، وولى بعده ابنه أبو نصر ، وسموه الملك الرحيم ، ودخل دار الخلافة فخلع عليه الخليفة سبع خلع ، وسوره وطوقه وجعل على رأسه التاج والعمامة السوداء ، ووصاه الخليفة ، ورجع إلى داره وجاء الناس لينثوه . وفيها دار السور على شيراز ، وكان دوره اثني عشر

ألف ذراع ، وارتفاعه ثمانية أذرع ، وعرضه ستة أذرع ، وفيه أحد عشر بابا . وفيها غزا إبراهيم ابن نبال بلاد الروم فغنم مائة ألف رأس ، وأربعة آلاف درع ، وقيل تسع عشرة ألف درع . ولم يبق بينه وبين القسطنطينية إلا خمسة عشر يوماً ، وحمل ماغنم على عشرة آلاف عجلة . وفيها خطب للذخيرة الدين أبي العباس أحمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، على المنابر بولاية العهد بعد أبيه ، وحي بذلك . وفيها اقتتل الروافض والسنة ، وجرت ببغداد فتن يطول ذكرها . ولم يحج أحد من أهل العراق . ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن عيسى بن المقتدر ﴾

أبو محمد العباسي ، ولد في الحرم سنة ثلاث وأربعين وثلثمائة ، وسمع من مؤدبه أحمد بن منصور السكري ، وأبي الأزهر عبد الوهاب الكاتب ، وكان فاضلاً ديناً ، حافظاً لأخبار الخلفاء ، عالماً بأيام الناس صالحاً ، أعرض عن الخلافة مع قدرته عليها ، وآثر بها القادر . توفي فيها عن سبع وتسعين سنة . وأوصى أن يدفن بباب حرب ، فدفن قريباً من قبر الامام أحمد بن حنبل .

﴿ هبة الله بن عمر بن أحمد بن عثمان ﴾

أبو القاسم الواعظ المعروف بابن شاهين ، سمع من أبي بكر بن ملك ، وابن ماسي والبرقاني . قال الخطيب : كتبت عنه وكان صدوقاً ، ولد في سنة إحدى وخمسين وثلثمائة ، وتوفي في ربيع الآخر منها ، ودفن بباب حرب ﴿ علي بن الحسن ﴾

ابن محمد بن المنتاب أبو محمد القاسم ، المعروف بابن أبي عثمان الدقاق . قال الخطيب : سمع القطيعي وغيره ، وكان شيخاً صالحاً ، صدوقاً ديناً ، حسن المذهب .

﴿ محمد بن جعفر بن أبي الفرج ﴾

الوزير الملقب بذي المعاديات ، وزير لأبي كاليجار بفارس وبغداد ، وكان ذا مروءة غزيرة ، مليح الشعر والترسل ، ومن محاسنه أنه كتب إليه في رجل مات عن ولده ثمانية أشهر وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فكتب إليه الموصى ، وقيل غيره : إن فلاناً قد مات وخلف ولداً عمره ثمانية أشهر ، وله من المال ما يقارب مائة ألف دينار ، فإن رأى الوزير أن يقترض هذا المال إلى حين بلوغ الطفل . فكتب الوزير على ظهر الورقة : المتوفى رحمه الله ، واليقيم جبره الله ، والمال ثمره الله ، والساعي لعنه الله ، ولا حاجة بنا إلى مال الأيتام . اعتقل ثم قتل في رمضان منها ، عن إحدى وخمسين سنة . ﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن غيلان بن عبد الله بن غيلان بن حليم بن غيلان ، أخو طالب البزار ، يروى عن جماعة وهو آخر من حدث عن أبي بكر الشافعي ، كان صدوقاً ديناً صالحاً ، قوى النفس على كبر السن ، كان يملك ألف دينار ، وكان يصبها كل يوم في حجره فيقبلها ثم يردها إلى موضعها ، وقد خرج له

الدارقطني الأجزاء الغيلانيات ، وهي سماعنا . توفي يوم الاثنين سادس شوال منها عن أربع وتسعين سنة ، ويقال إنه بلغ المائة فآله أعلم . ﴿ الملك أبو كاليجار ﴾

واسمه الرزبان بن سلطان الدولة بن بهاء الدولة ، توفي عن أربعين سنة وأشهر ، ولي العراق نحواً من أربع سنين ، ونهبت له قلعة كان فيها من المال ما يزيد على ألف ألف دينار ، وقام بالأمر من بعده ابنه الملك الرحيم أبو نصر .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وأربعمائة ﴾

في عاشر المحرم تقدم إلى أهل الكرخ أن لا يعملوا بدع النوح ، فخرى بينهم وبين أهل باب البصرة ما يزيد على الحد ، من الجراح والقتل ، وبنى أهل الكرخ سوراً على الكرخ ، وبنى أهل السنة سوراً على سوق القلائين ، ثم نقض كل من الفريقين أبنيتهم ، وحملوا الآخر إلى مواضع بالطبول والمزامير ، وجرت بينهم مفاخرات في ذلك ، وسخف لا تتحصر ولا تنضب ، وإنشاد أشعار في فضل الصحابة . وثلمهم ، فآله الله وإنا إليه راجعون . ثم وقعت بينهم فتن يطول ذكرها ، وأحرقوا دوراً كثيرة جداً . وفيها وقعت وحشة بين الملك طغرل بك وبين أخيه ، فجمع أخوه جموعاً كثيرة فاقبضه هو وأخوه طغرل بك ، ثم أسره من قلعة قد تحصن بها ، بعد محاصرة أربعة أيام ، فاستنزله منها مقهوراً ، فأحسن إليه وأكرمه ، وأقام عنده مكرماً ، وكتب ملك الروم إلى طغرل بك في فداء بعض ملوكهم ممن كان أسره إبراهيم بن نبال ، وبذل له مالا كثيراً ، فبعثه إليه مكرماً من غير عوض ، اشترط عليه فأرسل إليه ملك الروم هدايا كثيرة ، وأمر بعمارة المسجد الذي بالقسطنطينية ، وأقيمت فيه الصلاة والجمعة ، وخطب فيه للملك طغرل بك ، فبلغ هذا الأمر العجيب سائر الملوك فمظموا الملك طغرل بك تظليماً زائداً ، وخطب له نصر الدولة بالجزيرة . وفيها ولي مسعود بن مودود بن مسعود بن محمود بن سبكتكين الملك بعد وفاة أبيه ، وكان صغيراً ، فنكث أياً ما تم عدل عنه إلى عمه علي بن مسعود ، وهذا أمر غريب جداً . وفيها ملك المصريون مدينة حلب وأجلوا عنها صاحبها شمال بن صالح بن مرداس . وفيها كان بين البساسيري وبين بني عقيل حرب . وفيها ملك البساسيري الأنبار من يد قرواش فأصلح أمورهما . وفي شعبان منها سار البساسير إلى طريق خراسان وقصد ناحية الدوران وملكها ، وغنم مالا كثيراً كان فيها ، وقد كان سمدي بن أبي الشوك قد حصنها ، قال ابن الجوزي : في ذي الحجة منها ارتفعت سحابة سوداء فزادت على ظلمة الليل ، وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة ، فانزعج الناس وخافوا وأخذوا في الدعاء والتضرع ، فانكشف في أثناء الليل بعد ساعة ، وكانت قد هبت ريح شديدة جداً قبل ذلك ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الأشجار ، وهدمت رواشن كثيرة في دار الخلافة ودار المملكة . ولم يحج أحد من أهل العراق .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد بن منصور ﴾

أبو الحسن المعروف بالعتيق ، نسبة إلى جده له كان يسمى عتيقا ، سمع من ابن شاهين وغيره ، وكان صدوقا . توفي في صفر منها وقد جاوز التسعين .

﴿ علي بن الحسن ﴾

أبو القاسم العلوي ويعرف بابن محي السنة . قال الخطيب : سمع من ابن مظفر وكتب عنه ، وكان صدوقا دينيا حسن الاعتقاد ، يورق بالأجرة ويأكل منه ، ويتصدق . توفي في رجب منها وقد جاوز الثمانين . ﴿ عبد الوهاب بن القاضي الماوردي ﴾

يكنى أبا الفائر شهد عند ابن ما كولا في سنة إحدى وثلاثين فأجاز شهادته احتراماً لأبيه ، توفي في المحرم منها . ﴿ الحافظ أبو عبد الله الصوري ﴾

محمد بن علي بن عبد الله بن محمد أبو عبد الله الصوري الحافظ ، طلب الحديث بعد ما كبر وأنسن ، ورحل في طلبه إلى الآفاق ، وكتب الكثير وصنف واستفاد على الحافظ عبد الغني المصري ، وكتب عن عبد الغني شيئا من تصانيفه ، وكان من أعظم أهل الحديث ، همه في الطلب وهو شاب ثم كان من أقوى الناس على العمل الصالح عزيمته في حال كبره ، كان يسرد الصوم لإيومي العيدين وأيام التشريق ، وكان مع ذلك حسن الخلق جميل المعاشرة ، وقد ذهبت إحدى عينيه ، وكان يكتب بالأخرى المجلد في جزء . قال أبو الحسن الطيوري : يقال إن عامة كتب الخطيب سوى التاريخ مستفادة من كتب أبي عبد الله الصوري ، كان قد مات الصوري وترك كتبه اثني عشر عدلا عند أخيه ، فلما صار الخطيب أعطا أخاه شيئا وأخذ بعض تلك الكتب فحوها في كتبه ، ومن شعره :

تولى الشباب بريانه * وأنى المشيب بأحزانه
فقلبي لفقدان ذا مؤلم * كئيب لهذا ووجدانه
وإن كان ماجار في حكمه * ولا جاء في غير إيانه
ولكن أتى مؤذنا بالرحمة * لفؤيلي من قرب إيدانه
ولولا ذنوب تحملتها * لما راعني إتيانه
ولكن ظهري ثقيل بما * جناه شبابي بطغيانه
فن كان يبكي شبابا مضى * ويندب طيب زمانه
فليس بكائي وما قد ترو * ن منى لوحشة فقدانه
ولكن لما كان قد جره * على بوئبات شيطانه
فؤيلي وويحي إن لم يجد * على ملكي برضوانه

ولم يتعمد ذنوبى وما قد * جنيت برحته وغفرانه
ويجمل مصيرى إلى جنة * يحل بها أهل رضوانه وغفرانه
فإن كنت مالى من طاعة * سوى حسن ظنى بأحسانه
وإنى مقر بتوحيده * عليم بعزته سلطانه
أخالف فى ذاك أهل الهوى * وأهل الفسوق وعدوانه
وأرجو به الفوز فى منزل * معد مهيا لسكانه
وان يجمع الله أهل الجحوى * د ومن أقر بنيرانه
فهذا ينجيه إيمانه * وهذا يبوء بخسرانه
وهذا ينعم فى جنة * وذلك قرين لشيطانه
ومن شعره أيضاً :

قل لمن عاند الحديث وأضحى * عائباً أهله ومن يدعيه
أبلم تقول هذا ابن لى * أم بجهل فالجهل خلق السفينه
أيام الذين هم حفظوا الد * ين من الترهات والنمويه
وإلى قولهم وما قد روده * راجع كل عالم وفقهه

كان سبب موته أنه افتصد فوروت يده ، وعلى ما ذكر أن ريشة الفاصد كانت مسومة لغيره
فقاط فقصده بها ، فكانت فيها منيته ، فحمل إلى المارستان فمات به ، ودفن بمقبرة جامع المدينة ،
وقد نيف على الستين رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها فتح السلطان طغرل بك أصبهان بعد حصار سنة ، فنقل إليها حواصله من الرى وجعلها دار
إقامته ، وخرب قطعة من سورها ، وقال : إنما يحتاج إلى السور من تضعف قوته ، وإنما حصنى عساكرى
وسيفى ، وقد كان فيها أبو منصور قرامز بن علاء الدولة أبى جعفر بن كلويه ، فأخرجه منها وأقطعه
بعض بلادها . وفيها سار الملك الرحيم إلى الأهواز وأطاعه عسكر فارس . وفيها استولت الخوارج على
عمان وأخربوا دار الامارة ، وأمرؤا أبا المظفر بن أبى كاليبجار . وفيها دخلت العرب بأذن المستنصر
الفاطمى بلاد إفريقية ، وجرت بينهم وبين المعز بن باديس حروب طويلة ، وعاثوا فى الأرض فسادا
عدة سنين . وفيها اصطالح الروافض والسنة ببغداد ، وذهبوا كلهم لزيارة مشهد على ومشهد الحسين ،
وترضوا فى الكرخ على الصحابة كلهم ، وترحموا عليهم ، وهذا عجيب جدا ، إلا أن يكون من باب
التقية ، ورخصت الأسعار ببغداد جدا . ولم يحج أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ علي بن عمر بن الحسن ﴾
 أبو الحسن الحرابي المعروف بالقزويني ، ولد في مستهل الحرم في سنة ستين وثلثمائة ، وهي الليلة
 التي مات فيها أبو بكر الآجري ، وسمع أبا بكر بن شاذان وأبا حفص بن حيويه ، وكان وافر العقل ،
 من كبار عباد الله الصالحين ، له كرامات كثيرة ، وكان يقرأ القرآن ويروي الحديث ، ولا يخرج
 إلا إلى الصلاة . توفي في شوال منها . فغلقت بغداد لموته يومئذ ، وحضر الناس جنازته ، وكان يوماً
 مشهوداً رحمه الله . ﴿ عمر بن ثابت ﴾

الثمانيني النحوي الضرب . شارح اللامع ، كان في غاية العلم بالنحو ، وكان يأخذ عليه . وذكر ابن
 خلكان أنه اشتغل على ابن جني ، وشرح كلامه ، وكان ماهراً في صناعة النحو ، قال ونسبته إلى
 قرية من نواحي جزيرة ابن عمر عند الجبل الجودي ، يقال لها ثمانين ، باسم الثمانين الذين كانوا مع
 نوح عليه السلام في السفينة . ﴿ قرواش بن مقلد ﴾

أبو المنيع ، صاحب الموصل والكوفة وغيرها ، كان من الجبارين ، وقد كاتبه الحاكم صاحب
 مصر في بعض الأحيان فاستماله إليه ، فخطب له ببلاذ ثم تركه ، واعتذر إلى الخليفة فعذره ، وقد جمع
 هذا الجبار بين أختين في النكاح ، ولأمته العرب ، فقال : وأي شيء عملته ؟ إنما عملت ما هو مباح في
 الشريعة ^(١) وقد نكح في أيام المعز الفاطمي ونهبت حواصله ، وحين توفي قام بالأمر بعده ابن أخيه
 قريش بن بدران بن مقلد . ﴿ مودود بن مسعود ﴾

ابن محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة : توفي فيها وقام بالأمر من بعده عمه عبد الرشيد بن محمود
 ﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ﴾

في صفر منها وقع الحرب بين الروافض والسنة ، فقتل من الفريقين خلق كثير ، وذلك أن
 الروافض نصبوا أبراجاً وكتبوا عليها بالذهب : محمد وعلى خير البشر ، فمن رضى فقد شكر ، ومن أبى
 فقد كفر . فأنكرت السنة إقران علي مع محمد ﷺ في هذا ، فذبت الحرب بينهم ، واستمر القتال
 بينهم إلى ربيع الأول ، فقتل رجل هاشمي فدفن عند الإمام أحمد ، ورجع السنة من دفنه فتهبوا
 مشهد موسى بن جعفر وأحرقوا ضريح موسى ومجد الجواد ، وقبور بني بويه ، وقبور من هناك من الوزراء
 وأحرق قبر جعفر بن المنصور ، ومحمد الأمين ، وأمه زبيدة ، وقبور كثيرة جداً ، وانتشرت الفتنة
 وتجاوزوا الحدود ، وقد قابلهم أولئك الرافضة أيضاً بمفاسد كثيرة ، وبعثوا قبوراً قديمة ، وأحرقوا
 من فيها من الصالحين ، حتى هموا بقبر الإمام أحمد ، فمنهم النقيب ، وخاف من غائلة ذلك ، وتسائط
 على الرافضة عيار يقال له القطيعي ، وكان يتبع رؤسهم وكبارهم فيقتلهم جهاراً وغيلة ، وعظمت المحنة
 بسببه جداً ، ولم يقدر عليه أحد ، وكان في غاية الشجاعة والبأس والمكر ، ولما بلغ ذلك ديبس بن

(١) وفي النجوم الزاهرة « خبروني ، ما الذي نستعمله مما تبيحه الشريعة ؟ فهذا من ذاك » .

على بن يزيد - وكان رافضياً - قطع خطبة الخليفة ، ثم رُسل فأعادها . وفي رمضان منها جاءت من الملك طغرل بك رسل شكر للخليفة على إحسانه إليه بما كان بعثه له من الخلع والتقليد ، وأرسل إلى الخليفة بعشرين ألف دينار ، وإلى الحاشية بخمسة آلاف ، وإلى رئيس الرؤساء بألفي دينار ، وقد كان طغرل بك حين عمر الري وخرب فيها أما كن وجد فيها دفاًن كثيرة من الذهب والجوهر ، فعظم شأنه بذلك ، وقوى ملكه بسببه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن محمد بن أحمد ﴾

أبو الحسن الشاعر البصري ، نسبة إلى قرية دون عكبرا يقال لها بصري باسم المدينة التي هي أم حوران ، وقد سكن بغداد ، وكان متكلماً مطبوعاً ، له نوادر ، ومن شعره قوله :

نرى الدنيا وشهوتها فنصبوا * وما يخلو من الشهوات قلب
فلا يفررك زخرف ما تراه * وعيش لين الاعطاف رطب
فضول العيش أكثرها هموم * وأكثر ما يضرك ما تحب
إذا ما بلغت جأءتك عفوا * نخذهما فالغنى مرعى وشرب
إذا اتفق القليل وفيه سلم * فلا تُرد السكثير وفيه حرب
﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كتبت تذكرة الخلفاء المصريين وأنهم أدعياء كذبة لا نسب لهم صحيحة إلى رسول الله ﷺ ، نسخاً كثيرة ، وكتب فيها الفقهاء والقضاة والأشراف . وفيها كانت زلازل عظيمة في نواحي أرجان والأهواز وتلك البلاد ، تهدم بسببها شيء كثير من العمران وشرفات القصور ، وحكى بعض من يعتمد قوله أنه انفرج إيوانه وهو يشاهد ذلك ، حتى رأى السماء منه ثم عاد إلى حاله لم يتغير . وفي ذى القعدة منها تجددت الحرب بين أهل السنة والروافض ، وأحرقوا أما كن كثيرة ، وقتل من الفريقين خلألق ، وكتبوا على مساجدهم : محمد وعلى خير البشر ، وأذنوا بحج على خير العمل ، واستمرت الحرب بينهم ، وتسلب القطيعي العيار على الروافض ، بحيث كان لا يقر لهم معه قرار ، وهذا من جملة الأقدار .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن محمد بن علي بن أحمد بن وهب بن شاذل بن قرة بن واقد ، أبو علي التميمي الواعظ ، المعروف بابن المذهب ، ولد سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع مسند الامام أحمد من أبي بكر بن مالك القطيعي عن عبد الله بن الامام أحمد ، عن أبيه ، وقد سمع الحديث من أبي بكر بن ماسي وابن شاهين والدارقطني وخلق ، وكان ديناً خيراً ، وذكر الخطيب أنه كان صحيح السماع لمسند أحمد من القطيعي

غير أنه أُلحق اسمه في أجزاء . قال ابن الجوزي : وليس هذا بقدر في سماعه ، لأنه إذا تحقق سماعه جاز أن يُلحق اسمه فيما تحقق سماعه له ، وقد عاب عليه الخطيب أشياء لا حاجة إليها .

﴿ علي بن الحسين ﴾

ابن محمد ، أبو الحسن المعروف بالشاشي البغدادي ، وقد أقام بالبصرة واستحوذ هو وعمه علي أهلها ، وعمل أشياء من الخيل يوم بها أنه من ذوى الأحوال والمكاشفات ، وهو في ذلك كاذب قبحه الله وقبح عمه ، وقد كان مع هذا رافضياً خبيثاً قمرطياً ، توفي في هذا العام فله الحمد والشكر والالعام .

﴿ القاضي أبو جعفر ﴾

محمد بن أحمد بن أحمد ، أبو جعفر السماني القاضي ، أحد المنكلمين على طريقة الشيخ أبي الحسن الأشعري ، وقد سمع الدارقطني وغيره ، كان عالماً فاضلاً سخياً ، تولى القضاء بالموصل ، وكان له في داره مجلس للمناظرة ، وتوفي لما كف بصره بالموصل وهو قاضها ، في ربيع الأول منها وقد بلغ خمساً وثمانين سنة ، سألحه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها تجدد الشر والقتال والخراب بين السنة والرافض ، وسرى الأمر وتفاقم الحال . وفيها وردت الأخبار بأن المعز الفاطمي عازم على قصد العراق . وفيها نقل إلى الملك طغرل بك أن الشيخ أبا الحسن الأشعري يقول بكذا وكذا ، وذكر بشيء من الأمور التي لا تليق بالدين والسنة ، فأمر بامنه ، وصرح أهل نيسابور بتكفير من يقول ذلك ، فضج أبو القاسم القشيري عبد الكريم بن هوازن من ذلك ، وصنف رسالة في شكاية أهل السنة لما نالهم من الحنة ، واستدعى السلطان جماعة من رؤس الأشاعرة منهم القشيري فسألهم عما أنهى إليه من ذلك . فأنكروا ذلك ، وأن يكون الأشعري قال ذلك . فقال السلطان : نحن إنما لعنا من يقول هذا . وجرت فتنة عظيمة طويلة ، وفيها استولى فولاً بسور الملك أبي كاليبجار على شيراز ، وأخرج منها أخاه أبا سعد ، وفي شوال سار البساسيري إلى أكراد وأعراب أفسدوا في الأرض فقهروهم وأخذ أموالهم . ولم ينج فيها أحداً من أهل العراق . وفيها توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن عمر بن روح ﴾

أبو الحسن النهرواني ، كان ينظر في العيار بدار الضرب ، وله شعر حسن ، قال : كنت يوماً على شاطئ النهر وان ، فسمعت رجلاً يتغنى في سفينة منعقدة يقول :

وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

قال فاستوقفته وقلت : أضف إليه غيره فقال :

على قتلى الأحمب * في التمداد ، بالجنا غلبوا

وبالمهجران من عيني * طيب النوم قد سلبوا
وما طلبوا سوى قتلى * فهان على ما طلبوا

﴿إسماعيل بن علي﴾

ابن الحسين بن محمد بن زنجويه ، أبو سعيد الرازي ، المعروف بالعمان ، شيخ المعتزلة ، سمع الحديث الكثير وكتب عن أربعة آلاف شيخ ، وكان عالماً عارفاً فاضلاً مع اعتزاله ، ومن كلامه : من لم يكتب الحديث لم يتفرغ بمجلاوة الاسلام ، وكان حنفي المذهب ، عالماً بالخلاف والفرائض والحساب وأسماء الرجال ، وقد ترجمه ابن عساكر في تاريخه فأطنب في شكره والثناء عليه .

﴿عمر بن الشيخ أبي طالب المكي﴾

محمد بن علي بن عطية ، سمع أباه وابن شاهين ، وكان صدوقاً يكنى بأبي جعفر .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن عثمان بن الفرّج الأزهر ، أبو طالب المعروف بابن السوادى ، وهو أخو أبي القاسم الأزهرى توفى عن نيف وثمانين سنة .

﴿محمد بن أبي تمام﴾

الزبيني نقيب النقباء ، قام ببغداد بعد أبيه مقامه بالنقابة .

﴿ثم دخلت سنة ست وأربعين وأربعمائة﴾

فيها غزا السلطان طغرل بك بلاد الروم بعد أخذه بلاد أذربيجان ، فغنم من بلاد الروم وسبي وعمل أشياء حسنة ، ثم عاد سالماً فأقام بأذربيجان سنة . وفيها أخذ قریش بن بدران الأنبار ، وخطب بها وبالموصل لطغرل بك ، وأخرج منها نواب البساسيري . وفيها دخل البساسيري بغداد مع بنى خفاجة منصرفه من الوقعة ، وظهرت منه آثار النفرة للخلافة ، فراسله الخليفة لتطيب نفسه ، وخرج في ذى الحجة إلى الأنبار فأخذها ، وكان معه ديبس بن علي بن مزيد ، وخرب أماكن وحرقت غيرها ثم أذن له الخليفة في الدخول إلى بيت النوبة ليخضع عليه ، فجاء إلى أن حاذى بيت النوبة فقبل الأرض وانصرف إلى منزله ، ولم يعبر ، فقويت الوحشة . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿الحسين بن جعفر بن محمد﴾

ابن داود ، أبو عبد الله السلماسي ، سمع ابن شاهين وابن حيويه والدارقطني ، وكان ثقة مأموناً مشهوراً باصطناع المعروف ، وفعل الخير ، واقتاد الفقراء ، وكثرة الصدقة ، وكان قد أريد على الشهادة فأبى ذلك ، وكان له في كل شهر عشرة دنانير نفقة لأهله .

(عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن)

أبو عبد الله الأصهباني، المعروف بابن اللبان، أحد تلامذة أبي حامد الاسفرايني، ولى قضاء الكرخ، وكان يصلي بالناس التراويح، ثم يقوم بعد انصرافهم فيصلّي إلى أن يطلع الفجر، وربما انقضى الشهر عنه ولم يضطجع إلى الأرض رحمه الله.

(ثم دخلت سنة سبع وأربعين وأربعمائة)

فيها ملك طغربك بغداد، وهو أول ملوك السلجوقية، ملكها وبلاد العراق. وفيها تأكدت الوحشة بين الخليفة والبساسيري، واشتكت الأتراك منه، وأطلق رئيس الرؤساء عبارته فيه، وذكر قبيح أفعاله، وأنه كاتب المصريين بالطاعة، وخلع ما كان عليه من طاعة البساسيين، وقال الخليفة وليس إلا إهلاكه. وفيها غلت الأسعار بنواحي الأهواز حتى بيع الكر بشيراز بألف دينار. وفيها وقعت الفتنة بين السنة والرافضة على العادة، فاقتلوا قتلاً مستمراً، ولا تمكن الدولة أن يحجزوا بين الفريقين. وفيها وقعت الفتنة بين الأشاعرة والحنابلة، فقوى جانب الحنابلة قوة عظيمة، بحيث إنه كان ليس لأحد من الأشاعرة أن يشهد الجمعة ولا الجماعات.

قال الخطيب: كان أرسلان التركي المعروف بالبساسيري قد عظم أمره واستفحل، لعدم أقرانه من مقدمي الأتراك، واستولى على البلاد ووطار اسمه، وخافته أسراء العرب والعجم، ودعى له على كثير من المنابر العراقية والأهواز ونواحيها، ولم يكن للخليفة قطع ولا وصل دونه، ثم صح عند الخليفة سوء عقيدته، وشهد عنده جماعة من الأتراك أنه عازم على نهب دار الخلافة، وأنه يريد القبض على الخليفة، فعند ذلك كاتب الخليفة محمد بن ميكائيل بن سلجوق الملقب بطفربك يستنهضه على المسير إلى العراق، فانفض أكثر من كان مع البساسيري وعادوا إلى بغداد سريعاً، ثم أجمع رأيهم على قصد دار البساسيري وهي في الجانب الغربي فأحرقوها، وهدموا أبنيتها، ووصل السلطان طغربك إلى بغداد في رمضان سنة سبع وأربعين، وقد تلقاه إلى أثناء الطريق الأمراء والوزراء والحجاب، ودخل بغداد في أهبة عظيمة جداً، وخطب له بها ثم بعده للملك الرحيم، ثم قطعت خطبة الملك الرحيم، ورفع إلى القلعة معتزلاً عليه، وكان آخر ملوك بني بويه، وكانت مدة ولايتهم قريب المائة والعشر سنين، وكان ملك الملك الرحيم لبغداد ست سنين وعشرة أيام، ونزل طغربك دار المملكة بعد الفراغ من عمارتها، ونزل أصحابه دور الأتراك وكان معه ثمانية أفيلة، ووقعت الفتنة بين الأتراك والعامة، ونهب الجانب الشرقي بكمله، وجرت خبطة عظيمة. وأما البساسيري فانه فر من الخليفة إلى بلاد الرحبة وكتب إلى صاحب مصر بأنه على إقامة الدعوى له بالعراق، فأرسل إليه بولاية الرحبة ونيابته بها، ليكون على أهبة الأمر الذي يريده.

وفي يوم الثلاثاء عاشر ذي القعدة قلد أبو عبد الله محمد بن علي الدامغانى قضاء القضاة ، وخلع عليه به ، وذلك بعد موت ابن ما كولا ، ثم خلع الخليفة على الملك طغرل بك بعد دخوله بغداد بيوم ، ورجع إلى داره وبين يديه الدباب والبوقات .

وفي هذا الشهر توفى ذخيرة الدين أبو العباس محمد بن الخليفة القائم بأمر الله ، وهو ولي عهد أبيه فعضمت الرزية به . وفيها استولى أبو كامل على بن محمد الصليحي الهمداني على أكثر أعمال اليمن ، وخطب للفاطميين ، وقطع خطبة العباسيين . وفيها كثرت فساد الغز ونهبوا دواب الناس حتى بيع الثور بخمسة قراريط . وفيها اشتد الغلاء بمكة وعمت الأقوات ، وأرسل الله عليهم جرادا فتعوضوا به عن الطعام . ولم يحج أحد من أهل العراق .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف العجلي قاضى القضاة ، المعروف بابن ما كولا الشافعى ، وقد ولى القضاء بالبصرة ، ثم ولى قضاء القضاة ببغداد سنة عشرين وأربعمائة فى خلافة المقتدر ، وأقره ابنه القائم إلى أن مات فى هذه السنة ، عن تسع وسبعين سنة ، منها فى القضاء سبع وعشرون سنة ، وكان صينادينا لا يقبل من أحد هدية ولا من الخليفة ، وكان يذكر أنه سمع من أبي عبد الله بن منده ، وله شعر حسن فنه :

تصابى برهة من بعد شيب * فما أغنى المشيب عن التصابي
وسود عارضيه بلون خضب * فلم ينفعه تسويد الخضاب
وأبدي للأحبة كل لطف * فما زادوا سوى فرط اجتناب
سلام الله عودا بعد بدئ * على أيام ريعان الشباب
تولى عزمه يوما وأبقى * بقلبي حسرة ثم اكتتاب

﴿ علي بن الحسن بن علي ﴾

ابن محمد بن أبي الفهم أبو القاسم التنوخى ، قال ابن الجوزى : وتنوخ اسم لعدة قبائل اجتمعوا بالبحرين ، وتحالفوا على التناصر والتآزر ، فسموا تنوخاً . ولد بالبصرة سنة خمس وخمسين وثلثمائة ، وسمع الحديث سنة سبعين ، وقبلت شهادته عند الحكم فى حدائمه ، وولى القضاء بالمداين وغيرها ، وكان صدوقاً محتاطاً ، إلا أنه كان يميل إلى الاعتزال والرفض .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس ثمان بقين من المحرم عقد الخليفة على خديجة بنت أخى السلطان طغرل بك على صدق مائة ألف دينار ، وحضر هذا العقد عميد الملك الكندرى ، وزير طغرل بك ، وبقية الملوك

وقاضى القضاة الدامغانى والمأوردى ، ورئيس الرؤساء ابن المسلمة . فلما كان شعبان ذهب رئيس الرؤساء إلى الملك طغرل بك وقال له : أمير المؤمنين يقول لك قال الله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى أهلها) وقد أمرنى أن أنقل الوديعة إلى داره العزيزة ، فقال : السمع والطاعة ، فذهبت أم الخليفة لدار الملك لاستدعاء العروس ، فجاءت معها وفي خدمتها الوزير عميد الملك والحشم ، فدخلوا داره وشافه الوزير الخليفة عن عمها وسأله اللطف بها والاحسان إليها ، فلما دخلت إليه قبلت الأرض مراراً بين يديه ، فأدناها إليه وأجلسها إلى جانبه ، وأفاض عليها خلعاً سنياً وتاجاً من جوهر نمين ، وأعطاه من الغدماثة ثوب ديباجاً ، وقصبات من ذهب ، وطاسة ذهب قد نبت فيها الجواهر والياقوت والفير وزج ، وأقطعها فى كل سنة من ضياعه ما يغل اثنا عشر ألف دينار ، وغير ذلك . وفيها أمر السلطان طغرل بك ببناء دار الملك العضدية فخرت بحال كثيرة فى عمارتها ، ونهبت العامة أخشاباً كثيرة من دور الأتراك ، والجانب الغربى ، وباعوه على الخبازين والطباخين ، وغيرهم .

وفيهما رجع غلاء شديد على الناس وخوف ونهب كثير ببغداد ، ثم أعقب ذلك فناء كثير بحيث دفن كثير من الناس بغير غسل ولا تكفين ، وغلت الأشربة وما تحتاج إليه المرضى كثيراً ، واعتري الناس موت كثير ، واغبر الجو وفسد الهواء . قال ابن الجوزى : وعم هذا الوباء والغلاء مكة والحجاز وديار بكر والموصل وبلاد بكر وبلاد الروم وخراسان والجلال والديار كلها . هذا لفظه فى المنتظم . قال : وورد كتاب من مصر أن ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب ، والثانى على رأس الدرجة ، والثالث على الثياب التى كورها ليأخذها فلم يهل .

وفيهما أمر رئيس الرؤساء بنصب أعلام سود فى الكرخ ، فانزعج أهلها لذلك ، وكان كثير الأذى للرافضة ، وإنما كان يدافع عنهم عميد الملك الكندرى ، وزير طغرل بك . وفيها هبت ريح شديدة وارتفعت سحابة ترابية وذلك ضحى ، فأظلمت الدنيا ، واحتاج الناس فى الأسواق وغيرها إلى السرج . قال ابن الجوزى : وفى العشر الثانى من جمادى الآخرة ظهر وقت السحر كوكب له ذؤابة طولها فى رأى العين نحو من عشرة أذرع ، وفى عرض نحو الذراع ، ولبت كذلك إلى النصف من رجب ، ثم اضمحل . وذكروا أنه طلع مثله بمصر فلكت وخطب بها للمصريين . وكذلك ببغداد لما طلع فيها ملكك وخطب بها للمصريين . وفيها أزم الروافض بترك الأذان بحى على خير العمل ، وأمروا أن ينادى مؤذنينهم فى أذان الصبح ، بعد حى على الفلاح : الصلاة خير من النوم ، مرتين ، وأزيل ما كان على أبواب المساجد ومساجدهم من كتابة : محمد وعلى خير البشر ، ودخل المنشدون من باب البصرة إلى باب الكرخ ، ينشدون بالقصائد التى فيها مدح الصحابة ، وذلك أن نوء الرافضة اضمحل ، لأن بنى بويه كانوا حكماً ، وكانوا يقوونهم وينصرونهم ، فزالوا وبادوا ، وذهبت دولتهم ، وجاء بعدهم قوم آخرون

من الأتراك السلجوقية الذين يحبون أهل السنة ويوالونهم ويرفعون قدرهم ، والله المحمود ، أبداً على طول المدى . وأمر رئيس الرؤساء الوالى بقتل أبى عبدالله بن الجلاب شيخ الروافض ، لما كان تظاهراً به من الرفض والغلو فيه ، فقتل على باب دكانه ، وهرب أبو جعفر الطوسي ونهبت داره .

وفيهما جاء البساسيري قبحة الله إلى الموصل ومعه نور الدولة ديبس ، في جيش كثيف ، فاقتتل مع صاحبها قریش ونصره قتلش بن عم طغرلبك ، وهو جد ملوك الروم ، فهزمهما البساسيري ، وأخذ البلاد قهراً ، فخطب بها للمصريين ، وأخرج كاتبه من السجن ، وقد كان أظهر الاسلام ظناً منه أنه ينفعه ، فلم ينفعه فقتل ، وكذلك خطب للمصريين فيها بالسكوة واسط وغيرها من البلاد . وعزم طغرلبك على المسير إلى الموصل لمناجزة البساسيري فنهاه الخليفة عن ذلك لضيق الحال وغلاء الأسعار ، فلم يقبل فخرج بجيشه قاصداً الموصل بمحافل عظيمة ، ومعه الفيلة والمنجنيقات ، وكان جيشه لكثرتهم يتهبون القرى ، وربما سطوا على بعض الحريم ، فكتب الخليفة إلى السلطان ينهاء عن ذلك ، فبعث إليه يعتذر لكثرة من معه ، واتفق أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام فسلم عليه فأعرض عنه ، فقال : يا رسول الله لأى شئ تعرض عني ؟ فقال : يحكمك الله في البلاد ثم لا ترفق بخلقه ولا تخاف من جلال الله عز وجل . فاستيقظ مذعوراً وأمر وزيره أن ينادى في الجيش بالعدل ، وأن لا يظلم أحد أحداً . ولما اقترب من الموصل فتح دونها بلاداً ، ثم فتحها وسلمها إلى أخيه داود ، ثم سار منها إلى بلاد بكر ففتح أما كن كثيرة هناك .

وفيهما ظهرت دولة الملتمين ببلاد المغرب ، وأظهروا إعزاز الدين وكلمة الحق واستولوا على بلاد كثيرة منها سجلماسة وأعمالها والسوس ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأول ملوك الملتمين رجل يقال له أبو بكر بن عمر ، وقد أقام بسجلماسة إلى أن توفي سنة ثنتين وستين كما سيأتى بيانه ، ثم ولى بعده أبو نصر يوسف بن ناشفين ، وتلقب بأمر المؤمنين ، وقوى أمره ، وعلا قدره ببلاد المغرب . وفيها أئتم أهل الذمة بلبس الغيار ببغداد ، عن أمر السلطان . وفيها ولد لذخيرة الدين بعد موته من جارية له ولد ذكر ، وهو أبو القاسم عبد الله المقدسى بأمر الله . وفيها كان الغلاء والفناء أيضاً مستمرين على الناس ببغداد وغيرها من البلاد ، على ما كان عليه الأمر في السنة الماضية ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ علي بن أحمد بن علي بن سلك ﴾

أبو الحسن المؤدب ، المعروف بالغالى^(١) ، صاحب الأملال ، وقالة قرية قريبة من إيندج ، أقام

(١) لان صاحب الامالى اسمه أبو علي اسماعيل بن القاسم ووفاته سنة ٣٥٦ فجملة صاحب الامالى خطأ بلا شك وانما هو الغالى بالفاء كما في النجوم الزاهرة .

بالبصرة مدة ، وسمع بها من عمر بن عبد الواحد الهاشمي وغيره ، وقدم بغداد فاستوطنها ، وكان ثقة في نفسه ، كثير الفضائل . ومن شعره الحسن :

لما تبدلت المجالس أوجهاً * غير الذين عهدت من علمائها
ورأيتها محفوفة بسوى الأولى * كانوا ولاية صدورها وفنائها
أنشدت بيننا سائراً متقدماً * والعين قد شرقت بجارى مائها
أما الخيام فانها كخيامهم * وأرى نساء الحى غير نساءها
ومن شعره أيضاً : تصدر للتدريس كل مهوس * بليد تسمى بالققيه المدرس
فحق لأهل العلم أن يتمثلوا * ببیت قديم شاع في كل مجلس
لقد هزلت حتى بدا من هزالها * كلاها وحتى سامها كل مفلس

﴿ محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ ﴾

الفقيه الشافعي ، وليس بصاحب الشامل ، ذاك متأخر وهذا من تلاميذ أبي حامد الاسفرايني ، كانت له حلقة للفتوى بجامع المدينة ، وشهد عند قاضي القضاة الدامغانى الحنفى قبله ، وقد جمع الحديث من ابن شاهين وغيره ، وكان ثقة جليل القدر .

﴿ هلال بن المحسن ﴾

ابن إبراهيم بن هلال ، أبو الخير الكاتب الصابى ، صاحب التاريخ ، وجده أبو إسحاق الصابى صاحب الرسائل ، وكان أبوه صابئياً أيضاً ، أسلم هلال هذا متأخراً ، وحسن إسلامه ، وقد سمع في حال كفره من جماعة من المشايخ ، وذلك أنه كان يتردد إليهم يطلب الأدب ، فلما أسلم نفعه ذلك ، وكان ذلك سبب إسلامه على ما ذكره ابن الجوزى : بسنده مطولاً ، أنه رأى رسول الله ﷺ في المنام مراراً يدعوهُ إلى الله عز وجل ، ويأمره بالدخول في الاسلام ، ويقول له : أنت رجل عاقل ، فلم تدع دين الاسلام الذى قامت عليه الدلائل ؟ وأراه آيات في المنام شاهدها في اليقظة ، فنها أنه قال له : إن امرأتك حامل بولد ذكر ، فسمه محمداً ، فولدت ذكراً ، فسماه محمداً ، وكناه أبا الحسن ، في أشياء كثيرة سردها ابن الجوزى ، فأسلم وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً . توفى عن تسعين سنة ، منها في الاسلام نيف وأربعون سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وأربعمائة ﴾

فيها كان الغلاء والفناء مستمرين ببغداد وغيرها من البلاد ، بحيث خلت أكثر الدور وسدت على أهلها أبوابها بما فيها ، وأهلها موتى فيها ، ثم صار المار في الطريق لا يلتقى الواحد بعد الواحد وأكل الناس الجيف والنتن من قلة الطعام ، ووجد مع امرأة نخذ كلب قد اخضر وشوى رجل صبية

في الآتون وأكلها ، فقيل وسقط طائر ميت من حائط فاحتوشته خمسة أنفس فاقتسموه وأكلوه ، وورد كتاب من بخارى أنه مات في يوم واحد منها ومن معاملتها ثمانية عشر ألف إنسان ، وأحصى من مات في هذا الوباء من تلك البلاد إلى يوم كتب فيه هذا الكتاب بألف ألف ، وخمسمائة ألف وخمسين ألف إنسان ، والناس يمرون في هذه البلاد فلا يرون إلا أسواقا فارغة وطرقات خالية ، وأبوابا مغلقة ، ووحشة وعدم أنس . حكاه ابن الجوزي . قال : وجاء الخبر من أذربيجان وتلك البلاد بالوباء العظيم ، وأنه لم يسلم من تلك البلاد إلا العدد اليسير جدا . قال : ووقع وباء بالأهواز وبواط وأعمالها وغيرها ، حتى طبقت البلاد ، وكان أكثر سبب ذلك الجوع ، كان الفقراء يشوون الكلاب وينبشون القبور ويشوون الموتى ويأكلونهم ، وليس للناس شغل في الليل والنهار إلا غسل الأموات وتجهيزهم ودفنهم ، فكان يحفر الحفير فيدفن فيه المشرون والثلاثون ، وكان الإنسان بينما هو جالس إذ انشق قلبه عن دم المهجة ، فيخرج منه إلى الفم قطرة فيموت الإنسان من وقته ، وتاب الناس وتصدقوا بأكثر أموالهم فلم يجدوا أحدا يقبل منهم ، وكان الفقير تعرض عليه الدنانير الكثيرة والدرهم والدينار فيقول : أنا أريد كسرة أريد ما يسد جوعي ، فلا يجد ذلك ، وأراق الناس الخور وكسروا آلات اللهو ، ولزموا المساجد للعبادة وقراءة القرآن ، وقل دار يكون فيها خمر إلا مات أهلها كلهم ، ودخل على مريض له سبعة أيام في النزع فأشار بيده إلى مكان فوجدوا فيه خابية من خمر فأراقوها فمات من وقته بسهولة ، ومات رجل في مسجد فوجدوا معه خمسين ألف درهم ، فعرضت على الناس فلم يقبلها أحد فتركت في المسجد تسعة أيام لا يريدونها أحد ، فلما كان بعد ذلك دخل أربعة ليأخذونها فأتوا عليها ، فلم يخرج من المسجد منهم أحد حتى ، بل ماتوا جميعا . وكان الشيخ أبو محمد عبد الجبار بن محمد يشتغل عليه سبعمائة منقته ، فمات وماتوا كلهم إلا اثني عشر نفرا منهم ، ولما اصطالح السلطان ديبس بن علي رجيع إلى بلاده فوجدوها خرابا لقله أهلها من الطاعون ، فأرسل رسولا منهم إلى بعض النواحي فتلقاه طائفة فقتلوه وشووه وأكلوه .

قال ابن الجوزي : وفي يوم الأربعاء لسبعمائة بقين من جمادى الآخرة احترقت قطيعة عيسى وسوق الطعام والكنيس ، وأصحاب السقط وباب الشعير ، وسوق العطارين وسوق العرب والائماطين والخبابيين والجزارين والتمارين ، والقطيعة وسوق مخول ونهر الزجاج وسويقة غالب والصفارين والصباعين وغير ذلك من المواضع ، وهذه مصيبة أخرى إلى ما بالناس من الجوع والفناء والفناء ، ضعف الناس حتى طفت النار فعملت أعمالها ، ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها كثر العياريون ببغداد ، وأخذوا الأموال جهارا ، وكبسوا الدور ليلا ونهارا ، وكبست دار أبي جعفر الطوسي متكلم الشيعة ، وأحرقت كتبه ومآثره ، ودفنته التي كان يستعملها في ضلالتة وبدعته ، ويدعو إليها أهل

ملته ونحلته ، والله الحمد . وفيها دخل الملك طغرل بك بغداد عائداً إليها من الموصل فتلقيها الناس والكبراء إلى أثناء الطريق ، وأحضر له رئيس الرؤساء خلعة من الخليفة مرصعة بالجواهر فلبسها ، وقبل الأرض ثم بعد ذلك دخل دار الخلافة ، وقد ركب إليها فرسا من مراكب الخليفة ، فلما دخل على الخليفة إذا هو على سرير طوله سبعة أذرع ، وعلى كتفه البردة النبوية ، وبيده القضيبة ، وقبل الأرض وجلس على سرير دون سرير الخليفة ، ثم قال الخليفة لرئيس الرؤساء : قل له أمير المؤمنين حامد لسعيك شاكر لعملك ، آنس بقربك ، وقد ولاك جميع ما ولاه الله تعالى من بلاده ، فاتق الله فيما ولاك ، واجتهد في عمارة البلاد وإصلاح العباد ونشر العدل ، وكف الظلم ، ففسر له عميد الدولة ما قال الخليفة فقام وقبل الأرض وقال : أنا خادم أمير المؤمنين وعبيده ، ومتصرف على أمره ونهيه ، ومقشرف بما أهلت له واستخدمني فيه ، ومن الله أستمد المعونة والتوفيق . ثم أمره الخليفة أن ينهض للباس الخلعة فقام إلى بيت في ذلك البهو ، فأفيض عليه سبع خلع وتاج ، ثم عاد فجلس على السرير بعد ما قبل يد الخليفة ، ورام تقبيل الأرض فلم يتمكن من التناج ، فأخرج الخليفة سيفا فقلده إياه وخوطف بملك الشرق والغرب ، وأحضرت ثلاثة ألوية فعقد منها الخليفة لواء بيده ، وأحضر العهد إلى الملك ، وقرى بين يديه بحضرة الملك وأوصاه الخليفة بتقوى الله والعدل في الرعية ، ثم نهض فقبل يد الخليفة ثم وضعها على عينيه ، ثم خرج في أبهة عظيمة إلى داره وبين يديه الحجاب والجيش بكامله ، وجاء الناس للسلام عليه ، وأرسل إلى الخليفة بتحف عظيمة ، منها خمسون ألف دينار ، وخمسون غلاما أتركا ، بمراكبهم وسلاحهم ومناطقهم ، وخمسمائة ثوب أنواعا ، وأعطى رئيس الرؤساء خمسة آلاف دينار ، وخمسين قطعة قماش وغير ذلك .

وفيها قبض صاحب مصر على وزيره أبي محمد الحسن بن عبد الرحمن اليازوري ، وأخذ خطه بثلاثة آلاف دينار ، وأحيط على ثمانين من أصحابه ، وقد كان هذا الوزير فقيها حنفيا ، يحسن إلى أهل العلم وأهل الحرمين ، وقد كان الشيخ أبو يوسف القزويني يثني عليه ويمدحه .
ومن توفي فيها من الأعيان . (أحمد بن عبد الله بن سليمان)

ابن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المطهر بن زياد بن ربيعة بن الحرث بن ربيعة بن أنور بن أسحم بن أرقم بن النعمان بن عدى بن غطفان بن عمرو بن بريح بن خزيمة بن تميم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة أبو المعلى المعري النخعي الشاعر ، المشهور بالزندقة ، الفغوى ، صاحب الدواوين والمصنفات في الشعر واللغة ، ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس لثلاث بقين من ربيع الأول سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وأصابه جدرى وله أربع سنين أو سبع ، فذهب بصره ، وقال الشعر وله إحدى عشرة أو ثنتا عشرة سنة ، ودخل

بغداد سنة تسع وتسعين وثلاثمائة ، فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم خرج منها طريداً منهزماً ، لأنه سأل سؤالاً بشعر يدل على قلة دينه وعلمه وعقله فقال :

تناقض فمالنا إلا السكوت له * وأن نعوذ بولانا من النار

يد بخمس مئين عسجد ودبت * ما بالها قطعت في ربع دينار

وهذا من إفكك يقول : اليد دينها خمسمائة دينار ، فمالككم تقطعونها إذا سرقت ربع دينار ، وهذا من قلة عقله وعلمه ، وعنى بصيرته . وذلك أنه إذا جنى عليها يناسب أن يكون دينها كثيرة لينزجر الناس عن العدوان ، وأما إذا جنت هي بالسرقة فيناسب أن تقل قيمتها ودينها لينزجر الناس عن أموال الناس وتقصان أموالهم ، ولهذا قال بعضهم : كانت ثمينة لما كانت أمينة ، فلما خانت هانت . ولما عزم الفقهاء على أخذه بهذا وأمثاله هرب ورجع إلى بلده ، ولزم منزله فكان لا يخرج منه . وكان يوماً عند الخليفة وكان الخليفة يكره المتنبي ويضع منه ، وكان أبو العلاء يحب المتنبي ويرفع من قدره ويمدحه ، فخرى ذكر المتنبي في ذلك المجلس فذمه الخليفة ، فقال أبو العلاء : لو لم يكن المتنبي إلا قصيدته التي أولها * لك يا منازل في القلوب منازل * لكفاه ذلك . فغضب الخليفة وأمر به فسحب برجله على وجهه وقال : أخرجوا عنى هذا الكلب . وقال الخليفة : أتدرون ما أراد هذا الكلب من هذه القصيدة ؟ وذكره لها ؟ أراد قول المتنبي فيها :

السادة طربان

وإذا أتتك مذمتي من ناقص * فهي الدليل على أفى كمال

وإلا فالمتنبي له قصائد أحسن من هذه ، وإنما أراد هذا . وهذا من فرط ذكاه الخليفة ، حيث تنبه لهذا . وقد كان المعري أيضاً من الأذكياء ، ومكث المعري خمساً وأربعين سنة من عمره لا يأكل اللحم ولا اللبن ولا البيض ، ولا شيئاً من حيوان ، على طريقة البراهمة الفلاسفة ، ويقال إنه اجتمع براهب في بعض الصوامع في مجيئه من بعض السواحل آواه الليل عنده ، فشككته في دين الإسلام ، وكان يتقوت بالنبات وغيره ، وأكثر ما كان يأكل العدس ويتحلى بالدبس وبالتين ، وكان لا يأكل بحضرة أحد ، ويقول : أكل الاعمى عورة ، وكان في غاية الذكاه المفرط ، على ما ذكره ، وأما ما ينقلونه عنه من الأشياء المكذوبة الختلفة من أنه وضع تحت سريره درهم فقال : إما أن تكون السماء قد انخفضت مقدار درهم أو الأرض قد ارتفعت مقدار درهم ، أى أنه شعر بارتفاع سريره عن الأرض مقدار ذلك الدرهم الذي وضع تحته ، فهذا لا أصل له . وكذلك يذكر أنه مرق في بعض أسفاره بمكان فطأ رأسه فقبل له في ذلك فقال : أما هنا شجرة ؟ قالوا : لا ، فنظر واذا أصل شجرة كانت هناك في الموضع الذي طأ رأسه فيه ، وقد قطعت ، وكان قد اجتاز بها قديماً مرة فأمره من كان معه بمطأ رأسه لما جازوا تحتها ، فلما مر بها المرة الثانية طأ رأسه خوفاً من أن يصيبه شيء منها ، فهذا

لا يصح . وقد كان ذكيا ، ولم يكن زكيا ، وله مصنفات كثيرة أكثرها في الشعر ، وفي بعض أشعاره ما يدل على زندقته ، وأنحلاله من الدين ، ومن الناس من يعتذر عنه ويقول : إنه إنما كان يقول ذلك مجونا ولعبا ، ويقول بلسانه ما ليس في قلبه ، وقد كان باطنه مسلما . قال ابن عقيل لما بلغه : وما الذي أجهل أن يقول في دار الاسلام ما يكفره به الناس ؟ قال : والمنافقون مع قلة عقلهم وعلمهم أجود سياسة منه ، لأنهم حافظوا على قبايحهم في الدنيا وستروها ، وهذا أظهر الكفر الذي تسلط عليه به الناس وزندقوه ، والله يعلم أن ظاهره كباطنه . قال ابن الجوزي : وقد رأيت لأبي العلاء المعري كتابا سماه الفصول والغايات ، في معارضة السور والآيات ، على حروف المعجم في آخر كلماته وهو في غاية الركاكة والبرودة ، فسبحان من أعشى بصره وبصيرته . قال : وقد نظرت في كتابه المسمى لزوم مالا يلزم ، ثم أورد ابن الجوزي من أشعاره الدالة على استهتاره بدين الاسلام أشياء كثيرة فمن ذلك قوله :

إذا كان لا يحظى برزقك عاقل * وترزق مجنونا وترزق أحقنا
فلا ذنب يارب السماء على امرئ * رأى منك مالا يشهى فتزندقا
وقوله ألا إن البرية في ضلال * وقد نظر اللبيب لما اعتراها
تقدم صاحب التوراة موسى * وأوقع في الخسار من افتراها
فقال رجاله وحى أتاه * وقال الناظرون بل افتراها
وما حجى إلى أحجار بيت * كروس الحجر تشرف في ذراها
إذا رجع الحليم إلى حجاب * تهاون بالمذاهب وازدراها
وقوله عفت الحنيفة والنصارى اهتدت * ويهود جارت والمجوس مضلله
اثنان أهل الأرض ذو عقل بلا * دين وآخر ذو دين ولا عقل له
وقوله فلا تحسب مقال الرسل حقا * ولكن قول زور سطروه
فمكان الناس في عيش رغيد * فجأوا بالمحال فكسدروه
وقلت أنا معارضة عليه :

فلا تحسب مقال الرسل زورا * ولكن قول حق بلغوه
وكان الناس في جهل عظيم * فجأوا بالبيان فأوضحوه
وقوله إن الشرائع ألفت بيننا إحنا * وأورثتنا أغانين العداوات
وهل أبسح نساء الزوم عن عرض * للعرب إلا بأحكام النبوات
وقوله وما حمدي لآدم أو بنيه * وأشهد أن كلهم خسيس

وقوله أفيقوا أفيقوا يا غواة فانما * دياناتكم مكرراً من القدما
 وقوله صرف الزمان مفرق الالفين * فاحكم إلهي بين ذاك وبينى
 نهيت عن قتل النفوس تعمداً * وبعثت تقبضها مع الملكين
 وزعمت أن لها معاداً ثانياً * ما كان أغناها عن الحاليين
 وقوله ضحكنا وكان الضحك مناسفاة * وحق لسكان البسيطة أن يبكوا
 نخطئنا الأيام حتى كأننا * زجاج ولكن لا يعود له سبك
 وقوله أمور تستخف بها حلوم * وما يدرى الفتى لمن الثبور
 كتاب محمد وكتاب موسى * وإنجيل ابن مريم والزبور
 قالت معاشر لم يبعث إلهكم * إلى البرية عيساه ولا موسى
 وإنما جعلوا الرحمن مأكلة * وصيروا دينهم في الناس ناموسا

وذكر ابن الجوزي وغيره أشياء كثيرة من شعره تدل على كفره ، بل كل واحدة من هذه
 الأشياء تدل على كفره وزندقته وأخلاقه ، ويقال إنه أوصى أن يكتب على قبره :

هذا جناه أبي علي * وما جنيت على أحد

معناه أن أباه بتزوجه لأمه أوقعه في هذه الدار ، حتى صار بسبب ذلك إلى ما إليه صار ، وهو لم
 يحسن على أحد بهذه الجناية ، وهذا كله كفر وإلحاد قبحه الله . وقد زعم بعضهم أنه أقنع عن هذا
 كله وتاب منه ، وأنه قال قصيدة يعنذر فيها من ذلك كله ، ويتنصل منه ، وهي القصيدة التي يقول فيها :

يامن يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الأليل
 ويرى مناط عروقها في نحرها * والمخ في تلك العظام النحل
 امنن على بتوبة تمحو بها * ما كان مني في الزمان الأول

توفي في ربيع الأول من هذه السنة بمكة النعمان ، عن ست وثمانين سنة إلا أربعة عشر
 يوماً ، وقد رثاه جماعة من أصحابه وتلامذته ، وأنشدت عند قبره ثمانون مرثاة ، حتى قال بعضهم في
 مرثاة له إن كنت لم ترق الدماء زهادة * فلقد أرقت اليوم من جفني دما

قال ابن الجوزي : وهؤلاء الذين رثوه والذين اعتقدوه : إما جهال بأمره ، وإما ضلال على
 مذهبه وطريقه . وقد رأى بعضهم في النوم رجلاً ضريراً على عاتقه حيتان مدليتان على صدره ،
 رافعتان رؤسهما إليه ، وهما ينهشان من لحمه ، وهو يستغيث ، وقائل يقول : هذا المعري الملاحد . وقد
 ذكره ابن خلكان فرفع في نسبه على عاداته في الشعراء ، كما ذكرنا . وقد ذكر له من المصنفات كتباً
 كثيرة ، وذكر أن بعضهم وقف على المجلد الأول بعد المائة من كتابه المسمى بالآيك والفصون ،

وهو المعروف بالهذلي والردف ، وأنه أخذ العربية عن أبيه واشتغل بحلب على محمد بن عبد الله بن سـمـد النحوي ، وأخذ عنه أبو القاسم علي بن الحسن التنوخي ، والخطيب أبوزكريا يحيى بن علي التبريزي ، وذكر أنه مكث خمسا وأربعين سنة لا يأكل اللحم على طريقة الحكماء ، وأنه أوصى أن يكتب على قبره : هذا جناح أبي علي * وما جنيت على أحد

قال ابن خلكان : وهذا أيضاً متعلق باعتقاد الحكماء ، فانهم يقولون اتخذ الولد وإخراجه إلى هذا الوجود جناية عليه ، لأنه يتعرض للحوادث والآفات . قلت : وهذا يدل على أنه لم يتغير عن اعتقاده ، وهو ما يعتقده الحكماء إلى آخر وقت ، وأنه لم يقلع عن ذلك كما ذكره بعضهم ، والله أعلم بظواهر الأمور وبواطنها ، وذكر ابن خلكان أن عينه اليمنى كانت نائمة وعليها بياض ، وعينه اليسرى غائرة ، وكان نحيفاً ثم أورد من أشعاره الجيدة أبياتاً فمنها قوله :

لا تطلبن بالله لك رتبة * قلم البليغ بغير جد مغزل
سكن السماء كان السماء كلاهما * هذا له رمح وهذا أعزل

(الأستاذ أبو عثمان الصابوني)

إسماعيل بن عبد الرحمن بن أحمد بن إسماعيل بن عامر بن عابد النيسابوري ، الحافظ الواعظ المفسر ، قدم دمشق وهو ذاهب إلى الحج فسمع بها وذكر الناس ، وقد ترجمه ابن عساكر ترجمة عظيمة ، وأورد له أشياء حسنة من أقواله وشعره ، فمن ذلك قوله :

إذا لم أصب أموالكم ونوالكم * ولم آمل المعروف منكم ولا البرا
وكنتم عبيداً للذي أنا عبده * فمن أجل ماذا أتعب البدن الحرا ؟

وروى ابن عساكر عن إمام الحرمين أنه قال : كنت أتردد وأنا بمكة في المذاهب فرأيت النبي

ﷺ وهو يقول : عليك باعتقاد أبي عثمان الصابوني . رحمه الله تعالى .

(ثم دخلت سنة خمسين وأربعمائة)

فيها كانت فتنة الخبيث البساسيري ، وهو أرسلان التركي ، وذلك أن إبراهيم بنال أخا الملك طغرل بك ترك الموصل الذي كان قد استعمله أخوه عليها ، وعدل إلى ناحية بلاد الجبل ، فاستدعاه أخوه وخلع عليه وأصلح أمره ، ولكن في غضون ذلك ركب البساسيري ومعه قریش بن بدران أمير العرب إلى الموصل فأخذها ، وأخرب قلعتهما ، فسار إليه الملك طغرل بك سريعاً فاستردها وهرب منه البساسيري وقریش خوفاً منه ، فتبعهما إلى نصيبين ، وفارقه أخوه إبراهيم ، وعصى عليه ، وهرب إلى همدان ، وذلك بإشارة البساسيري عليه ، فسار الملك طغرل بك وراء أخيه وترك عساكره وراءه فتفرقوا وقل من لحقه منهم ، ورجعت زوجته الخاتون ووزيره الكندري إلى بغداد ، ثم جاء الخبر

بأن أخاه قد استظهر عليه ، وأن طغرل بك محصور به هذان ، فانزعج الناس لذلك ، واضطربت بغداد ، وجاء الخبر بأن البساسيري على قصد بغداد ، وأنه قد اقترب من الأنبار ، فقوى عزم الكندري على الهروب ، فأرادت الخاتون أن تقبض عليه فتحول عنها إلى الجانب الغربي ، ونهبت داره وقطع الجسر الذي بين الجانبين ، وركبت الخاتون في جمهور الجيش ، وذهبت إلى همدان لأجل زوجها ، وسار الكندري ومعه أنوشروان بن تومان وأم الخاتون المذكورة ، ومعهما بقية الجيش إلى بلاد الأهواز وبقيت بغداد ليس بها أحد من المقاتلة ، فعزم الخليفة على الخروج منها ، وليته فعل ، ثم أحب داره والمقام مع أهله ، فمكث فيها اغترارا ودعة ، ولما خلى البلد من المقاتلة قيل للناس : من أراد الرحيل من بغداد فليذهب حيث شاء ، فانزعج الناس وبكى الرجال والنساء والأطفال ، وعبر كثير من الناس إلى الجانب الغربي ، وبلغت المعبرة ديناراً ودينارين لعدم الجسر . قال ابن الجوزي : وطار في تلك الليلة على دار الخليفة نحو عشر بومات مجتمعات يصحن صياحاً مزعجاً ، وقيل لرئيس الرؤساء المصلحة أن الخليفة يرتحل لعدم المقاتلة فلم يقبل ، وشرعوا في استخدام طائفة من العوام ، ودفع إليهم سلاح كثير من دار المملكة ، فلما كان يوم الأحد الثامن من ذي القعدة من هذه السنة جاء البساسيري إلى بغداد ومعه الرايات البيض المصرية ، وعلى رأسه أعلام مكتوب عليها اسم المستنصر بالله أبو تميم معد أمير المؤمنين ، فتلقاه أهل الكرخ الرافضة وسألوه أن يجتاز من عندهم ، فدخل الكرخ وخرج إلى مشرعة الزاوية ، فنجم بها والناس إذ ذاك في مجاعة وضر شديد ، ونزل قریش بن بدران في نحو من مائتي فارس على مشرعة باب البصرة ، وكان البساسيري قد جمع العيارين وأطعمهم في نهب دار الخلافة ، ونهب أهل الكرخ دور أهل السنة بباب البصرة ، ونهبت دار قاضي القضاة الدامغانى ، وتملك أكثر السجلات والكتب الحكيمة ، وبيعت للعطارين ، ونهبت دور المتعلمين بخدمة الخليفة ، وأعادت الروافض الأذان بحى على خير العمل ، وأذن به في سائر نواحي بغداد في الجمعات والجماعات وخطب ببغداد للخليفة المستنصر العبيدى ، على منابرها وغيرها ، وضربت له السكة على الذهب والفضة ، وحوصرت دار الخلافة ، فحاجف الوزير أبو القاسم بن المسلة الملقب برئيس الرؤساء ، بمن معه من المستخدمين دونها فلم يفد ذلك شيئاً ، فركب الخليفة بالسواد والبردة ، وعلى رأسه اللواء وبيده سيف مصلت ، وحوله زمرة من العباسيين والجواري حلمات عن وجوههن ، ناشرات شعورهن ، معهن المصاحف على رؤس الرماح ، وبين يديه الخدم بالسيوف ، ثم إن الخليفة أخذ ذملاً من أمير العرب قریش ليمتعه وأهله ووزيره ابن المسلة ، فأمنه على ذلك كله ، وأنزله في خيمة ، فلامه البساسيري على ذلك ، وقال : قد علمت ما كان وقع الاتفاق عليه بينى وبينك ، من أنك لا تبنت برأى دونى ، ولا أنا دونك ، ومهما ملكنا بينى وبينك . ثم إن البساسيري أخذ القاسم بن مسلة

فويجئه توبيخاً مفضحاً ، ولأمله لوما شديداً ، ثم ضربه ضرباً مبرحاً ، واعتقله مهاناً عنده ، ونهبت العامة دار الخلافة ، فلا يحصى ما أخذوا منها من الجواهر والنفائس ، والديباج والذهب والفضة ، والثياب والأناث ، والدواب وغير ذلك ، مما لا يحصى ولا يوصف . ثم اتفق رأى البساسيري وقريش على أن يسيروا الخليفة إلى أمير حديثة عانة ، وهو مهارش بن مجلى الندوى ، وهو من بنى عم قریش بن بدران ، وكان رجلاً فيه دين وله مروءة . فلما بلغ ذلك الخليفة دخل على قریش أن لا يخرج من بغداد فلم يقد ذلك شيئاً ، وسيره مع أصحابهما في هودج إلى حديثة عانة ، فكان عند مهارش حولا كاملاً ، وليس معه أحد من أهله ، فحكى عن الخليفة أنه قال لما كنت بحديثة عانة قمت ليلة إلى الصلاة فوجدت في قلبي حلاوة المناجاة ، ثم دعوت الله عز وجل بما سئلت ، ثم قلت : اللهم أعدنى إلى وطني ، واجمع بيني وبين أهلي وولدي ، ويسر اجتماعنا ، وأعد روض الانس زاهراً ، وربيع القرب عامراً ، وفلفل العزا وبرج الجفا ، قال : فسمعت قائلاً على شاطئ الفرات يقول : نعم نعم ، فقلت : هذا رجل يخاطب آخر ، ثم أخذت في السؤال والابتهاال ، فسمعت ذلك الصائح يقول : إلى الحول إلى الحول ، فقلت : إنه هاتف أنطقه الله بما جرى الأمر عليه ، وكان كذلك ، خرج من داره في ذى القعدة من هذه السنة ، ورجع إليها في ذى القعدة من السنة المقبلة ، وقد قال الخليفة القائم بأمر الله في مدة مقامه بالحديثة شعرا يذكر فيه حاله فنه :

سأمت ظنوني فيمن كنت آمله * ولم يحل ذكر من واليت في خلدي
تعلموا من صروف الدهر كاهم * فما أرى أحداً يحنو على أحد
فما أرى من الأيام إلا موعداً * فتى أرى ظفري بذلك الموعد
يومي يمر وكلما قضيته * عللت نفسي بالحديث إلى غد
أقبح بنفس تستريح إلى المنى * وعلى مطامعها تروح وتفتدى

وأما البساسيري وما اعتمده في بغداد : فإنه ركب يوم عيد الأضحى والبس الخطباء والمؤذنين البياض ، وكذلك أصحابه ، وعلى رأسه الألوية المصرية ، وخطب للخليفة المصري ، والروافض في غاية السرور ، والأذان بسائر العراق بحى على خير العمل ، وانتقم البساسيري من أعيان أهل بغداد انتقاماً عظيماً ، وغرق خلقاً من كان يعاديه ، وبسط على آخرين الأرزاق ممن كان يحبه ويواليه ، وأظهر العدل . ولما كان يوم الاثنين ليلتين بقيتا من ذى الحجة أحضر إلى بين يديه الوزير ابن المسامة الملقب رئيس الرؤساء ، وعليه جبة صوف ، وطرطور من لبد أحمر ، وفي رقبته مخنقة من جلود كالتماويد ، فأركب جملاً أحمر وطيف به في البلد ، وخلفه من يصفعه بقطعة جلد ، وحين اجتاز بالكرخ نثروا عليه خملقان المداسات ، وبصقوا في وجهه ولعنوه وسبوه ، وأوقف بازاء دار الخلافة وهو

في ذلك يتلو قوله تعالى (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير) ثم لما فرغوا من التطواف به جئ به إلى المعسكر فألبس جلد نور بقرنيه ، وعلق بكلوب في شذقيه ، ورفع إلى الخشبة ، فجعل يضطرب إلى آخر النهار فمات رحمه الله . وكان آخر كلامه أن قال : الحمد لله الذي أحياني سعيدا ، وأماتني شهيدا . وفيها وقع برد بأرض العراق أهلك كثيرا من الغلات ، وقتل بعض الفلاحين ، وزادت دجلة زيادة كثيرة ، وزلزلت بغداد في هذه السنة قبل الفتنة بشهر زلزالا شديدا ، قهدمت دور كثيرة ، ووردت الأخبار أن هذه الزلزلة اتصت بهمدان وواسط ، وتكريت ، وعانة ، وذكر أن الطواحين وقفت من شدتها . وفيها كثرت النهب ببغداد حتى كانت العمائم تخطف عن الرؤس ، وخطفت عمامة الشيخ أبي نصر الطباع ، وطيلسانه وهو ذاهب إلى صلاة الجمعة .

وفي أواخر السنة خرج السلطان طغرل بك من همدان فقاتل أخاه وانتصر عليه ، وفرح الناس وتباشروا بذلك ، ولم يظهروا ذلك خوفا من البساسيري ، واستنجد طغرل بك بأولاد أخيه داود . وكان قد مات - على أخيه إبراهيم فغابوه وأسروه في أوائل سنة إحدى وخمسين ، واجتمعوا على عهم طغرل بك ، فسار بهم نحو العراق ، فكان من أمرهم ما سيأتي ذكره في السنة الآتية إن شاء الله . وفيها توفي من الأعيان . ﴿ الحسن بن محمد أبو عبد الله الوثي ﴾

الفرضي ، وهو شيخ الحرابي ، وكان شافعي المذهب ، قتل في بغداد في فتنة البساسيري ، ودفن في يوم الجمعة يوم عرفة منها . ﴿ داود أخو طغرل بك ﴾
وكان الأكبر منهم ، توفي فيها وقام أولاده مقامه .

﴿ أبو الطيب الطبري ﴾

الفقيه ، شيخ الشافعية ، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، ولد بآمل طبرستان سنة ثمان وأربعين وثلثمائة ، سمع الحديث بمرجان من أبي أحمد الغطريفي ، وبنيسابور من أبي الحسن الماسرجسي ، وعليه درس الفقه أيضاً وعلى أبي علي الزجاجي ، وأبي القاسم بن كج ، ثم اشتغل ببغداد على أبي حامد الاسفرايني ، وشرح المختصر وفرغ ابن الحداد ، وصنف في الأصول والجدل ، وغير ذلك من العلوم الكثيرة النافعة ، وسمع ببغداد من الدارقطني وغيره ، وولى القضاء بربع الكرخ بعد موت أبي عبد الله الصيمري ، وكان ثقة ديناً ورعاً ، عالماً بأصول الفقه وفروعه ، حسن الخلق سليم الصدر ، واطباً على تعليم العلم ليلاً ونهاراً . وقد ترجمته في طبقات الشافعية ، وحكى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي عنه - وكان شيخه ، وقد أجلسه بعده في الحانقة - أن أبا الطيب أسلم خفاله - وكان متقللاً من الدنيا فقيراً - عند خفاف ليصلحه له فأبطأ عليه فكان كلما مر عليه أخذته فغمسه في الماء وقال : أيها الشيخ الساعة

أصلحه ، فقال الشيخ : أسلمته لتصاحبه ولم أسلمه لتعلمه السباحة . وحكى ابن خلكان أنه كان له ولأخيه عمامة واحدة ، وقميص واحد ، إذا لبسهما هذا جلس الآخر في البيت لا يخرج منه ، وإذا لبسهما هذا احتاج الآخر أن يقعد في البيت ولا يخرج منه ، وإذا غسلهما جلسا في البيت إلى أن ييبسا وقد قال في ذلك أبو الطيب :

قوم إذا غسلوا ثياب جملهم * لبسوا البيوت إلى فراغ الفاسل
وقد توفي في هذه السنة عن مائة سنة وستين ، وهو صحيح العقل ، والفهم ، والأعضاء ، يفقى ويشغل إلى أن مات ، وقد ركب مرة سفينة فلما خرج منها قفز قفزة لا يستطيعها الشباب فقبل له : ما هذا يا أبا الطيب ؟ فقال : هذه أعضاء حفظناها في الشبيبة تنفعنا في الكبر رحمه الله .

﴿ القاضي الماوردي ﴾

صاحب الحاوي الكبير ، علي بن محمد بن حبيب ، أبو الحسن الماوردي البصري ، شيخ الشافعية ، صاحب التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع والتفسير والأحكام السلطانية ، وأدب الدنيا والدين . قال : بسطت الفقه في أربعة آلاف ورقة ، يعني الاقناع . وقد ولي الحكم في بلاد كثيرة ، وكان حليماً وقوراً أديباً ، لم ير أصحابه ذراعاً يوماً من الدهر من شدة تحرزه وأدبه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن بباب حرب .

﴿ رئيس الرؤساء أبو القاسم بن المسلمة ﴾

علي بن الحسن بن أحمد بن محمد بن عمر ، وزير القائم بأمر الله ، كان أولاً قد سمع الحديث من أبي أحمد الفرضي وغيره ، ثم صار أحد المعدلين ، ثم استكتبه القائم بأمر الله واستوزره ، ولقبه رئيس الرؤساء ، شرف الوزراء ، جمال الوزراء ، كان متضلماً بعلوم كثيرة مع سداد رأى ، ووفور عقل ، وقد مكث في الوزارة ثلثي عشرة سنة وشهراً ، ثم قتله البساسيري بعد ما شهره كما تقدم ، وله من العمر ثلثان وخمسون سنة وخمسة أشهر .

﴿ منصور بن الحسين ﴾

أبو الفوارس الأسدي ، صاحب الجزيرة ، توفي فيها وأقاموا ولده بعده .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ﴾

استهلت هذه السنة وبغداد في حكم البساسيري ، بخطب فيها لصاحب مصر الفاطمي ، والخليفة العباسي بمحديثة عانة ، ثم لما كان يوم الاثنين ثاني عشر صفر أحضر القضاة أبا عبد الله الدامغاني وجماعة من الوجوه والأعيان والأشراف ، وأخذ عليهم البيعة لصاحب مصر المستنصر الفاطمي ، ثم دخل دار الخلافة وهؤلاء المذكورون معه وأمر بنقض تاج دار الخلافة ، فنقض بعض الشراري ، ثم

قيل له إن القبح في هذا أكثر من المصلحة . فتركه ، ثم ركب إلى زيارة المشهد بالكوفة ، وعزم على عبور نهر جعفر ليسوق إلى الخائر لوفاء نذر كان عليه ، وأمر بأن تنقل جثة ابن مسلمة إلى ما يقارب الحرم الظاهري ، وأن تنصب على دجلة . وكتبت إليه أم الخليفة - وكانت عجوزاً كبيرة قد بلغت التسعين وهي مختفية في مكان - تشكو إليه الحاجة والفقر وضيق الحال ، فأرسل إليها من نقلها إلى الحرم ، وأخدمها جاريتين ، ورتب لها كل يوم اثني عشر رطلاً من خبز ، وأربعة أرطال من لحم .

فصل

ولما خلاص السلطان طغرل بك من حصره بهمدان وأسر أخاه إبراهيم وقتله ، وتمكن في أمره ، وطابت نفسه ، ولم يبق له في تلك البلاد منازع ، كتب إلى قريش بن بدران يأمره بأن يعيد الخليفة إلى وطنه ، وداره وتوعده على أنه إن لم يفعل ذلك وإلا أحل به بأساً شديداً ، فكتب إليه قريش يتلطف به ويدخل عليه ، ويقول : أنا معك على البساسيري بكل ما أقدر عليه ، حتى يمكنك الله منه ، ولكن أخشى أن أتسرع في أمر يكون فيه على الخليفة مفسدة ، أو تبدر إليه بادرة سوء يكون على عارها ، ولكن سأعمل على ما أمرتني به بكل ما يمكنني ، وأمر برد امرأة الخليفة خاتون إلى دارها وقرارها ، ثم إنه راسل البساسيري بعود الخليفة إلى داره ، وخوفه من جهة الملك طغرل بك ، وقال له فيما قال : إنك دعوتنا إلى طاعة المستنصر الفاطمي ، وبيننا وبينه ستمائة فرسخ ، ولم يأتنا رسول ولا أحد من عنده ، ولم يفكر في شيء مما أرسلنا إليه ، وهذا الملك من ورائنا بالمرصاد ، قريب منا ، وقد جاءني منه كتاب عنوانه : إلى الأمير الجليل علم الدين أبي المعالي قريش بن بدران ، مولى أمير المؤمنين ، من شاهنشاه المعظم ملك المشرق والمغرب طغرل بك ، أبي طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق ، وعلى رأس الكتاب العلامة السلطانية بخط السلطان . حسبي الله ونعم الوكيل . وكان في الكتاب : والآن قد سرت بنا المقادير إلى هلاك كل عدو في الدين ، ولم يبق علينا من المهمات إلا خدمة سيدنا ومولانا القائم بأمر الله أمير المؤمنين ، وإطلاع أهبة إمامته على سرير عزه ، فإن الذي يلزمنا ذلك ، ولا فسحة في التقصير فيه ساعة من الزمان ، وقد أقبلنا بمجنود المشرق وخبولها إلى هذا المهم العظيم ، ونريد من الأمير الجليل علم الدين إبانة النجيج الذي وفق له وتفرد به ، وهو أن يتم وفاءه من إقامته وخدمته ، في باب سيدنا ومولانا أمير المؤمنين ، إما أن يأتي به مكرماً في عزه وإمامته إلى موقف خلافته من مدينة السلام ، ويتمثل بين يديه متولياً أمره ومنفذاً حكمه ، وشاهراً سيفه وقلعه ، وذلك المراد ، وهو خليفتنا وتلك الخدمة بعض ما يجيب له ، ونحن نوليك العراق بأسرها ونصفي لك مشارع برها وبحرها ، لا يطؤها حافر خيل من خيول العجم

شبراً من أراضي تلك المملكة ، إلا ملتصقاً لمعاونتك ومظاهرتك ، وإما أن تحافظ على شخصه العالي بتحويله من القاعة إلى حديقته ، فليجئ ذلك ويكون الأمير الجليل مخيراً بين أن يلقانا أو يقيم حيث شاء فنولية العراق كلها ، ونستخلفه في الخدمة الامامية ، ونصرف أعيننا إلى الممالك الشرقية ، فممتناً لا تقتضى إلا هذا .

فعند ذلك كتب قریش إلى مهوش بن مجلى الذى عنده الخليفة يقول له : إن المصلحة تقتضى تسليم الخليفة إلى ، حتى آخذنى ولك به أماناً ، فامتنع عليه مهارش وقال قد غرني البساسيري ووعدني بأشياء لم أرها ، ولست بمرسله إليك أبداً ، وله في عنقي أيمان كثير فلا أغدرها ، وكان مهارش هذا رجلاً صالحاً ، فقال للخليفة : إن المصلحة تقتضى أن نسير إلى بلد بدر بن مهمل ، وننظر ما يكون من أمر السلطان طفرليك ، فان ظهر دخلنا بغداد ، وإن كانت الأخرى نظراً لأنفسنا ، فاني أخشى من البساسيري أن يأتينا فيحصرنا . فقال له الخليفة : افعل ما فيه المصلحة . فساروا في الحادي عشر من ذي القعدة إلى أن حصلوا بقعة تل عكبرا ، فملقته رسل السلطان طفرليك بالهدايا التي كان أنفذها ، وجاءت الأخبار بأن السلطان طفرليك قد دخل بغداد ، وكان يوماً مشهوداً ، غير أن الجيش نهبوا البلد غير دار الخليفة ، وصودر خاق كثير من التجار ، وأخذت منهم أموال كثيرة ، وشرعوا في عمارة دار الملك ، وأرسل السلطان إلى الخليفة مراكب كثيرة من أنواع الخيول وغيرها ، وسرايق وملابس ، وما يليق بالخليفة في السفر ، أرسل ذلك مع الوزير عميد الملك الكندري ، ولما انتهوا إلى الخليفة أرسلوا بتلك الآلات إليه قبل أن يصلوا إليه ، وقالوا : اضربوا السرايق وليلبس الخليفة ما يليق به ، ثم نجى نحن ونستأذن عليه فلا يأذن لنا إلا بعد ساعة طويلة ، فلما فعلوا ذلك دخل الوزير ومن معه فقبلوا الأرض بين يديه ، وأخبروه بسرور السلطان بسلامته ، وبما حصل من العود إلى بغداد ، وكتب عميد الملك كتاباً إلى السلطان يعلمه بصفة ما جرى ، وأحب أن يضع الخليفة علامته في أعلا الكتاب ليكون أقر لعين السلطان ، وأحضر الوزير دواته ومعها سيف وقال : هذه خدمة السيف والقلم ، فأعجب الخليفة ذلك ، وترحلوا من منزلهم ذلك بعد يومين ، فلما وصلوا النهر وان خرج السلطان لتلقى الخليفة ، فلما وصل السلطان إلى سرايق الخليفة قبل الأرض سبع مرات بين يدي الخليفة ، فأخذ الخليفة محدة فوضعهما بين يديه فأخذها الملك فقبلها ، ثم جلس عليها كما أشار الخليفة ، وقدم إلى الخليفة الحبل الباقوت الأحمر الذي كان لبني بويه ، فوضعه بين يديه ، وأخرج اثنتي عشرة حبة من لؤلؤ كبير ، وقال أرسلان خاتون - يعني زوجة الملك - تخدم الخليفة ، وسأله أن يسبح بهذه المسبحة ، وجعل يعتذر من تأخره عن الحضرة بسبب عصيان أخيه فقتله ، واتفق موت أخى الأكبر أيضاً ، فاشتغلت بترتيب أولاده من بعده ، وأنا شاكر لمهارش بما كان منه من خدمة

أمير المؤمنين ، وأنا ذاهب إن شاء الله خلف الكلاب البساسيري ، فأقتله إن شاء الله ، ثم أدخل الشام وأقبل بصاحب مصر ما ينبغي أن يجازى به من سوء المقاومة ، فدعاه الخليفة ، وأعطى الخليفة للملك سيفاً كان معه ، لم يبق معه من أمور الخلافة سواه ، واستأذن الملك لبقية الجيش أن يخدموا الخليفة ، فرفضت الأستار عن جوانب الحركات ، فلما شاهد الأتراك الخليفة قبلوا الأرض ، ثم دخلوا بغداد يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة ، وكان يوماً مشهوداً : الجيش كله معه والقضاة والأعيان والسلطان آخذ بالجام بغلته ، إلى أن وصل باب الحجرة ، ثم إنه لما وصل الخليفة إلى دار مملكته استأذنه السلطان في الذهاب وراء البساسيري ، فأرسل جيشاً من ناحية الكوفة لينعوه من الدخول إلى الشام ، وخرج هو والناس في التاسع والعشرين من الشهر . وأما البساسيري فإنه مقيم بواسط في جمع غلات وأموارهم لقتال السلطان ، وعنده أن الملك طغربك ومن عنده ليسوا بشيء يخاف منه ، وذلك لما يريد الله تعالى من إهلاكه إن شاء الله .

﴿ صفة مقتل البساسيري وأخذه على يدي السلطان طغربك ﴾

لما سار السلطان وراءه وصلت السرية الأولى فلقوه بأرض واسط ومعه ابن مزيد ، فاقتتلوا هنالك وانهمز أصحابه عنه ، ونجا البساسيري بنفسه على فرس ، فتبعه بعض الفلمان فرمى فرسه بنشابة فألقته إلى الأرض ، فجاء الغلام فضربه على وجهه ولم يعرفه ، وأسره واحد منهم يقال له كسكين ، فحز رأسه وحمله إلى السلطان ، وأخذت الأتراك من جيش البساسيري من الأموال ما عجزوا عن حمله ، ولما وصل الرأس إلى السلطان أمر أن يذهب به إلى بغداد ، وأن يرفع على رمح ، وأن يطاف به في المحال وأن يطوف معه الدباب والبوقات والنفاطون ، وأن يخرج الناس والنساء للفرجة عليه ، ففعل ذلك ، ثم نصب على الطائرة تجاه دار الخليفة ، وقد كان مع البساسيري خلق من البغاددة خرجوا معه ، ظانين أنه سيعود إلى بغداد ، فهلكوا ونهبت أموالهم ، ولم ينبج من أصحابه إلا القليل ، وفر ابن مزيد في ناس قليل إلى البطيحة ، ومعه أولاد البساسيري وأمههم ، وقد سلبتهم الأعراب فلم يتركوا لهم شيئاً . ثم استؤمن لابن مزيد من السلطان ودخل معه بغداد ، وقد نهبت المساكن ما بين واسط والبصرة والأهواز ، وذلك لكثرة الجيش وانتشاره وكثافته . وأما الخليفة فإنه حين عاد إلى دار الخلافة جعل لله عليه أن لا ينام على وطاء ولا يأتيه أحد بطعام إذا كان صائماً ، ولا يخدمه في وضوئه وغسله أحد ، بل يتولى ذلك كله بنفسه لنفسه ، وعاهد الله أن لا يؤذى أحداً ممن آذاه ، وأن يصفح عن من ظلمه ، وقال : ما عاقبت من عصى الله فيك بمثل أن تطيع الله فيه .

وفيهما تولى الملك ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق بلاد حران بعد وفاة أبيه ، بتقرير عمه طغربك ، وكان له من الأخوة سليمان وقاروت بك ، وياقوتى ، فتزوج طغربك بام سليمان .

وفيهما كان بمكة رخص لم يسمع بمثله ، بيع التمر والبركل مائتي رطل بدينار . ولم يحج أحد من أهل العراق فيها ﴿ ترجمة أرسلان أبو الحارث البساسيري التركي ﴾

كان من ممالك بهاء الدولة ، وكان أولاً مملوكاً لرجل من أهل مدينة بسا ، فنسب إليه فقيل له البساسيري ، وتلقب بالملك المظفر ، ثم كان مقدماً كبيراً عند الخليفة القائم بأمر الله ، لا يقطع أمراً دونهُ ، وخطب له على منابر العراق كلها ، ثم طغى وبنى وتمرد ، وعنا وخرج على الخليفة والمسلمين ودعا إلى خلافة الفاطميين ، ثم انقضى أجله في هذه السنة ، وكان دخوله إلى بغداد بأهله في سادس ذى القعدة من سنة خمسين وأربعمائة ، ثم اتفق خروجهم منها في سادس ذى القعدة أيضاً من سنة إحدى وخمسين ، بعد سنة كاملة ، ثم كان خروج الخليفة من بغداد في يوم الثلاثاء الثاني عشر من كانون الأول ، واتفق قتل البساسيري في يوم الثلاثاء الثامن عشر من كانون الأول ، بعد سنة شمسية ، وذلك في ذى الحجة منها . ﴿ الحسن بن الفضل ﴾

أبو علي الشرعقاني المؤدب المقرئ الحافظ للقرآن والقراءات ، واختلف فيها ، كان ضيق الحال فرآه شيخه ابن العلاف ذات يوم وهو يأخذ أوراق الخس من دجلة ويأكلها ، فأعلم ابن المسلمة بحاله ، فأرسل ابن المسلمة غلاماً له وأمره أن يذهب إلى الخزانة التي له بمسجده فيتخذ لها مفتاحاً غير مفتاحه ، ثم كان كل يوم يضع فيها ثلاثة أرطال من خبز السميد ، ودجاجة ، وحلاوة السكر ، فظن أبو علي الشرعقاني أن ذلك كرامة أكرمه الله بها ، وأن هذا الطعام الذي يجده في خزانته من الجنة ، فكتمه زماناً وجعل ينشد :

من أطلعوه على سر فباح به * لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا

وأبعدوه فلم يظفر بقرهم * وأبدلوه فكان الأنس إيجاشا

فلما كان في بعض الأيام ذاكره ابن العلاف في أمره ، وقال له فيما قال : أراك قد مممت فما هذا الأمر ، وأنت رجل فقير ؟ فجعل يلوح ولا يصرح ، ويكنى ولا يفصح ، ثم ألح عليه فأخبره أنه يجد كل يوم في خزانته من طعام الجنة ما يكفيه ، وأن هذا كرامة أكرمه الله بها ، فقال له : ادع لابن المسلمة فإنه الذي يفعل ذلك ، وشرح له صورة الحال ، فكسره ذلك ولم يعجبه .

﴿ علي بن محمود بن إبراهيم بن ماجره ﴾

أبو الحسن الروزني ، شيخ الصوفية ، وإليه ينسب الرباط الروزني ، وقد كان بنى لأبي الحسن شيخه ، وقد صحب أبا عبد الرحمن السلمي ، وقال : صحبت ألف شيخ ، وأحفظ عن كل شيخ حكاية توفي في رمضان عن خمس وثمانين سنة .

﴿ محمد بن علي ﴾

ابن الفتح بن محمد بن علي بن أبي طالب الحربى ، المعروف بالعشارى ، لطول جسده ، وقد سمع الدارقطنى وغيره ، وكان ثقة ديناً صالحاً ، توفى فى جمادى الأولى منها ، وقد نيف على الثمانين

﴿ الونى الفرضى ﴾

الحسين بن محمد بن عبد الله أبو عبد الله الونى ، نسبة إلى ون قرية من أعمال جهستان ، الفرضى شيخ الحربى ، وهو أبو حكيم عبد الله بن إبراهيم ، كان الونى إماماً فى الحساب والفرائض ، وانتفع الناس به ، توفى فيها ببغداد شهيداً فى فتنة البساسيرى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة ﴾

فى يوم الخميس السابع عشر من صفر ، دخل السلطان بغداد مرجمه من واسط ، بعد قتل البساسيرى ، وفى يوم الحادى والعشرين جلس الخليفة فى داره وأحضر الملك طغرل بك ، ومدسماطاً عظيماً فأكل الأمراء منه والعامه ، ثم فى يوم الخميس ثانى ربيع الأول عمل السلطان سماً للناس ، وفى يوم الثلاثاء ناسع جمادى الآخرة قدم الأيرعدة الدين أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين بن أمير المؤمنين القائم بأمر الله . وعمنه ، وله من العمر يومئذ أربع سنين ، صحبة أبى الغنائم ، فتلقاه الناس إجلالاً لجدّه ، وقد ولى الخلافة بعد ذلك ، وصلى المقتدى بأمر الله . وفى رجب وقف أبو الحسن محمد بن هلال العتائى دار كتب ، وهى دار بشارع ابن أبى عوف من غربى بغداد ، ونقل إليها ألف كتاب ، عوضاً عن دار ازدشير التى أحرقت بالكرك . وفى شعبان ملك محمود بن نصر حلب وقلعتها فامتدحه الشعراء . وفيها ملك عطية بن مرداس الرحبة ، وذلك كله منتزع من أيدي الفاطميين . ولم ينج أحد من أهل العراق فيها ، غير أن جماعة اجتمعوا إلى الكوفة وذهبوا مع الخفراء .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أبو منصور الجبلى ﴾

من تلاميذ أبى حامد ، ولى القضاء بباب الطاق . وبحريم دار الخلافة ، وسمع الحديث من جماعة . قال الخطيب : وكتبنا عنه وكان ثقة .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن أبى الفضل أبو محمد الفسوى ، الوالى ، سمع الحديث ، وكان ذكياً فى صناعة الولاية ، ومعرفة التهم والمتهمين من الغرماء ، بلطيف من الصنيع ، كما نقل عنه أنه أوقف بين يديه جماعة اتهموا بسرقة فأتى بكوز يشرب منه ، فرمى به فانزعج الواقفون إلا واحداً ، فأمر به أن يقرر ، وقال السارق يكون جرماً قوياً ، فوجد الأمر كذلك ، وقد قتل مرة رجلاً فى ضرب بين يديه فادعى عليه عند القاضى أبى الطيب ، فحكم عليه بالقصاص ، ثم فادى عن نفسه بمال جزيل حتى خلاص .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عروس ، أبو الفضل البزار ، انتهت إليه رئاسة الفقهاء المالكيين ببغداد ، وكان من القراء الجيدين ، وأهل الحديث المسندين ، سمع ابن حبانة والخاص وابن شاهين ، وقد قبل شهادته أبو عبد الله الدامغانى ، وكان أحد المعدلين .

﴿ قطر الندى ﴾

ويقال الدجى ، ويقال علم ، أم الخليفة القائم بأمر الله ، كانت عجوزاً كبيرة ، بلغت التسعين ، وهى التى احتاجت فى زمان البساسيرى فأجرى عليها رزقا ، وأخدمها جارييتين ، ثم لم تمت حتى أقر الله عينها بولدها ، ورجوعه إليها ، واستمر أمرهم على ما كانوا عليه ، ثم توفيت فى هذه السنة ، فحضر ولدها الخليفة جنازتها ، وكانت حافلة جدا .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ﴾

ففيها خطب الملك طغرل بك ابنة الخليفة ، فانزعج الخليفة من ذلك ، وقال : هذا شئ لم يجر العادة بمثله ، ثم طالب شيئا كثيرا كهيئة الفرار . من ذلك ما كان لزوجه التى توفيت من الاقطاعات بأرض واسط ، وثلثمائة ألف دينار ، وأن يقيم الملك ببغداد لا يرحل عنها ولا يوماً واحداً ، فوقع الاتفاق على بعض ذلك ، وأرسل إليها بمائة ألف دينار مع ابنة أخيه داود زوجة الخليفة ، وأشياء كثيرة من آنية الذهب والفضة ، والنار والجواري ، ومن الجواهر ألغان ومائتى قطعة ، من ذلك سبعمائة قطعة من جواهر ، وزن القطعة ما بين الثلاث مثاقيل إلى المثقال ، وأشياء أخرى . فتمنع الخليفة لفوات بعض الشروط ، فغضب عميد الملك الوزير لمخدومه السلطان ، وجرت شروط طويلة اقتضت أن أرسل السلطان كتاباً يأمر الخليفة بانزعاج ابنة أخيه السيدة أرسلان خاتون ، ونقلها من دار الخلافة إلى دار الملك ، حتى تنفصل هذه القضية ، فعزم الخليفة على الرحيل من بغداد ، فانزعج الناس لذلك ، وجاء كتاب السلطان إلى رئيس شحنة بغداد برشتق يأمره بعدم المراقبة وكثرة العسف فى مقابلة رد أصحابه بالحرمان ، ويعزم على نقل الخاتون إلى دار المملكة ، وأرسل من يحملها إلى البلد التى هو فيها ، كل ذلك غضباً على الخليفة . قال ابن الجوزى : وفى رمضان منها رأى إنسان من الزمنى رسول الله ﷺ فى المنام وهو قائم ومعه ثلاثة أنفس ، فجاءه أحدهم فقال له : ألا تقوم ؟ فقال : لا أستطيع ، أنا رجل مقعد ، فأخذ بيده فقال قم فقام وانتبه ، فاذا هو قد برأ وأصبح يمشى فى حوائجه . وفى ربيع الآخر استوزر الخليفة أبا الفتح منصور بن أحمد بن دارست الأهوازي ، وخلع عليه وجلس فى مجلس الوزارة . وفى جمادى الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفاً عظيماً ، جميع القرص غاب ، فمكث الناس أربع ساعات حتى بدت النجوم وآوت الطيور إلى أوكارها ، وترك الطيران

لشدة الظلمة . وفيها ولى أبو تميم بن معز الدولة بلاد إفريقية . وفيها ولى ابن نصر الدولة أحمد بن مروان الكردي ديار بكر . وفيها ولى قر يش بن بدران بلاد الموصل ونصيبين . وفيها خلع على طراد ابن محمد الزينبي الملقب بالكامل نقابة الطالبين ، ولقب المرتضى . وفيها ضمن أبو إسحاق بن علاء اليهودي ، ضياع الخليفة من صرصر إلى أوائ ، كل سنة ستة وثمانين ألف دينار ، وسبع عشرة ألف كر من غلة . ولم يحج أحد من أهل العراق هذه السنة .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن مروان ﴾

أبو نصر الكردي ، صاحب بلاد بكر وميا فارقين ، لقبه القادر نصر الدولة ، وملك هذه البلاد ثنتين وخمسين سنة ، وتنعم تنهما لم يقع لأحد من أهل زمانه ، ولا أدركه فيه أحد من أقرانه ، وكان عنده خمسمائة سرية سوى من يخدمه ، وعنده خمسمائة خادم ، وكان عنده من المغنيات شئ كثير كل واحدة مشتراها خمسة آلاف دينار ، وأكثر ، وكان يحضر في مجلسه من آلات اللهو والأوائ ما يساوي مائتي ألف دينار ، وتزوج بعدة من بنات الملوك ، وكان كثير المهادنة للملوك ، إذا قصده عدو أرسل إليه بمقدار ما يصلح به ، فيرجع عنه .

وقد أرسل إلى الملك طغرل بك بهدية عظيمة حين ملك العراق ، من ذلك جبل من ياقوت كان لبني بويه اشتراه منهم بشئ كثير ، ومائة ألف دينار ، وغير ذلك ، وقد وزر له أبو القاسم المعري مرتين ، ووزر له أيضاً أبو نصر محمد بن محمد بن حمير ، وكانت بلاده آن البلاد ، وأطيبها وأكثرها عدلاً ، وقد بلغه أن الطيور تجوع فتجمع في الشتاء من الحبوب التي في القرى فيصطادها الناس ، فأمر بفتح الأهراء وإلقاء ما يكفها من الغلات في مدة الشتاء ، فكانت تكون في ضيافته طول الشتاء مدة عمره ، توفى في هذه السنة وقد قارب الثمانين . قال ابن خلكان : قال ابن الأزرقي في تاريخه : إنه لم يصادر أحداً من رعيته سوى رجل واحد ، ولم تفته صلاة مع كثرة مباشرته للذات ، وكان له ثلاثمائة وستون حظية ، يبيت عند كل واحدة ليلة في السنة ، وخاف أولاداً كثيرة ، ولم يزل على ذلك إلى أن توفى في التاسع والعشرين من شوال منها .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها وردت الكتب الكثيرة من الملك طغرل بك يشكو من قلة إنصاف الخليفة ، وعدم موافقته له ، ويذكر ما أسداه إليه من الخير والنعم إلى ملوك الأطراف ، وقاضى القضاة الدامغانى ، فلما رأى الخليفة ذلك ، وأن الملك أرسل إلى نوابه بالاحتياط على أموال الخليفة ، كتب إلى الملك ببجيبة إلى ما سأل ، فلما وصل ذلك إلى الملك فرح فرحاً شديداً ، وأرسل إلى نوابه أن يطلقوا أملاك الخليفة ، واتفقت الكلمة بعد أن كادت تتفرق ، فوكل الخليفة في المقعد . فوقع المقعد بمدينة تبريز بمحضرة

الملك طغرل بك ، وعمل سباطاً عظيماً ، فلما جرى بالوكالة قام لها الملك وقبل الأرض عند رؤيتها ، ودعا للخليفة دعاء كثيراً ، ثم أوجب العقد على صداق أر بمائة ألف دينار ، وذلك في يوم الخميس الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، ثم بعث ابنة أخيه الخاتون زوجة الخليفة في شوال بتحف كثيرة ، وجوهر وذهب كثير ، وجواهر عديدة ثمينة ، وهدايا عظيمة لأُم العروس وأهلها ، وقال الملك جهره للناس : أنا عبد الخليفة ما بقيت ، لا أملك شيئاً سوى ما على من الثياب . وفيها عزل الخليفة وزيره واستوزر أبا نصر محمد بن محمد بن جبير ، استقدمه من ميفارقين . وفيها عم الرخص جميع الأرض حتى بيع بالبصرة كل ألف رطل تمر بثمان قراريط ، ولم يحجج فيها أحد .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ثمال بن صالح ﴾

معرالدولة ، صاحب حلب ، كان حليماً كريماً وقوراً . ذكر ابن الجوزي أن الفراش تقدم إليه ليفسل يده فصدمت بلبلة الابريق ثنيته فسقطت في الطست ، فغفا عنه

﴿ الحسن بن علي بن محمد ﴾

أبو محمد الجوهري ، ولد في شعبان سنة ثلاث وستين ، وسمع الحديث على جماعة ، وتفرد بمشايع كثيرين ، منهم أبو بكر بن مالك القطيعي ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في ذي القعدة منها

﴿ الحسين بن أبي زيد ﴾

أبو علي الدباغ . قال رأيت رسول الله ﷺ في المنام . فقلت : يا رسول الله ادع الله أن يمتحنني على الاسلام . فقال : وعلى السنة ﴿ سعد بن محمد بن منصور ﴾

أبو المحاسن الجرجاني ، كان رئيساً قديماً ، وجه رسولاً إلى الملك محمود بن سبكتكين في حدود سنة عشر ، وكان من الفقهاء العلماء ، تخرج به جماعة ، وروى الحديث عن جماعة ، وعقد له مجلس المناظرة ببلدان كثيرة ، وقتل ظلماً باستراياذ في رجب منها رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها دخل السلطان طغرل بك بغداد ، وعزم الخليفة على تلقيه ، ثم ترك ذلك وأرسل وزيره أبا نصر عوضاً عنه ، وكان من الجيش أذية كثيرة للناس في الطريق ، وتعرضوا للحريم حتى هجموا على النساء في الحمامات ، فخلصهن منهم العامة بعد جهدها بالله وإنا إليه راجعون .

﴿ ذكر دخول الملك طغرل بك على بنت الخليفة ﴾

لما استقر السلطان ببغداد أرسل وزيره عميد الملك إلى الخليفة يطالبه بنقل ابنته إلى دار المملكة فتمنع الخليفة من ذلك وقال : إنكم إنما سألتم أن يعقد العقد فقط بحصول التشريف والتزمت لها بعد المطالبة ، فتردد الناس في ذلك بين الخليفة والملك ، وأرسل الملك زيادة على النقد مائة ألف دينار

ومائة وخمسين ألف درهم ، وتحفاً آخر ، وأشياء لطيفة ، فلما كان ليلة الاثنين الخامس عشر من صفر زفت السيدة ابنة الخليفة إلى دار المملكة ، فضربت لها السراقات من دجلة إلى دار المملكة ، وضربت الدباب والبوقات عند دخولها إلى الدار ، فلما دخلت أجلس على سرير مكلل بالذهب ، وعلى وجهها برقع ، ودخل الملك طغرى بك فوقف بين يديها فقبل الأرض ، ولم تقم له ولم تره ، ولم يجلس حتى انصرف إلى صحن الدار ، والحجاب والأثراك يرقصون هناك فرحاً وسروراً ، وبث لها مع الخاتون زوجة الخليفة عقدين فاخرين ، وقطعة يا قوت حمراء ، كبيرة هائلة ، ودخل من الغد فقبل الأرض وجلس على سرير مكلل بالفضة بازائها ساعة ، ثم خرج وأرسل لها جواهر كثيرة ثمينة وفرجية نسج بالذهب مكلل بالحب ، وما زال كذلك كل يوم يدخل ويقبل الأرض ويجلس على سرير بازائها ، ثم يخرج عنها ويبيع بالتحف والهدايا ، ولم يكن منه إليها شيء ، مقدار سبعة أيام ، وبعد كل يوم من هذه الأيام السبعة سماً هائلاً ، وخلع في اليوم السابع على جميع الأمراء ، ثم عرض له سفر واعتراه مرض فاستأذن الخليفة في الانصراف بالسيدة معه إلى تلك البلاد ، ثم يعود بها ، فأذن له بعد تمنع شديد ، وحزن عظيم ، فخرج بها وليس معها من دار الخلافة سوى ثلاث نسوة ، برسم خدمتها ، وقد تأملت والدتها لفقدها ألماً شديداً ، وخرج السلطان وهو مريض مدنف مأبوس منه ،

فلما كانت ليلة الأحد الرابع والعشرين من رمضان جاء الخبر بأنه توفي في ثامن الشهر ، فثار العيارون فقتلوا العميد وسبعائة من أصحابه ، ونهبوا الأموال ، وجعلوا ياكلون ويشربون على القتل نهاراً ، حتى انسلخ الشهر وأخذت البيعة بعده لولد أخيه سليمان بن داود ، وكان طغرى بك قد نص عليه وأوصى إليه ، لأنه كان قد تزوج بأمه ، وانفقت الكلمة عليه ، ولم يبق عليه خوف إلا من جهة أخى سليمان ، وهو الملك عضد الدولة ألب أرسلان ، محمد بن داود ، فإن الجيش كانوا يميلون إليه ، وقد خطب له أهل الجبل ومعه نظام الملك أبو على الحسن بن على بن إسحاق وزيره ، ولما رأى الكندري قوة أمره خطب له بالرى ، ثم من بعده لأخيه سليمان بن داود .

وقد كان الملك طغرى بك حليماً كثير الاحتمال ، شديد الكتمان للسمر ، محافظاً على الصلوات ، وعلى صوم الاثنين والخميس ، مواظباً على لبس البياض ، وكان عمره يوم مات سبعين سنة ، ولم يترك ولداً ، وملك بحضرة القائم بأمر الله سبع سنين وإحدى عشر شهراً ، وأثنى عشر يوماً ، ولما مات اضطربت الأحوال وانتقضت بعده جداً ، وعاثت الأعراب في سواد بغداد وأرض العراق ، ينهبون ، وتعدت الزراعة إلا على الحظيرة ، فانزعج الناس لذلك .

وفيهما كانت زلزلة عظيمة بواسطة أرض الشام ، فهدمت قطعة من سور طرابلس . وفيها وقع بالناس موتان بالجدري والفجأة ، ووقع بمصر وباء شديد ، كان يخرج منها كل يوم ألف جنازة . وفيها

ملك الصليحي صاحب اليمن مكة ، وجلب الاقوات إليها ، وأحسن إلى أهلها . وفي أوائلها طلبت الست أرسلان زوجة الخليفة النقلة من عنده إلى عمها ، وذلك لما هجرها وبارت عنده ، فبعثها مع الوزير الكندري إلى عمها ، فلما وصلت إليه كان مريضاً مدنفاً ، فأرسل إلى الخليفة يعتب عليه في تهاونه بها ، فكتب الخليفة إليه ارجعها :

ذهبت شررتي وولي الغرام * وارنجاع الشباب ملا يرام
أذهبت مني الليالي جديدا * والليالي يضمفن والأيام
فعلى ما عهدته من شبابي * وعلى الغانيات مني السلام

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ زهير بن علي بن الحسن بن حزام ﴾
أبو نصر الحزامي ، ورد بغداد وتلقاه على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع بالبصرة سنن أبي داود على القاضي أبي عمر ، وحدث بالكثير ، وكان يرجع إليه في الفتاوى ، وحل المشكلات ، وكانت وفاته بسرخص فيها .

صاحب آمد ، ويقال إنه سم ، فانتقم صاحب ميا فارقين ممن سمه ، فقطعه قطعاً .

﴿ الملك أبو طالب ﴾

محمد بن ميكائيل بن سلجوق طغرل بك ، كان أول ملوك السلاجقة ، وكان خيراً مصلحاً ، محافظاً على الصلاة في أول وقتها ، يديم صيام الاثنين والخميس ، حلها عن أساء إليه ، كتوماً للاسرار سعيداً في حركاته ، ملك في أيام مسعود بن محمود عامة بلاد خراسان ، واستناب أخاه داود وأخاه لأمه إبراهيم بن نبال ، وأولاد إخوته ، على كثير من البلاد ، ثم استدعاه الخليفة إلى ملك بغداد كما تقدم ذلك كله مبسوطاً . توفي في ثامن رمضان من هذه السنة ، وله من العمر سبعون سنة ، وكان له في الملك ثلاثون سنة ، منها في ملك العراق ثمان سنين إلا ثمانية عشر يوماً .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وأربع مائة ﴾

فيها قبض السلطان ألب أرسلان على وزير عمه عميد الملك الكندري ، وسجنه ببيته ثم أرسل إليه من قتله ، واعتمد في الوزارة على نظام الملك ، وكان وزير صدق ، يكرم العلماء والفقراء ، ولما عصى الملك شهاب الدولة قتلش ، وخرج عن الطاعة ، وأراد أخذ ألب أرسلان ، خاف منه ألب أرسلان فقال له الوزير : أيها الملك لا تخف ، فاني قد استدمت لك جنوداً ما بارزوا عسكرياً إلا كسروه ، كائناً ما كان . قال له الملك : من هم ؟ قال : جنود يدعون لك وينصرونك بالتوجه في صلواتهم وخلواتهم ، وهم العلماء والفقراء الصالحاء . فطابت نفس الملك بذلك ، فحين التقى مع قتلش لم ينظره أن كسره ، وقتل خلقاً من جنوده ، وقتل قتلش في المعركة ، واجتمعت الكلمة على ألب أرسلان .

وفيها أرسل ولده ملكشاه ووزيره نظام الملك هذا في جنود عظيمة إلى بلاد الكرخ ، ففتحوا حصونها كثيرة ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وفرح المسلمون بنصرهم ، وكتب كتاب ولده على ابنة الخان الأعظم صاحب ما وراء النهر ، وزفت إليه ، وزوج ابنه الآخر بابنة صاحب غزنة ، واجتمع شمل الملكين السلاجقي والمحمودي .

وفيها أذن ألب أرسلان لابنة الخليفة في الرجوع إلى أبيها ، وأرسل معها بعض القضاة والأمراء فدخلت بغداد في تجمّل عظيم ، وخرج الناس لينظروا إليها ، فدخلت ليلاً ، وفرح الخليفة وأهلها بذلك ، وأمر الخليفة بالدعاء لألب أرسلان على المنابر في الخطب ، فقبل في الدعاء : اللهم وأصلح السلطان المعظم ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، ألب أرسلان أبا شجاع محمد بن داود ، ثم أرسل الخليفة إلى الملك بالخلع والتقديد مع الشريف نقيب النقباء ، طراد بن محمد ، وأبي محمد التميمي ، وموفق الخادم واستقر أمر السلطان ألب أرسلان على العراق . قال ابن الجوزي : وفي ربيع الأول شاع في بغداد أن قومًا من الأكراد خرجوا يتصيدون فراؤا في البرية خياماً سوداً ، سمعوا بها لطمًا شديداً ، وعويلاً كثيراً ، وقائلاً يقول : قد مات سيدوك ملك الجن ، وأى بلد لم يلطم به عليه ، ولم يقم له مأتم فيه . قال : فخرج النساء العواهر من حريم بغداد إلى المقابر ياطمن ثلاثة أيام ، ويخرقن ثيابهن وينشرن شعورهن ، وخرج رجال من الفساق يفعلون ذلك ، وفعل هذا بواسط وخوزستان وغيرها من البلاد ، قال : وهذا من الحق لم ينقل مثله . قال ابن الجوزي : وفي يوم الجمعة ثاني عشر شعبان هجم قوم من أصحاب عبد الصمد على أبي علي بن الوليد ، المدرس للمعتزلة فسبوه وشتموه لامتناعه من الصلاة في الجامع ، وتدرسه للناس بهذا المذهب ، وأهانوه وجروه ، ولعنّت المعتزلة في جامع المنصور ، وجاس أبو سعيد بن أبي عمارة وجعل يلعن المعتزلة . وفي شوال ورد الخبر أن السلطان غزا بلداً عظيماً فيه ستمائة ألف دنليز ، وألف بيعة ودير ، وقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسر خمسمائة ألف إنسان .

وفي ذي القعدة حدث بالناس وباء شديد ببغداد وغيرها من بلاد العراق ، وغلت أسعار الأدوية ، وقل الترهندي ، وزاد الحر في تشارين ، وفسد الهواء ، وفي هذا الشهر خلع على أبي الغنائم المعمر بن محمد بن عبيد الله العلوي بنقابة الطالبين ، وولاية الحج والمظالم ، ولقب بالظاهر ذي المناقب ، وقرئ تقليده في الموكب . وحج أهل العراق في هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ ابن حزم الظاهري ﴾

هو الأمام الحافظ العلامة ، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معد بن سفيان بن يزيد ، مولى يزيد بن أبي سفيان صخر بن حرب الأموي ، أصل جده من فارس ، أسلم وخلف المذكور ، وهو أول من دخل بلاد المغرب منهم ، وكانت بلدهم قرطبة ، فولد ابن

حزم هذا بها في سابع رمضان ، سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، فقرأ القرآن واشتغل بالعلوم النافعة الشرعية ، وبرز فيها وفاق أهل زمانه ، وصنف الكتب المشهورة ، يقال إنه صنف أربع مائة مجلد في قريب من ثمانين ألف ورقة ، وكان أديباً طيباً شاعراً فصيحاً ، له في الطب والمنطق كتب ، وكان من بيت ووزارة ورياسة ، ووجاهة ومال وثروة ، وكان مصاحباً للشيخ أبي عمر بن عبد البر النمري ، وكان مناوئاً للشيخ أبي الوليد سليمان بن خلف الباجي ، وقد جرت بينهما مناظرات يطول ذكرها . وكان ابن حزم كثير الوقعة في العلماء بلسانه وقلبه ، فأورثه ذلك حقدا في قلوب أهل زمانه ، وما زالوا به حتى بغضوه إلى ولو كهم ، فطردوه عن بلاده ، حتى كانت وفاته في قرية له في شعبان من هذه السنة وقد جاوز الثمسين . والعجب كل العجب منه أنه كان ظاهراً حائراً في الفروع ، لا يقول : بشئ من القياس لا الجلي ولا غيره ، وهذا الذي وضعه عند العلماء ، وأدخل عليه خطأ كبيراً في نظره وتصرفه وكان مع هذا من أشد الناس تأويلاً في باب الأصول ، وآيات الصفات وأحاديث الصفات ، لأنه كان أولاً قد تضلع من علم المنطق ، أخذته عن محمد بن الحسن المذحجي الكنتاني القرطبي ، ذكره ابن ماكولا وابن خلكان ، ففسد بذلك حاله في باب الصفات .

﴿ عبد الواحد بن علي بن برهان ﴾

أبو القاسم النحوي ، كان شرس الأخلاق جداً ، لم يلبس سراويل قط ولا غطى رأسه ولم يقبل عطاء لأحد ، وذكر عنه أنه كان يقبل المردان من غير ريبة . قال ابن عقيل : وكان على مذهب مرجئة المعتزلة وينفي خلود الكفار في النار ، ويقول : دوام العقاب في حق من لا يجوز عليه التشفي لوجه له ، مع ما وصف الله به نفسه من الرحمة ، ويتأول قوله تعالى (خالدين فيها أبداً) أي أبداً من الآباد . قال ابن الجوزي : وقد كان ابن برهان يقدح في أصحاب أحمد ويخالف اعتقاد المسلمين لأنه قد خالف الأجماع ، ثم ذكر كلامه في هذا وغيره والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وأربعمائة ﴾

فيها سار جماعة من العراق إلى الحج بخفارة ، فلم يمكنهم المسير فعدلوا إلى الكوفة ورجعوا . وفي ذى الحجة منها شرع في بناء المدرسة النظامية ، ونقض لأجلها دور كثيرة من مشرعة الزوايا ، وباب البصرة . وفيها كانت حروب كثيرة بين تميم بن العزيز وباديس ، وأولاد حماد ، والعرب والمغاربة بصنهاجة وزناتة . وحج بالناس من بغداد النقيب أبو الغنائم .

وفيها كان مقتل عميد الملك الكندري ، وهو منصور بن محمد أبو نصر الكندري ، وزير طغرل بك ، وكان مسجوناً سنة ثمانية ، ولما قتل حمل فدفن عند أبيه بقرية كندرة ، من عمل طريث ، وليست بكندرة التي هي بالقرب من قزوين . واستحوذ السلطان على أمواله وحواصله ، وقد كان

ذكيًا فصيحًا شاعرًا ، لديه فضائل جمّة ، حاضر الجواب سريع . ولما أرسله طغرل بك إلى الخليفة يطلب ابنته ، وامتنع الخليفة من ذلك وأنشد متمثلاً بقول الشاعر * ما كل ما يتمنى المرء يدركه * فأجابه الوزير تمام قوله * تجري الرياح بما لا يشتهي السفن * فسكت الخليفة وأطرق . قتل عن نيف وأربعين سنة . ومن شعره قوله :

إن كان في الناس ضيق عن منافسقى * فالوت قد وسع الدنيا على الناس

مضيت والشامت المغبون يتبعني * كل السكاس المنيا شارب حامى

وقد بعثه الملك طغرل بك يخطب له امرأة خوارزم شاه فتزوجها هو ، فخصاه الملك وأمره على عمله فدفن ذكره بخوارزم ، وسفح دمه حين قتل بمرور الروذ ، ودفن جسده بقرينته ، وحمل رأسه فدفن بنيسابور ، ونقل قحف رأسه إلى كرمان ، وأنا أشهد أن الله جامع الخلائق إلى ميقات يوم معلوم أين كانوا ، وحيث كانوا ، وعلى أى صفة كانوا سبحانه وتعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وأربعمائة ﴾

في يوم عاشوراء أغلق أهل الكرخ دكاكينهم وأحضرُوا نساء ينحن على الحسين ، كما جرت به عادتهم السالفة في بدعتهم المتقدمة المخالفة ، فحين وقع ذلك أنكرته العامة ، وطلب الخليفة أبا الفتح وأنكر عليه ذلك . فاعتذر إليه بأنه لم يعلم به ، وأنه حين علم أزاله ، وتردد أهل الكرخ إلى الديوان يعتذرون من ذلك ، وخرج التوقيع بكفر من سب الصحابة وأظهر البدع . قال ابن الجوزي : في ربيع الأول ولد لبيب الأرج صبية لها رأسان ووجهان ورقبتان وأربع أيد ، على بدن كامل ثم ماتت . قال : وفي جمادى الآخرة كانت بخراسان زلزلة مكثت أياماً ، تصدعت منها الجبال ، وهلك جماعة ، وخسف بعمدة قرى ، وخرج الناس إلى الصحراء وأقاموا هنالك ، ووقع حريق بنهر يعلى فاحترق مائة دكان وثلاثة دور ، وذهب للناس شيء كثير ، ونهب بعضهم بعضاً . قال ابن الجوزي وفي شعبان وقع قتال بدمشق فأحرقوا داراً كانت قريبة من الجامع ، فاحترق جامع دمشق . كذا قال ابن الجوزي : والصحيح المشهور أن حريق جامع دمشق إنما هو في ليلة النصف من شعبان سنة إحدى وستين وأربعمائة بعد ثلاث سنين مما قال ، وأن غلمان الفاطميين اقتتلوا مع غلمان العباسيين فألقيت نار بدار الإمارة ، وهى الخضراء ، فاحترقت وتعدى حريقها حتى وصل إلى الجامع فسقطت سقفه ، وبادت زخرفته ، وتلف رخامه ، وبقي كأنه خربة ، وبادت الخضراء فصارت كوماً من تراب بعد ما كانت فى غاية الأحكام والانتان ، وطيب الفناء ، ونزهة المجالس ، وحسن المنظر ، فهى إلى يومنا هذا لا يسكنها لرداءة مكانها إلا سفلة الناس وأسقاطهم ، بعد ما كانت دار الخلافة والملك والإمارة ، منذ أسسها معاوية بن أبى سفيان ، وأما الجامع الأموى فإنه لم يكن على وجه الأرض

شئ أحسن منه ولا أبهى منظرا ، إلى أن احترق فبقى خرابا مدة طويلة ثم شرع الملوك في تجديده وترميمه ، حتى بلبط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، ولم يزالوا في تحسين معاملة إلى زماننا هذا ، فمائل وهو بالنسبة إلى حاله الأول كلا شئ ، ولا زال التحسين فيه إلى أيام الأمير سيف الدين بتكتز بن عبد الله الناصري ، في حدود سنة ثلاث وسبعمائة ، وما قبلها وما بعدها يسير .

وفيهما رخصت الأسعار ببغداد رخصاً كثيراً ، ونقصت دجلة نقصاً بينا . وفيها أخذ الملك ألب أرسلان العهد بالملك من بعده لولده ملكشاه ، ومشى بين يديه بالغاشية والأمراء يمشون بين يديه ، وكان يوماً مشهوداً . وحج بالناس فيها نور الهدى أبو طالب الحسين بن نظام الحضرتين الزينبي وجاور بمكة .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الحافظ الكبير أبو بكر البيهقي ﴾

أحمد بن الحسين بن علي بن عبد الله بن موسى أبو بكر البيهقي ، له التصانيف التي سارت بها الركبان إلى سائر الأمصار ، ولد سنة أربع وثمانين وثلثمائة ، وكان أوحداً أهل زمانه في الاتقان والحفظ والفقه والتصنيف ، كان فقيهاً محدثاً أصولياً ، أخذ العلم عن الحاكم أبي عبد الله النيسابوري ، وسمع على غيره شيئاً كثيراً ، وجمع أشياء كثيرة نافعة لم يسبق إلى مثلها ، ولا يدرك فيها ، منها كتاب السنن الكبير ، ونصوص الشافعي كل في عشر مجلدات ، والسنن الصغير ، والآثار ، والمدخل ، والآداب وشعب الإيمان ، والخلافات ، ودلائل النبوة ، والبعث والنشور ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار المفيدة ، التي لا تسامى ولا تدانى ، وكان زاهداً متقللاً من الدنيا ، كثير العبادة والورع ، توفي بنيسابور ، ونقل تابوته إلى بهقي في جمادى الأولى منها .

﴿ الحسن بن غالب ﴾

ابن علي بن غالب بن منصور بن صعلوك ، أبو علي النيمى ، ويعرف بابن المبارك المقرئ ، صاحب ابن سميون ، وقرأ القرآن على حروف أنكرت عليه ، وجرب عليه الكذب ، إما عمداً وإما خطأ ، واتهم في رواية كثيرة ، وكان أبو بكر القزويني ممن ينكر عليه ، وكتب عليه محضر بعدم الاقراء بالحروف المنكرة ، قال أبو محمد السمرقندي كان كذاباً ، توفي فيها عن ثنتين وثمانين سنة ، ودفن عند إبراهيم الحربي . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن أبي الفتح نصر بن محمد العمري المروزي ، ثم غلب عليه الحديث واشتهر به ، ورحل في طلبه .

﴿ القاضي أبو يعلى بن الفراء الحنبلي ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن خلف بن أحمد الفراء القاضي ، أبو يعلى شيخ الحنابلة ، ومهد مذهبهم في الفروع ، ولد في محرم سنة ثمانين وثلثمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وحدث عن ابن حبان . قال

ابن الجوزي : وكان من سادات العلماء الثقات ، وشهد عند ابن ما كولا وابن الدامغاني ققبلاه ، وتولى النظر في الحكم بحريم الخلافة ، وكان إماماً في الفقه ، له التصانيف الحسان الكثيرة في مذهب أحمد ، ودرس وأفتى سنين ، وانتهت إليه رئاسة المذهب ، وانتشرت تصانيفه وأصحابه ، وجمع الامامة والفقه والصدق ، وحسن الخلق ، والتعبد والتقشف والخشوع ، وحسن السمات ، والصمت عما لا يعني توفي في العشرين من رمضان منها عن ثمان وسبعين سنة ، واجتمع في جنازته القضاة والأعيان ، وكان يوماً حاراً ، فأفطر بعض من اتبع جنازته ، وترك من البنين عبيد الله أبا القاسم ، وأبا الحسين وأبا حازم ، ورآه بعضهم في المنام فقال : ما فعل الله بك ؟ فقال : رحمني وغفر لي وأكرمني ، ورفع منزلتي ، وجعل يمد ذلك بأصبعه ، فقال : بالعلم ؟ فقال : بل بالصدق .

﴿ ابن سيده ﴾

صاحب الحكم في اللغة ، أبو الحسين علي بن إسماعيل المرسى ، كان إماماً حافظاً في اللغة ، وكان ضريب البصر ، أخذ علم العربية واللغة عن أبيه ، وكان أبوه ضريباً أيضاً ، واشتغل على أبي العلاء صاعد البغدادي ، وله الحكم في مجلدات عديدة ، وله شرح الحاشية في ست مجلدات ، وغير ذلك ، وقرأ على الشيخ أبي عمر الطلمنكي كتاب الغريب لأبي عبيد سرداً من حفظه ، فتعجب الناس لذلك ، وكان الشيخ يقابل بما يقرأ في الكتاب ، فسمع الناس بقرائته من حفظه ، توفي في ربيع الأول منها وله ستون سنة ، وقيل إنه توفي في سنة ثمان وأربعين ، والأول أصح ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخسين وأربعمائة ﴾

فيها بنى أبو سعيد المستوفي الملقب بشرف الملك ، مشهد الامام أبي حنيفة ببغداد ، وعقد عليه قبة ، وعمل بازائه مدرسة ، فدخل أبو جعفر بن البياض زائراً لأبي حنيفة فأنشد :

ألم تر أن العلم كان مضيعاً * فجعله هذا المغيب في الوجد
كذلك كانت هذه الأرض ميتة * فأنشدها جود العميد أبي السعد

وفيها هبت ريح حارة فمات بسببها خلق كثير ، وورد أن ببغداد تلف شجر كثير من الليمون والاترج . وفيها احترق قبر معروف الكرخي ، وكان سببه أن القيم طبخ له ماء الشمير لمرضه فتمدت النار إلى الأخشاب فاحترق المشهد . وفيها وقع غلاء وفناء بدمشق وحلب وحران ، وأعمال خراسان بكاملها ، ووقع الفناء في الدواب : كانت تفتفخ رؤسها وأعينها حتى كان الناس يأخذون حمر الوحش بالأيدي ، وكانوا يأنفون من أكلها .

قال ابن الجوزي في المنتظم : وفي يوم السبت عاشر ذي القعدة جمع العميد أبو سعيد الناس ليحضروا الدرس بالنظامية ببغداد ، وعين لتدريسها وشيختها الشيخ أبا إسحاق الشيرازي ، فلما

تكمال اجتماع الناس وجاء أبو إسحاق ليدرس لقيه فقيه شاب فقال : يا سيدي تذهب تدرس في مكان مغصوب ؟ فامتنع أبو إسحاق من الحضور ورجع إلى بيته ، فأقيم الشيخ أبو نصر الصباغ فدرس ، فلما بلغ نظام الملك ذلك تغيظ على العميد وأرسل إلى الشيخ أبي إسحاق فردده إلى التدريس بالنظامية ، في ذي الحجة من هذه السنة ، وكان لا يصلى فيها مكتوبة ، بل كان يخرج إلى بعض المساجد فيصلى ، لما بلغه من أنها مغصوبة ، وقد كان مدة تدريس ابن الصباغ فيها عشرين يوماً ، ثم عاد أبو إسحاق إليها . وفي ذي القعدة من هذه السنة قتل الصليحي أمير اليمن وصاحب مكة قتله بعض أمراء اليمن ، وخطب للقائم بأمر الله العباسي . وفيها حج بالناس أبو الغنائم النقيب . ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن إسماعيل بن محمد ﴾

أبو علي الطرسوسي ، ويقال له العراقي ، لظرفه وطول مقامه بها ، سمع الحديث من أبي طاهر الخصاص ، وتفقه على أبي محمد الباقي ، ثم على الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وولى قضاء بلدة طرسوس وكان من الفقهاء الفضلاء المبرزين .

﴿ ثم دخلت سنة ستين وأربعمائة من الهجرة النبوية ﴾

قال ابن الجوزي : في جمادى الأولى كانت زلزلة بأرض فلسطين ، أهلكت بلد الرملة ، ورمت شراريف من مسجد رسول الله ﷺ ، ولحقت وادي الصفر وخيبر ، وانشقت الأرض عن كنوز كثيرة من المال ، وبلغ حسها إلى الرحبة والكوفة ، وجاء كتاب بعض التجار فيه ذكر هذه الزلزلة وذكر فيه أنها خسفت الرملة جميعاً حتى لم يسلم منها إلا داران فقط ، وهلك منها خمس عشرة ألف نسمة ، وانشقت صخرة بيت المقدس ، ثم عادت فالتأمت ، وغار البحر مسيرة يوم ، وساخ في الأرض وظهر في مكان الماء أشياء من جواهر وغيرها ، ودخل الناس في أرضه يلتقطون ، فرجع عليهم فأهلك كثير منهم ، أو أكثرهم . وفي يوم النصف من جمادى الآخرة قرئ الاعتقاد القادري الذي فيه مذهب أهل السنة ، والانكار على أهل البدع ، وقرأ أبو مسلم الكجي البخاري المحدث كتاب التوحيد لابن خزيمة على الجماعة الحاضرين . وذكر بمحضر من الوزير ابن جهير وجماعة الفقهاء وأهل الكلام ، واعترفوا بالموافقة ، ثم قرئ الاعتقاد القادري على الشريف أبي جعفر بن المقتدى بالله بباب البصرة ، وذلك اسماع له من الخليفة القادر بالله مصنفه .

وفيها عزل الخليفة وزيره أبا نصر محمد بن محمد بن جهير ، الملقب بخر الدولة ، وبعث إليه يماثيه في أشياء كثيرة ، فاعتذر منها وأخذ في الترفق والتذلل ، فأجيب بأن يرحل إلى أي جهة شاء ، فاختار ابن مزيد فباع أصحابه أملاكهم وطلعتوا أنساءهم وأخذ أولاده وأهله وجاء ليركب في سفينة لينحدر منها إلى الحلة ، والناس يقبوا كونه حوله لبكائه ، فلما اجتاز بدار الخلافة قبل الأرض دفعات

والخليفة في الشباك ، والوزير يقول يا أمير المؤمنين ارحم شيعتي وغريبي وأولادي ، فأعيد إلى الوزارة بشماعة ديبس بن مزيد ، في السنة الآتية ، وامتدحه الشعراء ، وفرح الناس برجوعه إلى الوزارة وكان يوماً مشهوداً .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ عبد الملك بن محمد بن يوسف بن منصور ﴾

الملقب بالشيخ الأجل ، كان أوحده زمانه بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والمبادرة إلى فعل الخيرات ، واصطناع الأيادي عند أهلها ، من أهل السنة ، مع شدة القيام على أهل البدع ولعنهم ، وافتراد المستورين بالبر والصدقة ، وإخفاء ذلك جهده وطاقته ، ومن غريب ما وقع له أنه كان يصل إنساناً في كل يوم بعشرة دنانير ، كان يكتب بها معه إلى ابن رضوان ، فلما توفي الشيخ جاء الرجل إلى ابن رضوان فقال : ادفع إلى ما كان يصرف لي الشيخ ، فقال له ابن رضوان : إنه قد مات ولا أصرف لك شيئاً ، فجاء الرجل إلى قبر الشيخ الأجل فقرأ شيئاً من القرآن ودعاه وترحم عليه ، ثم التفت فاذا هو بكاغد فيه عشرة دنانير ، فأخذها وجاء بها إلى ابن رضوان فذكر له ما جرى له ، فقال : هذه سقطت مني اليوم عند قبره فخذها ولك عندي في كل يوم مثلها . توفي في نصف المحرم منها عن خمس وستين سنة ، وكان يوم موته يوماً مشهوداً ، حضره خلق لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، فرحمه الله تعالى .

﴿ أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي ﴾

فقيه الشيعة ، ودفن في مشهد على ، وكان مجاوراً به حين أحرقت داره بالكرخ ، وكتبه ، سنة ثمان وأربعين إلى محرم هذه السنة فتوفي ودفن هناك .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وأربعمائة ﴾

في ليلة النصف من شعبان منها كان حريق جامع دمشق ، وكان سببه أن غلمان الفاطميين والعباسيين اختصموا فألقيت نار بدار الملك ، وهي الخضراء المناخدة للجامع من جهة القبلة ، فاحترقت ، وسرى الحريق إلى الجامع فسقطت سقوفه وتناثرت فصوصه المذهبة ، وتغيرت معالمه ، وتقلعت الفسيفساء التي كانت في أرضه ، وعلى جدرانه ، وتبدلت بضدها ، وقد كانت سقوفه مذهباً كلها ، والجلونات من فوقها ، وجدرانه مذهباً ملونة مصورة فيها جميع بلاد الدنيا ، بحيث إن الإنسان إذا أراد أن يتفرج في إقليم أو بلد وجده في الجامع مصوراً كهيئة ، فلا يسافر إليه ولا يعنى في طلبه ، فقد وجده من قرب الكعبة ومكة فوق الحراب والبلاد كلها شرقاً وغرباً ، كل إقليم في مكان لائق به ، ومصور فيه كل شجرة مثمرة وغير مثمرة ، مصور مشكل في بلدانه وأوطانه ، والستور مرخاة على أبوابه النافذة إلى الصحن ، وعلى أصول الحيطان إلى مقدار الثلث منها ستور ، وباقي الجدران

بالفصوص الملونة ، وأرضه كلها بالفصوص ، ليس فيها بلاط ، بحيث إنه لم يكن في الدنيا بناء أحسن منه ، لا قصور الملوك ولا غيرها ، ثم لما وقع هذا الحريق فيه تبدل الحال الكامل بضده ، وصارت أرضه طينا في زمن الشتاء ، وغباراً في زمن الصيف ، محفورة مهجورة ، ولم يزل كذلك حتى بلط في زمن العادل أبي بكر بن أيوب ، بعد الستمائة سنة من الهجرة ، وكان جميع ما سقط منه من الرخام والفصوص والأخشاب وغيرها ، مودعاً في المشاهد الأربعة ، حتى فرغها من ذلك كمال الدين الشهر زورى ، في زمن العادل نور الدين محمود بن زنكي ، حين ولده نظره مع القضاء ونظر الأوقاف كلها ، ونظر دار الضرب وغير ذلك ، ولم نزل الملوك تجدد في محاسنه إلى زماننا هذا ، فنقارب حاله في زمن تنكيز نائب الشام ، وقد تقدم أن ابن الجوزي أرخ ما ذكرنا في سنة ثمان وخمسين ، وتبعه ابن الساعى أيضاً في هذه السنة ، وكذلك شيخنا الذهبي مؤرخ الاسلام ، وغير واحد . والله أعلم .

وفيهما نعت الخبابة على الشيخ أبي الوفاء بن عقيل ، وهو من كبارهم ، بترده إلى أبي علي بن الوليد المنكلم المعتزلى ، وانهموه بالاعتزال ، وإنما كان يتردد إليه ليحيط علماً بمذهبه ، ولكن شرقة الهوى فشرق شرقة كادت روحه تخرج معها ، وصارت فيه نزعة منه ، وجرت بينه وبينهم فتنة طويلة وتأذى بسببها جماعة منهم ، وما سكنت الفتنة بينهم إلى سنة خمس وستين ، ثم اصطلمحوا فيما بينهم ، بعد اختصام كبير .

وفيهما زادت دجلة على إحدى وعشرين ذراعاً حتى دخل الماء مشهد أبي حنيفة . وفيها ورد الخبر بأن الأفشين دخل بلاد الروم حتى انتهى إلى غورية ، فقتل خلقاً وغنم أموالاً كثيرة . وفيها كان رخص عظيم في الكوفة حتى بيع السمك كل أربعين رطلاً بحبة . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوى ومن توفى فيها من الأعيان .

(الفوراني صاحب الابانة)

أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن أحمد بن فوران الفوراني ، المروزي ، أحد أئمة الشافعية ، ومصنف الابانة التي فيها من النقول الغريبة ، والأقوال والأوجه التي لا توجد إلا فيها ، كان بصيراً بالأصول والفروع ، أخذ الفقه عن القفال ، وحضر إمام الحرمين عنده وهو صغير ، فلم يلتفت إليه ، فصار في نفسه منه ، فهو يخطئه كثيراً في النهاية . قال ابن خلكان : فتي قال في النهاية : وقال بعض المصنفين كذا وغلط في ذلك وشرع في الوقوع فيه فراده أبو القاسم الفوراني . توفى الفوراني في رمضان منها بمرور ، عن ثلاث وسبعين سنة ، وقد كتب تلميذه أبو سعد عبد الرحمن بن محمد المأمون المعري المدرس بالنظامية بمد أبي إسحاق وقبل ابن الصباغ ، وبعده أيضاً ، كتاباً على الابانة ، فسماه تنمة الابانة ، انتهى فيه إلى كتاب الحدود ومات قبل إتمامه ، فتممه أسعد المعلى وغيره ، لم يلحقوا شأوه ولا حاموا حوله ، وسموه تنمة التنمة .

(ثم دخلت سنة اثنتين وستين وأربعمائة)

قال ابن الجوزي : فمن الحوادث فيها أنه كان على ثلاث ساعات في يوم الثلاثاء الحادى عشر من جمادى الأولى ، وهو ثامن عشر من آذار ، كانت زلزلة عظيمة بالرملة وأعمالها ، فذهب أكثرها وانهدم سورها ، وعم ذلك بيت المقدس ونابلس ، وانخسفت إيليا ، وجعل البحر حتى انكشفت أرضه ، ومشى ناس فيه ثم عاد وتغير ، وانهدم إحدى زوايا جامع مصر ، وتبعث هذه الزلزلة في ساعتها زلزلتان أخريان . وفيها توجه ملك الروم من قسطنطينية إلى الشام في ثلثمائة ألف مقاتل ، فنزل على منبج وأحرق القرى ما بين منبج إلى أرض الروم ، وقتل رجالهم وسبى نساءهم وأولادهم ، وفزع المسلمون بحلب وغيرها منه فرعا عظيما ، فأقام سنة عشر يوما ثم رده الله خاسئا وهو حسير ، وذلك لقلة ما معهم من الميرة وهلاك أكثر جيشه بالجوع ، والله الحمد والمنة .

وفيها ضاقت النفقة على أمير مكة فأخذ الذهب من أسنار الكعبة والميزاب وباب الكعبة ، فضرب ذلك دراهم ودنانير ، وكذا فعل صاحب المدينة بالقناديل التي في المسجد النبوى . وفيها كان غلاء شديد بمصر فأكلوا الجيف والميتات والسكراب ، فكان يباع السكراب بخمسة دنانير ، وماتت الفيلة فأكلت ميتاتها ، وأفنيت الدواب فلم يبق لصاحب مصر سوى ثلاثة أفراس ، بعد أن كان له العدد الكثير من الخيل والدواب ، ونزل الوزير يوما عن بغلته فغفل الغلام عنها لضيقه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية ، قد أخذ الناس لحومهم فأكلوها ، وظاهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويدفن رؤسهم وأطرافهم ، ويبيع لحومهم ، فقتل وأكل لحمه ، وكانت الأعراب يقدمون بالطعام يبيعونه في ظاهر البلد ، لا يتجاسرون يدخلون لثلا يخطف وينهب منهم ، وكان لا يجسر أحد أن يدفن ميتة نهاراً ، وإنما يدفنه ليلا خفية ، لثلا ينبش فيؤكل . واحتاج صاحب مصر حتى باع أشياء من نفائس ما عنده ، من ذلك إحدى عشر ألف درع ، وعشرون ألف سيف محلى ، وثمانون ألف قطعة بلور كبار ، وخمسة وسبعون ألف قطعة من الديباج القديم ، وبيعت ثياب النساء والرجال وغير ذلك بأرخص ثمن ، وكذلك الأملاك وغيرها ، وقد كان بعض هذه النفائس للخليفة ، مما نهب من بغداد في وقعة البساسيري .

وفيها وردت التقادم من الملك ألب أرسلان إلى الخليفة . وفيها اسم ولى العهد ابن الخليفة على الدنانير والدرهم ، ومنع التعامل بغيرها ، وصحى المضروب عليه الأميرى . وفيها ورد كتاب صاحب مكة إلى الملك ألب أرسلان وهو بخراسان يخبره بأقامة الخطبة بمكة للقائم بأمر الله والاسلطان ، وقطع خطبة المصريين ، فأرسل إليه بثلاثين ألف دينار وخمسة سنية ، وأجرى له في كل سنة عشرة آلاف دينار . وفيها تزوج عميد الدولة ابن جهمير بابتنة نظام الملك بالرى . وحج بالناس أبو الغنائم العلوى ،

وفيهما توفي من الأعيان والمشاهير . ﴿ الحسن بن علي ﴾

ابن محمد أبو الجواز الواسطي ، سكن بغداد دهرا طويلا ، وكان شاعرا أديبا ظريفا ، ولد سنة ثنتين وخمسين وثلاثمائة ، ومات في هذه السنة عن مائة وعشر سنين . ومن مستجاد شعره قوله واحسرتي من قولها * قد خان عهدي ولها * وحق من صيرني * وقفنا عليها ولها ماخطرت بخاطري * إلا كستني ولها

﴿ محمد بن أحمد بن سهل ﴾

المعروف بابن بشران النحوي الواسطي ، ولد سنة ثمانين وثلاثمائة ، وكان عالما بالأدب ، وانتهت إليه الرحلة في اللغة ، وله شعر حسن ، فنه قوله :

يا شائدآ للقصور مهلا * أقصر فقصر الفتى المعات
لم يجتمع شمل أهل قصر * إلا قصاراهم الشتات
وإنما العيش مثل ظل * منتقل ماله ثبات

وقوله ودعهم ولي الدنيا مودعة * ورحت مالي سوى ذكراهم وطر

وقلت يا لذتي يدي لبينهم * كأن صفو حياتي بعدهم كبر
لولا تعمل قلبي بالرجاء لهم * ألفيته إن حدوا بالعيس ينفطر

يا ليت عيسهم يوم النوى نحرت * أوليتها للضواري بالغلا جزر
يا ساعة البين أنت الساعة اقتربت * يالوعة البين أنت النار تستعر

وقوله طلبت صديقا في البرية كلها * فأعيا طلابي أن أصيب صديقا

بلى من ممى بالصدق مجازه * ولم يك في معنى الوداد صدوقا

فطلقت ود العالمين ثلاثة * وأصبحت من أسرار الحفاظ طليقا

وفيهما أقبل ملك الروم أرماتوس في جحافل أمثال الجبال من الروم والكرخ والفرنج ، وعدد عظيم وعدد ، ومعه خمسة وثلاثون ألفا من البطارقة ، مع كل بطريق مائتا ألف فارس ، ومعه من الفرنج خمسة وثلاثون ألفا ، ومن الغزاة الذين يسكنون القسطنطينية خمسة عشر ألفا ، ومعه مائة ألف نقاب وحفار ، وألف روزجاري ، ومعه أربع مائة عجلة تحمل النعال والمسامير ، وألفا عجلة تحمل السلاح والسروج والفرادات والمناجيق ، منها منجنيق عدة ألف ومائتا رحل ، ومن عزمه قبجه الله أن يبيد الاسلام وأهله ، وقد أقطع بطارقه البلاد حتى بغداد ، واستوصى نائبها بالخليفة خيرا ، فقال له : أرفق بذلك الشيخ فإنه صاحبنا ، ثم إذا استوثقت ممالك العراق وخراسان لهم مالوا على الشام وأهله ميلة واحدة ، فاستعادوه من أيدي المسلمين ، والقدر يقول (لعمرك إنهم لفي سكرتهم يعمهون)

فالتقاء السلطان ألب أرسلان في جيشه وهم قريب من عشرين ألفاً ، بمكان يقال له الزهوة ، في يوم الأربعاء الخامس بقين من ذي القعدة ، وخاف السلطان من كثرة جند ملك الروم ، فأشار عليه الفقيه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري بأن يكون وقت الوقعة يوم الجمعة بعد الزوال حين يكون الخطباء يدعون للمجاهدين ، فلما كان ذلك الوقت وتوافق الفريقان وتواجه الفتيان ، نزل السلطان عن فرسه وسجد لله عز وجل ، ومرغ وجهه في التراب ودعا الله واستنصره ، فأُنزل نصره على المسلمين ، ومنعهم أكتافهم فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وأسروا ملكهم أرماتوس ، أسره غلام رومي ، فلما أوقف بين يدي الملك ألب أرسلان ضرب به بيده ثلاث مقارع وقال : لو كنت أنا الأسير بين يديك ما كنت تفعل ؟ قال : كل قبيح ، قال : فما ظنك بي ؟ فقال : إما أن تقتل وتشهرني في بلادك ، وإما أن تعفو وتأخذ الفداء وتعيديني . قال : ما عزمتم على غير العفو والفداء . فافندي نفسه منه بألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار . فقام بين يدي الملك وسقاه شربة من ماء وقبّل الأرض بين يديه ، وقبّل الأرض إلى جهة الخليفة إجلالاً وإكراماً ، وأطلق له الملك عشرة آلاف دينار ليتجهز بها ، وأطلق معه جماعة من البطارقة وشيعه فرسخاً ، وأرسل معه جيشاً يحفظونه إلى بلاده ، ومعهم راية مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، فلما انتهى إلى بلاده وجد الروم قد ملكوا عليهم غيره ، فأرسل إلى السلطان يعتذر إليه ، وبعث من الذهب والجواهر ما يقارب ثلاثمائة ألف دينار ، وتزهد ولبس الصوف ثم استغاث بملك الأرمن فأخذه وكهله وأرسله إلى السلطان يتقرب إليه بذلك .

وفيها خطب محمود بن مرداس للقائم وللسلطان ألب أرسلان ، فبعث إليه الخليفة بالخلع والهدايا والتحف ، والعهد مع طراد . وفيها حج بالناس أبو الفنائم العلوي ، وخطب بمكة للقائم ، وقطعت خطبة المصريين منها ، وكان يخطب لهم فيها من نحو مائة سنة ، فانقطع ذلك . وفيها توفي من الأعيان .

(أحمد بن علي)

ابن ثابت بن أحمد بن مهدي ، أبو بكر الخطيب البغدادي ، أحد مشاهير الحفاظ ، وصاحب تاريخ بغداد وغيره من المصنفات العديدة المفيدة ، نحو من ستين مصنفًا ، ويقال بل مائة مصنف . فأنه أعلم . ولد سنة إحدى وتسعين وثلثمائة ، وقيل سنة ثنتين وتسعين ، وأول سماعه سنة ثلاث وأربعمائة ، ونشأ ببغداد ، وتفقه على أبي طالب الطبري وغيره من أصحاب الشيخ أبي حامد الاسفرايني ، وسمع الحديث الكثير ، ورحل إلى البصرة ونيسابور وأصبهان وهمدان والشام والحجاز ، وسمي الخطيب لأنه كان يخطب بدرب ربحان ، وسمع بمكة على القاضي أبي عبد الله محمد بن سلامة القضاعي ، وقرأ صحيح البخاري على كريمة بنت أحمد في خمسة أيام ، ورجع إلى بغداد وحظي عند الوزير أبي القاسم بن مسعدة ، ولما ادعى اليهود الخيابة أن معهم كتاباً نبوياً فيه إسقاط الجزية

عنهم أوقف ابن مسلمة الخطيب على هذا الكتاب . فقال : هذا كذب ، فقال له : وما الدليل على كذبه ؟ فقال : لأن فيه شهادة معاوية بن أبي سفيان ولم يكن أسلم يوم خيبر ، وقد كانت خيبر في سنة سبع من الهجرة ، وإنما أسلم معاوية يوم الفتح ، وفيه شهادة سعد بن معاذ ، وقد مات قبل خيبر عام الخندق سنة خمس . فأعجب الناس ذلك . وقد سبق الخطيب إلى هذا النقل ، سبقه محمد جرير كما ذكرت ذلك في مصنف مفرد ، ولما وقعت فتنة البساسيري ببغداد سنة خمسين خرج الخطيب إلى الشام فأقام بدمشق بالمأذنة الشرقية من جامعها ، وكان يقرأ على الناس الحديث ، وكان جمهوري الصوت ، يسمع صوته من أرجاء الجامع كلها ، فاتفق أنه قرأ على الناس يوماً فضائل العباس فنار عليه الروافض من أتباع الفاطميين ، فأرادوا قتله فدفن بالشرية الزينية فأجاره ، وكان مسكنه بدار العقبة ، ثم خرج من دمشق فأقام بمدينة صور ، فكتب شيئاً كثيراً من مصنفات أبي عبد الله الصوري بخطه كان يستعيرها من زوجته ، فلم يزل مقبلاً بالشام إلى سنة ثنتين وستين ، ثم عاد إلى بغداد فحدث بأشياء من مسوغاته ، وقد كان سأل الله أن يملك ألف دينار ، وأن يحدث بالتاريخ بجامع المنصور ، فملك ألف دينار أو ما يقاربها ذهباً ، وحين احتضر كان عنده قريب من مائتي دينار ، فأوصى بها لأهل الحديث ، وسأل السلطان أن يعطى ذلك ، فانه لا يترك وارثاً ، فأجيب إلى ذلك ، وله مصنفات كثيرة مفيدة ، منها كتاب التاريخ ، وكتاب الكفاية ، والجامع ، وشرف أصحاب الحديث ، والمنفق والمفترق ، والسابق واللاحق ، وتلخيص المتشابه في الرسم ، وفضل الوصل ، ورواية الآباء عن الأبناء ، ورواية الصحابة عن التابعين ، واقتضاء العلم للعمل ، والفقيه والمتفقه ، وغير ذلك . وقد سردها ابن الجوزي في المنتظم . قال ويقال : إن هذه المصنفات أكثرها لأبي عبد الله الصوري ، أو ابتدأها فتممها الخطيب ، وجعلها لنفسه ، وقد كان الخطيب حسن القراءة فصيح اللفظ عارفاً بالأدب يقول الشعر ، وكان أولاً يتكلم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، فانتقل عنه إلى مذهب الشافعي ، ثم صار يتكلم في أصحاب أحمد ويقدم فيهم ما أمكنه ، وله دسائس عجيبة في ذمهم ، ثم شرع ابن الجوزي ينتصر لأصحاب أحمد ويذكر مثالب الخطيب ودسائسه ، وما كان عليه من محبة الدنيا والميل إلى أهلها بما يطول ذكره ، وقد أورد ابن الجوزي من شعره قصيدة جيدة المطامع حسنة المنزع أولها قوله :

لعمرك ما شجاني رسم دار * وقفت به ولا رسم المغاني
ولا أثر الخيام أراق دمي * لأجل تذكرى عهد الغواني
ولا ملك الهوى يوماً قيادي * ولا عاصيته فتني عناني
ولم أطعمه في وكم قنيل * له في الناس ما تحصى دعاني

عرفت فعاله بذوى التصابي * وما يلقون من ذل الهوان
 طلبت أخاً صحيح الود محظي * سليم الغيب محنوظ اللسان
 فلم أعرف من الاخوان إلا * نفاقاً في التباعد والذنان
 وعالم دهرنا لا خير فيهم * ترى صوراً تروق بلامعاني
 ووصف جميعهم هذا فما أن * أقول سوى فلان أو فلان
 ولما لم أجد حراً يوانى * على ما ناب من صرف الزمان
 صبرت تكراً لفراع دهرى * ولم أجزع لما منه دهانى
 ولم أك في الشدائد مستكيناً * أقول لها ألا كفى كفانى
 ولكنى صليب العود عود * ربيط الجأش مجتمع الجنان
 أبى النفس لا أختار رزقا * يجبى بغير سيفى أو سنانى
 فمز فى لظى باغيه يهوى * ألد من المذلة فى الجنان

وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة كمادته وأورد له من شعره قوله :

لا يغبطن أخا الدنيا لخرقها * ولا للذة عيش عجلت فرحا
 فالدهر أسرع شئ فى تقلبه * وفعله بين للخلق قد وضحا
 كم شارب عسلا فيه منيته * وكم مقلد سيفاً من قر به ذبحا

توفى يوم الاثنين ضحى من ذى الحجة منها ، وله ثلثان وسبعون سنة ، فى حجرة كان يسكنها
 بدرب السلسلة ، جوار المدرسة النظامية ، واحتفل الناس بجنائزه ، وحمل نعشه فيمن حمل الشيخ أبو
 إسحاق الشيرازى ، ودفن إلى جانب قبر بشر الحافى ، فى قبر رجل كان قد أعد له نفسه ، فستل أن
 يتركه للخطيب فشج به ولم تسمح نفسه ، حتى قال له بعض الحاضرين : بالله عليك لو جلست أنت
 والخطيب إلى بشر أيكما كان يجلسه إلى جانبه ؟ فقال : الخطيب ، فقيل له : فاسمح له به ، فوهبه منه
 فدفن فيه رحمه الله وسامحه ، وهو ممن قيل فيه وفى أمثاله قول الشاعر :

ما زلت تدأب فى التاريخ مجتهداً * حتى رأيتك فى التاريخ مكتوباً

﴿حسان بن سعيد﴾

ابن حسان بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن منيع بن خالد بن عبد الرحمن بن خالد بن
 الوليد الخزومي المنيعي ، كان فى شبابه يجمع بين الزهد والتجارة حتى ساد أهل زمانه ، ثم ترك ذلك ،
 وأقبل على العبادة والزهد والبر والصلة والصدقة وغير ذلك ، وبناء المساجد والرباطات ، وكان السلطان
 يأتى إليه ويتبرك به ، ولما وقع الغلاء كان يعمل كل يوم شيئاً كثيراً من الخبز والأطعمة ، ويتصدق به

وكان يكسو في كل سنة قريباً من ألف فقير ثياباً وجباً ، وكذلك كان يكسو الأرامل وغيرهن من النساء ، وكان يجهز البنات الأيتام وبنات الفقراء ، وأسقط شيئاً كثيراً من المكوس والوظائف السلطانية عن بلاد نيسابور ، وقرأها وهو مع ذلك في غاية التبذل والثياب والأطمار ، وترك الشهوات ولم يزل كذلك إلى أن توفي في هذه السنة ، في بلدة مرو الروز ، تغمده الله برحمته ، ورفع درجته ، ولا خيب الله له سعيًا .

﴿ أمين بن محمد بن الحسن بن حمزة ﴾

أبو علي الجعفري فقيه الشيعة في زمانه ﴿ محمد بن وشاح بن عبد الله ﴾ أبو علي مولى أبي تمام محمد بن علي بن الحسن الزينبي ، سمع الحديث ، وكان أديباً شاعراً ، وكان ينسب إلى الاعتزال والرفض ، ومن شعره قوله :

حملت المصا لا الضمف أوجب حملها * علي ولا أنى نحلت من الكبر
ولكنني ألزمت نفسي حملها * لأعلمها أن المقيم على سفر

﴿ الشيخ الأجل أبو عمر عبد البر النخعي ﴾

صاحب التصانيف المليحة الهائلة ، منها التمهيد ، والاستندكار ، والاستيعاب ، وغير ذلك .
﴿ ابن زيدون ﴾ الشاعر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن غالب بن زيدون أبو الوليد ، الشاعر الماهر الأندلسي القرطبي ، اتصل بالأمير المعتمد بن عباد ، صاحب إشبيلية ، فحظي عنده وصار مشاوراً في منزلة الوزير ، ثم وزرله ولولده أبي بكر بن أبي الوليد ، وهو صاحب القصيدة الفراقية التي يقول فيها :

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا * شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
تكاد حين تناجيكم ضمائرنا * يقضى عليها الاسبى لولا تأسينا
حالت لبعدمكم أيامنا ففدت * سودا وكانت بكم بيضا لباينا
بالامس كنا ولا نخشى تفرقنا * واليوم نحن ولا يرجى تلاقينا

وهي طويلة وفيها صنعة قوية مهيجة على البكاء لكل من قرأها أو سمعها ، لأنه ما من أحد إلا فارق خلا أو حبيباً أو نسيباً ، وله أيضاً :

بينى وبينك ما لو شئت لم يضع * سر إذا ذاعت الاسرار لم يذع
يا بائماً حظه منى ولو بذلت * لي الحياة بحظي منه لم أبع
يكفيك أنك لو حملت قلبي ما * لانستطيع قلوب الناس يستطع
ته احتمل واستنطل أصبر وعزهن * وول أقبل وقل أسمع ومر أطمع

توفي في رجب منها واستمر ولده أبو بكر وزيراً للمعتد بن عباد ، حتى أخذ ابن ياسين قرطبة من يده في سنة أربع وثمانين ، فقتل يومئذ . قاله ابن خلكان .

﴿ كريمة بذت أحمد ﴾

ابن محمد بن أبي حاتم المروزي ، كانت عالة صالحة ، سمعت صحيح البخاري على الكشميهني ، وقرأ عليها الأئمة كخطيب وأبي المظفر السمعاني وغيرهما .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وأربعمائة ﴾

فيها قام الشيخ أبو إسحاق الشيرازي مع الحنابلة في الإنكار على المفسدين ، والذين يبيعون الخور ، وفي إبطال المواجرات وهن البغايا ، وكتبوا إلى السلطان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد ارتجت لها الأرض ست مرات . وفيها كان غلاء شديد وموتان ذريع في الحيوانات ، بحيث إن بعض الرعاة بخراسان قام وقت الصباح ليسرح بغنمه فاذاهن قدمتن كاهن ، وجاء سبيل عظيم وبرد كبار أتلف شيئاً كثيراً من الزروع والثمار بخراسان . وفيها تزوج الأمير عدة الدين ولد الخليفة بآبنة السلطان ألب أرسلان « سفي خان » وذلك بنيسابور ، وكان وكيل السلطان نظام الملك ، ووكيل الزوج عميد الدولة ابن جهير ، وحين عقد العقد نثر على الناس جواهر نفيسة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ زكريا بن محمد بن حيد ﴾

أبو منصور النيسابوري ، كان يزعم أنه من سلالة عثمان بن عفان ، وروى الحديث عن أبي بكر بن المذهب ، وكان ثقة . توفي في الحرم منها وقد قارب الثمانين .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو الحسن الهاشمي ، خطيب جامع المنصور ، كان ممن يلبس القلائس الطوال ، حدث عن ابن زرقويه وغيره ، روى عنه الخطيب ، وكان ثقة عدلاً شهد عند ابن الدامغان وابن ماكولا فقبلاه توفي عن ثمانين سنة ودفن بقرب قبر بشر الحافي .

﴿ محمد بن أحمد بن شاره ﴾

ابن جعفر أبو عبد الله الأصفهاني ، ولي القضاء بدجيل ، وكان شافعيّاً ، روى الحديث عن أبي عمرو بن مهدي ، توفي ببغداد ونقل إلى دجيل من عمل واسط ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وأربعمائة ﴾

في يوم الخميس حادي عشر الحرم حضر إلى الديوان أبو الوفاء علي بن محمد بن عقيل العقيلي الحنبلي ، وقد كتب على نفسه كتاباً يتضمن توبته من الاعتزال ، وأنه رجع عن اعتقاد كون الحلاج

من أهل الحق والخير ، وأنه قد رجع عن الجزء الذي عمله في ذلك ، وأن الخلاص قد قتل باجماع علماء أهل عصره على زندقته ، وأنهم كانوا مصيبين في قتله وما رموه به ، وهو مخطئ ، وأشهد عليه جماعة من الكتاب ، ورجع من الديوان إلى دار الشريف أبي جعفر فسلم عليه وصالحه واعتذر إليه ، فعظمه ﴿ وفاة السلطان ألب أرسلان وملك ولده ملكشاه ﴾

كان السلطان قد سار في أول هذه السنة يريد أن يغزو بلاد ما وراء النهر ، فاتفق في بعض المنازل أنه غضب على رجل يقال له يوسف الخوارزمي ، فأوقف بين يديه فشرع يماثبه في أشياء صدرت منه ، ثم أمر أن يضرب له أربعة أوتاد ويصلب بينها ، فقال للسلطان : يا مخذول ومثلي يقتل هكذا ؟ فاحتد السلطان من ذلك وأمر بارساله وأخذ القوس فرماه بسهم فأخطاه ، وأقبل يوسف نحو السلطان فنهض السلطان عن السرير خوفاً منه ، فنزل عنه فعمر فوق فادركه يوسف فضربه بمخنجر كان معه في خاصرته فقتله ، وأدرك الجيش يوسف فقتلوه ، وقد جرح السلطان جرحاً منكراً ، فتوفي في يوم السبت عاشر ربيع الأول من هذه السنة ، ويقال إن أهل بخارى لما اجتاز بهم نهب عسكره أشياء كثيرة لهم ، فدعوا عليه فهلك .

ولما توفي جلس ولده ملكشاه على سرير الملك وقام الأمراء بين يديه ، فقال له الوزير نظام الملك : تكلم أيها السلطان ، فقال : ألا كبير منكم أبي والأوسط أخي والأصغر ابني ، وسأفعل معكم ما لم أسبق إليه . فأمسكوا فأعاد القول فأجابوه بالسمع والطاعة . وقام بأعباء أمره الوزير نظام الملك فزاد في أرزاق الجند سبعمائة ألف دينار ، وسار إلى مرو فدفنوا بها السلطان ، ولما بلغ موته أهل بغداد أقام الناس له العزاء ، وغلقت الأسواق وأظهر الخليفة الجزع ، وخلعت ابنة السلطان زوجة الخليفة ثيابها ، وجلست على التراب ، وجاءت كتب ملكشاه إلى الخليفة يتأسف فيها على والده ، ويسأل أن تقام له الخطبة بالعراق وغيرها . ففعل الخليفة ذلك ، وخلع ملكشاه على الوزير نظام الملك خلعاً سنياً ، وأعطاه تحفا كثيرة ، من جملتها عشرون ألف دينار ، ولقبه أتابك الجيوش ، ومعناه الأمير الكبير الوالد ، فسار سيرة حسنة ، ولما بلغ قاورت موت أخيه ألب أرسلان ركب في جيوش كثيرة قاصداً قتال ابن أخيه ملكشاه ، فالتقيا فاقتتلا فانهزم أصحاب قاورت وأسروه ، فأنبه ابن أخيه ثم اعتقله ثم أرسل إليه من قتله .

وفيها جرت فتنة عظيمة بين أهل الكرخ وباب البصرة والقلابين فاقتتلوا فقتل منهم خلق كثير ، واحترق جانب كبير من الكرخ ، فانتقم المتولى لأهل الكرخ من أهل باب البصرة ، فأخذ منهم أموالاً كثيرة جنائية لهم على ما صنعوا . وفيها أقيمت الدعوة العباسية ببيت المقدس . وفيها ملك صاحب سمرقند وهو محمد التكين مدينة ترمذ . وفيها حج بالناس أبو الغنائم العلوي .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ السلطان ألب أرسلان ﴾

الملقب بسلطان العالم ، ابن داود جفرى بك ، بن ميكائيل بن سلجوق التركي ، صاحب الممالك المتسعة ، ملك بعد عمه طغرل بك سبع سنين وستة أشهر وأياماً ، وكان عادلاً يسير في الناس سيرة حسنة ، كريمًا رحيمًا ، شفوفاً على الرعية ، رفيقاً على الفقراء ، باراً بأهله وأصحابه ومماليكه ، كثير الدعاء بدوام النعم به عليه ، كثير الصدقات ، يتفقد الفقراء في كل رمضان بخمسة عشر ألف دينار ، ولا يعرف في زمانه جنابة ولا مصادرة ، بل كان يقنع من الرعية بالخراج في قسطين ، رفقاً بهم . كتب إليه بعض السعاة في نظام الملك وزيره وذكر ماله في ممالكه فاستدعاه فقال له : خذ إن كان هذا صحيحاً فهدب أخلاقك وأصلح أحوالك ، وإن كذبوا فاغفر له زلته ، وكان شديد الحرص على حفظ مال الرعايا ، بلغه أن غلاماً من غلمانه أخذ إزاراً لبعض أصحابه فصلبته فارتدع سائر المماليك به خوفاً من سطوته ، وترك من الأولاد ملككشاه وإياز ونكشور وبوري برس وأرسلان وارغو وسارة وعائشة وبنينا أخرى ، توفي في هذه السنة عن إحدى وأربعين سنة ، ودفن عند والده بالرى رحمه الله .

﴿ أبو القاسم القشيري ﴾

صاحب الرسالة ، عبد الكريم بن هوازن بن عبد المطلب بن طلحة ، أبو القاسم القشيري ، وأمه من بني سليم ، توفي أبوه وهو طفل فقرأ الآداب والعربية ، وصحب الشيخ أبا علي الدقاق ، وأخذ الفقه عن أبي بكر بن محمد الطوسي ، وأخذ الكلام عن أبي بكر بن فورك وصنف الكثير ، وله التفسير والرسالة التي ترجم فيها جماعة من المشايخ الصالحين ، وحجج صحبة إمام الحرمين وأبي بكر البيهقي ، وكان يعظ الناس ، توفي بذيابور في هذه السنة عن سبعين سنة ، ودفن إلى جانب شيخه أبي علي الدقاق ، ولم يدخل أحد من أهله بيت كتبه إلا بعد سنين ، احتراماً له ، وكان له فرس يركبها قد أهديت له ، فلما توفي لم تأكل علفاً حتى نفقت بعده بيسير فانت ، ذكره ابن الجوزي ، وقد أثنى عليه ابن خلكان ثناء كثيراً ، وذكر شيئا من شعره من ذلك قوله :

سقى الله وقتنا كنت أخلو بوجهكم * وثغر الهوى في روضة الأنس ضاحك

أقنا زمانا والعيون قريرة * وأصبحت يوماً والجفون سوافك

وقوله لو كنت ساعة بيننا ما بيننا * وشهدت حين فراقنا التوديعا

أيقنت أن من الدموع محدنا * وعلمت أن من الحديث دموعا

وقوله ومن كان في طول الهوى ذاق سلوة * فاني من ليلي لها غير ذائق

وأكثر شيء نلت من وصلها * أماني لم تصدق كخطفة بارق

﴿ ابن صرّبر ﴾

الشاعر اسمه علي بن الحسين بن علي بن الفضل ، أبو منصور الكاتب المعروف بابن صرّبر
وكان نظام الملك يقول له أنت صرّدر لا صرّبر ، وقد هجاه بعضهم فقال :

لئن لقب الناس قدماً أباك * وسعوه من شحه صرّبراً

فانك تنثر ما صره * عقوقاً له وتسميه شعراً

قال ابن الجوزي : وهذا ظلم فاحش فان شعره في غاية الحسن ، ثم أورد له أبياتاً حسناً فمن ذلك :

أني أحاديث نعمان وساكنه * أن الحديث عن الاحباب أسرار

أفتش الريح عنكم كلما نفحت * من نحو أرضكم مسكاً ومعطار

قال : وقد حفظ القرآن وسمع الحديث من ابن شيران وغيره ، وحدث كثيراً ، وركب يوماً دابة
هو والدته فسقط بالشونيزية عنها في بئر فمات فدفن ببرر ، وذلك في صفر من هذه السنة ، قال ابن
الجوزي : قرأت بخط ابن عقيل صرّبر جازناً بالرصافة ، وكان ينفذ بالاحداد ، وقد أورد له ابن خلكان
شيئاً من أشعاره ، وأثنى عليه في فنه والله أعلم بحاله .

﴿ محمد بن علي ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهتدي بالله ، أبو الحسين ، ويعرف بابن العريف ، ولد
سنة سبعين وثلثمائة وسمع الدارقطني ، وهو آخر من حدث عنه في الدنيا ، وابن شاهين وتفرد عنه ،
وسمع خلقاً آخرين ، وكان ثقة ديناً كثير الصلاة والصيام ، وكان يقال له راهب بني هاشم ، وكان
غزير العلم والعقل ، كثير التلاوة ، رقيق القلب غزير الدمعة ، وقد رحل إليه الطلبة من الآفاق ،
ثم ثقل سمعه ، وكان يقرأ على الناس ، وذهبت إحدى عينيه ، وخطب وله ست عشرة سنة ، وشهد
عند الحكم سنة ست وأربعمائة ، وولى الحكم سنة تسع وأربعمائة ، وأقام خطيباً بجامع المنصور
وجامع الرصافة ستاً وسبعين سنة ، وحكم ستاً وخمسين سنة ، وتوفي في سلخ ذي القعدة من هذه السنة
وقد جاوز تسعين سنة ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً ، ورئيت له منامات صالحة حسنة ، رحمه الله
وسامحه ورحمنا وسامحنا ، إنه قريب مجيب ، رحيم ودود .

﴿ ثم دخلت سنة ست وستين وأربعمائة ﴾

في صفر منها جلس الخليفة جلوساً عاماً وعلى رأسه حفيده الأمير عدة الدين ، أبو القاسم عبد الله
ابن المهتدي بالله ، وعمره يومئذ ثمانى عشرة سنة ، وهو في غاية الحسن ، وحضر الأمراء والكبراء
فقد الخليفة بيده لواء السلطان ملكشاه ، كثير الزحام يومها ، وهنأ الناس بعضهم بعضاً بالسلامة .

﴿ غرق بغداد ﴾

في جمادى الآخرة نزل مطر عظيم وسيل قوى كثير ، وسالت دجلة وزادت حتى غرقت جانباً كبيراً من بغداد ، حتى خاض ذلك إلى دار الخلافة ، فخرج الجوارى حاسرات عن وجوههن ، حتى صرن إلى الجانب الغربي ، وهرب الخليفة من مجلسه فلم يجد طريقاً يسلكه ، فحمله بعض الخدم إلى الناج ، وكان ذلك يوماً عظيماً ، وأمراً هائلاً ، وهلك للناس أموال كثيرة جداً . ومات تحت الردم خلق كثير من أهل بغداد والغرباء وجاء على وجه السيل من الأخشاب والأحطاب والوحوش والحيات شيء كثير جداً ، وسقطت دور كثيرة في الجانبين ، وغرقت قبور كثيرة ، من ذلك قبر الخيزران ومقبرة أحمد بن حنبل . ودخل الماء من شبابيك المارستان العضدي وأتلف السيل في الموصل شيئاً كثيراً ، وصدم سور سنجار فهدمه : وأخذ بابه من موضعه إلى مسيرة أربعة فراسخ . وفي ذى الحجة منها جاءت ريح شديدة في أرض البصرة فانجرفت منها نحو من عشرة آلاف نخلة . ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن السمناني ﴾

الحنفي الأشعري . قال ابن الجوزي : وهذا من الغريب ، تزوج قاضي القضاة ابن الدامغانى ابنته وولاه نيابة القضاة ، وكان ثقة نبيلاً من ذوى الهيئات ، جاوز الثمانين .

﴿ عبد العزيز بن أحمد بن علي ﴾

ابن سليمان ، أبو محمد الكِنَافِي الحافظ الدمشقي ، جمع الكثير ، وكان يعلو من حفظه ، وكتب عنه الخطيب حديثاً واحداً ، وكان معظماً ببلده ، ثقة نبيلاً جليلاً .

﴿ الماوردية ﴾

ذكر ابن الجوزي أنها كانت عجوزاً سالحة من أهل البصرة تعظ النساء بها ، وكانت تكتب وتقرأ ، ومكثت خمسين سنة من عمرها لا تفطر نهراً ولا تنام ليلاً ، وتقتات بخبز الباقلا ، وتأكل من الثين اليابس لا الرطب ، وشيئاً يسيراً من العنب والزيت ، وربما أكلت من اللحم اليسير ، وحين توفيت تبع أهل البلد جنازتها ودفنت في مقابر الصالحين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وأربعمائة ﴾

في صفر منها مرض الخليفة القائم بأمر الله مرضاً شديداً انتفخ منه حلقه ، وامتنع من الفصد ، فلم يزل الوزير يغر الدولة عليه حتى اقتصد وانصلح الحال ، وكان الناس قد انزعجوا وفرحوا بمافيته وجاء في هذا الشهر سيل عظيم قاسى الناس منه شدة عظيمة ، ولم تكن أكثر أبنية بغداد تكاملت من الفرق الأول ، فخرج الناس إلى الصحراء فجلسوا على رؤس النول تحت المطر ، ووقع وباء عظيم بالرحبة ، فمات من أهلها قريب من عشرة آلاف ، وكذلك وقع بواسط والبصرة وخوزستان وأرض خراسان وغيرها والله أعلم .

﴿ صفة موت الخليفة القائم بأمر الله ﴾

لما افتصد في يوم الخميس الثامن والعشرين من رجب من بواسير كانت تعتاده من عام الفرق ،
ثم نام بعد ذلك فانفجر فصاده ، فاستيقظ وقد سقطت قوته ، وحصل الالاس منه ، فاستدعى بحفيده
وولى عهده عدة الدين أبي القاسم عبد الله بن محمد بن القائم ، وأحضر إليه القضاة والفقهاء وأشهدهم
عليه ثانيا بولاية العهد له من بعده ، فشهدوا ، ثم كانت وفاته ليلة الخميس الثالث عشر من شعبان عن
أربع وتسعين سنة ، وثمانية أشهر ، وثمانية أيام ، وكانت مدة خلافته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر
 وخمسة وعشرين يوماً ، ولم يبلغ أحد من العباسيين قبله هذه المدة ، وقد جاوزت خلافة أبيه قبله
أربعين سنة ، فكان مجموع أيامهما خمساً وثمانين سنة وأشهر ، وذلك مقاوم لدولة بنى أمية جميعها ،
وقد كان القائم بأمر الله جميلاً مليحاً حسن الوجه ، أبيض مشرباً بحمرة ، فصيحاً ورعاً زاهداً ، أديباً
كاتباً بليغاً ، شاعراً ، كما تقدم ذكر شئ من شعره ، وهو بحديثه عانة سنة خمسين ، وكان عادلاً كثير
الاحسان إلى الناس رحمه الله . وغسله الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي عن وصية الخليفة
بذلك ، فلما غسله عرض عليه ما هنالك من الأثاث والأموال ، فلم يقبل منه شيئاً ، وصلى على
الخليفة في صبيحة يوم الخميس المذكور ، ودفن عند أجداده ، ثم نقل إلى الرصافة ، فقبره بزار إلى
الآن وغلقت الأسواق لموته ، وعلقت المسوح ، وناحت عليه نساء الهاشميين وغيرهم ، وجلس
الوزير ابن جهمر وابنه للعزاء على الأرض ، وخرق الناس ثيابهم ، وكان يوماً عصيباً ، واستمر الحال
كذلك ثلاثة أيام ، وقد كان من خيار بنى العباس ديناً واعتقاداً ودولة ، وقد امتحن من بينهم بفتنة
البساسيري التي اقتضت إخراجهم من داره ومفارقة أهله وأولاده ووطنه ، فأقام بحديثة عانة سنة كاملة
ثم أعاد الله تعالى عليه نعمته وخلافته . قال الشاعر :

فأصبحوا قد أعاد الله نعمتهم * إذ هم قريش وإذ ماملهم بشر

وقد تقدم له في ذلك سلف صالح كما قال تعالى (ولقد فتننا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم
أناب) وقد ذكرنا ملخص ما ذكره المفسرون في سورة ص ، وبسطنا الكلام عليه في هذه القصة
العباسية والفتنة البساسيرية في سنة خمسين ، وإحدى وخمسين ، وأربعمئة .

﴿ خلافة المقتدى بأمر الله ﴾

وهو أبو القاسم عدة الدين عبد الله بن الأمير ذخيرة الدين أبي القاسم محمد بن الخليفة القائم
بأمر الله بن القادر العباسي ، وأمه أرمنية تسمى أرجوان ، وتدعى قرّة العين ، وقد أدركت خلافة ولدها
هذا ، وخلافة ولديه من بعده ، المستظهر والمسترشد . وقد كان أبوه توفي وهو حمل ، فحين ولد ذكر
فرح به جده والمسلمون فرحاً شديداً ، إذ حفظ الله على المسلمين بقاء الخلافة في البيت القادري ، لأن

من عداهم كانوا يقبضون في الاسواق ، ويختلطون مع العوام ، وكانت القلوب تنفر من تولية مثل أولئك الخلافة على الناس ، ونشأ هذا في حجر جده القائم بأمر الله يربيه بما يليق بأمثاله ، ويدربه على أحسن السجاياء لله الحمد ، وقد كان المقتدى حين ولى الخلافة عمره عشرين سنة ، وهو في غاية الجمال خلقاً وخلقاً ، وكانت بيعة يوم الجمعة الثالث عشر من شعبان من هذه السنة ، وجلس في دار الشجرة ، بقميص أبيض ، وعمامة بيضاء لطيفة ، وطرحه قصب أدريه ، وجاء الوزراء والأمراء والأشراف ووجوه الناس فبايعوه ، فكان أول من بايعه الشريف أبو جعفر بن أبي موسى الحنبلي ، وأنشده قول الشاعر :

* إذا سيد منا مضى قام سيد *

ثم أرتج عليه فلم يدر ما بعده ، فقال الخليفة * قوول بما قال الكرام فعول * وبايعه من شيوخ العلم الشيخ أبو إسحاق الشيرازي ، والشيخ أبو نصر بن الصباغ ، الشافعيان ، والشيخ أبو محمد النعمي الحنبلي ، وبرز فصلى بالناس العصر ثم بعد ساعة أخرج تابوت جده بسكون ووقار من غير صراخ ولا نوح ، فصلى عليه وحمل إلى المقبرة ، وقد كان المقتدى شهماً شجاعاً أيامه كلها مباركة ، والرزق دار والخلافة معظمة جداً ، وتصاغر الملوك له ، وتضاءلوا بين يديه ، وخطب له بالحرمين وبيت المقدس والشام كلها ، واسترجع المسلمون الرها وأنطاكية من أيدي العدو ، وعمرت بغداد وغيرها من البلاد ، واستوزر ابن جيهن ثم أبا شجاع ، ثم أعاد ابن جيهن وقاضيه الدامغانى ، ثم أبو بكر الشاشي ، وهؤلاء من خيار القضاة والوزراء والله الحمد .

وفي شعبان منها أخرج المفسدات من الخواطي من بغداد ، وأمرهن أن ينادين على أنفسهن بالعار والفضيحة ، وخرب الحمامات ودور الزواني والمغانى ، وأسكنهن الجانب الغربي مع الذل والصغار ، وخرب أبرجة الحمام ، ومنع اللعب بها ، وأمر الناس باحتراز عوراتهم في الحمامات ومنع أصحاب الحمامات أن يصرفوا فضلاتها إلى دجلة ، وألزهم بحفر آبار لتلك المياه القذرة صيانة لماء الشرب . وفي شوال منها وقعت نار في أماكن متعددة في بغداد ، حتى في دار الخلافة ، فأحرقت شيئاً كثيراً من الدور والذكاكين ، ووقع بواسطة حريق في تسعة أماكن ، واحترق فيها أربعة وثمانون داراً وستة خانات ، وأشياء كثيرة غير ذلك ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

وفيها عمل الرصد للسلطان ملكشاه اجتمع عليه جماعة من أعيان المنجمين وأنفق عليه أموالاً كثيرة ، وبقى دائراً حتى مات السلطان فبطل .

وفي ذي الحجة منها أعيدت الخطب للمصريين وقطعت خطبة العباسيين ، وذلك لما قوى أمر صاحب مصر بعد ما كان ضعيفاً بسبب غلاء بلده ، فلما رخصت تراجع الناس إليها ، وطالب العيش بها ، وقد كانت الخطبة للعباسيين بمكة منذ أربعين سنة وخمسة أشهر ، وستعود كما كانت على ماسياتي

بيانه في موضعه ، وفي هذا الشهر انجفل أهل السواد من شدة الوباء وقلة ماء دجلة وقصها . وحج بالناس الشريف أبو طالب الحسيني بن محمد الزينبي . وأخذ البيعة للخليفة المقتدى بالحرمين .
ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الخليفة القائم بأمر الله ﴾
عبد الله ، وقد ذكرنا شيئا من ترجمته عند وفاته .

﴿ الداوودي ﴾

راوى صحيح البخارى ، عبد الرحمن بن محمد بن المظفر بن محمد بن داود ، أبو الحسن ، بن أبي طاحه الداوودي ، ولد سنة أربع وسبعين وثلاثمائة ، سمع الكثير وتفقه على الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وأبي بكر القفال ، وصحب أبا علي الدقاق وأبا عبد الرحمن السلمي ، وكتب الكثير ودرس وأفتى وصنف ، ووعظ الناس . وكانت له يد طويلة في النظم والنثر ، وكان مع ذلك كثير الذكر ، لا يفتر لسانه عن ذكر الله تعالى ، دخل يوماً عليه الوزير نظام الملك فجاس بين يديه فقال له الشيخ : إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم . وكانت وفاته بيوشح في هذه السنة وقد جاوز التسعين . ومن شعره الجيد القوي قوله :

كان في الاجتماع بالناس نور * ذهب النور وادّهم الظلام
فسد الناس والزمان جميعا * فعلى الناس والزمان السلام
﴿ أبو الحسن علي بن الحسن ﴾

ابن علي بن أبي الطيب الباخرزي الشاعر المشهور ، اشتغل أولا على الشيخ أبي محمد الجويني ثم ترك ذلك وعهد إلى الكتابة والشعر ، ففاق أقرانه ، وله ديوان مشهور فنه :
وإني لأشكوا سع أصداعك التي * عقاربها في وجنتيك نجوم
وأبكي لدر الثغر منك ولي أب * فكيف نديم الضحك وهو يتيم
﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزي : جاء جراد في شعبان بعدد الرمل والحصا ، فأكل الغلات وآذى الناس ، وجاعوا فطحن الخروب بدقيق الدخن فأكلوه ، ووقع الوباء ، ثم منع الله الجراد من الفساد ، وكان يمر ولا يضر ، فرخصت الأسعار . قال : ووقع غلاء شديد بدمشق واستمر ثلاث سنين . وفيها ملك نصر ابن محمود بن صالح بن مرداس مدينة منبج ، وأجلى عنها الروم ولله الحمد والمنة في ذى القعدة منها . وفيها ملك الاقيس مدينة دمشق ، وانهمزم عنها المعلى بن حيدر نائب المستنصر العبيدي إلى مدينة بانياس ، وخطب فيها للمقتدى ، وقطعت خطبة المصريين عنها إلى الآن ولله الحمد والمنة . فاستدعى المستنصر نائبه فحبسه عنده إلى أن مات في السجن .

قلت : الاقيس هذا هو أنسز بن أوف الخوارزمي ، ويلقب بالملك المعظم ، وهو أول من استعاد بلاد الشام من أيدي الفاطميين ، وأزال الأذان منها يحيى على خير العمل ، بعد أن كان يؤذن به على منابر دمشق وسائر الشام ، مائة وست سنين ، كان على أبواب الجوامع والمساجد مكتوب لعنة الصحابة رضي الله عنهم ، فأمر هذا السلطان المؤذنين والخطباء أن يتروا عن الصحابة أجمعين ، ونشر العدل وأظهر السنة . وهو أول من أسس القلعة بدمشق ، ولم يكن فيها قبل ذلك معقل يلتجئ إليه المسلمون من العدو ، فبناها في محلها هذه التي هي فيها اليوم ، وكان موضعها بباب البلد يقال له باب الحديد ، وهو تجاه دار رضوان منها ، وكان ابتداء ذلك في السنة الآتية ، وإنما أكملها بعده الملك المظفر تاش بن ألب أرسلان السلجوقي كما سيأتي بيانه . وحج بالناس فيها مقطع الكوفة . وهو الأمير السكيني جنغل التركي ، ويعرف بالطويل ، وكان قد شرد خفاجة في البلاد وقهرهم ، ولم يصحب معه سوى ستة عشر تركيا ، فوصل إلى مكة سالماً ، ولما نزل ببعض دورها كبسه بعض العبيد . فقتل منهم مقتلة عظيمة ، وهزمهم هزيمة شنيعة ، ثم إنه بعد ذلك إنما كان ينزل بالزاهر . قاله ابن الساعي في تاريخه ، وأعيدت الخطبة في هذه السنة للعباسيين في ذي الحجة منها ، وقطعت خطبة المصريين والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن علي ﴾

ابن أحمد بن عيسى بن موسى ، أبو تمام ابن أبي القاسم بن القاضي أبي علي الهاشمي ، نقيب الهاشميين ، وهو ابن عم الشريف أبي جعفر بن أبي موسى الفقيه الحنبلي ، روى الحديث وسمع منه أبو بكر بن عبد الباقي ، ودفن بباب حرب .

﴿ محمد بن القاسم ﴾

ابن حبيب بن عبدوس ، أبو بكر الصفار من أهل نيسابور ، سمع الحارث وأبا عبد الرحمن السلمي وخلقا ، وتفقه على الشيخ أبي محمد الجويني ، وكان يخلفه في حلقة .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو الحسين البيضاوي الشافعي ، ختن أبي الطيب الطبري على ابنته ، سمع الحديث وكان ثقة خيراً ، توفي في شعبان منها ، وتقدم للصلاة عليه الشيخ أبو نصر بن الصباغ ، وحضر جنازته أبو عبد الله الدامغانى مأموماً ، ودفن بداره في قطعة الكرخ .

﴿ محمد بن نصر بن صالح ﴾

ابن أمير حلب ، وكان قد ملكها في سنة تسع وخمسين ، وكان من أحسن الناس شكلاً وفعلًا .

﴿ مسعود بن الحسن ﴾

ابن الحسن بن عبد الرزاق بن جعفر البيضاوي الشاعر ومن شعره :

ليس لى صاحب معين سوى الا * يل إذا طال بالصدود عليا
أنا أشكو بعد الحبيب إليه * وهو يشكو بعد الصباح إلينا
وله أيضاً : يامن لبست لهجره طول الضنا * حتى خفيت إذا عن العواد
وأنست بالسر الطويل فأنسيت * أجفان عيني كيف كان رقادى
إن كان يوسف بالجمال مقطع الـ * أيدى فأنت مفتت الأ كباد

﴿ الواحدى المفسر ﴾

على بن حسن بن أحمد بن على بن بويه الواحدى ، قال ابن خلكان : ولا أدرى هذه النسبة إلى ماذا ، وهو صاحب التفسير الثلاثة : البسيط ، والوسيط والوجيز . قال : ومنه أخذ الغزالي أسماء كتبه . قال : وله أسباب النزول ، والتجبير فى شرح الأسماء الحسنى ، وقد شرح ديوان المتنبي ، وليس فى شروحه مع كثرتها مثله . قال : وقد رزق السعادة فى تصانيفه ، وأجمع الناس على حسنها وذكرها المدرسون فى دروسهم ، وقد أخذ التفسير عن الثعالبي ، وقد مرض مدة ، ثم كانت وفاته بنيسابور فى جمادى الآخرة منها ﴿ ناصر بن محمد ﴾

ابن على أبو منصور التركى الصافرى ، وهو والد الحافظ محمد بن ناصر ، قرأ القرآن ، وسمع الكثير ، وهو الذى تولى قراءة التاريخ على الخطيب بجامع المنصور ، وكان ظريفاً صديهاً ، مات شاباً دون الثلاثين سنة فى ذى القعدة منها ، وقد رئاه بعضهم بقصيدة طويلة أوردها كلها فى المنتظم ابن الجوزى . ﴿ يوسف بن محمد بن الحسن ﴾

أبو القاسم الهمداني ، سمع وجمع وصنف وانتشرت عنه الرواية ، توفى فى هذه السنة وقد قارب التسعين . ﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وأربعمائة ﴾

فيها كان ابتداء عمارة قلعة دمشق ، وذلك أن الملك المعظم أنسز بن أوف الخوارزمي لما انتزع دمشق من أيدي العبديين فى السنة الماضية ، شرع فى بناء هذا الحصن المنيع بدمشق فى هذه السنة وكان فى مكان القلعة اليوم أحد أبواب البلد ، باب يعرف بباب الحديد ، وهو الباب المقابل لدار رضوان منها اليوم ، داخل البركة البرانية منها ، وقد ارتفع بعض أبرجتها فلم يتكامل حتى انتزع ملك البلد منه الملك المظفر تاج الملوك تنش بن ألب أرسلان السلجوقي ، فأكملها وأحسن عمارتها ، وابتنى بها دار رضوان للملك ، واستمرت على ذلك البناء فى أيام نور الدين محمود بن زنكى ، فلما كان الملك صلاح الدين بن يوسف بن أيوب جدد فيها شيئاً ، وابتنى له نائبه ابن مقدم فيها داراً هائلة للمملكة ، ثم إن الملك العادل أخا صلاح الدين ، أقسم هو وأولاده أبرجتها ، فبنى كل ملك منهم برجاً منها جدد وعلاه وأطده وأكده . ثم جدد الملك الظاهر بيبرس منها البرج الغربى القبلى ،

ثم ابنتى بعده في دولة الملك الأشرف خليل بن المنصور ، نائبه الشجاعى ، الطارمة الشمالية والقبة الزرقاء وما حولها ، وفي المحرم منها مرض الخليفة مرضا شديدا فأرجف الناس به ، فركب حتى رآه الناس جهرة فسكنوا ، وفي جمادى الآخرة منها زادت دجلة زيادة كثيرة ، إحدى وعشرين ذراعا ونصفا ، فنقل الناس أموالهم وخيف على دار الخلافة ، فنقل نابوت القائم بأمر الله ليلا إلى الترب بالرصافة . وفي شوال منها وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشعرية . وذلك أن ابن القشيري قدم ببغداد فجلس يتكلم في النظامية وأخذ يذم الحنابلة وينسبهم إلى التجسيم ، وساعده أبو سعد الصوفى ، ومال معه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى ، وكتب إلى نظام الملك يشكو إليه الحنابلة ويسأله المعونة عليهم ، وذهب جماعة إلى الشريف أبي جعفر بن أبي موسى شيخ الحنابلة ، وهو فى مسجده ، فدافع عنه آخرون ، واقتتل الناس بسبب ذلك وقتل رجل خياط من سوق التبن ، وجرح آخرون ، ونازلت الفتنة ، وكتب الشيخ أبو إسحاق وأبو بكر الشاشى إلى نظام الملك فى كتابه إلى نحر الدولة ينكر ما وقع ، ويكره أن ينسب إلى المدرسة التى بناها شىء من ذلك . وعزم الشيخ أبو إسحاق على الرحلة من بغداد غضبا مما وقع من الشر ، فأرسل إليه الخليفة يسكنه ، ثم جمع بينه وبين الشريف أبي جعفر وأبى سعد الصوفى ، وأبى نصر بن القشيري ، عند الوزير ، فأقبل الوزير على أبى جعفر يعظمه فى الفعال والمقال ، وقام إليه الشيخ أبو إسحاق فقال : أنا ذلك الذى كنت تعرفه وأنا شاب ، وهذه كتبى فى الأصول ، ما أقول فيها خلافا للأشعرية ، ثم قبل رأس أبى جعفر ، فقال له أبو جعفر : صدقت ، إلا أنك لما كنت فقيرا لم تظهر لنا مافى نفسك ، فلما جاء الأعوان والسلطان وخواجه برك - يعنى نظام الملك - وشبعت ، أبديت ما كان مخفيا فى نفسك . وقام الشيخ أبو سعد الصوفى وقبل رأس الشريف أبى جعفر أيضاً وتلطف به ، فالتفت إليه مغضبا وقال : أيها الشيخ أما الفقهاء إذا تكلموا فى مسائل الأصول فلمهم فيها مدخل ، وأما أنت فصاحب لهو وسماع وتغيير ، فمن زاحك منا على باطلك ؟ ثم قال : أيها الوزير أنى تصلح بيننا ؟ وكيف يقع بيننا صلح ونحن نوجب ما نعتقده وهم يحرمون ويكفرون ؟ وهذا جد الخليفة القائم والقادر قد أظهر اعتقادهما للناس على رؤس الأشهاد على مذهب أهل السنة والجماعة والسلف ، ونحن على ذلك كما وافق عليه المراقبون والخراسانيون ، وقرىء على الناس فى الدواوين كلها ، فأرسل الوزير إلى الخليفة يعلمه بما جرى ، فجاء الجواب بشكر الجماعة وخصوصا الشريف أبا جعفر ، ثم استدعى الخليفة أبا جعفر إلى دار الخلافة للسلام عليه ، والتبرك بدعائه . قال ابن الجوزى : وفى ذى القعدة منها كثرت الأمراض فى الناس ببغداد وبواسط والسواد ، وورد الخبر بأن الشام كذلك . وفى هذا الشهر أزيلت المنكرات والبغايا ببغداد ، وهرب الفساق منها . وفيها ملك حلب نصر بن محمود بن مرداس بعد وفاة أبيه . وفيها تزوج

الأمير علي بن أبي منصور بن قرامز بن علاء الدولة بن كالويه الست أرسلان خاتون بنت داود عم السلطان ألب أرسلان ، وكانت زوجة القائم بأمر الله . وفيها حاصر الأقيس صاحب دمشق مصر وضيق على صاحبها المستنصر بالله ، ثم كر راجعاً إلى دمشق . وحج بالناس فيها الأمير جنغل التركي ^(١) . قطع الكوفة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ اسفهدوست بن محمد بن الحسن أبو منصور الديلمي ﴾ الشاعر ، لقي أبا عبد الله بن الحجاج وعبد العزيز بن نباتة وغيرهما من الشعراء ، وكان شيعياً فتأب ، وقال في قصيدة له في ذلك قوله في اعتقاده :

وإذا سئلت عن اعتقادي قلت ما * كانت عليه مذاهب الأبرار
وأقول خير الناس بعد محمد * صديقه وأنيسه في الغار
ثم الثلاثة بعده خير الوري * أكرم بهم من سادة أطهار
هذا اعتقادي والذي أرجوه * فوزي وعنتي من عذاب النار
﴿ طاهر بن أحمد بن بابشاذ ﴾

أبو الحسن البصري النحوي ، سقط من سطح جامع عمرو بن العاص بمصر فمات من ساعته في رجب من هذه السنة . قال ابن خلدكان : كان بمصر إمام عصره في النحو ، وله المصنفات المفيدة من ذلك مقدمته وشرحها وشرح الجمل للزجاجي . قال : وكانت وظيفته بمصر أنه لا تكتب الرسائل في ديوان الانشاء إلا عرضت عليه فيصلح منها ما فيه خلل ثم تنفذ إلى الجهة التي عينت لها ، وكان له على ذلك معلوم وراتب جيد . قال فاتفق أنه كان يأكل يوماً مع بعض أصحابه طعاماً فجاءه قط فرموا له شيئاً فأخذه وذهب سريعاً ، ثم أقبل فرموا له شيئاً أيضاً فأنطلق به سريعاً ثم جاء فرموا له شيئاً أيضاً فلهو أنه لا يأكل هذا كله فتنبهوه فإذا هو يذهب به إلى قط آخر أعشى في سطح هناك ، فتمجبوا من ذلك ، فقال الشيخ : يا سبحان الله هذا حيوان بهم قد ساق الله إليه رزقه على يد غيره أفلا يرزقني وأنا عبده وأعبده . ثم ترك ما كان له من الراتب وجمع حواشيه وأقبل على العبادة والاشتغال والملازمة في غرفة في جامع عمرو بن العاص ، إلى أن مات كما ذكرنا . وقد جمع تعليقه في النحو وكان قريبان خمسة عشر مجلداً ، فأصحابه كابن بري وغيره ينقلون منها وينتفعون بها ، ويسمونها تعليق الغرفة .

﴿ عبد الله بن محمد بن عبد الله ﴾

ابن عمر بن أحمد بن المجمع بن محمد بن يحيى بن معبد بن هزار مرد ، أبو محمد الصريفي ، ويعرف بابن الملم ، أحد مشايخ الحديث المسندين المشهورين ، تفرد فيه عن جماعة من المشايخ لطول (١) يعني هو نكل . كذا بهامش نسخة الآستانة .

عمره ، وهو آخر من حدث بالجمعيات عن ابن حبان عن أبي القاسم البغوي عن علي بن الجعد ، وهو سماعنا ، ورحل إليه الناس بسببه ، وجمع عليه جماعة من الحفاظ منهم الخطيب ، وكان ثقة محمود الطريقة ، صافى الطوية ، توفي بصريفة في جمادى الأولى عن خمس وثمانين سنة .

﴿ حيان بن خلف ﴾

ابن حسين بن حيان بن محمد بن حيان بن وهب بن حيان أبو مروان القرطبي ، مولى بني أمية ، صاحب تاريخ المغرب في ستين مجلداً ، أنشأ عليه الحفاظ . أبو علي الغساني في فصاحته وصدقه وبلاغته . قال : وسمعتة يقول : التهنئة بعد ثلاث استخفاف بالودة ، والتعزية بعد ثلاث إغراء بالمصيبة . قال ابن خلكان : توفي في ربيع الأول منها ، ورآه بعضهم في المنام فسأله عن حاله فقال غفر لي . وأما التاريخ فندمت عليه ، ولكن الله بلطفه أقالني وعفا عني .

﴿ أبو نصر السجزي الوابلي ﴾

نسبة إلى قرية من قرى سجستان يقال لها وابل ، سمع الكثير وصنف وخرج وأقام بالحرم ، وله كتاب الإبانة في الأصول ، وله في الفروع أيضاً . ومن الناس من كان يفضل في الحفاظ على الصوري ﴿ محمد بن علي بن الحسين ﴾

أبو عبد الله الانماطي ، المعروف بابن سكيئة ، ولد سنة تسعين وثلاثمائة ، وكان كثير السماع ، ومات عن تسع وسبعين سنة والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

قال ابن الجوزي : في ربيع الأول منها وقعت صاعقة بمحلة النوبة من الجانب الغربي ، على نخلائين في مسجد فأحرقت أعاليهما ، وصعد الناس فأطفأوا النار ، ونزلوا بالسمف وهو يشتعل ناراً . قال : وورد كتاب من نظام الملك إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي في جواب كتابه إليه في شأن الحنابلة ، ثم سرده ابن الجوزي ومضمونه : أنه لا يمكن تغيير المذاهب ولا نقل أهلها عنها ، والغالب على تلك الناحية هو مذهب الإمام أحمد ، ومحل معروفة عند الأئمة والناس ، وقدره معلوم في السنة . في كلام طويل . قال : وفي شوال منها وقعت فتنة بين الحنابلة وبين فقهاء النظامية ، وحمل لكل من الفريقين طائفة من العوام ، وقتل بينهم نحو من عشرين قتيلاً ، وجرح آخرون ، ثم سكنت الفتنة . قال : وفي تاسع عشر شوال ولد للخليفة المقتدى ولده المستظهر أبو العباس أحمد ، وزينت البلاد وجلس الوزير للهنا ، ثم في يوم الأحد السادس والعشرين من شوال ولد له ولد آخر وهو أبو محمد هارون . قال : وفيها ولي تاج الدولة أرسلان الشام وحاصر حلب . وحج بالناس جنفل مقطع الكوفة ، وذكر ابن الجوزي أن الوزير ابن جبير كان قد عمل منبراً هائلاً لتقام عليه الخطبة بمكة ،

فحين وصل إليها إذا الخطبة قد أعيدت للمصريين ، فكسر ذلك المنبر وأحرق .

ومن توفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن محمد بن أحمد بن يعقوب ﴾

ابن أحمد أبو بكر البربوعى المقرئ آخر من حدث عن أبي الحسين بن ميمون وقد كان ثقة متعبداً حسن الطريقة ، كتب عنه الخطيب وقال : كان صدوقاً . توفى فى هذه السنة عن سبع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن أحمد بن عبد الله أبو الحسن ابن النعمان البزاز ، أحد المسندين المعمرين تفرد بنسخ كثيرة عن ابن حبان عن البغوى عن أشياخه ، كنسخة هدية وكامل بن طلحة وعمرو بن زرارة وأبى السكن البكرى ، وكان متكثرأ متبحراً وكان يأخذ على إسماعيل حديث طائوت بن عباد ديناراً ، وقد أفناه الشيخ أبو إسحاق الشيرازى بجواز أخذ الأجرة على إسماعيل الحديث ، لاشتغاله به عن الكسب . توفى عن تسع وثمانين سنة .

﴿ أحمد بن عبد الملك ﴾

ابن على بن أحمد ، أبو صالح المؤذن النيسابورى الحافظ ، كتب الكثير وجمع وصنف ، كتب عن ألف شيخ ، وكان يعظ ويؤذن ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ عبد الله بن الحسن بن على ﴾

أبو القاسم بن أبى محمد الحلالى ، آخر من حدث عن أبى حفص الكنائى ، وقد سمع الكثير ، روى عنه الخطيب ووثقه ، توفى عن خمس وثمانين سنة ودفن بباب حرب

﴿ عبد الرحمن بن منده ﴾

ابن محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن إبراهيم أبو القاسم بن أبى عبد الله الامام ، سمع أباه وابن مردويه وخلقا فى أقاليم شتى ، سافر إليها وجمع شيئاً كثيراً ، وكان ذا وقار وسمت حسن ، واتباع للسنة وفهم جيد ، كثير الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، لا يخاف فى الله لومة لائم ، وكان مسعد ابن محمد الريحانى يقول : حفظ الله الاسلام به ، وبعيد الله الانصارى الهروى . توفى ابن منده هذا بأصبهان عن سبع وثمانين سنة ، وحضر جنازته خلق كثير لا يعلمهم إلا الله عز وجل

﴿ عبد الملك بن محمد ﴾

ابن عبد العزيز بن محمد بن مظفر بن على أبو القاسم الهمدانى أحد الحفاظ الفقهاء الأولياء ، كان يلقب ببجير وقد سمع الكثير ، وكان يكثر للطلبة ويقرأ لهم ، توفى بالرى فى الحرم من هذه السنة ، ودفن إلى جانب إبراهيم الخواص .

﴿ الشريف أبو جعفر الحنبلي ﴾

عبد الخالق بن عيسى بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن عبد الله بن معبد بن العباس بن عبد المطالب الهاشمي بن أبي موسى الحنبلي العباسي ، كان أحد الفقهاء العلماء العباد الزهاد المشهورين بالديانة والفضل والعبادة والقيام في الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم ، ولد سنة إحدى عشرة وأربعمائة ، واشتغل على القاضي أبي يعلى بن الفراء ، وزكاه شيخه عند ابن الدامغاني قبله ، ثم ترك الشهادة بعد ذلك ، وكان مشهوراً بالصلاح والديانة ، وحين احتضر الخليفة القائم بأمر الله أوصى أن يغسله الشريف أبو جعفر هذا وأوصى له بشيء كثير ، ومال جزيل ، فلم يقبل من ذلك شيئاً ، وحين وقعت الفتنة بين الحنابلة والاشعرية بسبب ابن القشيري اعتقل هو في دار الخلافة مكرماً معظماً ، يدخل عليه الفقهاء وغيرهم ، ويقبلون يده ورأسه ، ولم يزل هناك حتى اشتكى فأذن له في المسير إلى أهله فتوفي عندهم ليلة الخميس النصف في صفر منها ، ودفن إلى جانب الأمام أحمد ، فالتحذت العامة قبره سوفاً كل ليلة أربعمائة يترددون إليه ويقروون الختمات عنده حتى جاء الشتاء ، وكان جملة ما قرئ عليه وأهدى له عشرة آلاف ختمة والله أعلم .

﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو الحسن البضاوي ، أحد الفقهاء الشافعيين بربع الكرخ ودفن عند والده .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ملك السلطان الملك المظفر تاج الملوك تفش بن ألب أرسلان السلجوقي دمشق وقتل ملكها إقسيس ، وذلك أن إقسيس بعث إليه يستنجد على المصريين ، فلما وصل إليه لم يركب لتلقيه فأمر بقتله فقتل لساعته ، ووجد في خزائنه حجر ياقوت أحمر وزنه سبعة عشر مثقالاً ، وستين حبة لؤلؤ كل حبة منها أزيد من مثقال ، وعشرة آلاف دينار ومائتي سرج ذهب وغير ذلك . وقد كان إقسيس هذا هو أنسز بن أوف الخوارزمي ، كان يلقب بالهظم ، وكان من خيار الملوك وأجودهم سيرة ، وأصحهم سيرة ، أزال الرفض عن أهل الشام ، وأبطل الأذان يحيى على خير العمل ، وأمر بالترضى عن الصحابة أجمعين . وعمر بدمشق القلعة التي هي معقل الاسلام بالشام المحروس ، وفرحه الله وبل بالرحمة ثراه ، وجعل جنسة الفردوس مأواه . وفيها عزل الوزير ابن جهير بأشارة نظام الملك ، بسبب ممالأته على الشافعية ، ثم كاتب المعتدي نظام الملك في إعادته فأعيد ولده وأطلق هو . وفيها قدم سعد الدولة جوهر أميراً إلى بغداد ، وضرب الطبول على بابه في أوقات الصلوات ، وأساء الأدب على الخليفة ، وضرب طوالات الخليل على باب الفردوس ، فكتب السلطان بأمره نجاء الكتاب من السلطان بالانكار عليه . وحجج بالناس مقطع الكوفة جنفل التركي أنابه الله .

﴿ سعد بن علي ﴾

ومن توفي فيها من الاعيان
ابن محمد بن علي بن الحسين أبو القاسم الزنجاني ، رحل إلى الآفاق ، وسمع الكثير ، وكان إماماً حافظاً
متعبداً ، ثم انقطع في آخر عمره بمكة ، وكان الناس يتبركون به . قال ابن الجوزي : ويقبلون يده
أكثر مما يقبلون الحجر الأسود .

﴿ سليم بن الجوزي ﴾

نسبة إلى قرية من قرى دجيل ، كان عابداً زاهداً يقال إنه مكث مدة يتقوت كل يوم بزبينة ، وقد
سمع الحديث وقرأ عليه رحمه الله .

﴿ عبد الله بن شمعون ﴾

أبو أحمد الفقيه المالكي القيرواني ، توفي ببغداد ودفن بباب حرب والله سبحانه وتعالى أعلم .
﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ملك محمود بن مسعود بن محمود بن سبكتشكين صاحب غزنة قلاعاً كثيرة حصينة من بلاد
الهند ، ثم عاد إلى بلاده سالماً غانماً . وفيها ولد الأمير أبو جعفر بن المقتدي بالله ، وزينت له بغداد
وفيها ملك صاحب الموصل الأمير شرف الدولة مسلم بن قريش بن بدران العقيلي بعد وفاة أبيه .
وفيها ملك منصور بن مروان بلاد بكر بعد أبيه . وفيها أمر السلطان بتغريق ابن علان اليهودي
ضامن البصرة ، وأخذ من ذخائره أربعمائة ألف دينار ، فضمن خازنته البصرة بمائة ألف دينار
ومائة فرس في كل سنة . وفيها فتح عبيد الله بن نظام الملك تكريت . وحج بالناس جنفل التركي
وقطعت خطبة المصريين بمكة وخطب للمقتدي والسلطان ملكشاه السلاجوقي .

﴿ عبد الملك بن الحسن بن أحمد بن حبرون ﴾

ومن توفي فيها من الاعيان
أبو نصر سمع الكثير وكان زاهداً عابداً ، يسرد الصوم ، ويختم في كل ليلة ختمه رحمه الله .

﴿ محمد بن محمد بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن عبيد العزيز بن مهران المكبري ، سمع هلال الحفار ، وابن زرقويه والحامى
وغيرهم ، وكان فاضلاً جيد الشعر ، فن شعره قوله :

أطبل فكري في أي ناس * مضوا قدماً وفيمن خلفونا

هم الأحياء بعد الموت ذكرا * ونحن من الخمول الميتونا

توفي في رمضان منها وله سبعون سنة .

﴿ هياج بن عبد الله ﴾

الخطيب الشامي ، سمع الحديث وكان أوحداً زمانه زهداً وفقهاً واجتهاداً في العبادة ، أقام بمكة مدة

يفتى أهلها ويعتمر في كل يوم ثلاث مرات على قدميه ، ولم يلبس نعلا منذ أقام بمكة ، وكان يزور قبر النبي ﷺ مع أهل مكة ماشيا ، وكذلك كان يزور قبر ابن عباس بالطائف ، وكان لا يدخر شيئا ، ولا يلبس إلا قيصا واحدا ، ضربه بعض أمراء مكة في بعض فتن الروافض فاشتكى أياما ومات ، وقد نيف على الثمانين رحمه الله ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها استولى تكش أخو السلطان ملك شاه على بعض بلاد خراسان . وفيها أذن للوعاظ في الجلوس للوعظ ، وكانوا قد منعوا في فتنة ابن القشيري . وفيها قبض على جماعة من الفتيان كانوا قد جعلوا عليهم رئيسا يقال له عبد القادر الهاشمي ، وقد كاتبوه من الأقطار ، وكان الساعي له رجلا يقال له ابن رسول ، وكنو يجتمعون عند جامع برانا ، فخيف من أمرهم أن يكونوا ممالئين للمصريين ، فأمر بالقبض عليهم . وحج بالناس جنغل .

﴿ ومن توفى فيها من الأعيان ﴾ أحمد بن محمد بن عمر

ابن محمد بن إسماعيل ، أبو عبد الله بن الأخضر المحدث ، سمع على بن شاذان ، وكان على مذهب الظاهرية ، وكان كثير التلاوة حسن السيرة ، متقللا من الدنيا قنوعا ، رحمه الله .

﴿ الصليحي ﴾

المنغاب علي بن ، أبو الحسن علي بن محمد بن علي الملقب بالصليحي ، كان أبوه قاضيا باليمن ، وكان سنيا ، ونشأ هذا فتعلم العلم وبرع في أشياء كثيرة من العلوم ، وكان شيعيا على مذهب القرامطة ، ثم كان يدل بالحجيج مدة خمس عشرة سنة ، وكان اشتهر أمره بين الناس أنه سيملك اليمن ، فنجم ببلاد اليمن بعد قتله نجاح صاحب نهامة ، واستحوذ على بلاد اليمن بكاملها في أقصر مدة ، واستوثق له الملك بها سنة خمس وخمسين ، وخطب للمستنصر العبيدي صاحب مصر ، فلما كان في هذا العام خرج إلى الحج في ألفي فارس ، فاعترضه سعيد بن نجاح بالموسم ، في نفر يسير ، فقاتلهم فقتل هو وأخوه واستحوذ سعيد بن نجاح على مملكته وحواصله ، ومن شعر الصليحي هذا قوله :

أنكحت بيض الهند سمير ماحهم * فروسهم عرض النشار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * إلا بحيث تطلق الأعمار

﴿ محمد بن الحسين ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن يوسف بن الشبلي ، أبو علي الشاعر البغدادي ، أسند الحديث ، وله الشعر الرائق فنه قوله : لا تظهرن لماذل أو عاذر * حاليك في السراء والضراء
فلرحمة المتوجعين مرارة * في القلب مثل شامة الاعداء

وله أيضاً يفنى البخل بجمع المال مدته * وللحوادث والوراث ما يدع
كدودة الفز ما تبنيه بخرقةها * وغيرها بالذى تبنيه يفتفع

﴿ يوسف بن الحسن ﴾

ابن محمد بن الحسن ، أبو القاسم العسكري ، من أهل خراسان من مدينة زنجان ، ولد سنة خمس
وتسمين وثلاثمائة ، وتفقّه على أبي إسحاق الشيرازي ، وكان من أكبر تلاميذه ، وكان عابداً ورعاً
خاشعاً ، كثير البكاء عند الذكر ، مقبلاً على العبادة ، مات وقد قارب الثمانين .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها ولي أبو كامل منصور بن نور المدلة دبس ما كان يليه أبوه من الأعمال ، وخلع عليه
السلطان والخليفة . وفيها ملك شرف الدولة مسلم بن قریش حران ، وصالح صاحب الزهاء . وفيها
فتح تتش بن ألب أرسلان صاحب دمشق مدينة انطربوس . وفيها أرسل الخليفة ابن جهر إلى
السلطان ملك شاه يتزوج ابنته فأجابت أمها بذلك ، بشرط أن لا يكون له زوجة ولا سرية
سواها ، وأن يكون سبعة أيام عندها ، فوقع الشرط على ذلك .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ داود بن السلطان بن ملك شاه ﴾

فوجد عليه أبوه وجداً كثيراً ، بحيث إنه كاد أوهتم أن يقتل نفسه ، فمنعه الامراء من ذلك ،
وانتقل عن ذلك البلد وأمر النساء بالنوح عليه . ولما وصل الخبر لبغداد جلس وزير الخليفة لامراء .

﴿ القاضي أبو الوليد الباجي ﴾

سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب التجيبي الأندلسي الباجي الفقيه المالكي ، أحد الحفاظ
المكثيرين في الفقه والحديث ، سمع الحديث ورحل فيه إلى بلاد المشرق سنة ست وعشرين وأربعمائة ،
فسمع هناك الكثير ، واجتمع بأئمة ذلك الوقت ، كالقاضي أبي الطيب الطبري ، وأبي إسحاق
الشيرازي ، وجاور بمكة ثلاث سنين مع الشيخ أبي ذر الهروي ، وأقام ببغداد ثلاث سنين ،
وبالموصل سنة عند أبي جعفر السمناني قاضياً ، فأخذ عنه الفقه والأصول ، وسمع الخطيب البغدادي
وسمع منه الخطيب أيضاً ، وروى عنه هذين البيتين الحسنين .

إذا كنت أعلم علماً يقينا * بأن جميع حياتي كساعة

فلم لا أكون كضيف بها * وأنجعلها في صلاح وطاعة

ثم عاد إلى بلده بعد ثلاث عشرة سنة ، وتولى القضاء هناك ، ويقال إنه تولى قضاء حلب أيضاً ،
قاله ابن خلكان . قال : وله مصنفات عديدة منها المنتقى في شرح الموطأ ، وإحكام الفصول في أحكام
الأصول ، والجرح والتعديل ، وغير ذلك ، وكان مولده سنة ثلاث وأربعمائة ، وتوفي ليلة الخميس بين

العشاه من التاسع والعشرين من رجب من هذه السنة ، رحمه الله .

﴿ أبو الأغر ديبس بن علي بن مزيد ﴾

المقلب نور الدولة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة : مكث منها أميراً نيفاً وستين^(١) سنة ، وقام بالأمر من بعده ولده أبو كامل ، ولقب بهاء الدولة .

﴿ عبد الله بن أحمد بن رضوان ﴾

أبو القاسم البغدادي ، كان من الرؤساء ، ومريض بالشقيقة ثلاث سنين ، فمكث في بيت مظلم لا يرى ضوءاً ولا يسمع صوتاً ﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وأربعمائة ﴾

فيها قدم مؤيد الملك فنزل في مدرسة أبيه ، وضربت الطبول على بابه في أوقات الصلوات الثلاث . وفيها نفذ الشيخ أبو إسحاق الشيرازي رسولا إلى السلطان ملكشاه والوزير نظام الملك ، وكان أبو إسحاق كلما مر على بلدة خرج أهلها يتلقونه بأولادهم ونساءهم ، يتبركون به ويتمسحون بركابه ، وربما أخذوا من تراب حافر بقلته . ولما وصل إلى ساوة خرج إليه أهلها ، وما مر بسوق منها إلا نثروا عليه من لطيف ما عندهم ، حتى اجتاز بسوق الأساكفة ، فلم يكن عندهم إلا مداواة الصغار فنثروها عليه ، فجعل يتمجب من ذلك . وفيها جددت الخطبة لبنت السلطان ملكشاه من جهة الخليفة ، فطلبت أمها أربعمائة ألف دينار ، ثم اتفق الحال على خمسين ألف دينار . وفيها حارب السلطان أخاه تنش فأسره ثم أطلقه ، واستقرت يده على دمشق وأعمالها . وحجج بالناس جنفل .

﴿ عبد الوهاب بن محمد ﴾

وتوفي فيها من الأعيان

ابن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده ، أبو عمر الحافظ من بيت الحديث ، رحل إلى الآفاق وسمع الكثير ، وتوفي بأصبهان ﴿ ابن ما كولا ﴾

الأمير أبو نصر علي بن الوزير أبي القاسم هبة الله بن علي بن جعفر بن علي بن محمد بن دلف بن أبي دلف التميمي ، الأمير سمع الملك ، أبو نصر ابن ما كولا ، أحد أئمة الحديث وسادات الأمراء ، رحل وطاف وسمع الكثير ، وصنف الأكمال في المشتبه من أسماء الرجال ، وهو كتاب جليل لم يسبق إليه ، ولا يلحق فيه ، إلا ما استدرك عليه ابن نقطة في كتاب سماه الاستدراك . قتله مماليكه في كرمان في هذه السنة ، وكان مولده في سنة عشرين وأربعمائة ، وعاش خمسا وخمسين سنة . قال ابن خلكان : وقيل إنه قتل في سنة تسع وسبعين ، وقيل في سنة سبع وثمانين . قال : وقد كان أبوه وزير القائم بأمر الله ، وعمه عبد الله بن الحسين ولي قضاء بغداد . قال : ولم أدر لم سمي الأمير إلا أن يكون منسوباً إلى جده الأمير أبي دلف ، وأصله من جر باذقان ، وولد في عكبرا في شعبان سنة (١) كذا بالأصل وفي النجوم الزاهرة أيضا . وفي الكامل لابن الأثير أن إمارته كانت سبعاً وخمسين سنة .

إحدى وعشرين وأربعمائة . قال : وقد كان الخطيب البغدادي صنف كتاب المؤتلف جمع فيه بين كتابي الدارقطني وعبد الغني بن سعيد في المؤتلف والمختلف ، فجاء ابن ما كولا وزاد على الخطيب وسماه كتاب الأكمال ، وهو في غاية الافادة ورفع الالتباس والضبط . ولم يوضع مثله ، ولا يحتاج هذا الأمير بعده إلى فضيلة أخرى ، ففيه دلالة على كثرة اطلاعه وضبطه ونحضره وإتقانه . ومن الشعر المنسوب إليه قوله :

قوض خيامك عن أرض تهان بها * وجانب الذل إن الذل يجتنب
وارحل إذا كان في الأوطان منقصة * فالندل الرطب في أوطانه حطب
(ثم دخلت سنة ست وسبعين وأربعمائة)

فيها عزل عميد الدولة بن جهمير عن وزارة الخلافة فسار بأهله وأولاده إلى السلطان ، وقصدوا نظام الملك وزير السلطان ، فعقد لولده نحر الدولة على بلاد ديار بكر ، فسار إليها بالخلع والكوسات والعساكر ، وأمر أن ينتزعها من ابن مروان ، وأن يخطب لنفسه وأن يذكر اسمه على السكة ، فما زال حتى انتزعها من أيديهم ، وباد ملكهم على يديه كما سيأتي بيانه ، وسد وزارة الخلافة أبو الفتح مظفر ابن رئيس الرؤساء ، ثم عزل في شعبان واستوزر أبو شجاع محمد بن الحسين ، وألقب ظهير الدين ، وفي جمادى الآخرة ولي مؤيد الملك أبا سعيد عبد الرحمن ابن المأمون ، المتولى تدريس النظامية بعد وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وفيها عصى أهل حران على شرف الدولة مسلم بن قريش ، فجاء فحاصرها ففتحها وهدم سورها وصلب قاضيا ابن حلبه وابنيه على السور . وفي شوال منها قتل أبو المحاسن بن أبي الرضا ، وذلك لأنه وشى إلى السلطان في نظام الملك ، وقال له سلمهم إلى حتى أستخلص لك منهم ألف ألف دينار ، فعمل نظام الملك سباطا هائلا ، واستحضر غلمانه وكانوا ألوفا من الأتراك ، وشرع يقول للسلطان : هذا كله من أموالك ، وما وقفته من المدارس والربط ، وكله شكره لك في الدنيا وأجره لك في الآخرة ، وأموالي وجميع ما أملكه بين يديك ، وأنا أقنع بمرقمة وزاوية ، فعند ذلك أمر السلطان بقتل أبي المحاسن ، وقد كان حضياً عنده ، وخصيصاً به وجهها لديه ، وعزل أباه عن كتابة الطغراء وولاه مؤيد الملك . وحج بالناس الأمير جنغل التركي مقطع الكوفة . ومن توفي فيها من الأعيان :

(الشيخ أبو إسحاق الشيرازي)

إبراهيم بن علي بن يوسف الفير وزاباذي ، وهي قرية من قرى فارس ، وقيل هي مدينة خوارزم ، شيخ الشافعية ، ومدرس النظامية ببغداد ، ولد سنة ثلاث وقيل ست وتسعين وثلاثمائة ، وتفقّه بفارس على أبي عبد الله البيضاوي ، ثم قدم بغداد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، فتفقّه على القاضي أبي الطيب الطبري ، وسمع الحديث من ابن شاذان والبرقاني ، وكان زاهدا عابدا ورعا ، كبير القدر معظما محترما

إماماً في الفقه والأصول والحديث ، وفنون كثيرة ، وله المصنفات الكثيرة النافعة ، كالمذهب في المذهب ، والتنبيه ، والنسك في الخلاف ، واللمع في أصول الفقه ، والتبصرة ، وطبقات الشافعية وغير ذلك . قلت : وقد ذكرت ترجمته مستقصاة مطولة في أول شرح التنبيه ، توفي ليلة الأحد الحادى والعشرين من جمادى الآخرة في دار أبي المظفر بن رئيس الرؤساء ، وغسله أبو الوفاء بن عقيل الحنبلى وصلى عليه بباب الفردوس من دار الخلافة ، وشهد الصلاة عليه المقتدى بأمر الله ، وتقدم للصلاة عليه أبو الفتح المظفر بن رئيس الرؤساء ، وكان يومئذ لا بساً ثياب الوزارة ، ثم صلى عليه مرة ثانية بجامع القصر ، ودفن بباب إبرز في تربة مجاورة للناحية رحمه الله تعالى ، وقد امتدحه الشعراء في حياته وبعد وفاته ، وله شعر رائع ، فما أنشده ابن خلكان من شعره قوله :

سألت الناس عن خل وفي * فقالوا ما إلى هذا سبيل

تمسك إن ظفرت بذيل حر * فان الحر في الدنيا قليل

قال ابن خلكان : ولما توفي عمل الفقهاء عزاءه بالنظامية ، وعين مؤيد الملك أبا سعد المتولى مكانه ، فلما بلغ الخبر إلى نظام الملك كتب يقول : كان من الواجب أن تغلق المدرسة سنة لأجله ، وأمر أن يدرس الشيخ أبو نصر بن الصباغ في مكانه .

﴿ طاهر بن الحسين ﴾

ابن أحمد بن عبد الله القواس ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفهقه على القاضي أبي الطيب الطبرى وأفتى ودرس ، وكانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة والفتوى ، وكان ورعاً زاهداً ملازماً لمسجده خمسين سنة ، توفي عن ست وثمانين سنة ، ودفن قريباً من الامام أحمد ، رحمه الله وإيانا .

﴿ محمد بن أحمد بن إسماعيل ﴾

أبو طاهر الأنبارى الخطيب ، ويعرف بابن أبي الصفر ، طاف البلاد وسمع الكثير ، وكان ثقة صالحاً فاضلاً عابداً ، وقد سمع منه الخطيب البغدادي ، وروى عنه مصنفاته ، توفي بالأنبار في جمادى الآخرة عن نحو من مائة سنة ، رحمه الله .

﴿ محمد بن أحمد بن الحسين بن جرادة ﴾

أحد الرؤساء ببغداد ، وهو من ذوى الثروة والمروءة ، كان يحزر ماله بثلاثمائة ألف دينار ، وكان أصله من عكبرا فسكن بغداد ، وكانت له بها دار عظيمة تشتمل على ثلاثين مسكناً مستقلاً ، وفيها حمام وبستان ، ولها بابان ، على كل باب مسجد ، إذا أذن المؤذن في إحداها لا يسمع الآخر من اتساعها ، وقد كانت زوجة الخليفة القائم حين وقعت فتنة البساسيري في سنة خمسين وأربعمائة ، نزلت عنده في جواره ، فبعث إلى الأمير قریش بن بدران أمير العرب بعشرة آلاف دينار ،

ليحمي له داره ، وهو الذى بنى المسجد المعروف به ببغداد ، وقد ختم فيه القرآن ألف من الناس ، وكان لا يفارق زى التجار . وكانت وفاته فى عاشر ذى القعدة من هذه السنة ، ودفن فى التربة المجاورة لتربة القزوينى ، رحمه الله وإيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وأربعمائة ﴾

ففيها كانت الحرب بين نجر الدولة بن جهير وزير الخليفة وبين ابن مروان صاحب ديار بكر ، فاستولى ابن جهير على ملك العرب وسبى حريمهم وأخذ البلاد ومعه سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديس بن علي بن مزيد الأسدي ، فافتدى خلقا من العرب فشكره الناس على ذلك ، وامتدحه الشعراء . وفيها بعث السلطان عميد الدولة ابن جهير فى عسكر كثيف ومعه قسيم الدولة أفسنقر جد بنى أنابك ملوك الشام والموصل ، فسارا إلى الموصل فلمكوها . وفى شعبان منها ملك سليمان بن قتلمش أنطاكية ، فأراد شرف الدولة مسلم بن قريش أن يستنقذها منه ، فهزمه سليمان وقتله ، وكان مسلم هذا من خيار الملوك سيرة ، له فى كل قرية وال وقاض وصاحب خبر ، وكان يملك من السندية إلى منبج . وولى بعده أخوه إبراهيم بن قريش ، وكان مسجوناً من سنين فأطلق وملك . وفيها ولد السلطان سنجر بن ملكشاه فى العشرين من رجب بسنجار . وفيها عصى تكش أخو السلطان فأخذه السلطان فسله وسجنه . وحج بالناس فى هذه السنة الأمير جواز بكير الحسنانى ، وذلك لشكوى الناس من شدة سير جنفل بهم ، وأخذ المكوسات منهم ، سافر مرة من الكوفة إلى مكة فى سبعة عشر يوما .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن دوست ﴾

أبو سعد النيسابورى ، شيخ الصوفية ، له رباط بمدينة نيسابور يدخل من بابه الجبل برا كبه ، وحج مرات على التجريد على البحرين ، حين انقطعت طريق مكة ، وكان يأخذ جماعة من الفقراء ويتوصل من قبائل العرب حتى يأتى مكة ، توفى فى هذه السنة وقد جاوز التسعين ، رحمه الله وإيانا ، وأوصى أن يخلفه ولده إسماعيل فأجلس فى مشيخة الرباط .

﴿ ابن الصباغ ﴾

صاحب الشامل ، عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد بن أحمد بن جعفر ، الامام أبو نصر ابن الصباغ ، ولد سنة أربعمائة ، وتفقه ببغداد على أبي الطيب الطبرى حتى فاق الشافعية بالعراق ، وصنف المصنفات المفيدة ، منها الشامل فى المذهب ، وهو أول من درس بالنظامية ، توفى فى هذه السنة ودفن بداره فى الكرخ ، ثم نقل إلى باب حرب رحمه الله ، قال ابن خلكان : كان فقيه العراقين ، وكان يضاهى أبا إسحاق ، وكان ابن الصباغ أعلم منه بالمذهب ، وإليه الرحلة فيه ، وقد صنف الشامل فى الفقه والعمدة فى أصول الفقه ، وتولى تدريس النظامية أولا ، ثم عزل بعد عشرين

يوماً بالشيخ أبي إسحاق ، فلما مات الشيخ أبو إسحاق تولاهما أبو سعد المتولى ، ثم عزل ابن الصباغ بابن المتولى ، وكان ثقة حجة صالحاً ، ولد سنة أربع مائة ، أضر في آخر عمره ، رحمه الله وإيانا .

﴿ مسعود بن ناصر ﴾

ابن عبد الله بن أحمد بن إسماعيل ، أبو سعد السجري الحافظ ، رحل في الحديث وسمع الكثير ، وجمع الكتب النفيسة ، وكان صحيح الخط ، صحيح النقل ، حافظاً ضابطاً ، رحمه الله وإيانا .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وأربع مائة ﴾

في الحرم منها زلزلت أرجان فهلك خلق كثير من الروم ومواسيهم . وفيها كثرت الأمراض بالحنى والطاعون بالعراق والحجاز والشام ، وأعقب ذلك موت الفجأة ، ثم ماتت الوحوش في البراري ثم تلاها موت البهائم ، حتى عزت الألبان والحمائم ، ومع هذا كله وقعت فتنة عظيمة بين الرافضة والسنة فقتل خلق كثير فيها . وفي ربيع الأول هاجت ريح سوداء وسفت رملاً ، وتساقطت أشجار كثيرة من النخل وغيرها ، ووقعت صواعق في البلاد حتى ظن بعض الناس أن القيامة قد قامت ، ثم انجلى ذلك والله الحمد . وفيها ولد للخليفة ولده أبو عبد الله الحسين ، وزينت بغداد وضربت الطبول والبوقات ، وكثرت الصدقات . وفيها استولى نجر الدولة ابن جهمير على بلاد كثيرة ، منها آمد وميا فارقين ، وجزيرة ابن عمر ، وانقضت بنو مروان على يده في هذه السنة . وفي ثاني عشر رمضان منها ولي أبو بكر محمد بن مظفر الشامي قضاء القضاة ببغداد ، بعد وفاة أبي عبد الله الدامغانى ، وخلع عليه في الديوان . وحج بالناس جنغل ، وزار النبي ﷺ ذاهباً وآيياً . قال : أظن أنها آخر حجة . وكان كذلك . وفيها خرج توقيع الخليفة المقتدى بأمر الله بتجديد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل محلة ، وإلزام أهل الذمة بلبس الفيار ، وكسر آلات الملاهي ، وإراقة الخمر ، وإخراج أهل الفساد من البلاد ، أنابه الله ورحمه .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن محمد بن إبراهيم بن أبي أيوب ، أبو بكر الفوركى ، سبط الأستاذ أبي بكر بن فورك ، استوطن بغداد وكان متكلماً يعظ الناس في النظامية ، فوقعت بسببه فتنة بين أهل المذاهب . قال ابن الجوزى : وكان مؤثراً للدنيا لا يتحاشى من لبس الحرير ، وكان يأخذ مكس الفحم ويوقع العداوة بين الحنابلة والأشاعرة ، مات وقد ناف على الستين سنة ، ودفن إلى جانب قبر الأشعري بمشرفة الزوايا .

﴿ الحسن بن علي ﴾

أبو عبد الله المردوسى ، كان رئيس أهل زمانه ، وأكملهم مروءة ، كان خدماً في أيام بنى بويه وتأخر لهذا الحين ، وكانت الملوك تظمه وتكاتبه بعبدته وخادمه ، وكان كثير الصدقة والصلوات

والبر ، وبلغ من العمر خمسا وتسعين سنة ، وأعد لنفسه قبرا وكفنا قبل موته بخمسة سنين .

﴿ أبو سعد المتولى ﴾

عبد الرحمن بن المأمون بن علي أبو سعد المتولى : مصنف النعمة ، ومدرس النظامية بعد أبي إسحاق الشيرازي ، وكان فصيحاً بليغاً ، ماهراً بعلوم كثيرة ، كانت وفاته في شوال من هذه السنة وله ستة وخمسون سنة ، رحمه الله وإيانا ، وصلى عليه القاضي أبو بكر الشاشي .

﴿ إمام الحرمين ﴾

عبد الملك بن [الشيخ أبي محمد] عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، أبو المعالي الجويني ، وجوين من قرى نيسابور ، الملقب بإمام الحرمين ، لجأورته بمكة أربع سنين ، كان مولده في تسع عشرة وأربعمائة ، مع الحديث وتفقه على والده الشيخ أبي محمد الجويني ، ودرس بعده في حلقة ، وتفقه على القاضي حسين ، ودخل بغداد وتفقه بها ، وروى الحديث وخرج إلى مكة فجاور فيها أربع سنين ، ثم عاد إلى نيسابور فسلم إليه التدريس والخطابة والوعظ ، وصنف نهاية المطلب في دراية المذهب ، والبرهان في أصول الفقه ، وغير ذلك في علوم شتى ، واشتغل عليه الطلبة ورحلوا إليه من الأقطار ، وكان يحضر مجلسه ثلاثمائة منفقه ، وقد استقصيت ترجمته في الطبقات ، وكانت وفاته في الخامس والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، ودفن بداره ثم نقل إلى جانب والده . قال ابن خلكان : كانت أمه جارية اشتراها والده من كسب يده من النسخ ، وأمرها أن لا تدع أحدا يرضعه غيرها ، فاتفق أن امرأة دخلت عليها فأرضعته مرة فأخذته الشيخ أبو محمد فنكسه ووضع يده على بطنه ووضع أصبعه في حلقه ولم يزل به حتى قاء ما في بطنه من لبن تلك المرأة . قال : وكان إمام الحرمين ربما حصل له في مجلسه في المناظرة فتور ووقفة فيقول : هذا من آثار تلك الرضعة . قال : ولما عاد من الحجاز إلى بلده نيسابور سلم إليه المحراب والخطابة والتدريس ومجلس التذكير يوم الجمعة ، وبقي ثلاثين سنة غير مزاحم ولا مدافع ، وصنف في كل فن ، وله النهاية التي ما صنف في الاسلام مثلها . قال الحافظ أبو جعفر : سمعت الشيخ أبا إسحاق الشيرازي يقول لإمام الحرمين : يا مفيد أهل المشرق والمغرب ، أنت اليوم إمام الأئمة . ومن تصانيفه الشامل في أصول الدين ، والبرهان في أصول الفقه ، وتلخيص التفرير ، والارشاد ، والعقيدة النظامية ، وغياث الأئمة ^(١) وغير ذلك مما سماه ولم يسمه . وصلى عليه ولده أبو القاسم وغلقت الأسواق وكسر تلاميذه أعلامهم - وكانوا أربعمائة - ومحارهم ، ومكثوا كذلك سنة ، وقد رثى بمرأى كثيرة فن ذلك قول بعضهم :

(١) عد ابن خلكان من تصانيف إمام الحرمين «مغيث الخلق في اختيار الحق» ولكن لو كان هذا الكتاب من مؤلفاته لذكره ابن كثير وهو متأخر عن ابن خلكان . فهذا الكتاب مذكور على إمام الحرمين .

قلوب العالمين على المقالي * وأيام الورى شبه الليالى
أشمر غصن أهل العلم يوماً * وقد مات الامام أبو المعالى
(محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد)

أبو على بن الوليد ، شيخ المعتزلة ، كان مدرساً لهم فأنكر أهل السنة عليه ، فلزم بيته خمسين سنة إلى أن توفى فى ذى الحجة منها ، ودفن فى مقبرة الشونيزى ، وهذا هو الذى تناظر هو والشيخ أبو يوسف القزوينى المعتزلى المفسر فى إباحة الولدان فى الجنة ، وأنه يباح لأهل الجنة وطء الولدان فى أدبارهم ، كما حكى ذلك ابن عقيل عنهما ، وكان حاضرها ، فقال هذا إلى إباحة ذلك ، لأنه مأمون المفسدة هنالك ، وقال أبو يوسف : إن هذا لا يكون لا فى الدنيا ولا فى الآخرة ، ومن أين لك أن يكون لهم أدبار ؟ وهذا العضو - وهو الدبر - إنما خلق فى الدنيا لحاجة العباد إليه ، لأنه مخرج للأذى عنهم ، وليس فى الجنة شئ من ذلك ، وإنما فضلات أكلهم عرق يفيض من جلودهم ، فإذا هم ضمير فلا يحتاجون إلى أن يكون لهم أدبار ، ولا يكون لهذه المسألة صورة بالكلية . وقد روى هذا الرجل حديثاً واحداً عن شيخه أبى الحسين البصرى بسنده المتقدم ، من طريق شعبة عن منصور عن ربيع عن أبى مسعود البدرى أن رسول الله ﷺ قال : « إذا لم تستح فاصنع ما شئت » وقد رواه القعنبي عن شعبة ، ولم يرو عنه سواه ، فقيل : إنه لما رحل إليه دخل عليه وهو يبول فى البالوعة فسأله أن يحدته فامتنع ، فروى له هذا الحديث كلوا عظه به ، والنزم أن لا يحدته بغيره ، وقيل : لأن شعبة مر على القعنبي قبل أن يشتغل بعلم الحديث - وكان إذ ذاك يعانى الشراب - فسأله أن يحدته فامتنع ، فسل سكينا وقال : إن لم تحدثنى وإلا قتلنك ، فروى له هذا الحديث ، فتاب وأتاب ، ولزم مالكا ، ثم فاته السماع من شعبة فلم يتفق له عنه غير هذا الحديث فله أعلم .

(أبو عبد الله الدامغانى القاضى)

محمد بن على بن الحسين بن عبد الملك بن عبد الوهاب بن حمويه الدامغانى ، قاضى القضاة ببغداد ، مولده فى سنة ثمان عشرة وأربعمائة ، فتفقه بها على أبى عبد الله الصيمرى ، وأبى الحسن القدورى ، وسمع الحديث منهما ومن ابن النور والخطيب وغيرهم ، وبرع فى الفقه ، وكان له عقل وافر ، وتواضع زائد ، وانتهت إليه رئاسة الفقهاء ، وكان فصيحاً كثير العبادة ، وقد كان فقيراً فى ابتداء طلبه ، عليه أظفار رثة ، ثم صارت إليه الرئاسة والقضاء بعد ابن ماكولا ، فى سنة تسع وأربعين وكان القائم بأمر الله يكرمه ، والسلطان طغرل بك يعظمه ، وباشر الحكم ثلاثين سنة فى أحسن سيرة ، وغاية الامانة والديانة ، مرض أياماً يسيرة ثم توفى فى الرابع والعشرين من رجب من هذه السنة ، وقد فاهز الثمانين ، ودفن بداره بدرب العلابين ، ثم نقل إلى مشهد أبى حنيفة رحمه الله .

﴿ محمد بن علي بن المطلب ﴾

أبو سعد الأديب ، كان قد قرأ النحو والأدب واللغة والسير وأخبار الناس ، ثم أقبل عن ذلك كله ، وأقبل على كثرة الصلاة والصدقة والصوم ، إلى أن توفي في هذه السنة عن ست وثمانين سنة ، رحمه الله .

﴿ محمد بن طاهر العباسي ﴾

ويعرف بابن الرجيحي ، تفقه على ابن الصباغ ، وناب في الحكم ، وكان محمود الطريقة ، وشهد عند ابن الدامغاني فقبله .

﴿ منصور بن ديبس ﴾

ابن علي بن مزيد ، أبو كامل الأمير بعد سيف الدولة ، كان كثير الصلاة والصدقة ، توفي في رجب من هذه السنة ، وقد كان له شعر وأدب ، وفيه فضل ، فمن شعره قوله :

فإن أنا لم أحمل عظيمًا ولم أقد * لهاما ولم أصبر على كل معظم
ولم أحجز الجاني وأمنع جوره * غداة أنادى للفخار وأتسمى
فلا نهضت لي همة عربية * إلى المجد ترقى بي ذرى كل محرم

﴿ هبة الله بن أحمد بن السبيعي ﴾

[قاضي الحريم بنهرم على ، و] . يؤدب الخليفة المقتدي بأمر الله ، سمع الحديث ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وله شعر جيد ، فمنه قوله :

رجوت الثمانين من خالقي * لما جاء فيها عن المصطفى
فبلغنيها فشكرا له * وزاد ثلاثا بها إذ وفا
وإني منتظر وعده * لينجزه لي فعل أهل الوفا

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وأربعمائة ﴾

وفيها كانت الوقعة بين نقش صاحب دمشق وبين سليمان بن قتيلش صاحب حلب وأنطاكية وتلك الناحية ، فانهزم أصحاب سليمان وقتل هو نفسه بخنجر كانت معه ، فسار السلطان ملكشاه من أصبهان إلى حلب فملكها ، وملك ما بين ذلك من البلاد التي مر بها ، مثل حران والرها وقلعة جعبر ، وكان جعبر شيخاً كبيراً قد عمى ، وله ولدان ، وكان قطاع الطريق يلجأون إليها فيتحصنون بها ، فراسل السلطان سابق بن جعبر في تسليمها فامتنع عليه ، فنصب عليها المناجيق والفرادات ففتحها وأمر بقتل سابق ، فقالت زوجته : لا تقتله حتى تقتلني معه ، فألقاه من رأسها فتكسر ، ثم أمر بتوسيطهم بعد ذلك فألقت المرأة نفسها وراءه فسلمت ، فلامها بعض الناس فقالت : كرهت أن يصل إلى التركي فيبقى ذلك عارا على ، فاستحسن منها ذلك ، واستناب السلطان على حلب قسيم الدولة اقسنسكر التركي وهو جد نور الدين الشهيد ، واستناب على الرحبة وحران والركة وسروج والخابور :

محمد بن شرف الدولة مسلم وزوجه بأخته زليخا خاتون ، وعزل نحر الدولة بن جهمير عن ديار بكر ، وسلمها إلى العميد أبي علي البامخي ، وخلع على سيف الدولة صدقة بن دبيس الأسدي ، وأقره على عمل أبيه ، ودخل بغداد في ذي القعدة من هذه السنة ، وهي أول دخلة دخلها ، فزار المشاهد والقبور ودخل على الخليفة فقبل يده ووضعها على عيذه ، وخلع عليه الخليفة خلعا سنية ، وفوض إليه أمور الناس ، واستعرض الخليفة أمراءه ونظام الملك واقف بين يديه ، يعرفه بالأمرأه واحدا بعد واحد ، باسمه ومجيشه وأقطاعه ، ثم أفاض عليه الخليفة خلعا سنية ، وخرج من بين يديه فنزل بمدرسة النظامية ، ولم يكن رآها قبل ذلك ، فاستحسنها إلا أنه استصغرها ، واستحسن أهلها ومن بها وحمد الله وسأل الله أن يجعل ذلك خالصا لوجه الكريم ، ونزل بخزانة كتبها وأملى جزأ من مسموعاته ، فسمعه المحدثون منه ، وورد الشيخ أبو القاسم علي بن الحسين الحسني الدبوسي إلى بغداد في تجمل عظيم ، فرتبه مدرسا بالنظامية بعد أبي سعد المتولي .

وفي ربيع الآخر فرغت المنارة بجامع القصر وأذن فيها ، وفي هذه السنة كانت زلازل هائلة بالعراق والجزيرة والشام ، فهدمت شيئا كثيرا من العمران ، وخرج أكثر الناس إلى الصحراء ثم عادوا . وحج بالناس الأمير خمارتكين الحسني ، وقطعت خطبة المصريين من مكة والمدينة ، وقلمت الصفائح التي على باب الكعبة التي عليها ذكر الخليفة المصري ، وجدد غيرها عليها ، وكتب عليها اسم المقتدى . قال ابن الجوزي : وظهر رجل بين السندية وواسط يقطع الطريق وهو مقطوع اليد اليسرى ، يفتح القفل في أسرع مدة ، ويفوص دجلة في غوصتين ، ويقفز القفزة خمسة وعشرين ذراعا ، ويتساقط الحيطان الماس ، ولا يقدر عليه أحد ، وخرج من العراق سالما . قال : وفيها توفي فقير في جامع المنصور فوجد في مرقمته ستمائة دينار مغربية ، أي صحاحا كبارا ، من أحسن الذهب . قال وفيها عمل سيف الدولة صدقة سباطا للسلطان جلال الدولة أبي الفتح ملكشاه . اشتمل على ألف رأس من الغنم ، ومائة جمل وغيرها ، ودخله عشرون ألف من السكر ، وجعل عليه من أصناف الطيور والوحوش ، ثم أردفه من السكر شيء كثير ، فتناول السلطان بيده منه شيئا يسيرا ، ثم أشار فأنهب عن آخره ، ثم انتقل من ذلك المكان إلى سرادق عظيم لم ير مثله من الحرير ، وفيه خمسمائة قطعة من الفضة ، وألوان من تماثيل الند والمسك والعنبر وغير ذلك ، فمد فيه سباطا خاصا فأكل السلطان حينئذ ، وحمل إليه عشرين ألف دينار ، وقدم إليه ذلك السرادق بما فيه بكاله ، وانصرف والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الأمير جعفر بن سابق القشيري ﴾

الملقب بسابق الدين ، كان قد تملك قلعة جمبر مدة طويلة فنسبت إليه ، وإنما كان يقال لها

قبل ذلك الدوشرية ، نسبة إلى غلام النعمان بن المنذر ، ثم إن هذا الأمير كبير وعى ، وكان له ولدان
يقطعان الطريق ، فاجتاز به السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي وهو ذاهب إلى حلب
فأخذ القلعة وقتله كما تقدم . ﴿ الأمير جنفل قتلغ ﴾

أمير الحاج ، كان مقطعا للكوفة وله وقعات مع العرب أعربت عن شجاعته ، وأرعبت قلوبهم
وشقتهم في البلاد شمر منذر ، وقد كان حسن السيرة محافظا على الصلوات ، كثير التلاوة ، وله آثار
حسنة بطريق مكة ، في إصلاح المصانع والاماكن التي تحتاج إليها الحاج وغيرهم ، وله مدرسة على
الحنفية بمشهد يونس بالكوفة ، وبنى مسجدا بالجانب الغربي من بغداد على دجلة ، بمشرفة الكرخ .
توفي في جمادى الأولى منها رحمه الله ، ولما بلغ نظام الملك وفاته قال : مات ألف رجل ، والله أعلم .

﴿ علي بن فضال المشاجمي ﴾

أبو علي النحوي المغربي ، له المصنفات الدالة على علمه وغزارة فهمه ، وأسند الحديث . توفي
في ربيع الأول منها ودفن بباب إبرز .

﴿ علي بن أحمد التستري ﴾

كان مقدم أهل البصرة في المال والجاه ، وله مراكب تعمل في البحر ، قرأ القرآن وسمع الحديث
وتفرد برواية سنن أبي داود . توفي في رجب منها .

﴿ يحيى بن إسماعيل الحسيني ﴾

كان فقيها على مذهب زيد بن علي بن الحسين ، وعنده معرفة بالأصول والحديث .

﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وأربعمائة ﴾

في الحرم منها نقل جهاز ابنة السلطان ملكشاه إلى دار الخلافة على مائة وثلاثين جملا مجللة
بالديباج الرومي ، غالبها أواني الذهب والفضة ، وعلى أربع وسبعين بغلة مجللة بأنواع الديباج الملكي
وأجراسها وقلائدها من الذهب والفضة ، وكان على ستة منها اثنا عشر صندوقا من الفضة ، فيها أنواع
الجواهر والخلي ، وبين يدي البغال ثلاث وثلاثون فرسا عليها مراكب الذهب ، مرصعة بالجواهر ،
ومهد عظيم مجلل بالديباج الملكي عليه صفائح الذهب مرصع بالجواهر ، وبعث الخليفة لتلقيهم الوزير
أباشجاع ، وبين يديه نحو من ثلاثمائة موكبية غير المشاعل لخدمة الست خاتون امرأة السلطان تركان
خاتون ، حماة الخليفة ، وسألها أن تحمل الوديفة الشريفة إلى دار الخلافة ، فأجابت إلى ذلك ، فحضر
الوزير نظام الملك وأعيان الأمراء وبين أيديهم من الشموع والمشاعل مالا يحصى ، وجاءت نساء
الأميرات كل واحدة منهن في جماعتها وجواربها ، وبين أيديهن الشموع والمشاعل ، ثم جاءت
الخاتون ابنة السلطان زوجة الخليفة بعد الجميع ، في محفة مجللة ، وعليها من الذهب والجواهر مالا

نحصى قيمته ، وقد أحاط بالحكمة ماثناً جارية تركية ، بالمرآكب المزينة العجيبة مما يبهرن الأبصار ، فدخلت دار الخلافة على هذه الصفة ، وقد زين الحرم الطاهر وأشعلت فيه الشموع ، وكانت ليلة مشهودة للخليفة ، هائلة جدا ، فلما كان من الغد أحضر الخليفة أمراء السلطان ومد سماطاً لم ير مثله ، عم الحاضرين والغائبين ، وخلع على الخاتون زوجة السلطان أم المروس ، وكان أيضاً يوماً مشهوداً ، وكان السلطان متغيباً في الصيد ، ثم قدم بعد أيام ، وكان الدخول بها في أول السنة ، ولدت من الخليفة في ذى القعدة ولداً ذكراً زينت له بغداد . وفيها ولد للسلطان ملكشاه ولد سماه محموداً ، وهو الذى ملك بعده . وفيها جعل السلطان ولده أباشجاع أحمد ولى العهد من بعده ، ولقبه ملك الملوك ، عضد الدولة ، وتاج الملة ، عدة أمير المؤمنين ، وخطب له بذلك على المنابر ، ونثر الذهب على الخطباء عند ذكر اسمه . وفيها شرع في بناء الناجية في باب إبرز وعملت بستان وغرست النخيل والفواكه هنالك وعمل سور بأمر السلطان ، والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ إسماعيل بن إبراهيم ﴾

ابن موسى بن سعيد ، أبو القاسم النيسابورى ، رحل في الحديث إلى الآفاق حتى جاوز ماوراء النهر ، وكان له حظ وافر في الأدب ، ومعرفة العربية ، توفى بنيسابور في جمادى الأولى منها .

﴿ طاهر بن الحسين البندنجى ﴾

أبو الوفا الشاعر ، له قصيدتان في مدح نظام الملك إحداهما معجمة والأخرى غير منقوطة ، أولها :

لاموا ولو علموا ما اللوم ما لاموا * ورد لومهم هم وآلام

توفى ببلده في رمضان عن نيف وسبعين سنة .

﴿ محمد بن أمير المؤمنين المقتدى ﴾

عرض له جدرى فمات فيها وله تسع سنين ، فخرن عليه والده والناس ، وجلسوا للعزاء ، فأرسل إليهم يقول : إن لنا في رسول الله أسوة حسنة ، حين توفى ابنه إبراهيم ، وقال الله تعالى (والذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون) ثم عزم على الناس فأنصرفوا .

﴿ محمد بن محمد بن زيد ﴾

ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، أبو الحسن الحسيني ، الملقب بالمرتضى ذي الشرفين ، ولد سنة خمس وأربعمائة ، وسمع الحديث الكثير ، وقرأ بنفسه على الشيوخ ، وصحب الحافظ أبا بكر الخطيب ، فصارت له معرفة جيدة بالحديث ، وسمع عليه الخطيب شيئاً من مروياته ، ثم انتقل إلى سمرقند وأملى الحديث بأصبهان وغيرها ، وكان يرجع إلى عقل كامل ، وفضل ومروءة ، وكانت له أموال جزيلة ، وأملاك متسعة ، ونعمة وافرة ، يقال إنه ملك

أربعين قرية ، وكان كثير الصدقة والبر والصلة للعلماء والفقراء ، وبلغت زكاة ماله الصامت عشرة آلاف دينار غير العشور ، وكان له بستان ليس للملك مثله ، فطلبه منه ملك ما وراء النهر ، واسمعه الخضر بن إبراهيم ، عارية ليتنزه فيه ، فأبى عليه وقال : أعيره إياه ليشرب فيه الخمر بعد ما كان مأوى أهل العلم والحديث والدين ؟ فأعرض عنه السلطان وحقد عليه ، ثم استدعاه إليه ليستشيره في بعض الأمور على العادة ، فلما حصل عنده قبض عليه وسجنه في قلعته ، واستحوذ على جميع أملاكه وحواسله وأمواله ، وكان يقول : ما تحققت صحة نسبي إلا في هذه المصادرة : فأبى ربييت في النعم فكنت أقول : إن مثلي لا بد أن يبتلى ، ثم منعه الطعام والشراب حتى مات رحمه الله .

﴿ محمد بن هلال بن الحسن ﴾

أبو الحسن الصابي ، الملقب بغرس النعمة ، سمع أباه وابن شاذان ، وكانت له صدقة كثيرة ، ومعر وف ، وقد ذيل على تاريخ أبيه الذي ذيله على تاريخ ثابت بن سنان ، الذي ذيله على تاريخ ابن جرير الطبري ، وقد أنشأ داراً ببغداد ، ووقف فيها أربعة آلاف مجلد ، في فنون من العلوم ، وترك حين مات سبعين ألف دينار ، ودفن بمشهد على .

﴿ هبة الله بن علي ﴾

ابن محمد بن أحمد بن المجلى أبو نصر ، جمع خطباً وعظماً ، وسمع الحديث على مشايخ عديدة ، وتوفي شاباً قبل أوان الرواية . ﴿ أبو بكر بن عمر أمير الملتزمين ﴾

كان في أرض فرغانة ، اتفق له من الناموس ما لم يتفق لغيره من الملوك ، كان يركب معه إذا سار لقتال عدو خمسمائة ألف مقاتل ، كان يعتقد طاعته ، وكان مع هذا يقيم الحدود ويحفظ محارم الاسلام ، ويحوط الدين ويسير في الناس سيرة شرعية ، مع صحة اعتقاده ودينه ، وموالاة الدولة العباسية ، أصابته نشابة في بعض غزواته في حلقه فقتلته في هذه السنة .

﴿ فاطمة بنت علي ﴾

المؤدبة الكاتبة ، وتعرف ببنت الأقرع ، سمعت الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، وكانت تكتب المنسوب على طريقة ابن البواب ، ويكتب الناس عليها ، ويخطها كانت الهدنة من الديوان إلى ملك الروم ، وكتبت مرة إلى عميد الملك الكندي رقعة فأعطاه ألف دينار ، توفيت في الحرم من هذه السنة ببغداد ، ودفنت بباب إبرز .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ببغداد ، وجرت خطوب كثيرة . وفي ربيع الأول أخرجت الأتراك من حريم الخلافة ، فكان في ذلك قوة للخلافة . وفيها ملك مسعود بن

الملك المؤيد بن إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين بلاد غزنة بعد أبيه . وفيها فتح ملكشاه مدينة ممهرقند . وحج بالناس الأمير خوارتسكين .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن السلطان ملكشاه ﴾

وكان ولي عهد أبيه . توفي وعمره إحدى عشرة سنة ، فمكث الناس في العزاء سبعة أيام لم يركب أحد فرساً ، والناس ينحن عليه في الأسواق ، وسود أهل البلاد التي لأبيه أبوابهم .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن علي بن محمد ، أبو إسماعيل الأنصاري الهروي ، روى الحديث وصنف ، وكان كثير السفر بالليل ، وكانت وفاته بهراة في ذى الحجة عن ست وثمانين سنة . وحج بالناس فيها الوزير أبو أحمد ، واستناب ولده أبا منصور ونقيب النقباء طراد بن محمد الزينبي .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثمانين وأربعمائة ﴾

في الحرم درس أبو بكر الشاشي في المدرسة الناجية بباب إبرز ، التي أنشأها صاحب تاج الدين أبو الغنائم على الشافعية . وفيها كانت فتن عظيمة بين الروافض والسنة ، ورفعوا المصاحف ، وجرت حروب طويلة ، وقتل فيها خلق كثير ، نقل ابن الجوزي في المنتظم من خط ابن عقيل أنه قتل في هذه السنة قريب من مائتي رجل ، قال : وسب أهل الكرخ الصحابة وأزواج النبي ﷺ ، فلعنة الله على من فعل ذلك من أهل الكرخ ، وإنما حكيت هذا ليعلم ما في طوايا الروافض من الخبث والبغض لدين الاسلام وأهله ، ومن العداوة الباطنة الكامنة في قلوبهم ، لله ولرسوله وشريعته . وفيها ملك السلطان ملكشاه ما وراء النهر وطائفة كبيرة من تلك الناحية ، بعد حروب عظيمة ، ووقعات هائلة . وفيها استولى جيش المصريين على عدة بلاد من بلاد الشام . وفيها عمرت منارة جامع حلب . وفيها أرسلت الخاتون بنت السلطان امرأة الخليفة تشكو إلى أبيها إعراض الخليفة عنها ، فبعث إليها أبوها الطواشي صواب والأمير مران ليرجعاها إليه ، فأجاب الخليفة إلى ذلك ، وبعث معها بالنقيب وجماعة من أعيان الأمراء ، وخرج ابن الخليفة أبو الفضل والوزير فشيعاها إلى النهر وان ذلك في ربيع الأول ، فلما وصلت إلى عند أبيها توفيت في شوال من هذه السنة ، بأصبهان ، فعمل عزاهابغداد سبعة أيام ، وأرسل الخليفة إلى السلطان أميرين لتعزيته فيها . وحج بالناس خوارتسكين . ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ عبد الصمد بن أحمد بن علي ﴾

المعروف بطاهر ، النيسابوري الحافظ ، رحل وسمع الكثير ، وخرج ، وعاجله الموت في هذه السنة

﴿ علي بن أبي يعلى ﴾

بهمذان وهو شاب .

أبو القاسم الدبوسي ، مدرس النظامية بعد المتولى ، سمع شيئاً من الحديث ، وكان فقيهاً ماهراً ،

وجدياً باهرا

✽ عاصم بن الحسن ✽

ابن محمد بن علي بن عاصم بن مهران ، أبو الحسين العاصمي ، من أهل الكرخ ، سكن باب الشعير ولد سنة سبع وتسعين وثلثمائة ، وكان من أهل الفضل والأدب ، وسمع الحديث من الخطيب وغيره ، وكان ثقة حافظاً ، ومن شعره قوله :

لطفى على قوم بكاطمة * ودعهم والركب معترض
لم تترك العبرات مذ بعدوا * لى مقلة ترنو وتغنمض
رحلوا فدمعى واكف هطل * جار وقلبي حشوه مرض
وتعوضوا لا ذقت فقدم * عنى ومالى عنهم عوض
أقرضتهم قلبي على ثقة * منهم فاردوا الذى اقترضوا

✽ محمد بن أحمد بن حامد ✽

ابن عبيد ، أبو جعفر البخارى المتكلم المعتزلى ، أقام ببغداد وتعرف بقاضى حلب ، وكان حنفى المذهب فى الفروع ، معتزلياً فى الأصول ، مات ببغداد فى هذه السنة ، ودفن بباب حرب .

✽ محمد بن أحمد بن عبد الله ✽

ابن محمد بن إسماعيل الأصهبانى ، المعروف بمسلفة ، أحد الحفاظ الجوالين الرحالين ، سمع الكثير وجمع الكتب ، وأقام بهراة ، وكان صالحاً كثير العبادة ، توفى بفسابور فى ذى الحجة من هذه السنة والله أعلم .
✽ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة ✽

فى المحرم منها ورد إلى الفقيه أبى عبد الله الطبرى منشور نظام الملك بتدريس النظامية ، فدرس بها ، ثم قدم الفقيه أبو محمد عبد الوهاب الشيرازى فى ربيع الآخر منها بمنشور بتدريسها فاتفق الحال على أن يدرس هذا يوماً وهذا يوماً ، وفى جمادى الأولى دهم أهل البصرة رجل يقال له بلياً ، كان ينظر فى النجوم ، فاستغوى خلقاً من أهلها وزعم أنه المهدي ، وأحرق من البصرة شيئاً كثيراً ، من ذلك دار كتب وقفت على المسلمين لم يرفى الاسلام مثلها ، وأتلف شيئاً كثيراً من الدوايب والمصانع وغير ذلك . وفيها خلع على أبى القاسم طراد الزينبي بنقابة العباسيين بعد أبيه . وفيها استفتى على معلمى الصبيان أن يمنعوا من المساجد صيانة لها ، فأفتوا بمنعهم ، ولم يُسْتَنْ منهم سوى رجل كان فقيها شافعيًا يدرى كيف تصان المساجد ، واستدل المفتى بقوله عليه الصلاة والسلام « سدوا كل خوذة الاخوذة أبى بكر » وحج بالناس خمار تكيين على العادة .

ومن توفى فيها من الأعيان ✽ الوزير أبو نصر بن جهير ✽

ابن محمد بن محمد بن عميد الدولة أحد مشاهير الوزراء ، ووزر للقائم ، ثم لولده المقتدى ، ثم

عزل ملكشاه السلطان وولى ولده نحر الدولة ديار بكر وغيرها ، مات بالموصل وهي بلده التي ولد بها وفيها كان مقتل صاحب اليمن الصليحي وقد تقدم ذكره .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وأربعمائة ﴾

في المحرم منها كتب المنجم الذي أحرق البصرة إلى أهل واسط يدعوم إلى طاعته ، ويذكر في كتابه أنه المهدي صاحب الزمان الذي يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويهدي الخلق إلى الحق ، فان أطعتم أمّنتم من العذاب ، وإن عدلتم خسف بكم ، فأمنوا بالله وبالإمام المهدي . وفيها أُلزم أهل الذمة بلبس الغيار وبشد الزنار ، وكذلك نساؤهم في الخيام وغيرها . وفي جمادى الأولى قدم الشيخ أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي من أصبهان إلى بغداد على تدريس النظامية ، ولقبه نظام الملك زين الدين شرف الأئمة . قال ابن الجوزي : وكان كلامه مقبولا ، وذكاؤه شديدا . وفي رمضان منها عزل الوزير أبو شعجاع عن وزارة الخلافة فأُنشد عند عزله :

تولاها وليس له عدو * وفارقها وليس له صديق

ثم جاءه كتاب نظام الملك بأن يخرج من بغداد ، فخرج منها إلى عدة أماكن ، فلم تطبله ، فعزم على الحج ، ثم طابت نفس النظام عليه فبعث إليه يسأله أن يكون عديله في ذلك ، وناب ابن الموصلايا في الوزارة ، وقد كان أسلم قبل هذه المباشرة في أول هذه السنة . وفي رمضان منها دخل السلطان ملكشاه بغداد ومعه الوزير نظام الملك ، وقد خرج لتلقيه قاضي القضاة أبو بكر الشاشي ، وابن الموصلايا المسلماني ، وجاءت ملوك الأطراف إليه للسلام عليه ، منهم أخوه تاج الدولة نقش صاحب دمشق ، وإتابكه قسيم الدولة أقسنقر صاحب حلب . وفي ذى القعدة خرج السلطان ملكشاه وابنه وابن ابنته من الخليفة في خلق كثير من الكوفة . وفيها استوزر أبو منصور بن جهير وهي النوبة الثانية لوزارته للمقتدى ، وخلع عليه ، وركب إليه نظام الملك فهنا في داره بياب العامة ، وفي ذى الحجة عمل السلطان الميلاد في دجلة ، وأشعلت نيران عظيمة ، وأوقدت شموع كثيرة ، وجمعت المطربات في السمريات ، وكانت ليلة مشهودة عجيبة جدا ، وقد نظم فيها الشعراء الشعر ، فلما أصبح التهار من هذه الليلة جى بالخبيث المنجم الذي حرق البصرة وادعى أنه المهدي ، محمولا على جمل ببغداد وجعل يسب الناس والناس يلعنونه ، وعلى رأسه طرطورة بودع ، والدرّة تأخذنه من كل جانب ، فطافوا به ببغداد ثم صلب بعمد ذلك . وفيها أمر السلطان ملكشاه جلال الدولة بمارة جامع المنسوب إليه بظاهر السور . وفي هذه السنة ملك أمير المسلمين يوسف بن قاشفين بعد صاحب بلاد المغرب كثيرا من بلاد الأندلس ، وأسر صاحبها المعتمد بن عباد وسجنه وأهله ، وقد كان المعتمد هذا موصوفا بالكرم والأدب والحلم ، حسن السيرة والعشرة والاحسان إلى الرعية ، والرفق بهم ، فحزن الناس

عليه ، وقال في مصابه الشعراء فأكثرُوا . وفيها ملكت الفرنج مدينة صقلية من بلاد المغرب ، ومات ملكهم ققام ولده مقامه فسار في الناس سيرة ملوك المسلمين ، حتى كأنه منهم ، لما ظهر منه من الاحسان إلى المسلمين . وفيها كانت زلازل كثيرة بالشام وغيرها ، فهدمت بناياتا كثيرا ، من جملة ذلك تسعون برجاً من سور إناطكية ، وهلك تحت الهدم خلق كثير . وحج بالناس خمارتكيين .
 ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الرحمن بن أحمد ﴾

أبو طاهر ولد بأصبهان ، وتفقه بسمرقند ، وهو الذي كان سبب فتحها على يد السلطان ملك شاه ، وكان من رؤساء الشافعية ، وقد سمع الحديث الكثير . قال عبد الوهاب بن منده : لم ترقبها في وقتنا أنصف منه ، ولا أعلم . وكان فصيح اللهجة كثير المروءة عزيز النعمة ، توفى ببغداد ، ومشى الوزراء والكبراء في جنازته ، غير أن النظام ركب واعتذر بكبر سنه ، ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وجاء السلطان إلى التربة . قال ابن عقيل : جلست بكرة العزاء إلى جانب نظام الملك والملوك قيام بين يديه ، اجتأأت على ذلك بالعلم . حكاه ابن الجوزي .
 ﴿ محمد بن أحمد بن علي ﴾

أبو نصر المروزي ، كان إماماً في القراءات ، وله فيها المصنفات ، وسافر في ذلك كثيراً ، واتفق له أنه غرق في البحر في بعض أسفاره ، فبينما الموج يرفعه ويضعه إذ نظر إلى الشمس قد زالت ، فنوى الوضوء وانغمس في الماء ثم صعد فاذا خشية فركبها وصلى عليها ، ورزقه الله السلامة ببركة امتثاله للأمر ، واجتهاده على العمل ، وعاش بعد ذلك دهراً ، وتوفى في هذه السنة ، وله نيف وتسعون سنة .
 ﴿ محمد بن عبد الله بن الحسن ﴾

أبو بكر الناصح الفقيه الحنفي المناظر المتكلم المعتزلي ، ولى القضاء بنيسابور ، ثم عزل لجنونه وكلامه وأخذه الرش ، وولى قضاء الري ، وقد سمع الحديث ، وكان من أكابر العلماء . توفى في رجب منها .
 ﴿ أرتاق بن ألب التركاني ﴾

جد الملوك الارتقية الذين هم ملوك مازدين ، كان شهماً شجاعاً على الهمة ، تغلب على بلاد كثيرة وقد ترجمه ابن خلكان وأرخ وفاته بهذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها أمر السلطان ملكشاه ببناء سور سوق المدينة المعروفة بطغرلبك ، إلى جانب دار الملك ، وجدد خاناتها وأسواقها ودورها ، وأمر بتجديد الجامع الذي تم على يد هارون الخادم ، في سنة أربع وعشرين وخمسمائة ، ووقف على نصب قبلته بنفسه ، ومنجمله إبراهيم حاضر ، ونقلت أخشاب جامع سامرا ، وشرع نظام الملك في بناء دار له هائلة ، وكذلك تاج الملوك أبو القنائم ، شرع في بناء دار

هائلة أيضاً ، واستوطنوا بغداد . وفي جمادى الأولى وقع حريق عظيم ببغداد في أماكن شتى ، فما طغى ، حتى هلك للناس شيء كثير ، فما عمروا بقدر ما حرق وما غرموا . وفي ربيع الأول خرج السلطان إلى أصبهان ، وفي صحبته ولد الخليفة أبو الفضل جعفر ، ثم عاد إلى بغداد في رمضان ، فبينما هو في الطريق يوم عاشوراء عدا صبي من الديلم على الوزير نظام الملك ، بعد أن أفطر ، فضربه بسكين فقتل عليه بعد ساعة ، وأخذ الصبي الديلمي قتل ، وقد كان من كبار الوزراء وخيار الأمراء وسند ذكر شيئاً من سيرته عند ذكر ترجمته ، وقدم السلطان بغداد في رمضان بنية غير صالحة ، فلما هلك في نفسه ما تمناه لأعدائه ، وذلك أنه لما استقر ركابه ببغداد ، وجاء الناس للسلام عليه ، والتهنئة بقدمه ، وأرسل إليه الخليفة يهنئه ، فأرسل إلى الخليفة يقول له : لا بد أن تنزل لى عن بغداد ، وتحول إلى أى البلاد شئت . فأرسل إليه الخليفة يستنظره شهراً ، فرد عليه : ولا ساعة واحدة ، فأرسل إليه يتوسل في إنظاره عشرة أيام ، فأجاب إلى ذلك بعد تمنع شديد ، فما استقم الأجل حتى خرج السلطان يوم عيد الفطر إلى الصيد فأصابته حمى شديدة ، فافتصد فقام منها حتى مات قبل العشرة أيام والله الحمد والمنة . فاستحوذت زوجته زبيدة خاتون على الجيش ، وضبطت الأموال والأحوال جيداً ، وأرسلت إلى الخليفة تسأل منه أن يكون ولدها محمود ملكاً بعد أبيه ، وأن يخطب له على المنابر ، فأجابها إلى ذلك ، وأرسل إليه بالخلع ، وبمشتيعزيها ويهنئها مع وزيره عميد الدولة ابن جهمر ، وكان عمر الملك محمود هذا يومئذ خمس سنين ، ثم أخذته والدته في الجيوش وسارت به نحو أصبهان ليتوطد له الملك ، فدخلوها وتم لهم مرادهم ، وخطب لهذا الغلام في البلدان حتى في الحرمين ، واستوزر له تاج الملك أبا الغنائم المرزبان بن خسرو ، وأرسلت أمه إلى الخليفة تسأله أن تكون ولايات الهمال إليه ، فامتنع الخليفة ووافق الغزالي على ذلك ، وأفقى العلماء بمجواز ذلك ، منهم المنطبي ابن محمد الحنفي ، فلم يعمل إلا بقول الغزالي ، وانحاز أكثر جيش السلطان إلى ابنه الآخر بركيارق فبايعوه وخطبوا له بالرى ، وانفردت الخاتون وولدها ومعهم شريحة قليلة من الجيش والخاصكية ، فأنفقت فيهم ثلاثين ألف ألف دينار لقتال بركيارق بن ملكشاه ، فالتقوا في ذى الحجة فكانت الخاتون هي المنهزمة ومعها ولدها . وفي صحيح البخارى « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . وفي ذى القعدة اعترضت بنو خفاجة للحجيج فقاتلهم من في الحجيج من الجند مع الأمير خمارتسكين ، فهزمهم ، ونهبت أموال الأعراب والله الحمد والمنة . وفيها جاء برّد شديد عظيم بالبصرة ، وزن الواحدة منها خمسة أرطال ، إلى ثلاثة عشر رطلاً ، فأتلقت شيئاً كثيراً من النخيل والأشجار ، وجاء ريح عاصف قاصف فألقى عشرات الألوف من النخيل ، فانا لله وإنا إليه راجعون (وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير) وفيها ملك تاج الدولة تنش صاحب دمشق مدينة حمص ،

وقلعة غزنة ، وقاعة فاميه ، ومعه قسم الدولة أقسقر ، وكان السلطان قد جهز سرية إلى اليمن محبة سعد كوهرائين الدولة وأمير آخر من التركان ، فدخلها وأساء فيها السيرة فتوفي سعد كوهرائين يوم دخوله إليها في مدينة عدن والله الحمد والمنة .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن يحيى بن عبد الله ﴾

أبو الفضل المسمى ، المعروف بالحكك المكي ، رحل في طلب الحديث إلى الشام والعراق وأصبهان وغير ذلك من البلاد ، وسمع الكثير وخرج الأجزاء ، وكان حافظاً متقناً ، ضابطاً أديباً ، ثقة صدوقاً ، وكان يرسل صاحب مكة ، وكان من ذوى الهيئات والمروءات ، قارب الثمانين ، رحمه الله

﴿ نظام الملك الوزير ﴾

الحسن بن علي بن إسحاق ، أبو علي ، وزير للملك ألب أرسلان وولده الملكشاه تسماً وعشرين سنة ، كان من خيار الوزراء ، ولد بطوس سنة ثمان وأربعمائة ، وكان أبوه من أصحاب محمود بن سبكتكين ، وكان من الدهاقين ، فأشغل ولده هذا ، فقرأ القرآن وله إحدى عشرة سنة ، وأشغله بالعلم والقراءات والتفقه على مذهب الشافعي ، وسمع الحديث واللغة والنحو ، وكان على الهمة ، فحصل من ذلك طرفاً صالحاً ، ثم ترقى في المراتب حتى وزير السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ثم من بعده للملكشاه تسماً وعشرين سنة ، لم ينسب في شيء منها ، وبنى المدارس النظامية ببغداد ونيسابور وغيرها ، وكان مجلسه عامراً بالفقهاء والعلماء ، بحيث يقضى معهم غالب نهاره ، فقيل له : إن هؤلاء شغلوك عن كثير من المصالح ، فقال : هؤلاء جمال الدنيا والآخرة ، ولو أجلستهم على رأسي لما استكثر ذلك ، وكان إذا دخل عليه أبو القاسم القشيري وأبو المعالي الجويني قام لهما وأجلسهما معه في المقعد ، فإذا دخل أبو علي الفارندي قام وأجلسه مكانه ، وجلس بين يديه ، فعوتب في ذلك فقال : إنهما إذا دخلا علي قال : أنت وأنت ، يطرونني ويمظنونني ، ويقولوا في ما ليس في ، فأزداد بهما ما هو مركز في نفس البشر ، وإذا دخل علي أبو علي الفارندي ذكرني عيوني وظلمي ، فأنكسر فأرجع عن كثير من الذي أنا فيه . وكان محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، لا يشغله بعد الأذان شغل عنها وكان يواظب على صيام الاثنين والخميس ، وله الأوقاف الدارة ، والصدقات البارة

وكان يعظم الصوفية تعظيماً زائداً ، فعوتب في ذلك ، فقال : بينما أنا أخدم بعض الملوك جاءني يوماً إنسان فقال لي : إلى متى أنت تخدم من تأكله الكلاب غداً ؟ أخدم من تنفعك خدمته ، ولا تخدم من تأكله الكلاب غداً . فلم أفهم ما يقول ، فاتفق أن ذلك الأمير سكر تلك الليلة فخرج في أثناء الليل وهو نمل ، وكانت له كلاب تفرس الغرباء بالليل ، فلم تعرفه فزقته ، فأصبح وقد أكلته الكلاب ، قال : فأننا أطلب مثل ذلك الشيخ . وقد سمع الحديث في أما كن شقي ببغداد وغيرها ،

وكان يقول : إني لأعلم بأنني لست أهلاً للرواية ولكني أحب أن أربط في قطار نقلة حديث رسول الله ﷺ ، وقال أيضاً : رأيت ليلة في المنام إبليس فقلت له : ويحك خلقتك الله وأمرتك بالسجود له مشافهة فأبيت ، وأنا لم يأمرني بالسجود له مشافهة وأنا أسجد له في كل يوم مرات ، وأنشأ يقول :

من لم يكن للوصل أهلاً * فكل إحسانه ذنوب

وقد أجاسه المقتدى مرة بين يديه وقال له : يا حسن ، رضى الله عنك برضا أمير المؤمنين عنك ، وقد ملك ألوفاً من الترك ، وكان له بنون كثيرة ، ووزر منهم خمسة ، ووزر ابنه أحمد للسلطان محمد بن ملك شاه ، ولائير المؤمنين المسترشد بالله ،

وخرج نظام الملك مع السلطان من أصبهان قاصداً بغداد في مستهل رمضان من هذه السنة ، فلما كان اليوم العاشر اجتاز في بعض طريقه بقرية بالقرب من نهاوند ، وهو يسيره في محفة ، فقال : قد قتل ههنا خاق من الصحابة زمن عمر ، فطوبى لمن يكون عندهم ، فاتفق أنه لما أظفر جاءه صبي في هيئة مستغيث به و معه قصة ، فلما انتهى إليه ضرب به بسكين في فؤاده وهرب ، وعثر بطنب الخيمة فأخذ يقتل ، ومكث الوزير ساعة ، وجاء السلطان يعود فمات وهو عنده ، وقد اتهم السلطان في أمره أنه هو الذي مالا عليه ، فلم تطل مدته بعده سوى خمسة وثلاثين يوماً ، وكان في ذلك عبرة لأولى الألباب . وكان قد عزم على إخراج الخليفة أيضاً من بغداد ، فاتم له ماعزم عليه ، ولما بلغ أهل بغداد موت النظام حزنوا عليه ، وجلس الوزير والرؤساء للعزاء ثلاثة أيام ، ورناء الشعراء بقصائد ، منهم مقاتل بن عطية فقال :

كان الوزير نظام الملك أولوة * يقيمة صاغها الرحمن من شرف
عزت فلم تعرف الأيام قيمتها * فردها غيرة منه إلى الصدف
وأثني عليه غير واحد حتى ابن عقيل وابن الجوزي وغيرهما رحمه الله .

(عبد الباقي بن محمد بن الحسين)

ابن داود بن ياقيا ، أبو القاسم الشاعر ، من أهل الحرير الظاهري ، ولد سنة عشر وأربعمائة ، وكان ماهراً ، وقد رماد بعضهم باعتقاد الأوائيل ، وأنكر أن يكون في السماء نهر من ماء أو نهر من ابن ، أو نهر من خمر ، أو نهر من عسل ، يعنى في الجنة ، وما سقط من ذلك قطرة إلى الأرض إلا هذا الذى هو يخرب البيوت ويهدم الحيطان والسقوف ، وهذا الكلام كفر من قائله ، نقله عنه ابن الجوزي في المنتظم ، وحكى بعضهم أنه وجد في كفته مكتوباً حين مات هذين البيتين .

نزلت بجار لا يخيب ضيفه * أرجى نجاتي من عذاب جهنم
وإني على خوف من الله واثق * بالنعامة والله أكرم منعم

﴿ مالك بن أحمد بن علي ﴾

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله البانياسي الشامي ، وقد كان له اسم آخر سمته به أمه «علي أبو الحسن» فغلب عليه ما سماه به أبوه ، وما كناه به ، سمع الحديث على مشايخ كثيرة ، وهو آخر من حدث عن أبي الحسن بن الصلت ، هلك في حريق سوق الرمحانيين ، وله ثمانون سنة ، كان ثقة عند المحدثين .

﴿ السلطان ملكشاه ﴾

جلال الدين والدولة ، أبو الفتح ملكشاه ، ابن أبي شعجاع ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل ابن سلجوق نفاق التركي ، ملك بعد أبيه وامتدت مملكته من أقصى بلاد الترك إلى أقصى بلاد اليمن ، وراسله الملوك من سائر الأقاليم ، حتى ملك الروم والخزر واللات ، وكانت دولته صارمة ، والطراقات في أيامه آمنة ، وكان مع عظمته يقف للمسكين والضعيف ، والمرأة ، فيقضي حوائجهم ، وقد عمر العمارات الهائلة ، وبنى القناطر ، وأسقط المكوس والضرائب ، وحفر الأنهار الكبار ، وبنى مدرسة أبي حنيفة والسوق ، وبنى الجامع الذي يقال له جامع السلطان ببيفداد ، وبنى منارة القرون من صيوده بالكوفة ، ومثلها فيما وراء النهر ، وضبط ما صاده بنفسه في صيوده فكان ذلك نحواً من عشرة آلاف صيد ، فتصدق بعشرة آلاف درهم ، وقال : إني خائف من الله تعالى أن أكون أرهقت نفس حيوان لغير ما كله ، وقد كانت له أفعال حسنة ، وسيرة صالحة ، من ذلك أن فلاناً أتى إليه أن غلماناً له أخذوا له حمل بطيخ ، ففتشوا فإذا في خيمة الحاجب بطيخ فحملوه إليه ، ثم استدعى بالحاجب فقال : من أين لك هذا البطيخ ؟ قال : جاء به الغلمان ، فقال : أحضرهم ، فذهب وأمرهم بالهرب فأحضره وسلمه للفلاح ، وقال : خذ بيده فإنه مملوك ومملوك أبي ، وإياك أن تفارقه ، ثم رد على الفلاح الحمل البطيخ ، ففرج الفلاح بحمله وبيده الحاجب ، فاستنقذ الحاجب نفسه من الفلاح بثلاثمائة دينار . ولما توجه لقتال أخيه تنش اجتاز بطوس فدخلها لزيارة قبر علي بن موسى الرضى ، ومعه نظام الملك ، فلما خرجا قال للنظام : بم دعوت الله ؟ قال : دعوت الله أن يظفرك على أخيك . قال : لكنى قلت اللهم إن كان أخى أصلح للمسلمين فظفري به ، وإن كنت أنا أصلح لهم فظفري به ، وقد سار بعسكره من أصبهان إلى أنطاكية فما عرف أن أحداً من جيشه ظلم أحداً من الرعية ، وكانوا مئين ألوف ، واستعدى إليه مرة تركاني أن رجلاً افترض بكارة ابنته وهو يريد أن يمكنه من قتله ، فقال له : يا هذا إن ابنتك لو شامت ما مكنته من نفسها ، فإن كنت لا بد فاعلا فاقتلها معه ، فسكت الرجل ، فقال له الملك : أو تفعل خيراً من ذلك ؟ قال : وما هو ؟ قال : فإن بكارتها قد ذهبت ، فزوجها من ذلك الرجل وأنا أمهرها من بيت المال كفتايتهم ، ففعل . وحكى له بعض الوعاظ أن كسرى اجتاز يوماً في بعض أسفاره بقرية وكان منفرداً من جيشه ، فوقف على باب دار فاستسقى فأخرجت إليه جارية إناء

فيه ماء قصب السكر بالثلج ، فشرب منه فأعجبه فقال : كيف تصنعون هذا ؟ فقالت : إنه سهل علينا اعتصاره على أيدينا ، فطلب منها شربة أخرى فذهبت لتأتيه بها فوقع في نفسه أن يأخذ هذا المكان منهم ويعوضهم عنه غيره ، فأبطأت عليه ثم خرجت وليس معها شيء ، فقال : مالك ؟ فقالت : كأن نية سلطاننا تغيرت علينا ، فتمسك على اعتصاره - وهي لا تعرف أنه السلطان - فقال : اذهبي فانك الآن تقدرين عليه ، وغير نيته إلى غيرها ، فذهبت وجاءته بشربة أخرى سريراً فشربها وانصرف . فقال له السلطان : هذه تصلح لي ولكن قص على الرعية أيضاً حكاية كسرى الأخرى حين اجتاز ببستان وقد أصابته صفراء في رأسه وعطش ، فطلب من تاطوره عنقوداً من حصرم ، فقال له التاطور : إن السلطان لم يأخذ حقه منه ، فلا أقدر أن أعطيك منه شيئاً . قال : فعجب الناس من ذكاء الملك وحسن استحضاره هذه في مقابلة تلك . واستعداه رجلاً من الفلاحين على الأمير خمارتكين أنه أخذ منهما مالا جزيلاً وكسر ثفتيهما ، وقال : سمعنا بملاك في العالم ، فان أقدتنا منه كما أمرك الله وإلا استعدينا عليك الله يوم القيامة ، وأخذنا بركابه ، فنزل عن فرسه وقال لهما : خذا بكى واسحباني إلى دار نظام الملك : فهابا ذلك ، فعزم عليهما أن يفعلا ، ففعل ما أمرهما به ، فلما بلغ النظام محجى السلطان إليه خرج مسرعاً فقال له الملك : إني إنما قلدتك الأمر لتنصف المظلوم ممن ظلمه ، فكاتب من فوره فعزل خمارتكين وحل أقطاعه ، وأن برد إليهما أموالهما ، وأن يقلما ثنيتيه إن قامت عليه البينة وأمر لها الملك من عنده بمائة دينار ، وأسقط مرة بعض المكوس ، فقال له رجل من المستوفين : يا سلطان العالم ، إن هذا الذي أسقطته يعدل ستمائة ألف دينار وأكثر ، فقال : ويحك إن المال مال الله ، والعباد عباد الله ، والبلاد بلاده ، وإنما أردت أن يبقى هذا لي عند الله ، ومن نازعني في هذا ضربت عنقه . وغنمته امرأة حسناء فطرب وناقت نفسه إليها ، فهم بها فقالت : أيها الملك إني أغار على هذا الوجه الجميل من النار ، وبين الحلال والحرام كلمة واحدة ، فاستدعى القاضي فزوجه بها .

وقد ذكر ابن الجوزي عن ابن عقيل أن السلطان ملك شاه كان قد فسدت عقيدته بسبب معاشرته لبعض الباطنية ثم تنصل من ذلك وراجع الحق . وذكر ابن عقيل أنه كتب له شيئاً في إثبات الصانع ، وقد ذكرنا أنه لما رجع آخر مرة إلى بغداد فعزم على الخليفة أن يخرج منها ، فاستنظره عشرة أيام فرض السلطان ومات قبل انقضاء العشرة أيام ، وكانت وفاته في ليلة الجمعة النصف من شوال عن سبع وثلاثين سنة وخمسة أشهر ، وكان مدة ملكه من ذلك تسع عشرة سنة وأشهرًا ، ودفن بالشويزي ، ولم يهل عليه أحد لسكران الأمر ، وكان مرضه بالحمى ، وقيل إنه سم ، والله أعلم .

﴿باني التاجية ببغداد﴾

المرزبان بن خسرو ، تاج الملك ، الوزير أبو الغنائم باني التاجية ، وكان مدرسه أبو بكر الشاشي وبنى تربة الشيخ أبي إسحاق ، وقد كان السلطان ملكشاه أراد أن يستوزره بعد نظام الملك فمات سريعاً ، فاستوزر لولده محمود ، فلما قهره أخوه بركيارق قتله غلمان النظام وقطعوه إرباً إرباً في ذي الحجة من هذه السنة . ﴿هبة الله بن عبد الوارث﴾

ابن علي بن أحمد نوري ، أبو القاسم الشيرازي ، أحد الرحالين الجوالين في الآفاق ، كان حافظاً ثقة ديناً ورعاً ، حسن الاعتقاد والسيرة ، له تاريخ حسن ، ورحل إليه الطلبة من بغداد وغيرها والله أعلم . ﴿ثم دخلت سنة ست وثمانين وأربعمائة﴾

فيها قدم إلى بغداد رجل يقال له أردشير بن منصور أبو الحسين العبادي ، مرجعه من الحج ، فنزل النظامية فوعظ الناس وحضر مجلسه الغزالي مدرس المسكان ، فازدحم الناس في مجلسه ، وكثروا في المجالس بعد ذلك ، وترك كثير من الناس معاشهم ، وكان يحضر مجلسه في بعض الأحيان أكثر من ثلاثين ألفاً من الرجال والنساء ، وتاب كثير من الناس ولزموا المساجد ، وأريقت الخور وكسرت الملاهي ، وكان الرجل في نفسه صالحاً ، له عبادات ، وفيه زهد وافر ، وله أحوال صالحة ، وكان الناس يزدحمون على فضل وضوئه ، وربما أخذوا من البركة التي يتوضأ منها ماء البركة ، ونقل ابن الجوزي أنه انتهى مرة على بعض أصحابه توتاً شامياً وثلجاً فطاف بالبلد بكامله فلم يجده ، فرجع فوجد الشيخ في خلوته فسأل هل جاء اليوم إلى الشيخ أحد ؟ فقيل له جاءت امرأة فقالت إني غزلت بيدي غزلاً وبعته وأنا أحب أن أشتري للشيخ طرفة فامتنع من ذلك فبكت فرحمها ، وقال : اذهبي فاشترى ، فقالت ماذا تشتهي ؟ فقال : ماشئت ، فذهبت فأتته بتوت شامى وثلج فأكله . وقال بعضهم : دخلت عليه وهو يشرب مرقاً فقلت في نفسي : ليتني أعطاني فضله لأشربه لحفظ القرآن فتناولني فضله فقال : اشربها على تلك النية ، قال : فرزقني الله حفظ القرآن . وكانت له عبادات ومجاهدات ، ثم اتفق أنه تكلم في بيع القراضة بالصحيح فنع من الجلوس وأخرج من البلد .

وفيها خطب تنش بن ألب أرسلان لنفسه بالسلطنة ، وطلب من الخليفة أن يخطب له بالعراق فحصل التوقف عن ذلك بسبب أخيه بركيارق بن ملكشاه ، فسار إلى الرحبة وفي صحبته وطاعته أفسنقر صاحب حلب ، وبوران صاحب الرها ، ففتح الرحبة ، ثم سار إلى الموصل فأخذها من يد صاحبها إبراهيم بن قريش بن بدران ، وهزم جيوشه من بني عقيل ، وقتل خلقاً من الأمراء صبراً ، وكذلك أخذ ديار بكر ، واستوزر الكافي بن نغر الدولة بن جهير ، وكذلك أخذ همدان وخلاط ، وفتح أذر بيجان واستفحل أمره ، ثم فارقه الأميران أفسنقر وبوران فسارا إلى الملك بركيارق وبقي تنش

وحده ، فطمع فيه أخوه بركيارق فرجع تنقش فالحقه قسيم الدولة اقسنقر وبوران بباب حلب فكسرها وأمر بوران واقسنقر فصلبهما وبعث برأس بوران خطيف به حران والزها وملكها من بعده . وفيها وقعت الفتنة بين الرواض والسنة ، وانتشرت بينهم شروور كثيرة ، وفي ثاني شعبان ولد للخليفة ولده المسترشد بالله أبو منصور الفضل بن أبي العباس ، أحمد بن المستظهر ، ففرح الخليفة به وفي ذي القعدة دخل السلطان بركيارق بغداد ، وخرج إليه الوزير أبو منصور بن جهير ، وهناه عن الخليفة بالقدوم . وفيها أخذ المستنصر العبيدي مدينة صور من أرض الشام . ولم يحج فيها أحد من أهل العراق .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ جعفر بن المقتدى بالله ﴾

من الخاتون بنت السلطان ملكشاه ، في جمادى الأولى ، وجلس الوزير للعزاء والدولة ثلاثة ،

أيام . ﴿ سليمان بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن سليمان ، أبو سعود الأنصهاني ، سمع الكثير وصنف وخرج على الصحيحين ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، سمع ابن مردويه وأبا نعيم والبرقاني ، وكتب عن الخطيب وغيره ، توفي في ذي القعدة عن تسع وثمانين سنة .

﴿ عبد الواحد بن أحمد بن الحسن ﴾

الدشكري ، أبو سعد الفقيه الشافعي ، محب أبا إسحاق الشيرازي ، وروى الحديث ، وكان مؤلفاً لأهل العلم ، وكان يقول : ما مشى قدمي هاتين في لذة قط ، توفي في رجب منها ودفن بباب حرب

﴿ علي بن أحمد بن يوسف ﴾

أبو الحسن الهكاري ، قدم بغداد ونزل برباط الدوري ، وكانت له أربطة قد أنشأها ، سمع الحديث وروى عنه غير واحد من الحفاظ ، وكان يقول : رأيت رسول الله ﷺ في المنام في الروضة فقلت : يا رسول الله أوصني ، فقال : عليك باعتقاد أحمد بن حنبل ، ومذهب الشافعي ، وإياك ومجالسة أهل البدع . توفي في المحرم منها . ﴿ علي بن محمد بن محمد ﴾

أبو الحسن الخطيب الأنباري ، ويعرف بابن الأخضر ، سمع أبا عبد الرضى ، وهو آخر من حدث عنه ، توفي في شوال منها عن خمس وتسعين سنة :

﴿ أبو نصر علي بن هبة الله المعروف بابن ما كولا ﴾

[ولد سنة ثنتين وأربعمائة ، وسمع الكثير وكان من الحفاظ ، وله كتاب الاكمال في المؤلفات والمختلف ، جمع بين كتاب عبد الغنى وكتاب الدارقطني وغيرهما ، وزاد عليهما أشياء كثيرة ، بهمة حسنة مفيدة نافعة ، وكان نحوياً مبرزاً ، فصيح العبارة حسن الشعر . قال ابن الجوزي : وصفت

شيخنا عبد الوهاب يطمئن في دينه ويقول : المعلم يحتاج إلى دين . وقتل في خوزستان في هذه السنة أو التي بعدها ، وقد جاوز الثمانين . كذا ذكره ابن الجوزي [(١)] .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها كانت وفاة الخليفة المقتدى وخلافة ولده المستظهر بالله .

﴿ صفة موته ﴾

لما قدم السلطان بركيارق بغداد ، سأل من الخليفة أن يكتب له بالسلطنة كتابا فيه العهد إليه فكتب ذلك ، وهيئت الخلع وعرضت على الخليفة ، وكان الكتاب يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم ثم قدم إليه الطعام فتناول منه على العادة وهو في غاية الصحة ، ثم غسل يده وجلس ينظر في العهد بعد ما وقع عليه ، وعنده قهرمانة تسمى شمس النهار ، قالت : فنظر إلى وقال : من هؤلاء الأشخاص الذين قد دخلوا علينا بغير إذن ؟ قالت : فالتفت فلم أر أحدا ، ورأيت قد تغيرت حالته واسترخت يده ورجلاه ، وانحلت قواه ، وسقط إلى الأرض . قالت : فظننت أنه غشي عليه ، فخلت أزرار ثيابه فاذا هو لا يجيب داعيا ، فأغلقت عليه الباب وخرجت فأعلمت ولي العهد بذلك ، وجاء الأمراء ورؤس الدولة يعزونه بأبيه ، ويهنئونه بالخلافة ، فبأيامه .

﴿ ذكر شيء من ترجمة المقتدى بأمر الله ﴾

هو أمير المؤمنين المقتدى بالله ، أبو عبد الله بن الذخيرة ، الأمير ولي العهد أبي العباس أحمد ، ابن أمير المؤمنين القائم بأمر الله ، بن القادر بالله العباسي ، أمه أم ولد اسمها أرجوان أرمنية ، أدركت خلافة ولدها وخلافة ولده المستظهر وولد ولده المسترشد أيضاً ، وكان المقتدى أبيض حلوا الشمائل ، عمرت في أيامه محال كثيرة من بغداد ، ونفى عن بغداد المغنيات وأرباب الملاهي والمعاصي ، وكان غيورا على حريم الناس ، أمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، حسن السيرة ، رحمه الله ، توفي يوم الجمعة رابع عشر المحرم من هذه السنة ، وله من العمر ثمان وثلاثون سنة وثمان شهور وتسعة أيام ، خلافته من ذلك تسع عشرة سنة وثمان شهور إلا يومين ، وأخفى موته ثلاثة أيام حتى توطدت البيعة لابنه المستظهر ، ثم صلى عليه ودفن في تربتهم والله أعلم .

﴿ خلافة المستظهر بأمر الله أبي العباس ﴾

لما توفي أبوه يوم الجمعة أحضره وله من العمر ست عشرة سنة وشهران ، فبويع بالخلافة ، وأول من بايعه الوزير أبو منصور ابن جبير ، ثم أخذ البيعة له من الملك ركن الدولة بركيارق بن ملكشاه ثم من بقية الأمراء والرؤساء ، ونمت البيعة تؤخذ له إلى ثلاثة أيام ، ثم أظهر التابوت يوم

الثلاثاء الثامن عشر من المحرم ، وصلى عليه ولده الخليفة ، وحضر الناس ، ولم يحضر السلطان ، وحضر أكثر أمرائه ، وحضر الغزالي والشاشي وابن عقيل ، وبايعوه يوم ذلك ، وقد كان المستظهر كريم الأخلاق حافظاً للقرآن فصيحاً بليغاً شاعراً مطيقاً ، ومن لطيف شعره قوله :

أذاب حر الجوى في القلب ما جمدا * يوماً مدت على رسم الوداع يدا
فكيف أسلك نهج الاضطبار وقد * أرى طرائق من بهوى الهوى قددا
قد أخلف الوعد بدر قد شغفت به * من بعد ما قد وفى دهرها بما وعدا
إن كنت أنقض عهد الحب في خلدي * من بعد هذا فلا عاينته أبدا

وفوض المستظهر أمور الخلافة إلى وزيره أبي منصور عميد الدولة بن جبير ، فدبرها أحسن تدبير ، ومهد الأمور أتم تمهيد ، وساس الرعايا ، وكان من خيار الوزراء . وفي ثالث عشر شعبان عزل الخليفة أبا بكر الشاشي عن القضاء ، وفوضه إلى أبي الحسن ابن الدامغانى . وفيها وقعت فتنة بين السنة والروافض فأحرقت محال كثيرة ، وقتل ناس كثير ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولم يحج أحد لاختلاف السلاطين . وكانت الخطبة للسلطان بركيارق ركن الدولة يوم الجمعة الرابع عشر من المحرم وهو اليوم الذى توفى فيه الخليفة المقتدى بعد ما علم على توقيعه .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ آقسنقر الأتابك ﴾

الملقب قسيم الدولة السلجوقى ، ويعرف بالحاجب ، صاحب حلب وديار بكر والجزيرة . وهو جد الملك نور الدين الشهيد بن زنكى بن آقسنقر ، كان أولا من أخص أصحاب السلطان ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى ، ثم نزلت منزلته عنده حتى أعطاه حلب وأعمالها بأشارة الوزير نظام الملك وكان من أحسن الملوك سيرة وأجودهم سريرة ، وكانت الرعاية معه فى أمن ورخص وعدل ، ثم كان موته على يد السلطان تاج الدولة تنش صاحب دمشق ، وذلك أنه استعان به وبصاحب حران والرها على قتال ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه ، ففرا عنه وتركاه ، فهرب إلى دمشق ، فلما تمكن ورجعا قاتلها بباب حاب فقتلها وأخذ بلادها إلا حلب فانها استقرت لولد آقسنقر زنكى فيما بعد ، وذلك فى سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة كما سيأتى بيانه . وذكر ابن خلكان أنه كان مملوكا للسلطان ملكشاه ، هو وبوزان صاحب الرها ، فلما ملك تنش حلب استنابه بها فمضى عليه فقصدته وكان قد ملك دمشق أيضاً فقاتله فقتله فى هذه السنة فى جمادى الأولى منها ، فلما قتل دفنه ولده عماد الدين زنكى ، وهو أبو نور الدين ، فقبره بحلب أدخله ولده إليها من فوق الصور ، فدفنه بها .

﴿ أمير الجيوش بدر الجالى ﴾

صاحب جيوش مصر ومدير الممالك الفاطمية ، كان عاقلا كريما محبا للعلماء ، ولهم عليه رسوم دارة

تمكن في أيام المستنصر تمكنا عظيما ، ودارت أزمة الأمور على آرائه ، وفتح بلادا كثيرة ، وامتدت
أيلمه وبعده صيته وامتدحته الشعراء . ثم كانت وفاته في ذى القعدة منها ، وقام بالأمر من بعده ولده
الأفضل

﴿ الخليفة المقتدى ﴾

وقد تقدم شئ من ترجمته .

﴿ الخليفة المستنصر الفاطمي ﴾

سعد أبو نعيم معد بن أبي الحسن علي بن الحاكم ، استمرت أيامه ستين سنة ، ولم يتفق هذا خليفة قبله
ولا بعده ، وكان قد عهد بالأمر إلى ولده نزار ، فغلبه الأفضل بن بدر الجمالي بعد موت أبيه . وأمر
الناس فبايعوا أحمد بن المستنصر أخاه ، ولقبه بالمستعلي ، فهرب نزار إلى الاسكندرية فجمع الناس
عليه فبايعوه ، ونولى أمره قاضي الاسكندرية : جلال الدولة بن عمار ، فقصده الأفضل فحاصره وقتلهم
نزار وهزمهم الأفضل وأسر القاضي ونزار ، فقتل القاضي وحبس نزار بين حيطين حتى مات . واستقر
المستعلي في الخلافة ، وعمره إحدى وعشرون سنة .

﴿ محمد بن أبي هاشم ﴾

أمير مكة ، كانت وفاته فيها عن نيف وتسعين سنة .

﴿ محمود بن السلطان ملكشاه ﴾

كانت أمه قد عقدت له الملك ، وأنفقت بسببه الأموال ، فقاتله بركيارق فكسره ، ولزم بلده
أصبهان ، فمات بها في هذه السنة ، وحمل إلى بغداد فدفن بها بالتربة النظامية ، كان من أحسن الناس
وجها ، وأظرفهم شكلا ، توفي في شوال منها ، وماتت أمه الخاتون تركيان شاه في رمضان ، فأنحل
نظامه ، وكانت قد جمعت عليه العساكر ، وأسندت أزمة أمور المملكة إليه ، وملكته عشرة آلاف
مملوك تركي ، وأنفقت في ذلك قريبا من ثلاثة آلاف ألف دينار ، فأنحل النظام ولم تحصل على
طائل ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ﴾

فيها قدم يوسف بن أبق التركاني من جهة تنش صاحب دمشق إلى بغداد لأجل إقامة الدعوى له
ببغداد ، وكان تنش قد توجه لقتال أخيه بساحية الرى ، فلما دخل رسوله بغداد هابوه وخافوه
واستدعاه الخليفة فحضره . وقبل الأرض بين يدي الخليفة ، وتلأهأ أهل بغداد له ، وخافوا أن ينهبهم ،
فبينما هو كذلك إذ قدم عليه رسول أخيه فأخبره أن تنش قتل في أول من قتل في الوقعة ، وكانت
وفاته في سابع عشر صفر من هذه السنة ، فاستفعل أمر بركيارق ، واستقل بالأمور . وكان دقاق بن
تنش مع أبيه حين قتل ، فسار إلى دمشق فلما كان نائبا عليه الأمير ساوتكين ،

واستوزر أبا القاسم الخوارزمي، وملك عبد الله بن تنش مدينة حلب، ودبر أمر مملكته جناح الدولة ابن اتكين، ورضوان بن تنش صاحب مدينة حماه، وإليه تنسب بنو رضوان بها. وفي يوم الجمعة التاسع عشر من ربيع الأول منها خطب لولي العهد أبي المنصور الفضل بن المستنصر، ولقب بنخيرة الدين. وفي ربيع الآخر خرج الوزير ابن جبير فاخطب سورا على الحریم، وأذن للعوام في العمل والتفرج فأظهروا منكرات كثيرة، وسخافات عقول ضعيفة، وعملوا أشياء منكورة، فبعث إليه ابن عقيل رقعة فيها كلام غليظ، وإنكار بغيض. وفي رمضان خرج السلطان بركيارق فعدا عليه فداوى، فلم يتمكن منه، فسك فعوقب فأقر على آخرين فلم يقرأ فقتل الثلاثة. وجاء الطواشي من جهة الخليفة مهتأله بالسلامة. وفي ذي القعدة منها خرج أبو حامد الغزالي من بغداد متوجها إلى بيت المقدس فاركا لتدريس النظامية، زاهدا في الدنيا، لا بسأ خشن الثياب بمدانعها، وناب عنه أخوه في التدريس ثم حج في السنة التالية ثم رجع إلى بلده، وقد صنف كتاب الإحياء في هذه المدة، وكان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعون. وفي يوم عرفة خلع على القاضي أبي الفرج عبد الرحمن بن هبة الله بن البستي، ولقب بشرف القضاة، ورد إلى ولاية القضاء بالحریم وغديره. وفيها اصطليح أهل الكرخ من الرافضة والسنة مع بقية الحلال، وتراوروا وتواصلوا وتواكلوا، وكان هذا من المعائب، وفيها قتل أحمد بن خاقن صاحب سمرقند، وسببه أنه شهد عليه بالزندقة فخنق وولى مكانه ابن عمه مسعود. وفيها دخل الأتراك إفريقية وغدروا بيهجي بن تميم بن المعز بن باديس، وقبضوا عليه، وملكوا بلاده وقتلوا خلقا، بعد ما جرت بينه وبينهم حروب شديدة، وكان مقدمهم رجل يقال له شاه ملك، وكان من أولاد بعض أمراء المشرق، فقدم مصر وخدم بها ثم هرب إلى المغرب، ومعه جماعة ففعل ما ذكر. ولم يحج أحد من أهل العراق فيها.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿الحسن بن أحمد بن خيرون﴾

أبو الفضل المعروف بابن الباقلائي، سمع الكثير، وكتب عنه الخطيب، وكانت له معرفة جيدة، وهو من الثقات، وقبله الدامغاني، ثم صار أمينا له، ثم ولى إشراف خزانة الغلات. توفي في رجب عن ثنتين وثمانين سنة. ﴿تنش أبو المظفر﴾

تاج الدولة بن ألب أرسلان، صاحب دمشق وغيرها من البلاد، وقد تزوج امرأة على ابن أخيه بركيارق بن ملكشاه، ولكن قدر الله وماتت، وقد قال المتنبي:

ولله سر في علاك وإنما * كلام العدى ضرب من الهديان

قال ابن خلكان: كان صاحب البلاد الشرقية فاستنجدته أنسز في محاربة أمير الجيوش من جهة صاحب مصر، فلما قدم دمشق لنجدته وخرج إليه أنسز، أمر بمسكه وقتله، واستحوذ هو على دمشق

وأعمالها في سنة إحدى وسبعين ، ثم حارب أنسر فقتله ، ثم تحارب هو وأخوه بركيارق ببلاذ الري ، ففكسره أخوه وقتل هو في المعركة ، وتملك ابنه رضوان حلب ، وإليه تنسب بنو رضوان بها ، وكان ملكه عليها إلى سنة سبع وخمسين وخمسة ، ممته أمه في عنقود عنب ، فقام من بعده ولده تاج الملك بوري أربع سنين ، ثم ابنه الآخر شمس الملك إسماعيل ثلاث سنين ، ثم قتلته أمه أيضا ، وهي زمرد خاتون بنت جاولي ، وأجلست أخاه شهاب الدين محمود بن بوري ، فحك أربع سنين ، ثم ملك أخوه محمد بن بوري طغر كين سنة ، ثم تملك مخير الدين أتق من سنة أربع وثلاثين إلى أن انتزع الملك منه نور الدين محمود زنكي كما سيأتي ، وكان إتابك العساكر بدمشق أيام أتق معين الدين ، الذي تنسب إليه المعينية بالغور ، والمدرسة المعينية بدمشق .

﴿ رزق الله بن عبد الوهاب ﴾

ابن عبد العزيز أبو محمد التيمي أحد أئمة القراء والفقهاء على مذهب أحمد ، وأئمة الحديث ، وكان له مجاس للوعظ ، وحلقة للفتوى بجامع المنصور ، ثم بجامع القصر ، وكان حسن الشكل محبباً إلى العامة له شعر حسن ، وكان كثير العبادة ، فصيح العبارة ، حسن المناظرة . وقد روى عن آبائه حديثاً مسلسلاً عن علي بن أبي طالب أنه قال : هتف العلم بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل . وقد كان ذا وجهة عند الخليفة ، يفد في مهام الرسائل إلى السلطان . توفي يوم الثلاثاء النصف من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بداره بباب المراتب باذن الخليفة ، وصلى عليه ابنه أبو الفضل

﴿ أبو يوسف القزويني ﴾

عبد السلام بن محمد بن يوسف بن بندار الشيخ ، شيخ المعتزلة ، قرأ على عبد الجبار بن أحمد الهمداني ، ورحل إلى مصر ، وأقام بها أربعين سنة ، وحصل كتباً كثيرة ، وصنف تفسيراً في سبعمائة مجلد . قال ابن الجوزي : جمع فيه العجب ، وتكلم على قوله تعالى (واتبعوا ما تلتوا الشياطين على ملك سليمان) في مجلد كامل . وقال ابن عقيل : كان طويل اللسان بالعلم تارة ، وبالشعر أخرى ، وقد سمع الحديث من أبي عمر بن مهدي وغيره ، ومات ببغداد عن ست وتسعين سنة . وما تزوج إلا في آخر عمره .

﴿ أبو شجاع الوزير ﴾

محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم ، أبو شجاع ، الملقب ظهير الدين ، الروذراوري الأصل الأهوازي المولد ، كان من خيار الوزراء كثير الصدقة والاحسان إلى العلماء والفقهاء ، وسمع الحديث من الشيخ أبي إسحاق الشيرازي وغيره ، وصنف كتباً ، منها كتابه الذي ذيله على تجارب الأمم . ووزر للخليفة المقتدى وكان يملك ستمائة ألف دينار ، فأنفقها في سبيل الخيرات والصدقات ، ووقف الوقوف الحسنة ، وبنى المشاهد ، وأكثر الانعام على الأراذل والأيتام . قال

له رجل : إلى جانبنا أرملة لها أربعة أولاد وهم عراة وجبايع ، فبعث إليهم مع رجل من خاصته نفقة وكسوة وطعاماً ، ونزع عنه ثيابه في البرد الشديد ، وقال : والله لا ألبسها حتى ترجع إلى بخبرهم ، فذهب الرجل مسرعاً بما أرسله على يديه إليهم ، ثم رجع إليه فأخبره أنهم فرحوا بذلك ودعوا للوزير ، فسر بذلك ولبس ثيابه . وجئ إليه مرة بقطائف سكرية فلما وضعت بين يديه تنصص عليه بمن لا يقدر عليها ، فأرسلها كلها إلى المساجد ، وكانت كثيرة جداً ، فأطعمها الفقراء والعميان وكان لا يجلس في الديوان إلا وعنده الفقهاء ، فإذا وقع له أمر مشكل سألهم عنه فحكم بما يفتونه ، وكان كثير التواضع مع الناس ، خاصتهم وعامتهم ، ثم عزل عن الوزارة فسار إلى الحج وجاور بالمدينة ثم مرض ، فلما ثقل في المرض جاء إلى الحجرة النبوية فقال : يا رسول الله قال الله تعالى (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً) وها أنا قد جئتكم أستغفر الله من ذنوبي وأرجو شفاعتك يوم القيامة ، ثم مات من يومه ذلك رحمه الله ، ودفن في البقيع .

﴿ القاضي أبو بكر الشاشي ﴾

محمد بن المظفر بن بكران الحموي أبو بكر الشاشي ، ولد سنة أربع مائة ، وتفقه ببلده ، ثم حج في سنة سبع عشرة وأربعمائة ، وقدم بغداد فتفقه على أبي الطيب الطبري وسمع بها الحديث ، وشهد عند ابن الدامغانى قبله ، ولازم مسجده خمساً وخمسين سنة ، يقرئ الناس ويفقههم ، ولما مات الدامغانى أشار به أبو شجاع الوزير فولاه الخليفة المقتدى القضاء ، وكان من أنزه الناس وأعفهم ، لم يقبل من سلطان عطية ، ولا من صاحب هدية ، ولم يغير ملبسه ولا مأكله ، ولم يأخذ على القضاء أجراً ولم يستنّب أحداً ، بل كان يباشر القضاء بنفسه ، ولم يحجب مخلوقاً ، وقد كان يضرب بعض المنكرين حيث لا يبينه ، إذا قامت عنده قرائن التهمة ، حتى يقرؤا ، ويذكر أن في كلام الشافعي ما يدل على هذا . وقد صنف كتاباً في ذلك ، ونصره ابن عقيل فيما كان يتعاطاه من الحكم بالقرائن ، واستشهد له بقوله تعالى (إن كان قبضه قد من قبل) الآية . وشهد عند مناجل من كبار الفقهاء والمناظرين يقال له المشطب بن أحمد بن أسامة الفرغانى ، فلم يقبله ، لما رأى عليه من الحرير وخاتم الذهب ، فقال له المدعى : إن السلطان ووزيره نظام الملك يلبسان الحرير والذهب ، فقال القاضي الشاشي : والله لو شهدا عندي على باقة بقله ما قبلتهما ، ولرددت شهادتهما . وشهد عنده مرة فقيه فاضل من أهل مذهبه فلم يقبله ، فقال : لأى شئ ترد شهادتي وهي جائزة عند كل حاكم إلا أنت ؟ فقال له : لا أقبل لك شهادة ، فأتى رأيته تفتسل في الحمام عريانياً غير مستور العورة ، فلا أقبلك . توفى يوم الثلاثاء عاشر شعبان من هذه السنة عن ثمان وثمانين سنة ، ودفن بالقرب من ابن شريح .

﴿ أبو عبد الله الحميدى ﴾

محمد بن أبى نصر فتوح بن عبد الله بن حميد ، الأندلسى ، من جزيرة يقال لها برقة قريبة من الأندلس ، قدم بغداد فسمع بها الحديث ، وكان حافظاً مكثراً أديباً ماهراً ، عفيفاً نزهاً ، وهو صاحب الجمع بين الصحيحين ، وله غير ذلك من المصنفات ، وقد كتب مصنفات ابن حزم والخطيب ، وكانت وفاته ليلة الثلاثاء السابع عشر من ذى الحجة ، وقد جاوز التسعين ، وقبره قريب من قبر بشر الحافى ببغداد .

﴿ هبة الله ابن الشيخ أبى الوفا بن عقيل ﴾

كان قد حفظ القرآن وتفقه وظهر منه نجابة ، ثم مرض فأنفق عليه أبوه أموالاً جزيلة فلم يقد شيئاً فقال له ابنه ذات يوم : يا أبت إنك قد أكرت الأدوية والأدعية ، والله فى اختيار فدعنى واختيار الله فى ، قال أبوه : فعلت أنه لم يوفق لهذا الكلام إلا وقد اختير للحظوة والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثمانين وأربعمائة ﴾

قال ابن الجوزى فى المنتظم : فى هذه السنة حكم جهلة المنجمين أنه سيكون فى هذه السنة طوفان قريب من طوفان نوح ، وشاع الكلام بذلك بين العوام وخافوا ، فاستدعى الخليفة المستظهر ابن عشبون المنجم فسأله عن هذا الكلام فقال : إن طوفان نوح كان فى زمن اجتمع فى بحر الحوت الطوالع السبعة ، والآن فقد اجتمع فيه ستة ولم يجتمع معها زحل ، فلا بد من وقوع طوفان فى بعض البلاد ، والأقرب أنها بغداد . فتقدم الخليفة إلى وزيره باصلاح المسيلات والمواقع التى يخشى انفجار الماء منها ، وجعل الناس ينتظرون ، فجاء الخبر بأن الحجاج حصلوا بوادى المناقب بعد نخللة فأتاهم سيل عظيم ، فأنجا منهم إلا من تعلق برؤس الجبال ، وأخذ الماء الجمال والرجال والرحال ، فخلع الخليفة على ذلك المنجم وأجرى له جارية . وفيها ملك الأمير قوام الدولة أبو سعيد كرتوقا مدينة الموصل ، وقتل شرف الدولة محمد بن مسلم بن قریش ، وغرقه بعد حصار تسعة أشهر . وفيها ملك تميم بن المعز المغربى مدينة قابس وأخرج منها أخاه عمر ، فقال خطيب سوسة فى ذلك أبيتاً .

ضحك الزمان وكان يابى عابساً * لما فتحت بحد سيفك قابسا

وأتينها بكرا وما أمهرتها * إلا قنا وصوارما وفوارساً

الله يعلم ما جنيت ثمارها * إلا وكان أبوك قبلا غارساً

من كان فى زرق الأستنة خاطباً * كانت له قلال البلاد عرائساً

وفى صفر منها درس الشيخ أبو عبد الله الطبرى بالنظامية ، ولاه إياها نحر الملك بن نظام الملك وزير بركيارق . وفيها أغارت خلفجة على بلاد سيف الدولة صدقة بن مزيد بن منصور بن ديبس وقصدوا مشهد الحسين بالحر ، وتظاهروا فيه بالتمكرات والفساد ، فكبسهم فيه الأمير صدقة المذكور .

فقتل منهم خلقا كثيرا عند الضريح . ومن المعجائب أن أحدهم ألقى نفسه وفرسه من فوق السور وسلمت فرسه . وحج بالناس الأمير خوارتكين الحسناني .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ عبد الله بن إبراهيم بن عبد الله ﴾

أخو أبي حكيم الخيري ، وخير : إحدى بلاد فارس ، سمع الحديث وتفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكانت له معرفة بالفرائض والأدب واللغة ، وله مصنفات ، وكان مرضى الطريقة ، وكان يكتب المصاحف بالأجرة ، فبينما هو ذات يوم يكتب وضع القلم من يده واستند وقال : والله لئن كان هذا موتا إنه لطيب ، ثم مات .

﴿ عبد المحسن بن علي بن أحمد الشنجي ﴾

التاجر ، ويعرف بابن شهداء مكة ، بغدادى ، سمع الحديث الكثير ، ورحل وأكثر عن الخطيب وهو بصور ، وهو الذى حمله إلى العراق ، فلهذا أهدى إليه الخطيب تاريخ بغداد بخطه ، وقد روى عنه فى مصنفاته ، وكان يسميه عبدا لله ، وكان ثقة .

﴿ عبد الملك بن إبراهيم ﴾

ابن أحمد أبو الفضل المعروف بالهمداني ، تفقه على الماوردي ، وكانت له يدطولى فى العلوم الشرعية والحساب وغير ذلك ، وكان يحفظ غريب الحديث لأبي عبيد والمجمل لابن فارس ، وكان عفيفا زاهدا ، طلبة المقتدى ليوليه قاضى القضاة فأبى أشد الإباء ، واعتذر له بالعجز وعلو السن ، وكان ظريفا لطيفا ، كان يقول : كان أبى إذا أراد أن يؤذنى أخذ العصا بيده ثم يقول : نويت أن أضرب ولدى تأديبا كما أمر الله ، ثم يضربنى . قال : وإلى أن ينوى ويتمم النية كنت أهرب . توفي فى رجب منها ودفن عند قبر ابن شريح . ﴿ محمد بن أحمد بن عبد الباقي بن منصور ﴾

أبو بكر الدقاق ، ويعرف بابن الحاضنة ، كان معروفاً بالأفادة وجودة القراءة وحسن الخط وصحة النقل ، جمع بين علم القراءات والحديث ، وأكثر عن الخطيب وأصحاب الخلفاء . قال : لما غرقت بغداد غرقت دارى وكتبى فلم يبق لى شئ ، فاحتجت إلى النسخ فكتبت صحيح مسلم فى تلك السنة سبع مرات ، فتمت فرأيت ذات ليلة كأن القيامة قد قامت وقائل يقول أين ابن الحاضنة ؟ فجننت فأدخلت الجنة فلما دخلتها استلقيت على قفاى ووضعت إحدى رجلي على الأخرى وقلت : استرحرت من النسخ ، ثم استيقظت والقلم فى يدي والنسخ بين يدي .

﴿ أبو المظفر السمعاني ﴾

منصور بن محمد بن عبد الجبار بن أحمد بن محمد ، أبو المظفر السمعاني ، الحافظ ، من أهل مرو ، تفقه أولا على أبيه فى مذهب أبي حنيفة ، ثم انتقل إلى مذهب الشافعى فأخذ عن أبي إسحاق وابن

الصباغ ، وكانت له يد طولى فى فنون كثيرة ، وصنف التفسير وكتاب الانتصار فى الحديث ، والبرهان والقواطع فى أصول الفقه ، والاصطلام وغير ذلك ، ووعظ فى مدينة نيسابور ، وكان يقول : ما حفظت شيئاً فنيسته ، وسئل عن أخبار الصفات فقال : عليكم بدين المعجّاز وصبيان السكتاتيب ، وسئل عن الاستواء فقال :

جئنا لتعلما سر سعدى * تجدانى بسر سعدى شحيحا

إن سعدى لمنية الممنى * جمعت عفة ووجها صبيحا

توفى فى ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن فى مقبرة مرورحمه الله تعالى وإيانا آمين .

﴿ ثم دخلت سنة تسعين وأربعمائة من الهجرة ﴾

ففيها كان ابتداء ملك الخوارزمية ، وذلك أن السلطان بركيارق ملك فيها بلاد خراسان بعد مقتل عمه أرسلان أرغون بن ألب أرسلان وسلمها إلى أخيه المعروف بالملك سنجر ، وجعل إتابكه الأمير قجاج ، ووزيره أبو الفتح على بن الحسين الطغراني ، واستعمل على خراسان الأمير حبشى بن البرشاق ، فولى مدينة خوارزم شابا يقال له محمد بن أنوشتهكين ، وكان أبوه من أمراء السلاجقة ، ونشأ هو فى أدب وفضيلة وحسن سيرة ، ولما ولى مدينة خوارزم لقب خوارزم شاه ، وكان أول ملوكهم ، فأحسن السيرة وعامل الناس بالجميل ، وكذلك ولده من بعده اتشترجى على سيرة أبيه ، وأظهر العدل ، فحظى عند السلطان سنجر وأحبه الناس ، وارتفعت منزلته ، وفيها خطب الملك رضوان ابن تاج الملك تنش للخليفة الفاطمى المستعلى ، وفى شوال قتل رجل باطنى عند باب النوبى كان قد شهد عليه عدلان أحدهما ابن عقيل أنه دعاهما إلى مذهبه فجعل يقول أتقتلوننى وأنا أقول لا إله إلا الله ؟ فقال ابن عقيل قال الله تعالى (فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده) الآية وما بعدها ، وفى رمضان منها قتل برشواحد أكبر الأمراء وكان أول من تولى شحنة بغداد . وحج بالناس فيها خართვეكين الحسنانى ، وفى يوم عاشوراء كبست دار بهاء الدولة أبونصر بن جلال الدولة أبى طاهر ابن بويه لأمر ثبوت عليه عند القاضى فأريق دمه ونقضت داره وعمل مكانها مسجدان للحنفية والشافعية ، وقد كان السلطان ملكشاه قد أقطعه المدائن وديرها قول وغيرهما .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسن ﴾

ابن على بن زكريا بن دينار ، أبو يعلى العبدى البصرى ، ويعرف بابن الصواف ، ولد سنة أربعمائة ، وسمع الحديث ، وكان زاهدا متصوفا ، وفقها مدرسا ، ذا سمع وقار ، وسكينة ودين ، وكان علامة فى عشرة علوم ، توفى فى رمضان منها عن تسعين سنة رحمه الله .

﴿ المعمر بن محمد ﴾

ابن المعمر بن أحمد بن محمد، أبو الغنائم الحسيني، سمع الحديث، وكان حسن الصورة كريم الأخلاق كثير التعبد، لا يعرف أنه آذى مسلماً ولا شتم صاحباً. توفي عن نيف وستين سنة، وكان نقيباً ثنتين وثلاثين سنة، وكان من سادات قریش، وتولى بعده ولده أبو الفتوح حيدرة، ولقب بالرضي ذي الفخرين، ورفاه الشعراء بأبيات ذكرها ابن الجوزي.

﴿ يحيى بن أحمد بن محمد بن علي البستي ﴾

سمع الحديث ورحل فيه، وكان ثقة صالحاً صدوقاً أديباً، عمر مائة سنة وثنتي عشرة سنة وثلاثة أشهر، وهو مع ذلك صحيح الخواص، يقرأ عليه القرآن والحديث، رحمه الله وإيانا آمين.

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وتسعين وأربعمائة ﴾

في جمادى الأولى منها ملك الأفرنج مدينة أنطاكية بعد حصار شديد، بمواطاة بعض المستحفظين على بعض الأبراج، وهرب صاحبها ياغي سيان في نفر يسير، وترك بها أهله وماله، ثم إنه ندم في أثناء الطريق ندماً شديداً على ما فعل، بحيث إنه غشى عليه وسقط عن فرسه، فذهب أصحابه وتركوه، فجاء راعي غنم فقطع رأسه وذهب به إلى ملك الفرنج، ولما بلغ الخبر إلى الأمير كربوقا صاحب الموصل جمع عساكر كثيرة، واجتمع عليه دقاق صاحب دمشق، وجناح الدولة صاحب حمص، وغيرهما، وسار إلى الفرنج فالتقوا معهم بأرض أنطاكية فهزموهم الفرنج وقتلوا منهم خلقاً كثيراً، وأخذوا منهم أموالاً جزيلة، فأناب الله وإنا إليه راجعون. ثم صارت الفرنج إلى معرة النعمان فأخذوها بعد حصار فلا حول ولا قوة إلا بالله. ولما بلغ هذا الأمر الفظيع إلى الملك بركيارق شق عليه ذلك وكتب إلى الأمراء ببغداد أن يتجهزوا هم والوزير ابن جهير، لقتال الفرنج، فبرز بعض الجيش إلى ظاهر البلد بالجانب الغربي ثم انفسخت هذه العزيمة لأنهم بلغهم أن الفرنج في ألف ألف مقاتل فلا حول ولا قوة إلا بالله. وحج بالناس فيها خارتكين.

﴿ طراد بن محمد بن علي ﴾

ابن الحسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن علي بن عباس، أبو الفوارس بن أبي الحسن بن أبي القاسم بن أبي تمام، من ولد زيد بن بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، وهي أم ولده عبد الله بن محمد بن إبراهيم الامام بن محمد بن عبد الله بن عباس، سمع الحديث الكثير، والكتب الكبار، وتفرد بالرواية عن جماعة، ورحل إليه من الآفاق وأملى الحديث في بلدان شتى، وكان يحضر مجلسه العلماء والسادات وحضر أبو عبد الله الدامغانى مجلسه، وباشر نقابة الطالبين مدة طويلة، وتوفي عن نيف وتسعين سنة، ودفن

في مقابر الشهداء رحمه الله ﴿المظفر أبو الفتح ابن رئيس الرؤساء أبي القاسم﴾
ابن المسلمة كانت داره مجماً لأهل العلم والدين والأدب ، وبها توفي الشيخ أبو إسحاق
الشيرازي ، ودفن عند الشيخ أبي إسحاق في تربته .

﴿ثم دخلت سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة﴾ - وفيها أخذت الفرنج بيت المقدس
لما كان ضحى يوم الجمعة لسبع بقين من شعبان سنة ثنتين وتسعين وأربعمائة ، أخذت الفرنج
لعنهم الله بيت المقدس شرفه الله ، وكانوا في نحو ألف ألف مقاتل ، وقتلوا في وسطه أزيد من ستين
ألف قتيل من المسلمين ، وجاسوا خلال الديار ، وتبروا ماعلوا تقبيرا . قال ابن الجوزي : وأخذوا
من حول الصخرة اثنتين وأربعين قنديلا من فضة ، وزنة كل واحد منها ثلاثة آلاف وستمائة درهم ،
وأخذوا تنورا من فضة زنته أربعون رطلا بالشامي ، وثلاثة وعشرين قنديلا من ذهب ، وذهب
الناس على وجوههم هاربين من الشام إلى العراق ، مستغيثين على الفرنج إلى الخليفة والسلطان ، منهم
القاضي أبو سعد الهروي ، فلما سمع الناس ببغداد هذا الأمر الفظيع هالهم ذلك وتباكوا ، وقد نظم أبو
سعد الهروي كلاما قرىء في الديوان وعلى المنابر ، فارتفع بكاء الناس ، ونذب الخليفة الفقهاء إلى الخروج
إلى البلاد ليحرضوا الملوك على الجهاد ، فخرج ابن عقيل وغير واحد من أعيان الفقهاء فساروا في
الناس فلم يقد ذلك شيئا ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، فقال في ذلك أبو المظفر الأبيوردي شعرا :

مزجنا دمانا بالدموع السواجم * فلم يبق منا عرضة للمراجم
وشر سلاح المرء دمع يريقه * إذا الحرب شبت نارها بالصوارم
فأيها بني الاسلام إن وراءكم * وقائع يلحقن الدرى بالمناسم
وكيف تنام العين مل جفونها * على هفوات أيقظت كل نائم
وإخوانكم بالشام يضحى مقلهم * ظهور المذاكي أو بطون القشاعم
تسومهم الروم الهوان وأنتم * تجرون ذيل الخفض فعل المسالم

ومنها قوله :

وبين اختلاس الطعن والضرب وقفة * تظل لها الولدان شيب القوادم
وتلك حروب من يغيب عن غمارها * ليسلم يقرع بعدها سن تادم
سَلَكْنَ بأيدي المشركين قواضيا * ستغمد منهم في الكلى والجحاجم
يكاد لمن المستجير بطيبة * ينادى بأعلا الصوت يا آل هاشم
أرى أمتي لا يشرعون إلى العدا * رماحهم والدين واهي الدعائم
ويجتنبون النار خوفا من الردى * ولا يحسبون العار ضربة لازم

أبرضى صناديد الأعراب بالأذى * ويغضى على ذل كاة الأعاجم
فليتهمو إذ لم يذودوا حمية * عن الدين ضنوا غيرة بالمحارم
وإن زهدوا في الأجر إذ حس الوغى * فهلا أتوه رغبة في المغنم

وفيهما كان ابتداء أمر السلطان محمد بن ملكشاه ، وهو أخو السلطان سنجر لأبيه وأمه ،
واستفحل إلى أن خطب له ببغداد في ذي الحجة من هذه السنة . وفيها سار إلى الري فوجد زبيدة
خاتون أم أخيه بركيارق قاصر بختها ، وكان عمرها إذ ذاك ثنتين وأربعين سنة ، في ذي الحجة منها
وكانت له مع بركيارق خمس وقعات هائلة . وفيها غلت الأسعار جدا ببغداد ، حتى مات كثير من
الناس جوعاً ، وأصابهم وباء شديد حتى عجزوا عن دفن الموتى من كثرتهم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ السلطان إبراهيم بن السلطان محمود ﴾

ابن مسعود بن السلطان محمود بن سبكتكين ، صاحب غزنة وأطراف الهند ، وعدا ذلك ، كانت
له حرمة وأبهة عظيمة ، وهيبة وافرة جدا ، حكى السكيا الهراشي حين بعثه السلطان بركيارق في
رسالته إليه عما شاهدته عنده من أمور السلطنة في ملبسه ومجلسه ، وما رأى عنده من الأموال
والسعادة الدنيوية ، قال : رأيت شيئا عجيباً ، وقد وعظه بحديث « لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير
من هذا » فبكى . قال : وكان لا يبني لنفسه منزلاً إلا بني قبله مسجداً أو مدرسة أو رباطاً . توفي في
رجب منها وقد جاوز التسعين ، وكانت مدة ملكه منها ثنتين وأربعين سنة .

﴿ عبد الباقي بن يوسف ﴾

ابن علي بن صالح ، أبو تراب البراعى ، ولد سنة إحدى وأربعمئة وتفقه على أبي الطيب الطبرى
وسمع الحديث عليه وعلى غيره ، ثم أقام بنيسابور ، وكان يحفظ شيئاً كثيراً من الحكايات والملح ،
وكان صبوراً متقللاً من الدنيا ، على طريقة السلف ، جاءه منشور بقضاء همدان فقال : أنا منتظر
منشوراً من الله عز وجل ، على يدى ملك الموت بالقدوم عليه ، والله لجلوس ساعة في هذه المسلة على
راحة القلب أحب إلى من ملك العراقين ، وتعليم مسألة لطالب أحب إلى مما على الأرض من شيء ،
والله لا أفلح قلب يعلق بالدنيا وأهلها ، وإيمان العلم دليل ، فمن لم يدلّه علمه على الزهد في الدنيا وأهلها
لم يحصل على طائل من العلم ، ولوعلم ما علم ، فانما ذلك ظاهر من العلم ، والعلم النافع وراء ذلك ، والله
لو قطعت يدى ورجلى وقلعت عيني أحب إلى من ولاية فيها انقطاع عن الله والدار الآخرة ، وما
هو سبب فوز المتقين ، وسعادة المؤمنين . توفي رحمه الله في ذي القعدة من هذه السنة عن ثلاث
وتسعين سنة رحمه الله آمين .

﴿ أبو القاسم ابن إمام الحرمين ﴾

قتله بعض الباطنية بنيسابور رحمه الله ورحم أباه .

﴿ثم دخلت سنة ثلاث وتسعين وأربعمائة﴾

في صفر منها دخل السلطان بركيارق إلى بغداد، ونزل بدار الملك، وأعيدت له الخطبة، وقطعت خطبة أخيه محمد، وبعث إليه الخليفة هدية هائلة، وفرح به العوام والنساء، ولكنه في ضيق من أمر أخيه محمد، لاقبال الدولة عليه، واجتماعهم إليه، وقلة ما معه من الأموال، ومطالبة الجند له بأرزاقهم، فزرم على مصادرة الوزير ابن جهير، فالتجأ إلى الخليفة فتمعه من ذلك، ثم اتفق الحال على المصالحة عنه بمائة ألف وستين ألف دينار، ثم سار فالتقى هو وأخوه محمد بمكان قريب من همدان فهزمه أخوه محمد ونجاهو بنفسه في خمسين فارساً، وقتل في هذه الواقعة سعد الدولة جوهر آيين الخادم، وكان قديم الهجرة في الدولة، وقد ولي شحنة بغداد، وكان حليماً حسن السيرة، لم يتعمد ظلم أحد ولم ير خادم ما رأى، من الحشمة والحزمة وكثرة الخدم، وقد كان يكثر الصلاة بالليل، ولا يجلس إلا على وضوء، ولم يمرض مدة حياته ولم يصدع قط، ولما جرى ما جرى في هذه الواقعة ضعف أمر السلطان بركيارق، ثم تراجع إليه جيشه وانضاف إليه الأمير داود في عشرين ألفاً، فالتقى هو وأخوه مع أخيه سنجر فهزمهم سنجر أيضاً وهرب في شردمة قليلة، وأسر الأمير داود فقتله الأمير برغش أحد أمراء سنجر، فضعف بركيارق وتفرقت عنه رجاله، وقطعت خطبته من بغداد في رابع عشر رجب وأعيدت خطبة السلطان محمد. وفي رمضان منها قبض على الوزير عميد الدولة بن جهير، وعلى أخويه زعيم الرؤساء أبي القاسم، وأبي البركات الملقب بالكافي، وأخذت منهم أموال كثيرة، وحبس بدار الخلافة حتى مات في شوال منها. وفي ليلة السابع والعشرين منه قتل الأمير بلكابك سرمرز رئيس شحنة أصبهان، ضربه باطنى بسكين في خاصرته وقد كان يتحرز منهم كثيراً، وكان يدرع تحت ثيابه سوى هذه الليلة، ومات من أولاده في هذه الليلة جماعة، خرج من داره خمس جناز من صبيحتها. وفيها أقبل ملك الفرنج في ثلاثمائة ألف مقاتل فالتقى معه ستكين ابن انشمن طايلو، إنابك دمشق الذي يقال له أمين الدولة، واقف الأمينية بدمشق وبيصرى، لا التى ببعلبك، فهزم الأفرنج وقتل منهم خلقاً كثيراً، بحيث لم ينج منهم سوى ثلاثة آلاف، وأكثرهم جرحى - يعني الثلاثة آلاف - وذلك في ذى القعدة منها، ولحقهم إلى ملطية فملكها وأسر ملكها والله الحمد. وحج بالناس الأمير التوتناش التركي وكان شافعي المذهب.

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿عبد الرزاق الغزنوي الصوفي﴾

شيخ رباط عتاب حج مرات على التجريد، مات وله نحو مائة سنة، ولم يترك كتباً، وقد قالت له امرأته لما احتضر: سنفتضح اليوم. قال: لم؟ قالت له: لأنه لا يوجد لك كفن، فقال لها: لو تركت كفناً لا فتضحتم، وعكسه أبو الحسن البسطامي شيخ رباط ابن المحلبان، كان لا يلبس إلا الصوف

شأن وصيفا ، ويظهر الزهد ، وحين توفي وجد له أربعة آلاف دينار مدفونة ، فتمعجب الناس من حالهما فرحم الله الأول وسامح الثاني .

﴿ الوزير عميد الدولة بن جبير ﴾

محمد بن أبي نصر بن محمد بن جبير الوزير ، أبو منصور ، كان أحد رؤساء الوزراء ، خدم ثلاثة من الخلفاء ، وزر لاثنتين منهم ، وكان حليما قليل العجلة ، غير أنه كان يتكلم فيه بسبب الكبر ، وقد ولي الوزارة مرات ، يعزل ثم يعاد ، ثم كان آخرها هذه المرة حبس بدار الخلافة فلم يخرج من السجن إلا ميتا ، في شوال منها .

﴿ ابن جزلة الطبيب ﴾

يحيى بن عيسى بن جزلة صاحب المنهاج في الطب ، كان نصرانيا ثم كان يتردد إلى الشيخ أبي علي بن الوليد المغربي يشتغل عليه في المنطق ، وكان أبو علي يدعو إلى الاسلام ويوضح له الدلالات حتى أسلم وحسن إسلامه ، واستخلفه الدامغانى في كتب السجلات ، ثم كان يطيب الناس بعد ذلك بلا أجر ، وربما ركب لهم الأدوية من ماله تبرعا ، وقد أوصى بكتبه أن تكون وقفاً يشهد أبي حنيفة رحمه الله وإيانا آمين ،

﴿ ثم دخلت سنة أربع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها عظم الخطب بأصبهان ونواحيها بالباطنية فقتل السلطان منهم خلقا كثيرا ، وأبيحت ديارهم وأموالهم للعامة ، ونودى فيهم إن كل من قدرتم عليه منهم فاقتلوه وخذلوا ماله ، وكانوا قد استحوذوا على قلاع كثيرة ، وأول قلعة ملكوها في سنة ثلاث وثمانين ، وكان الذي ملكها الحسن بن صباح ، أحد دعائهم ، وكان قد دخل مصر وتعلم من الزنادقة الذين بها ، ثم صار إلى تلك النواحي ببلاد أصبهان ، وكان لا يدعو إليه من الناس إلا غبيا جاهلا ، لا يعرف يمينه من شماله ، ثم يطعمه العسل بالجوز والشونيز ، حتى يحرق مزاجه ويفسد دماغه ، ثم يذكر له أشياء من أخبار أهل البيت ، ويكذب له من أقاويل الرافضة الضلال ، أنهم ظلموا ومنعوا حقهم الذي أوجبه الله لهم ورسوله ، ثم يقول له فإذا كانت الخوارج تقاتل بنى أمية لعلى ، فأنت أحق أن تقاتل في نصرة إمامك على بن أبي طالب ، ولا يزال يسقيه العسل وأمثاله ويرقيه حتى يستجيب له ويصير أطوع له من أمه وأبيه ، ويظهر له أشياء من الخرقه والتبرنجيات والحيل التي لا تروج إلا على الجهال ، حتى التف عليه بشر كثير ، وجم غفير ، وقد بعث إليه السلطان ملكشاه يتهده وينهاه عن ذلك ، وبعث إليه بفتاوى العلماء ، فلما قرأ الكتاب بحضرة الرسول قال لمن حوله من الشباب : إني أريد أن أرسل منكم رسولا إلى مولاه ، فأشرأبت وجوه الحاضرين ، ثم قال لشاب منهم : اقل نفسك ، فأخرج سكيئا

فضرب بها غلصمته فسقط ميتا ، وقال لا آخر منهم : ألق نفسك من هذا الموضع ، فرمى نفسه من رأس القلعة إلى أسفل خندقها فنتقطع . ثم قال لرسول السلطان : هذا الجواب . فنهيا امتنع السلطان من مراسلته . هكذا ذكره ابن الجوزي ، وسيأتي ما جرى للسلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فاتح بيت المقدس وما جرى له مع سنان صاحب الايوان مثل هذا إن شاء الله تعالى .

[وفي شهر رمضان أمر الخليفة المستظهر بالله بفتح جامع القصر وأن لا يُبْيَض وأن يصلى فيه القراوىح وأن يجهر بالبسملة ، وأن يمنع النساء من الخروج ليلا للفرجة . وفي أول هذه السنة دخل السلطان بركيارق إلى بغداد فخطب له بها ثم لحقه أخواه محمد وسنجر فدخلوها وهو مريض فميرا في الجانب الغربي فقطعت خطبته وخطب لهما بها ، وهرب بركيارق إلى واسط ، ونهب جيشه ما اجتازوا به من البلاد والأراضى ، فنهبا بعض العلماء عن ذلك ووعظه فلم يقد شيئا . وفي هذه السنة ملكت الفرنج قلاعا كثيرة منها : قيسارية وسروج ، وسار ملك الفرنج كندر - وهو الذى أخذ بيت المقدس - إلى عكا فحاصرها فجاءه سهم في عنقه فمات من فور له الله .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن الصباح ، أبو منصور ، سمع الحديث وتفقه على القاضى أبى الطيب الطبرى ثم على ابن عمه أبى نصر بن الصباح ، وكان فقيها فاضلا كثير الصلاة يصوم الدهر ، وقد ولى القضاء بريع الكرخ والحسبة بالجانب الغربى .

﴿ عبد الله بن الحسن ﴾

ابن أبى منصور أبو محمد الطبرى ، رحل إلى الآفاق وجمع وصنف ، وكان أحد الحفاظ الكثيرين ثقة صدوقا عالما بالحديث ورعا حسن الخلق .

﴿ عبد الرحمن بن أحمد ﴾

ابن محمد أبو محمد الرزاز السرخسى ، نزل مرو وسمع الحديث وأملى ورحل إليه العلماء ، وكان حافظا لمذهب الشافعى متدينا ورعا ، رحمه الله .

﴿ عزيز بن عبد الملك ﴾

منصور أبو المعالى الجبلى القاضى الملقب شيدله ، كان شافعى فى الفروع أشعريا فى الأصول ، وكان حاكما بباب الأزج ، وكان بينه وبين أهل باب الأزج من الحنابلة شنان كبير ، سمع رجلا ينادى على حمار له ضائع فقال : يدخل باب الأزج ويأخذ بيد من شاء . وقال يوما للنقيب طراد الزينبي : لو حلف إنسان أنه لا يرى إنسانا فرأى أهل باب الأزج لم يحنث . فقال له الشريف : من عاشر قوما أربعين يوما فهو منهم . ولهذا لما مات فرحوا بموته كثيرا .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن عبد الباقي بن الحسن بن محمد بن طوق ، أبو الفضائل الربيعي الموصلی ، تفقه على الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وسمع من القاضي أبي الطيب الطبري ، وكان ثقة صالحا كتب الكثير .

﴿ محمد بن الحسن ﴾

أبو عبد الله المرادي ، نزل أوان وكان مقرئاً فقيها صالحا ، له كرامات ومكاشفات ، أخذ عن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحديث وغيره . قال ابن الجوزي : بلغني أن ابنا له صغيراً طلب منه غزالاً وألح عليه ، فقال له : يا بني غدا يأتيك غزال . فلما كان الغد أتت غزال فصارت تنطح الباب بقرنيها حتى فتحت ، فقال له أبوه : يا بني أنتك الغزال .

﴿ محمد بن علي بن عبيد الله ﴾

ابن أحمد بن صالح بن سليمان بن ودعان ، أبو نصر الموصل القاضي ، قدم ببغداد سنة ثلاث وتسعين ، وحدث عن عمه بالأر بعين الودعانية ، وقد سرقها عمه أبو الفتح بن ودعان من زيد بن رفاعه الهاشمي ، فركب لها أسانيد إلى من بعد زيد بن رفاعه ، وهي موضوعة كلها ، وإن كان في بعضها معاني صحيحة والله أعلم .

﴿ محمد بن منصور ﴾

أبو سعد المستوفي شرف الملك الخوارزمي ، جليل القدر ، وكان متمصباً لأصحاب أبي حنيفة ، ووقف لهم مدرسة بمر و ، ووقف فيها كتباً كثيرة ، وبنى مدرسة ببغداد عند باب الطاق ، وبنى القبة على قبر أبي حنيفة ، وبنى أربطة في المفاوز ، وعمل خيراً كثيراً ، وكان من آكل الناس ما كلاً ومشرباً ، وأحسنهم ملبساً ، وأكثرم مالا ، ثم نزل العمالة بعد هذا كله ، وأقبل على العبادة والاشتغال بنفسه إلى أن مات .

﴿ محمد بن منصور القسري ﴾

المعروف بعميد خراسان ، قدم ببغداد أيام طغرل بك وحدث عن أبي حفص عمر بن أحمد بن مسرور ، وكان كثير الرغبة في الخير ، وقف بمر ومدرسة على أبي بكر بن أبي المظفر السمعاني وورثته . قال ابن الجوزي : فهم يتولونها إلى الآن ، وبنى بنيسابور مدرسة ، وفيها تربته . وكانت وفاته في شوال من هذه السنة .

﴿ نصر بن أحمد ﴾

ابن عبد الله بن البطران الخطابي البزار القاري . ولد سنة ثمان وتسعين وثلثمائة ، وسمع الكثير وتفرد عن ابن زرقويه وغيره ، وطال عمره ، ورحل إليه من الآفاق ، وكان صحيح السماع [(١)] .

(١) زيادة من المصرية .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وتسعين وأربعمائة ﴾

في ثالث المحرم منها قبض على أبي الحسن علي بن محمد المعروف بالسكيا الهراسي ، وعزل عن تدريس النظامية ، وذلك أنه رماه بعضهم عند السلطان بأنه باطني ، فشهد له جماعة من العلماء - منهم ابن عقيل - ببراءته من ذلك ، وجاءت الرسالة من دار الخلافة يوم الثلاثاء بخلاصه . وفيها في يوم الثلاثاء الحادي عشر من المحرم جلس الخليفة المستظهر بدار الخلافة وعلى كتفيه البردة والقضيب بيده ، وجاء الملكان الأخوان محمد وسنجر أبناء ملك شاه ، فقبلا الأرض وخلع عليهما الخلع السلطانية ، على محمد سيفاً وطوقاً وسوار لؤلؤ وأفراساً من مراكبه ، وعلى سنجر دون ذلك ، وولى السلطان محمد الملك ، واستنابه في جميع ما يتعلق بأمر الخلافة ، دون ما أغلق عليه الخليفة بابه ، ثم خرج السلطان محمد في تاسع عشر الشهر فأرجف الناس ، وخرج بركيارق فأقبل السلطان محمد فالتقوا وجرت حروب كثيرة وانهمزم محمد وجرى عليه مكروه شديد ، كما سيأتي بيانه . وفي رجب منها قبيل القاضي أبو الحسن ابن الدامغانى شهادة أبي الحسين وأبي حازم ابني القاضي أبي يعلى ابن الفراء . وفيها قدم عيسى بن عبد الله القونوي فوعظ الناس وكان شافعياً أشعرياً ، فوقعت فتنة بين الحنابلة والأشعرية ببغداد . وفيها وقع حريق عظيم ببغداد ، وحج بالناس حميد العمري صاحب سيف الدولة صدقة بن منصور ابن ديبس ، صاحب الحلة .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أبو القاسم صاحب مصر ﴾

الخليفة الملقب بالمستعلى ، في ذى الحجة منها ، وقام بالأمر بعده ابنه علي وله تسع سنين ، ولقب بالآمر بأحكام الله .

﴿ محمد بن هبة الله ﴾

أبو نصر القاضي البندنجي الضرير الفقيه الشافعي ، أخذ عن الشيخ أبي إسحاق ثم جاور بمكة أربعين سنة ، يفتي ويدرس ويروي الحديث ويحج ، ومن شعره قوله :

عذمتك نفسى ما تملى بطالتي * وقد مر أصحابي وأهل مودتي
أعاهد ربى ثم أنقض عهده * وأترك عزمي حين تعرض شهوتي
وزادى قليل ما أراه مبلى * ألهزاد أبكى أم لبعد مسافتي ؟

﴿ ثم دخلت سنة ست وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها حاصر السلطان بركيارق أخاه محمداً بأصبهان ، فضاقت على أهلها الأرزاق ، واشتد الغلاء عندهم جداً ، وأخذ السلطان محمد أهلها بالمصادرة والحصار حولهم من خارج البلد ، فاجتمع عليهم الخوف والجوع ، ونقص من الأموال والأنفس والثمرات ، ثم خرج السلطان محمد من أصبهان هارباً

فأرسل أخوه في أثره مملوكه إياز ، فلم يتمكن من القبض عليه ، ونجا بنفسه سالماً . قال ابن الجوزي : وفي صفر منها زيد في ألقاب قاضي القضاة أبي الحسن بن الدامغانى تاج الاسلام . وفي ربيع الأول قطعت الخطبة للسلطين ببغداد ، واقتصر على ذكر الخليفة فيها ، والدعاء له ، ثم التقى الأخوان بركيارق ومحمد ، فانهزم محمد أيضاً ثم اصطالحا . وفيها ملك دقاق بن تنش صاحب دمشق مدينة الرحبة . وفيها قتل أبو المظفر الخجندی الواعظ بالري ، وكان قتيها شافعيًا مدرسًا ، قتله رافضى علوى في الفتنة ، وكان عالماً فاضلاً ، كان نظام الملك يزوره ويمظمه . وحج بالناس خمارتكين .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن على ﴾

ابن عبد الله بن سوار ، أبو طاهر المقرئ ، صاحب المصنفات في علوم القرآن ، كان ثقة ثبتاً مأموناً عالماً بهذا الشأن ، قد جاوز الثمانين .

﴿ أبو المعالى ﴾

أحد الصالحاء الزهاد ، ذوى الكرامات والمكاشفات ، وكان كثير العبادة متقللاً من الدنيا ، لا يلبس صيفاً ولا شتاء إلا قميصاً واحداً ، فاذا اشتد البرد وضع على كتفه مئزراً ، وذكر أنه أصابته فاقة شديدة في شهر رمضان ، فعزم على الذهاب إلى بعض الأصحاب ليستقرض منه شيئاً ، قال : فبينما أنا أريده إذا بطائر قد سقط على كتفى ، وقال يا أبا المعالى أنا الملك الفلانى ، لا تمض إليه نحن نأتيك به ، قال فبكر إلى الرجل . رواه ابن الجوزي في منتظمه من طرق عدة ، كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن قريباً من قبر أحمد .

﴿ السيدة بنت القائم بأمر الله ﴾

أمير المؤمنين التى تزوجها طغرل بك ، ودفنت بالرصافة ، وكانت كثيرة الصدقة ، وجلس لعزائها في بيت النبوة الوزير ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وتسعين وأربعمائة ﴾

فيها قصد الفرنج لعنهم الله الشام فقاتلهم المسلمون فقتلوا من الفرنج اثني عشر ألفاً ، ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وقد أسر في هذه الوقعة بردويل صاحب الرها . وفيها سقطت منارة واسط وقد كانت من أحسن المنائر ، كان أهل البلد يفتخرون بها وببقية الحجاج ، فلما سقطت سمع لأهل البلد بكاء وعويل شديد ، ومع هذا لم يهلك بسببها أحد ، وكان بناؤها في سنة أربع وثلاثمائة في زمن المقتدر . وفيها تأكد الصلح بين الأخوين السلطانين بركيارق ومحمد ، وبعث إليه بالخلع وإلى الأمير إياز . وفيها أخذت مدينة عكا وغيرها من السواحل . وفيها استولى الأمير سيف الدولة صدقة بن منصور صاحب الحلة على مدينة واسط . وفيها توفى الملك دقاق بن تنش

صاحب دمشق ، فأقام مملوكه طغتكين ولدا له صغيراً مكانه ، وأخذ البيعة له ، وصار هو أتابكه بدير المملكة مدة بدمشق . وفيها عزل السلطان سنجر وزيره أبا الفتح الطغراني ونفاه إلى غزنة . وفيها ولي أبو نصر نظام الحضريين ديوان الأنشاء ، وفيها قتل الطبيب الماهر الحاذق أبو نعيم ، وكانت له إصابات عجيبة . وحج بالناس فيها الأمير خوارتكين .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أزدشير بن منصور ﴾

أبو الحسن العبادي الواعظ ، تقدم أنه قدم بغداد فوعظ بها فأجبتة العامة في سنة ست وثمانين وقد كانت له أحوال جيدة فيما يظهر والله أعلم .

﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن أحمد بن عثمان ، أبو الفرج القومساني ، من أهل همدان ، سمع من أبيه وجده . وكان حافظاً حسن المعرفة بالرجال وأنواع الفنون ، مأموناً .

﴿ العلاء بن الحسن بن وهب ﴾

ابن الموصلايا ، سعد الدولة ، كاتب الانشاء ببغداد ، وكان نصرانياً فأسلم في سنة أربع وثمانين فبكت في الرياسة مدة طويلة ، نحواً من خمس وستين سنة ، وكان فصيح العبارة ، كثير الصدقة ، وتوفي عن عمر طويل ﴿ محمد بن أحمد بن عمر ﴾

أبو عمر النهاوندي . قاضي البصرة مدة طويلة ، وكان فقيهاً ، سمع من أبي الحسن الماوردي وغيره مولده في سنة سبع ، وقيل تسع ، وأربع مائة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وتسعين وأربع مائة ﴾

فيها توفي السلطان بركيارق وعهد إلى ولده الصغير ملكشاه ، وعمره أربع سنين وشهور ، وخطب له ببغداد ، ونثر عند ذكره الدنانير والدرهم : وجعل أتابكه الأمير إياز ولقب جلال الدولة ، ثم جاء السلطان محمد إلى بغداد فخرج إليه أهل الدولة ليلتلقوه وصالحوه ، وكان الذي أخذ البيعة بالصالح الكيا الهراسي ، وخطب له بالجانب الغربي ، ولابن أخيه بالجانب الشرقي ، ثم قتل الأمير إياز وحلت إليه الخلع والدولة والدست ، وحضر الوزير سعد الدولة عند الكيا الهراسي ، في درس النظامية ، ليرغب الناس في العلم ، وفي ثامن رجب منها أزيل الغيار عن أهل الذمة الذين كانوا ألزموه في سنة أربع وثمانين وأربع مائة ، ولا يعرف ما سبب ذلك . وفيها كانت حروب كثيرة ما بين المصريين والفرنج ، فقتلوا من الفرنج خلقاً كثيراً ، ثم أديب عليهم الفرنج فقتلوا منهم خلقاً .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ السلطان بركيارق بن ملكشاه ﴾

ركن الدولة السلجوقي ، جرت له خطوط طويلة وحروب هائلة ، خطب له ببغداد ست مرات ،

ثم تنقطع الخطبة له ثم تعاد ، مات وله من العمر أربع وعشرون سنة وشهوراً ، ثم قام من بعده ولده ملكشاه ، فلم يتم له الأمر بسبب عمه محمد .

﴿ عيسى بن عبد الله ﴾

القاسم أبو الوليد الغزنوي الأشعري ، كان مذهباً للأشعري ، خرج من بغداد قاصداً لبلده فتوفي بأسفرايين .

﴿ محمد بن أحمد بن إبراهيم ﴾

ابن سلفة الأنصهاني ، أبو أحمد ، كان شيعياً عفيفاً ثقة ، سمع الكثير ، وهو والد الحافظ أبي طاهر السلفي الحافظ .

﴿ أبو علي الخيالي الحسين بن محمد ﴾

ابن أحمد الغساني الأندلسي ، مصنف تقييد المهمل على الألفاظ ، وهو كتاب مفيد كثير النفع وكان حسن الخط عالماً باللغة والشعر والأدب ، وكان يسمع في جامع قرطبة ، توفي ليلة الجمعة لثنتي عشرة خلت من شعبان ، عن إحدى وسبعين سنة .

﴿ محمد بن علي بن الحسن بن أبي الصقر ﴾

أبو الحسن الواسطي ، سمع الحديث وثقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الأدب وقال الشعر . من ذلك قوله :

من قال لي جاه ولي حشمة * ولي قبول عند مولانا

ولم يعد ذاك بنفع علي * صديقه لا كان ما كانا

﴿ ثم دخلت سنة تسع وتسعين وأربعمائة ﴾

في الحرم منها ادعى رجل النبوة بنواحي نهاوند ، وسمى أربعة من أصحابه بأسماء الخلفاء الأربعة فاتبعه على ضلالتهم خلق من الجهلة الرعاع ، وباعوا أملاكهم ودفعوا أيمانها إليه ، وكان كرمياً يعطى من قصده ما عنده ، ثم إنه قتل بتلك الناحية . ورام رجل آخر من ولد ألب أرسلان بتلك الناحية الملك فلم يتم أمره ، بل قبض عليه في أقل من شهرين ، وكانوا يقولون ادعى رجل النبوة وآخر الملك ، فما كان بأمرع من زوال دولتهما . وفي رجب منها زادت دجلة زيادة عظيمة ، فأتلفت شيئاً كثيراً من الغلات ، وغرقت دور كثيرة ببغداد . وفيها كسر طفتكين أنابك عساكر دمشق الفرنج ، وعاد مؤيداً منصوراً إلى دمشق ، وزينت البلد زينة عجيبية مليحة ، سروراً بكسره الفرنج . وفيها في رمضان منها حاصر الملك رضوان بن تقي صاحب حلب مدينة نصيبين ، وفيها ورد إلى بغداد ملك من الملوك وصحبته رجل يقال له الفقيه ، فوعظ الناس في جامع القصر . وحج بالناس رجل من أقرباء الأمير سيف الدولة صدقة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أبو الفتح الحاكم ﴾

سمع الحديث من البيهقي وغيره ، وعلق عن القاضي حسين طريقة وشكره في ذلك ، وكان قد تفقه أولا على الشيخ أبي علي السنجي ، ثم تفقه وعلق عن إمام الحرمين في الأصول بمحضته ، واستجاده وولى بلده مدة طويلة ، وناظر ، ثم ترك ذلك كله وأقبل على العبادة وتلاوة القرآن . قال ابن خلدون : وبني للصوفية رباطا من ماله ، ولزم التعبد إلى أن مات في مستهل الحرم من هذه السنة .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن علي بن عبد الرزاق ، أبو منصور الحنظلي ، أحد القراء والصلحاء ، ختم الوفا من الناس ، وسمع الحديث الكثير ، وحين توفي اجتمع العالم في جنازته اجتماع لم يجتمع لغيره مثله ، ولم يمهده نظير في تلك الأزمان . وكان عمره يوم توفي سبعا وتسعين سنة رحمه الله ، وقد رثاه الشعراء ، وراه بعضهم في المنام فقال له : ما فعل بك ربك ؟ فقال : غفرلي بتعليمي الصديان الفاتحة .

﴿ محمد بن عبيد الله بن الحسن ﴾

ابن الحسين ، أبو الفرج البصري قاضيا ، سمع أبا الطيب الطبري والماوردي وغيرهما ، ورحل في طلب الحديث ، وكان عابدا خاشعا عند الذكر . ﴿ مهارش بن مجلي ﴾ أمير العرب بمدينة غانة ، وهو الذي أودع عنده القائم بأمر الله ، حين كانت فتنة البساسيري ، فأكرم الخليفة حين ورد عليه ، ثم جازاه الخليفة الجزاء الأوفى ، وكان الأمير مهارش هذا كثير الصدقة والصلاة ، توفي في هذه السنة عن ثمانين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة خمسمائة من الهجرة ﴾

قال أبو داود في سننه : حدثنا حجاج بن إبراهيم حدثنا ابن وهب حدثني معاوية بن صالح عن عبد الرحمن بن جبير عن أبيه عن أبي ثعلبة الخشني قال قال رسول الله ﷺ « لن يمجز الله هذه الأمة من نصف يوم » . حدثنا عمرو بن عثمان حدثنا أبو المغيرة حدثني صفوان عن شريح بن عبيد عن سعد ابن أبي وقاص عن النبي ﷺ أنه قال : « إني لأرجو أن لا يمجز أمي عند ربها أن يؤخرها نصف يوم . قيل لسعد : وكم نصف يوم ؟ قال : خمسمائة سنة » . وهذا من دلائل النبوة . وذكر هذه المدة لا ينفي زيادة عليها ، كما هو الواقع ، لأنه عليه السلام ذكر شيئا من أشراط الساعة لا بد من وقوعها كما أخبر سواء بسواء . وسيأتي ذكرها فيما بعد زماننا وبالله المستعان .

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث أن السلطان محمد بن ملكشاه حاصر قلعا كثيرة من حصون الباطنية ، فافتتح منها أماكن كثيرة ، وقتل خلقا منهم ، منها قلعة حصينة كان أبوه قد بناها بالقرب من أصبهان ، في رأس جبل منبع هناك ، وكان سبب بنائه لها أنه كان مرة في بعض صيوده

فهرب منه كلب فاتبه إلى رأس الجبل فوجده ، وكان معه رجل من رسل الروم ، فقال الرومي : لو كان هذا الجبل ببلادنا لا اتخذنا عليه قلعة ، فحدا هذا الكلام السلطان إلى أن ابتنى في رأسه قلعة أنفق عليها ألف ألف دينار ، ومائتي ألف دينار ، ثم استحوذ عليها بعد ذلك رجل من الباطنية يقال له أحمد بن عبدالله بن عطاء ، فتعبد المسلمون بسببها ، فحاصرها ابنه السلطان محمد سنة حتى افتتحها ، وسلخ هذا الرجل وحشى جلده تبنا وقطع رأسه ، وطاف به في الأقاليم ، ثم نقض هذه القلعة حجرا حجرا ، وألقت امرأته نفسها من أعلى القلعة فتلفت ، وهلك ما كان معها من الجواهر النفيسة ، وكان الناس يتشاءمون بهذه القلعة ، يقولون : كان دليلها كلبا ، والمشير بها كافرا ، والمتحصن بها زنديقا . وفيها وقعت حروب كثيرة بين بني خلفجة وبين بني عبادة ، فقهرت عبادة خلفجة وأخذت بثأرها المتقدم منها . وفيها استحوذ سيف الدولة صدقة على مدينة تكريت بعد قتال كثير . وفيها أرسل السلطان محمد الأمير جاولي سقاو وإلى الموصل وأقطعه إياها ، فذهب فانتزعها من الأمير جكرمش بعد ما قاتله وهزم أصحابه وأسره ، ثم قتله بعد ذلك وقد كان جكرمش من خيار الأمراء سيرة وعدلا وإحسانا ، ثم أقبل قلعج أرسلان بن قتلش فحاصر الموصل فانتزعها من جاولي ، فصار جاولي إلى الرحبة ، فأخذها ثم أقبل إلى قتال قلعج فكسره وألقى قلعج نفسه في النهر الذي للخابور فهلك . وفيها نشأت حروب بين الروم والفرنج فاقتلوا قتالا عظيما والله الحمد ، وقتل من الفريقين طائفة كبيرة ، ثم كانت الهزيمة على الفرنج والله الحمد رب العالمين .

﴿ قتل نغر الملك أبو المظفر ﴾

وفي يوم عاشوراء منها قتل نغر الملك أبو المظفر بن نظام الملك ، وكان أكبر أولاد أبيه ، وهو وزير السلطان سنجر بنيسابور ، وكان صائما ، قتله باطنى ، وكان قد رأى في تلك الليلة الحسين بن على وهو يقول له : عجل إلينا وأفطر عندنا الليلة ، فأصبح متعجبا ، فنوى الصوم ذلك اليوم ، وأشار إليه بعض أصحابه أن لا يخرج ذلك اليوم من المنزل ، فخرج إلا في آخر النهار فرأى شابا يتظلم وفي يده رقعة فقال : ما شأنك ؟ فناوله الرقعة فبينما هو يقرأها إذ ضربه بخنجر بيده فقتله ، فأخذ الباطنى فرفع إلى السلطان فقرره فأقر على جماعة من أصحاب الوزير أنهم أمروه بذلك ، وكان كاذبا ، فقتل وقتلوا أيضا . وفي رابع عشر صفر عزل الخليفة الوزير أبا القاسم على بن جبير وخرّب داره التي كان قد بناها أبوه ، من خراب بيوت الناس ، فكان في ذلك عبرة وموعظة لذوى البصائر والنهى ، واستنصب في الوزارة القاضي أبو الحسن الدامغانى ، ومعه آخر . وحج بالناس فيها الأمير تركان واسمه اليرن ، من جهة الأمير محمد بن ملكشاه .

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن المظفر ﴾

أبو المظفر الخوافي الفقيه الشافعي . قال ابن خلكان : كان أنظر أهل زمانه ، تفقه على إمام الحرمين ، وكان أوجه تلامذته ، وقد ولي القضاء بطوس ونواحيها ، وكان مشهوراً بحسن المناظرة وإغمام الخصوم . قال والخوافي بفتح الخاء والواو نسبة إلى خواف ، ناحية من نواحي نيسابور .

﴿ جعفر بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن جعفر السراج ، أبو محمد القاري البغدادي ، ولد سنة ست عشرة وأربعمائة ، وقرأ القرآن بالروايات ، وسمع الكثير من الأحاديث النبويات ، من المشايخ والشيخات في بلدان متباينات ، وقد خرج له الحافظ أبو بكر الخطيب أجزاء مسموعاته ، وكان صحيح الثبت ، جيد الذهن ، أديباً شاعراً ، حسن النظم ، نظم كتاباً في القراءات ، وكتاب التنبيه والخرق وغير ذلك ، وله كتاب مصارع العشاق وغير ذلك ، ومن شعره قوله :

قتل الذين بجهلهم * أضحوا يعيبون المحابر
والحاملين لها من الـ * أيدي بمجتمع الأساور
لولا المحابر والمقا * لم والصحائف والدفاتر
والحافظون شريعة الـ * مبعوث من خير العشار
والناقولون حديثه عن * كابر ثبت وكابر
لأيت من بشع الضلا * ل عسا كراً تنلوعسا كر
كل يقول بجهله * والله المظلوم ناصر
ممنهم أهل الحديث * أولى النهى وأولى البصائر
هم حشو جنات النعيم * على الأسرة والمنابر
رفقاء أحمد كلهم * عن حوضه ريان صادر

وذكر له ابن خلكان أشعاراً رائعة منها قوله :

ومدح شرح الشباب وقد * عممه الشيب على وفوته
بخضب بالوشمة عشونته * يكفيه أن يكذب في لحيته

﴿ عبد الوهاب بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن عبد الواحد بن محمد الشيرازي الفارسي ، سمع الحديث الكثير ، وتفقه وولاه نظام الملك تدريس النظامية ببغداد ، في سنة ثلاث وثمانين ، فدرس بها مدة ، وكان على الأحاديث ، وكان كثير التصحيف ، روى مرة حديث « صلاة في إثر صلاة كتاب في عليين » . فقال :

كتاب في غلاس . ثم أخذ يفسر ذلك بأنه أكثر لاضاءتها .

(محمد بن إبراهيم)

ابن عبيد الأسدي الشاعر ، لقي الخنيسي التهامي ، وكان مغرمًا بما يمارض شعره ، وقد أقام باليمن والعراق ثم بالحجاز ثم بخراسان ، ومن شعره :

قلت ثقلت إذ أتيت مرارا * قال ثقلت كاهلي بالأيدى

قلت طولت قال بل تطولت * قلت مزقت قال جبل ودادى

(يوسف بن علي)

أبو القاسم الزنجاني الفقيه ، كان من أهل الديانة ، حكى عن الشيخ أبي إسحاق الشيرازي عن القاضي أبي الطيب ، قال : كنا يوماً بجامع المنصور في حلقة فجاء شاب خراساني فذكر حديث أبي هريرة في المطر فقال الشاب : غير مقبول ، فما استتم كلامه حتى سقطت من سقف المسجد حبة فنهض الناس هاربين وتبعته الحية ذلك الشاب من بينهم ، فقبل له تب تب . فقال : تب تب ، فذهبت فلا ندري أين ذهبت . رواها ابن الجوزي عن شيخه أبي المعمر الأنصاري عن أبي القاسم هذا والله أعلم .

* ثم دخلت سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة *

فيها جدد الخليفة الخلع على وزيره الجديد أبي المعالي هبة الله بن محمد بن المطلب ، وأكرمه وعظمه . وفي ربيع الآخر منها دخل السلطان محمد إلى بغداد فتلقيه الوزير والأعيان ، وأحسن إلى أهلها ، ولم يتعرض أحد من جيشه إلى شيء . وغضب السلطان على صدقة بن منصور الأسدي صاحب الحلة وتكريت بسبب أنه آوى رجلاً من أعدائه يقال له أبو دلف سرحان الديلمي ، صاحب ساوة ، وبعث إليه ليرسله إليه فلم يفعل ، فأرسل إليه جيشاً فهزموا جيش صدقة . وقد كان جيشه عشرين ألف فارس وثلاثين ألف راجل ، وقتل صدقة في المعركة ، وأسر جماعة من رؤس أصحابه وأخذوا من زوجته خمسمائة ألف دينار ، وجواهر نفيسة . قال ابن الجوزي : وظهر في هذه السنة صبية عمية تتكلم على أسرار الناس ، وما في نفوسهم من الضمائر والنيات ، وبالع الناس في أنواع الخيل عليها ليعلموا حالها فلم يعلموا . قال ابن عقيل : وأشكل أمرها على العلماء والخواص والعوام ، حتى سألوها عن نقوش الخواتم المقلوبة الصعبة ، وعن أنواع الفصوص وصفات الأشخاص وما في داخل البنادق من المشمع والطين المختلف ، والخرق وغير ذلك فتخبر به سواء بسواء ، حتى بالغ أحدهم ووضع يده على ذكره وسألها عن ذلك فقالت : يحمله إلى أهله وعياله . وفيها قدم القاضي نضر الملك أبو عبيد علي صاحب طرابلس إلى بغداد يستنصر المسلمين على الفرنج ، فأكرمه السلطان غياث الدين محمد إكراماً زائداً ، وخلع عليه وبعث معه الجيوش الكثيرة لقتال الفرنج

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ تميم بن العزيز بن باديس ﴾
صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك حلما وكرما ، وإحسانا ، ملك ستا وأربعين سنة ، وعمر
تسعا وتسعين سنة ، وترك من البنين أنهد من مائة ، ومن البنات ستين بنتا ، وملك من بعده ولده
بجبي ، ومن أحسن ما مدح به الأمير تميم قول الشاعر :

أصح وأعلى ما سمعناه في النداء * من الخبر المروى منذ قديم
أحاديث تروىها السيول عن الحيا * عن البحر عن كف الأمير تميم
﴿ صدقة بن منصور ﴾

ابن ديبس بن علي بن يزيد الأسدي ، الأمير سيف الدولة ، صاحب الحلة وتكريت وواسط
وغيرها ، كان كريما عفيفا ذا ذمام ، ماجبا لكل خائف يأمن في بلادده ، ونجحت جناحه ، وكان يقرأ
الكتب المشككة ولا يحسن الكتابة ، وقد اقتنى كتباً نفيسة جداً ، وكان لا يتزوج على امرأة قط ،
ولا يتسرى على سرية حفظا للذمام ، ولثلا يكسر قلب أحد ، وقد مدح بأوصاف جميلة كثيرة جداً .
قتل في بعض الحروب ، قتله غلام اسمه برغش ، وكان له من العمر تسع وخمسون سنة رحمه الله تعالى .
﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسمائة ﴾

في يوم الجمعة الثاني والعشرين من شعبان تزوج الخليفة المستظهر بالخاتون بنت ملكشاه أخت
السلطان محمد ، على صداق مائة ألف دينار ، ونثر الذهب ، وكتب العقد بأصبهان . وفيها كانت
الحروب الكثيرة بين الاتابك طغتكين صاحب دمشق وبين الفرنج . وفيها ملك سعيد بن حميد
العمري الحلة السيفية . وفيها زادت دجلة زيادة كثيرة ففرقت الغلات فغلت الأسعار بسبب ذلك
غلاء شديداً . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن العلوي ﴾
أبو هاشم ابن رئيس همدان ، وكان ذامال جزيل ، صادره السلطان في بعض الأوقات بتسمائة
ألف دينار ، فوزنها ولم يبيع فيها عقارا ولا غيره .

﴿ الحسن بن علي ﴾
أبو الفوارس بن الخازن ، الكاتب المشهور بالخط المنسوب . توفي في ذي الحجة منها . قال ابن
خلكان : كتب بيده خمسمائة ختمة ، مات فجأة .

﴿ الرويانى صاحب البحر ﴾
عبد الواحد بن إسماعيل ، أبو المحاسن الرويانى ، من أهل طبرستان ، أحد أئمة الشافعية ، ولد
سنة خمس عشرة وأربعمائة ، ورحل إلى الآفاق حتى بلغ ما وراء النهر ، وحصل علوماً جمة ، وصنع

الحديث الكثير ، وصنف كتباً في المذهب ، من ذلك البحر في الفروع ، وهو حافل كامل شامل للأغرائب وغيرها ، وفي المثل « حدث عن البحر ولا حرج » وكان يقول : لو احترقت كتب الشافعي أمليتها من حفظي ، قتل ظلماً يوم الجمعة ، وهو يوم عاشوراء في الجامع بظفرستان ، قتله رجل من أهلها رحمه الله . قال ابن خلكان : أخذ الفقه عن ناصر المروزي وعلق عنه ، وكان للروائي الجاه العظيم ، والحرمة الوافرة ، وقد صنف كتباً في الأصول والفروع ، منها بحر المذهب ، وكتاب مناصيص الامام الشافعي ، وكتاب النكافي ، وحلية المؤمن ، وله كتب في الخلاف أيضاً .

﴿ يحيى بن علي ﴾

ابن محمد بن الحسن بن بسطام ، الشيباني التبريزي ، أبو زكريا ، أحد أئمة اللغة والنحو ، قرأ على أبي العلاء وغيره ، وتخرج به جماعة منهم منصور بن الجواليقي . قال ابن ناصر : وكان ثقة في النقل ، وله المصنفات الكثيرة . وقال ابن خيرون : لم يكن مرضى الطريقة ، توفي في جمادى الآخرة ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي بباب إبرز والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسمائة ﴾

فيها أخذت الفرنج مدينة طرابلس وقتلوا من فيها من الرجال ، وسبوا الحريم والأطفال ، وغنموا الأئمة والأموال ، ثم أخذوا مدينة جبلة بعدها بعشر ليال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله الكبير المتعال . وقد هرب منهم نجر الملك بن عمار ، فقصده صاحب دمشق طغتكين فأكرمه وأقطعه بلاداً كثيرة . وفيها وثب بعض الباطنية على الوزير أبي نصر بن نظام الملك فجرحه ثم أخذ الباطني فسقى الخمر فأقر على جماعة من الباطنية فأخذوا فقتلوا . وحج بالناس الأمير قباذ .

ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ أحمد بن علي ﴾

ابن أحمد ، أبو بكر العلوي ، كان يعمل في تجميع الحيطان ، ولا ينقش صورة ، ولا يأخذ من أحد شيئاً ، وكانت له أملاك ينتفع منها ويتقوت ، وقد سمع الحديث من القاضي أبي يعلى ، وتفق عليه بشيء من الفقه ، وكان إذا حج يزور القبور بمكة ، فإذا وصل إلى قبر الفضيل بن عياض يخط إلى جانبه خطاً بعصاه ويقول يا رب ههنا . فقيل إنه حج في هذه السنة فوقف بعرفات محرماً فتوفي بها من آخر ذلك اليوم ، فغسل وكفن وطيف به حول البيت ثم دفن إلى جانب الفضيل بن عياض في ذلك المكان الذي كان يخطه بعصاه ، وبلغ الناس وفاته بيغداد فاجتمعوا للصلاة عليه صلاة الغائب ، حتى لومات بين أظهرهم لم يكن عندهم مزيد على ذلك الجمع ، رحمه الله .

﴿ عمر بن عبد الكريم ﴾

ابن سعدويه الفتيان الدهقاني ، رحل في طلب الحديث ، ودار الدنيا ، وخرج وانتخب ، وكان

له فقه في هذا الشأن ، وكان ثقة ، وقد صحح عليه أبو حامد الغزالي كتاب الصحيحين . كانت وفاته بسرخس في هذه السنة . ﴿ محمد ويعرف بأخي حماد ﴾

وكان أحد الصلحاء الكبار ، كان به مرض مزمن ، فرأى النبي ﷺ في المنام فعوفى ، فلزم مسجدا له أربعين سنة ، لا يخرج إلا إلى الجمعة ، وانقطع عن مخالطة الناس ، كانت وفاته في هذه السنة ، ودفن في زاوية بالقرب من قبر أبي حنيفة رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وخمسة ﴾

في أولها تجهز جماعة من البغاددة من الفقهاء وغيرهم ، ومنهم ابن الذاغوني ، للخروج إلى الشام لأجل الجهاد ، وقتال الفرنج ، وذلك حين بلغهم أنهم فتحوا مدائن عديدة ، من ذلك مدينة صيدا في ربيع الأول ، وكذا غيرها من المدائن ، ثم رجع كثير منهم حين بلغهم كثرة الفرنج . وفيها قدمت خاتون بنت ملكشاه زوجة الخليفة إلى بغداد فتزلت في دار أخيها السلطان محمد ، ثم حمل جهازها على مائة وأثنين وستين جملا ، وسبعة وعشرين بغلا ، وزينت ببغداد لقدمها ، وكان دخولها على الخليفة في الليلة العاشرة من رمضان ، وكانت ليلة مشهودة . وفيها درس أبو بكر الشاشي بالنظامية مع الناجية ، وحضر عنده الوزير والأعيان . وحج بالناس قبا ، ولم يتمكن الخراسانيون من الحج من العطش وقلة الماء .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ إدريس بن حمزة ﴾

أبو الحسن الشاشي الرمي العثماني ، أحد فحول المناظرين عن مذهب الشافعي ، تفقه أولا على نصر بن إبراهيم ، ثم ببغداد على أبي إسحاق الشيرازي ، ودخل خراسان حتى وصل إلى ما وراء النهر ، وأقام بسرقد ودرس بمدرستها إلى أن توفى في هذه السنة .

﴿ علي بن محمد ﴾

ابن علي بن عماد الدين ، أبو الحسن الطبري ، ويعرف بالكيا الهراسي ، أحد الفقهاء الكبار ، من رؤس الشافعية ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، واشتغل على إمام الحرمين ، وكان هو والغزالي أكبر التلامذة ، وقد ولي كل منهما تدريس النظامية ببغداد ، وقد كان أبو الحسن هذا فصيحا جهوري الصوت جميلا ، وكان يكرر لعن إبليس على كل مرقة من مراقب النظامية بفسابور سبع مرات ، وكانت المراقب سبعة مرقات ، وقد سمع الحديث الكثير ، وناظر وأفنى ودرس ، وكان من أكابر الفضلاء وسادات الفقهاء ، وله كتاب يرد فيه على ما انفرد به الإمام أحمد بن حنبل في مجلد ، وله غيره من المصنفات ، وقد اتهم في وقت بأنه يمالئ الباطنية ، فنزع منه التدريس ثم شهد جماعة من العلماء ببراءته من ذلك منهم ابن عقيل ، فأعيد إليه . توفى في يوم الخميس مستهل محرم من هذه السنة عن أربع وخمسين سنة

ودفن إلى جانب الشيخ أبي إسحاق الشيرازي . وذكر ابن خلكان أنه كان يحفظ الحديث وينظر به ، وهو القائل : إذا جالت فرسان الأحاديث في ميادين الكفاح ، طارت رؤس المقاييس في مهاب الرياح ، وحكى السلفي عنه أنه استغنى في كتبه الحديث هل يدخلون في الوصية للفقهاء ؟ فأجاب : نعم لقوله ﷺ « من حفظ على أمتي أربعين حديثاً بعثه الله عالماً » . واستغنى في يزيد بن معاوية فذكر عنه تلاعباً وفسقاً ، وجوز شتمه ، وأما الغزالي فإنه خالف في ذلك ، ومنع من شتمه ولعنه ، لأنه مسلم ، ولم يثبت بأنه رضى بقتل الحسين ، ولو ثبت لم يكن ذلك مسوغاً للعنه ، لأن القاتل لا يلحق ، لا سيما وباب التوبة مفتوح ، والذي يقبل التوبة عن عباده غفور رحيم . قال الغزالي : وأما الترحم عليه فحائز ، بل مستحب ، بل نحن نترحم عليه في جملة المسلمين والمؤمنين ، عموماً في الصلوات . ذكره ابن خلكان مبسوطاً بلفظه في ترجمة الكيا هذا ، قال : والكيا كبير القدر مقدم معظم والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسمائة ﴾

٢٠ فيها بعث السلطان غياث الدين جيشاً كثيفاً ، صحبة الأمير مودود بن زنكي صاحب الموصل ، في جملة أمراء ونواب ، منهم سكان القطبي ، صاحب تبريز ، وأحمد يل صاحب مراغة ، والأمير إيلغازي صاحب ماردن ، وعلى الجميع الأمير مودود صاحب الموصل ، لقتال الفرنج بالشام ، فانتزعوا من أيدي الفرنج حصونا كثيرة ، وقتلوا منهم خلقاً كثيراً والله الحمد ، ولما دخلوا دمشق دخل الأمير مودود إلى جامعها ليصلي فيه فجاءه باطنى في زى سائل فطلب منه شيئاً فأعطاه ، فلما اقترب منه ضربه في فؤاده فمات من ساعته ، ووجد رجل أعمى في سطح الجامع يبغداد معه سكين مسموم فقبل إنه كان يريد قتل الخليفة . وفيها ولد للخليفة من بنت السلطان ولد فضربت الدباب والبوقات ، ومات له ولد وهكذا الدنيا فرضى بوفاته وجلس الوزير للهنا والعزاء . وفي رمضان عزل الوزير أحمد بن النظام ، وكانت مدة وزارته أربع سنين وإحدى عشر شهراً . وفيها حاصرت الفرنج مدينة صور ، وكانت بأيدي المصريين ، عليها عز الملك الأعز من جهتهم ، فقاتلهم قتلاً شديداً ، ومنعها منعاً جيداً ، حتى فنى ما عنده من النشاب والعدد ، فأمده طفتكين صاحب دمشق ، وأرسل إليه العدد والآلات فقوى جأشه وترحات عنه الفرنج في شوال منها . وحج بالناس أمير الجيوش قطز الخادم ، وكانت سنة مخصصة مرخصة .

ومن توفى فيها من الأعيان أبو حامد الغزالي .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو حامد الغزالي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وتفق على إمام الحرمين ، وبرع في علوم كثيرة ، وله مصنفات منتشرة في فنون متعددة ، فكان من أذكى العالم في كل ما يتكلم فيه ، وساد في

شبيبته حتى أنه درس بالنظامية ببغداد ، في سنة أربع وثمانين ، وله أربع وثلاثون سنة ، فحضر عنده رؤس العلماء ، وكان ممن حضر عنده أبو الخطاب وابن عقيل ، وهما من رؤس الحنابلة ، فتمتعوا من فصاحته وإطلاعه ، قال ابن الجوزي : وكتبوا كلامه في مصنفاتهم ، ثم إنه خرج عن الدنيا بالكلية وأقبل على العبادة وأعمال الآخرة ، وكان يرتزق من النسخ ، ورحل إلى الشام فأقام بها بدمشق وبيت المقدس مدة ، وصنف في هذه المدة كتابه إحياء علوم الدين ، وهو كتاب عجيب ، يشتمل على علوم كثيرة من الشرعيات ، وممزوج بأشياء لطيفة من التصوف وأعمال القلوب ، لكن فيه أحاديث كثيرة غرائب ومنكرات وموضوعات ، كما يوجد في غيره من كتب الفروع التي يستدل بها على الحلال والحرام ، فالكتاب الموضوع للرفائق والترغيب والترهيب أسهل أمراً من غيره ، وقد شنع عليه أبو الفرج ابن الجوزي ، ثم ابن الصلاح ، في ذلك تشنيعاً كثيراً ، وأراد المازري أن يحرق كتابه إحياء علوم الدين ، وكذلك غيره من المغاربة ، وقالوا : هذا كتاب إحياء علوم دينه ، وأماديفنا فأحياء علومه كتاب الله وسنة رسوله ، كما قد حكيت ذلك في ترجمته في الطبقات ، وقد زيف ابن شكر مواضع إحياء علوم الدين ، وبين زيفها في مصنف مفيد ، وقد كان الغزالي يقول : أنا مزجي البضاعة في الحديث ، ويقال إنه مال في آخر عمره إلى سماع الحديث والتحفظ للصحيحين ، وقد صنف ابن الجوزي كتاباً على الأحياء وسماه علوم الأحياء بأغاليط الأحياء ، قال ابن الجوزي : ثم أئزمه بعض الوزراء بالخروج إلى نيسابور فدرس بنظاميتها ، ثم عاد إلى بلده طوس فأقام بها ، وابتنى رباطاً واتخذ داراً حسنة ، وغرس فيها بستاناً أنيقاً ، وأقبل على تلاوة القرآن وحفظ الأحاديث الصحاح ، وكانت وفاته في يوم الاثنين الرابع عشر من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ودفن بطوس رحمه الله تعالى ، وقد سأله بعض أصحابه وهو في السياق فقال : أوصني ، فقال : عليك بالاخلاص ، ولم يزل يكررها حتى مات رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسة ﴾

في جمادى الآخرة منها جلس ابن الطبري مدرساً بالنظامية وعزل عنها الشاشي . وفيها دخل الشيخ الصالح أحد العباد يوسف بن داود إلى بغداد ، فوعظ الناس ، وكان له القبول التام ، وكان شافعياً تفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم اشتغل بالعبادة والزهادة ، وكانت له أحوال صالحة ، جاره رجل مرة يقال له ابن السقافي مسألة فقال : له اسكت فاني أجد من كلامك رائحة الكفر ، ولعلك أن تموت على غير دين الاسلام ، فاتفق بعد حين أنه خرج ابن السقا إلى بلاد الروم في حاجة فتنصر هناك ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقام إليه مرة وهو يعظ الناس ابناً أبي بكر الشاشي فقال له : إن كنت تتكلم على مذهب الأشعرى وإلا فاسكت ، فقال : لامتعتا بشبابكما ، فانا شابين ، ولم يبلغنا سن الكهولة . وحج بالناس فيها أمير الجيوش بطر الخادم ، ونالهم عطش .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿صاعد بن منصور﴾

ابن إسماعيل بن صاعد ، أبو العلاء الخطيب النيسابوري ، سمع الحديث الكثير ، وولى الخطابة بعد أبيه والتدريس والتذكير ، وكان أبو المعالي الجويني يثني عليه ، وقد ولى قضاء خوارزم .

﴿محمد بن موسى بن عبد الله﴾

أبو عبد الله البلاساعوني التركي الحنفي ، ويعرف باللامشي ، أورد عنه الحافظ ابن عساكر حديثاً وذكر أنه ولى قضاء بيت المقدس ، فشكوا منه فعزل عنها ، ثم ولى قضاء دمشق ، وكان غالباً في مذهب أبي حنيفة ، وهو الذي رتب الإقامة مثني ، قال إلى أن أزال الله ذلك بدولة الملك صلاح الدين . قال : وكان قد عزم على نصب إمام حنفي بالجامع ، فامتنع أهل دمشق من ذلك ، وامتنعوا من الصلاة خلفه ، وصلوا بأجمعهم في دار الخيل ، وهي التي قبل الجامع مكان المدرسة الامينية ، وما يجاورها وحدها الطرقات الأربعة ، وكان يقول : لو كانت لي الولاية لأخذت من أصحاب الشافعي الجزية ، وكان مبنضاً لأصحاب مالك أيضاً . قال : ولم تكن سيرته في القضاء محموداً ، وكانت وفاته يوم الجمعة الثالث عشر من جمادى الآخرة منها . قال : وقد شهدت جنازته وأنا صغير في الجامع .

﴿المعمر بن المعمر﴾

أبو سعد بن أبي عمار الواعظ ، كان فصيحاً بليغاً ماجناً ظريفاً ذكياً ، له كلمات في الوعظ حسنة ورسائل مسموعة مستحسنة ، توفي في ربيع الأول منها ، ودفن بباب حرب .

﴿أبو علي المعري﴾

كان عابداً زاهداً ، يتقوت بأدنى شيء ، ثم عن له أن يشتغل بعلم الكيمياء . فأخذ إلى دار الخلافة فلم يظهر له خبر بعد ذلك . ﴿نزهة﴾

أم ولد الخليفة المستظهر بالله ، كانت سوداء محتشمة كريمة النفس ، توفيت يوم الجمعة ثاني عشر شوال منها . ﴿أبو سعد السمعاني﴾

مصنف الأنساب وغيره ، وهو تاج الإسلام عبد الكريم بن محمد بن أبي المظفر المنصور عبد الجبار السمعاني ، المروزي ، الفقيه الشافعي ، الحافظ المحدث ، قوام الدين أحد الأئمة المصنفين رحل وسمع الكثير حتى كتب عن أربعة آلاف شيخ ، وصنف التفسير والتاريخ والأنساب والذيل على تاريخ الخطيب البغدادي ، وذكر له ابن خلكان مصنفات عديدة جداً ، منها كتابه الذي جمع فيه ألف حديث عن مائة شيخ ، وتكلم عليها إسناداً ومتناً ، وهو مفيد جداً رحمه الله .

﴿ثم دخلت سنة سبع وخمسة﴾

فيها كانت وقعة عظيمة بين المسلمين والفرنج في أرض طبرية ، كان فيها ملك دمشق الاتابك

طفستكين ، و معه صاحب سنجار وصاحب ماردين ، وصاحب الموصل ، فهزموا الفرنج هزيمة فاضحة ، وقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وغنموا منهم أموالا جزيلة ، وملكوا تلك النواحي كلها ، والله الحمد والمنة ، ثم رجعوا إلى دمشق فذكر ابن الساعي في تاريخه مقتل الملك مودود صاحب الموصل في هذه السنة ، قال صلى هو والملك طفستكين يوم الجمعة بالجامع ، ثم خرجا إلى الصحن ويد كل واحد منهما في يدا الآخر فطفر باطنى على مودود فقتله رحمه الله ، فيقال إن طفستكين هو الذى مالا عليه فالله أعلم ، وجاء كتاب من الفرنج إلى المسلمين وفيه : إن أمة قتلت عميدها في يوم عيدها في بيت معبودها لحقيق على الله أن يبيدها . وفيها ملك حاب ألب أرسلان بن رضوان بن تنش بعد أبيه ، وقام بأمر سلطنته لؤلؤ الخادم ، فلم يبق معه سوى الرسم . وفيها فتح المارستان الذى أنشأه كشتكين الخادم ببغداد . وحج بالناس زنكى بن برشق .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿إسماعيل بن الحافظ أبى بكر بن الحسين البهقي﴾
سمع الكثير وتنقل في البلاد ، ودرس بمدينة خوارزم ، وكان فاضلا من أهل الحديث ، مرضى الطريقة ، وكانت وفاته ببغداد سنة .

﴿شجاع بن أبى شجاع﴾

فارس بن الحسين بن فارس أبو غالب الذهلي الحافظ ، سمع الكثير ، وكان فاضلا في هذا الشأن وشرع في تنعيم تاريخ الخطيب ثم غسله ، وكان يكثر من الاستغفار والتوبة لأنه كتب شعر ابن الحجاج سبع مرات ، توفى في هذا العام عن سبع وسبعين سنة .

﴿محمد بن أحمد﴾

ابن محمد بن أحمد بن إسحاق بن الحسين بن منصور بن معاوية بن محمد بن عثمان بن عتبة بن عتبة بن معاوية بن أبى سفيان بن صخر بن حرب ، الأموى أبو المظفر بن أبى العباس الأبيوردى الشاعر ، كان عالما بالغة والأنساب ، سمع الكثير وصنف تاريخ أبى ورد ، وأنساب العرب ، وله كتاب في المؤتاف والمختاف ، وغير ذلك ، وكان ينسب إلى الكبير والبيه الزائد ، حتى كان يدعو في صلاته : اللهم ملكنى مشارق الأرض ومغاربها ، وكتب مرة إلى الخليفة الخادم المعامى ، فكشط الخليفة الميم فبقت المعامى ، ومن شعره قوله :

تسكرونى دهرى ولم يدرونى * أعز وأحداث الزمان تهون

وظل يربى الدهر كيف اغتراره * وبت أرى الصبر كيف يكون

﴿محمد بن طاهر﴾

ابن على بن أحمد ، أبو الفضل المقدسى الحافظ ، ولد سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وأول سماعه

سنة ستين ، وسافر في طلب الحديث إلى بلاد كثيرة ، وسمع كثيراً ، وكان له معرفة جيدة بهذه الصناعة ، وصنف كتباً مفيدة ، غير أنه صنف كتاباً في إباحة السماع ، وفي التصوف ، وساق فيه أحاديث منكرة جداً ، وأورد أحاديث صحيحة في غيره وقد أثني على حفظه غير واحد من الأئمة .
 وذكر ابن الجوزي في كتابه هذا الذي سماه . « صفة التصوف » وقال عنه يضحك منه من رآه ، قال وكان داودي المذهب ، فن أثني عليه أثني لأجل حفظه للحديث ، وإلا فما يجرح به أولى . قال : وذكره أبو سعد السمعاني وانتصر له بغير حجة ، بعد أن قال سألت عنه شيخنا إسماعيل بن أحمد الطالحي فأكثر الثناء عليه ، وكان سمي الرأي فيه . قال وسممنا أبا الفضل ابن ناصر يقول : محمد بن طاهر لا يخرج به ، صنف في جواز النظر إلى المرد ، وكان يذهب مذهب الإباحية ، ثم أورد له من شعره قوله في هذه الأبيات .

دع التصوف والزهد الذي اشتغلت * به خوارج أقوام من الناس
 وعج على دير داريا فان به الزه * بيان ما بين قسيس وشماس
 واشرب معتقة من كف كافرة * تسقيك خرين من لحظ ومن كاس
 ثم استمع رنة الاوتار من رشأ * مهفف طرفه أمضى من الماس
 غنى بشر امرئ في الناس مشتهر * مدون عندهم في صدر قرطاس
 لولا نسيم بدا منكم بروحني * لكنت محترقا من حر أنفاسي

ثم قال السمعاني : له قد تاب من هذا كله . قال ابن الجوزي : وهذا غير مرضي أن يذكر جرح الأئمة له ثم يعتذر عن ذلك باحتمال توبته ، وقد ذكر ابن الجوزي أنه لما احتضر جمل يردد هذا البيت .
 وما كنتم تعرفون الجفنا * فمن نرى قد تلمتم
 ثم كانت وفاته بالجانب الغربي من بغداد في ربيع الأول منها .

(أبو بكر الشاشي)

صاحب المستظهرى محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، ولد في المحرم سنة سبع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الحديث على أبي يعلى بن الفراء ، وأبي بكر الخطيب ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وتفقه عليه وعلى غيره ، وقرأ الشامل على مصنفه ابن الصباغ ، واختصره في كتابه الذي جمعه للمستظهر بالله ، وسماه حلية العلماء بمعرفة مذاهب الفقهاء ، ويعرف بالمستظهرى ، وقد درس بالنظامية ببغداد ثم عزل عنها وكان ينشد :

تعلم يا فتى والعود غص * وطنيك ابن والطبيع قابل
 فحسبك يافتي شرفاً ونفرا * سكوت الحاضر بن وأنت قائل

توفي سحر يوم السبت السادس عشر من شوال منها ، ودفن إلى جانب أبي إسحاق الشيرازي
بباب إبرز . ﴿ المؤتمن بن أحمد ﴾

ابن علي بن الحسين بن عبيد الله ، أبو نصر الساجي المقدسي ، سمع الحديث الكثير ، وخرج
وكان صحيح النقل ، حسن الحظ ، مشكور السيرة لطيفاً ، اشتغل في الفقه على الشيخ أبي إسحاق
الشيرازي مدة ، ورحل إلى أصبهان وغيرها ، وهو معدود من جملة الحفاظ ، لا سيما الممتون ، وقد
تكلم فيه ابن طاهر . قال ابن الجوزي : وهو أحق منه بذلك ، وأين الثريا من الثري ؟ توفي المؤتمن
يوم السبت ثاني عشر صفر منها ، ودفن بباب حرب والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة ﴾

فيها وقع حريق عظيم ببغداد . وفيها كانت زلزلة هائلة بأرض الجزيرة ، هدمت منها ثلاثة عشر
رجاً ، ومن الرها بيوتا كثيرة ، وبعض دور خراسان ، ودورا كثيرة في بلاد شق ، فهلك من أهلها
نحو من مائة ألف ، وخسف بنصف قلعة حران وسلم نصفها ، وخسف بمدينة سميساط وهلك تحت
الردم خلق كثير . وفيها قتل صاحب حلب تاج الدولة ألب أرسلان بن رضوان بن تنش ، قتله
غلمانه ، وقام من بعده أخوه سلطان شاه بن رضوان . وفيها ملك السلطان سنجر بن ملكشاه بلاد
غزنة ، وخطب له بها بعد مقاتلة عظيمة ، وأخذ منها أموالا كثيرة لم ير مثلها ، من ذلك خمس تيجان
قيمة كل تاج منها ألف ألف دينار ، وسبعة عشر سرباً من ذهب وفضة ، وألف وثلاثمائة قطعة
مصاغ مرصعة ، فأقام بها أربعين يوماً ، وقرر في ملكها بهرام شاه ، رجل من بيت سبكتكين ، ولم
يخطب بها لأحد من السلجوقية غير سنجر هذا ، وإنما كان لها ملوك سادة أهل جهاد وشنة ، لا يجسر
أحد من الملوك عليهم ، ولا يطبق أحد مقاومتهم ، وهم بنو سبكتكين . وفيها ولي السلطان محمد
للأمير آقسنقر البرشي الموصل وأعمالها ، وأمره بمقاتلة الفرنج ، فقاتلهم في أواخر هذه السنة فأخذ
منهم الرها وحريةها وبروج وسميساط ، ونهب ماردين وأسر ابن ملكها إياز إيلغازي ، فأرسل
السلطان محمد إليه من يهدده ففر منه إلى طفتكين صاحب دمشق ، فاتفقا على عصيان السلطان
محمد ، فجرت بينهما وبين نائب حصص قرجان بن قراجه حروب كثيرة ، ثم اصطالحوا . وفيها ملكت
زوجة مرعش الافرنجية بعد وفاة زوجها لعنهما الله . وحج بالناس فيها أمير الجيوش أبو الخير يمين
الخادم ، وشكر الناس حجهم معه .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسمائة ﴾

فيها جهز السلطان غياث الدين محمد بن ملكشاه صاحب العراق جيشاً كثيفاً مع الأمير برشي
ابن إيلغازي صاحب ماردين إلى صاحب دمشق طفتكين ، وإلى آقسنقر البرشي ليقاتلهم ، لأجل

عصياتهما عليه ، وقطع خطبته ، وإذا فرغ منهما عمد لقتال الفرنج . فلما اقترب الجيش من بلاد الشام هربا منه ونحيزا إلى الفرنج ، وجاء الأمير برشق إلى كفرطاب ففتحها عنوة ، وأخذ ما كان فيها من النساء والذرية ، وجاء صاحب إنطاكية روجيل في خمسمائة فارس وألفي راجل ، فكبس المسلمين فقتل منهم خلقا كثيرا ، وأخذ أموالا جزيلة وهرب برشق في طائفة قليلة ، وتمزق الجيش الذي كان معه شذ مذر ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي ذى القعدة منها قدم السلطان محمد إلى بغداد ، وجاء إليه طفتكين صاحب دمشق معتذرا إليه ، فخلع عليه ، ورضى عنه وردد إلى عمله . وفيها توفي من الأعيان . ﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن أحمد بن علي أبو عثمان الأصبهاني أحد الرحالين في طلب الحديث ، وقد وعظ في جامع المنصور ثلاثين مجلسا ، واستملى عليه محمد بن ناصر ، وتوفي بأصبهان . ﴿ منجب بن عبد الله المستظهر ﴾

أبو الحسن الخادم ، كان كثير العبادة ، وقد أثنى عليه محمد بن ناصر ، قال : وقف على أصحاب الحديث وقفا ﴿ عبد الله بن المبارك ﴾

ابن موسى ، أبو البركات السقطي ، سمع الكثير ورحل فيه ، وكان فاضلا عارفا باللغة ، ودفن بباب حرب ﴿ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس ﴾

صاحب إفريقية ، كان من خيار الملوك ، عارفا حسن السيرة محبا للفقراء والعلماء ، وله عليهم أرزاق ، مات وله اثنتان وخمسون سنة ، وترك ثلاثين ولدا ، وقام بالأمر من بعده ولده علي . ﴿ ثم دخلت سنة عشر وخمسمائة ﴾

فيها وقع حريق ببغداد احترقت فيه دور كثيرة ، منها دار نور الهدى الزينبي ، ورباط نهر زور ودار كتب النظامية ، وسلمت الكتب لأن الفقهاء نقلوها . وفيها قتل صاحب مراغة في مجلس السلطان محمد ، قتله الباطنية ، وفي يوم عاشوراء وقعت فتنة عظيمة بين الروافض والسنة بمشهد علي ابن موسى الرضا بمدينة طوس ، فقتل فيها خلق كثير . وفيها سار السلطان إلى فارس بعد موت فائبا خوافا عليها من صاحب كرمان . وحج بالناس بطرانخادم ، وكانت سنة منحصة آمنة والله الحمد . ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ عقيل بن الامام أبي الوفا ﴾

علي بن عقيل الحنبلي ، كان شابا قد برع وحفظ القرآن وكتب وفهم المعاني جيدا ، ولما توفي صبر أبوه وشكر وأظهر التجلد ، فقرأ قارىء في العزاء (قالوا يا أيها العزيز إن له أبا شيخا كبيرا) الآية ، فبكى ابن عقيل بكاء شديدا .

﴿ علي بن أحمد بن محمد ﴾

ابن الرزاز ، آخر من حدث عن ابن مخلد بجزء الحسن بن عرفة ، وتفرد بأشياء غيره . توفي فيها عن سبع وتسعين سنة .
﴿ محمد بن منصور ﴾

ابن محمد بن عبد الجبار ، أبو بكر السمعاني ، سمع الكثير وحدث ووعظ بالنظامية ببغداد ، وأملى بمرو ومائة وأربعين مجلساً ، وكانت له معرفة تامة بالحديث ، وكان أديباً شاعراً فاضلاً ، له قبول عظيم في القلوب ، توفي بمرو عن ثلاث وأربعين سنة .

﴿ محمد بن أحمد بن طاهر ﴾

ابن أحمد بن منصور الخازن ، فقيه الامامية ومفتيهم بالكرخ ، وقد سمع الحديث من التنوخي وابن غيلان ، توفي في رمضان منها .

﴿ محمد بن علي بن محمد ﴾

أبو بكر النسوي ، الفقيه الشافعي ، سمع الحديث ، وكانت إليه تزكية الشهود ببغداد ، وكان فاضلاً أديباً ورعاً .
﴿ محفوظ بن أحمد ﴾

ابن الحسن ، أبو الخطاب الكلوزاني ، أحد أئمة الحنابلة ومصنفيهم ، سمع الكثير وتفقه بالقاضي أبي يعلى ، وقرأ الفرائض على الوقي ، ودرس وأفتى وناظر وصنف في الأصول والفروع ، وله شعر حسن ، وجمع قصيدة يذكر فيها اعتقاده ومذهبه يقول فيها :

دع عنك تذكار الخليط المتحد * والشوق نحو الآنسات الخرد

والنوح في تذكار سمدي إنما * تذكار سمدي شغل من لم يسعد

واسمع معاني إن أردت تخلصاً * يوم الحساب وخذ بقولي تهتدي

وذكر تمامها وهي طويلة ، كانت وفاته في جمادى الآخرة من هذه السنة عن ثمان وسبعين سنة ، وصلى عليه بجامع القصر ، وجامع المنصور ، ودفن بالقرب من الامام أحمد .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى عشرة وخمسمائة ﴾

في ربيع صفر منها انكسف القمر كسوفاً كلياً ، وفي تلك الليلة هجم الفرنج على ربح حماه فقتلوا خلقاً كثيراً ، ورجعوا إلى بلادهم . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببغداد سقط منها دور كثيرة بالجانب الغربي وغلت الغلات بها جدا ، وفيها قتل لؤلؤ الخادم الذي كان استحوذ على مملكة حلب بعد موت أستاذه رضوان بن تنش ، قتله جماعة من الأتراك ، وكان قد خرج من حلب متوجها إلى جعبر ، فنادى جماعة من مماليكه وغيرهم أرنب أرنب ، فرموه بالشباب موهمين أنهم يصيدون أرنباً فقتلوه . وفيها كانت وفاة غياث الدين السلطان محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن

سليجوق ، سلطان بلاد العراق وخراسان وغير ذلك من البلاد الشاسعة . والأقاليم الواسعة . كان من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، عادلاً رحيماً ، سهل الأخلاق ، محمود العشرة ، ولما حضرته الوفاة استدعى ولده محموداً وضمه إليه وبكى كل منهما ، ثم أمره بالجلوس على سرير المملكة ، وعمره إذ ذاك أربعة عشر سنة ، فجلس وعليه التاج والسواران وحكم ، ولما توفي أبوه صرف الخزائن إلى العساكر وكان فيها إحدى عشر ألف ألف دينار ، واستقر الملك له ، وخطب له ببغداد وغيرها من البلاد ، ومات السلطان محمد عن تسع وثلاثين سنة وأربعة أشهر وأياماً . وفيها ولد الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي بن آقسنقر ، صاحب حلب بدمشق .
ومن توفي فيها من الأعيان . (القاضي المرتضى)

أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر بن علي بن القاسم الشهرزوري ، والد القاضي جمال الدين عبد الله الشهرزوري ، قاضي دمشق في أيام نور الدين ، اشتغل ببغداد وتفتقه بها ، وكان شافعي المذهب ، بارعاً ديناً ، حسن النظم ، وله قصيدة في علم النصوص ، وكان يتكلم على القلوب ، أورد قصيدته بتامها ابن خلكان لحسنها وفصاحتها ، وأولها :

لمعت نارهم وقد عسّس الآل * لومل الحادى وحر الدليل
فتأملتني وفكرى من البى * نعليل ولحظ عيني كليل
وفؤادى ذاك الفؤاد المعنى * وغرامى ذاك الغرام الدخيل
وله ياليل ما جئتكم زائراً * إلا وجدت الأرض تطوى لى
ولا ثنيت العزم عن بابكم * إلا تعثرت باذيلي
وله يا قلب إلى متى لا يفيد النصيح * دع مزحك كم جنى عليك المزح
ما جارحة منك غذاها جرح * ماتشعر بالجار حتى تصحو

توفي في هذه السنة . قال ابن خلكان : وزعم عماد الدين في الخريدة أنه توفي بعبد العشرين وخمسة فالف الله أعلم . (محمد بن سعد)

ابن نيهان ، أبو علي السكاتب ، سمع الحديث وروى وعمر مائة سنة وتغير قبل موته ، وله شعر حسن ، فنه قوله في قصيدة له :

لى رزق قدره الله * نعم ورزق أنوقاه
حتى إذا استوفيت منه * الذى قدر لى لا أتعده
قال كرام كنت أغشاه * فى مجلس كنت أغشاه
صار ابن نيهان إلى ربه * يرحمنا الله وإياه

﴿ أمير الحاج ﴾

عن ابن عبد الله أبو الخير المستظهرى ، كان جواداً كريماً ممدحاً ذا رأى وفطنة ناقبة ، وقد سمع الحديث من أبي عبد الله الحسين بن طلحة النعماني بإفادة أبي نصر الأصبهاني ، وكان يؤم به في الصلوات ، ولما قدم رسولاً إلى أصفهان حدث بها . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة ودفن بأصفهان ﴿ ثم دخلت سنة اثنى عشرة وخمسمائة ﴾

فيها خطب للسلطان محمد بن ملكشاه بأمر الخليفة المستظهر بالله ، وفيها سأل ديبس بن صدقة الأسدي من السلطان محمود أن يرده إلى الحلة وغـيرها ، مما كان أبوه يتولاه من الأعمال ، فأجابه إلى ذلك ، فعظم وارتفع شأنه .

﴿ وفاة الخليفة المستظهر بالله ﴾

هو أبو العباس أحمد بن المقتدي ، كان خيراً فاضلاً ذكياً بارعاً ، كتب الخط المنسوب ، وكانت أيامه ببغداد كأنها الأعياد ، وكان راغباً في البر والخير ، مسارعاً إلى ذلك ، لا يرد سائلاً ، وكان جميل العشرة لا يصغى إلى أقوال الوشاة من الناس ، ولا يثق بالمباشرين ، وقد ضبط أمور الخلافة جيداً ، وأحكمها وعلمها ، وكان لديه علم كثير ، وله شعر حسن . قد ذكرناه أولاً عند ذكر خلافته ، وقد ولى غسله ابن عقيل وابن السني ، وصلى عليه ولده أبو منصور الفضل وكبراً رباعاً ، ودفن في حجرة كان يسكنها ، ومن العجب أنه لما مات السلطان ألب أرسلان مات بعده الخليفة القائم ، ثم لما مات السلطان ملكشاه مات بعده المقتدي ، ثم لما مات السلطان محمد مات بعده المستظهر هذا ، في سادس عشر ربيع الآخر ، وله من العمر إحدى وأربعون سنة ، وثلاثة أشهر وأحد عشر يوماً .

﴿ خلافة المسترشد أمير المؤمنين ﴾

أبو منصور الفضل بن المستظهر : لما توفي أبوه كما ذكرنا ببيع له بالخلافة ، وخطب له على المنابر وقد كان ولي العهد من بعده مدة ثلاث وعشرين سنة ، وكان الذي أخذ البيعة له قاضي القضاة أبو الحسن الدامغانى ، ولما استقرت البيعة له هرب أخوه أبو الحسن في سفينة ومعه ثلاثة نفر ، وقصد ديبس بن صدقة بن منصور بن ديبس بن علي بن مزيد الأسدي بالحلة ، فأكرمه وأحسن إليه ، فعلق أخوه الخليفة المسترشد من ذلك ، فراسل ديبساً في ذلك مع تقيب النقيب الزينبي ، فهرب أخو الخليفة من ديبس فأرسل إليه جيشاً فأجأوه إلى البرية ، فلحقه عطش شديد ، فلقية بدويان فسقياه ماء وحملاه إلى بغداد ، فأحضره أخوه إليه فاعتنقا وتباكيا ، وأنزله الخليفة داراً كان يسكنها قبل الخلافة ، وأحسن إليه ، وطيب نفسه ، وكانت مدة غييبته عن بغداد إحدى عشر شهراً ، واستقرت الخلافة بلا منازعة للمسترشد . وفيها كان غلاء شديد ببغداد ، وانقطع الغيث وعمدت الأقوات ، وتفاقم أمر

العيارين ببغداد ، ونهبوا الدور نهاراً جهاراً ، ولم يستطع الشرط دفع ذلك . وحج بالناس في هذه السنة الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الخليفة المستظهر ﴾

كما تقدم . ثم توفيت بعده جدته أم أبيه المقتدى .

﴿ أرجوان الأرمنية ﴾

وتدعى قرة العين ، كان لها بر كثير ، ومعرفة ، وقد حجت ثلاث حججات ، وأدركت خلافة ابنها المقتدى ، وخلافة ابنه المستظهر ، وخلافة ابنه المسترشد ، ورأت للمسترشد ولداً .

﴿ بكر بن محمد بن علي ﴾

ابن الفضل أبو الفضل الأنصاري ، روى الحديث ، وكان يضرب به المثل في مذهب أبي حنيفة ، وتفقه على عبد العزيز بن محمد الحلواني ، وكان يذكّر الدروس من أى موضع سئل من غير مطالعة ولا مراجعة ، وربما كان في ابتداء طلبه يكرر المسألة أربعاً مائة مرة . توفى في شعبان منها .

﴿ الحسين بن محمد بن عبد الوهاب ﴾

الزيني ، قرأ القرآن ، وسمع الحديث ، وتفقه على أبي عبد الله الدامغاني ، فبرع وأفتى ودرس بمشهد أبي حنيفة ، ونظر في أوقافها ، وانتهت إليه رئاسة مذهب أبي حنيفة ، ولقب نور الهدى ، وسافر في الرسلية إلى الملوك ، وولى نقابة الطالبين والعباسيين ، ثم استعفى بعد شهور فتولاها أخوه طراد . توفى يوم الاثنين الحادى عشر من صفر ، وله من العمر ثمان وتسعون سنة ، وصلى عليه ابنه أبو القاسم علي ، وحضرت جنازته الأعيان والعلماء ، ودفن عند قبر أبي حنيفة داخل القبة .

﴿ يوسف بن أحمد أبو طاهر ﴾

ويعرف بابن الجزرى ، صاحب الحزن في أيام المستظهر ، وكان لا يوفى المسترشد حقه من التعظيم وهو ولى العهد ، فلما صارت إليه الخلافة صادره بمائة ألف دينار ، ثم استقر غلاماً له فأوماً إلى بيت فوجد فيه أربع مائة ألف دينار ، فأخذها الخليفة ثم كانت وفاته بعد هذا بقليل بهذا العام .

﴿ أبو الفضل بن الخازن ﴾

كان أديباً لطيفاً شاعراً فاضلاً فن شعره قوله :

وافيت منزله فلم أر صاحباً * إلا تلقاني بوجه ضاحك
والبشر في وجه الغلام نتيجة * لمقدمات ضياء وجه المالك
ودخلت جنته وزرت جميعه * فشكرت رضواناً ورأفة مالك

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ﴾

ففيها كانت الحروب الشديدة بين السلطان محمود بن محمد وبين عمه السلطان سنجر بن ملكشاه وكان النصر فيها السنجر ، فخطب له ببغداد في سادس عشر جمادى الأولى من هذه السنة ، وقطعت خطبة ابن أخيه في سائر أعماله . وفيها سارت الفرنج إلى مدينة حلب ففتحوها عنوة ومبلكوها ، وقتلوا من أهلها خلقاً ، فسار إليهم صاحب ماردن إيلغازي بن أرتق في جيش كثيف ، فهزمهم ولحقهم إلى جبل قد تحصنوا به ، فقتل منهم هنالك مقتلة عظيمة ، والله الحمد . ولم يفلت منهم إلا اليسير ، وأسر من مقدميهم نيفاً وتسعين رجلاً ، وقتل فيمن قتل سيرجال صاحب إنطاكية ، وحمل رأسه إلى بغداد ، فقال بعض الشعراء في ذلك وقد بالغ مبالغة فاحشة :

قل ما تشاء فقولاك المقبول * وعليك بعد الخالق التعويل

واسنبش القرآن حين نصرته * وبكى لفقد رجاله الأنجيل

وفيها قتل الأمير منكوبرس الذي كان شحنة بغداد ، وكان ظالماً غاشماً سىء السيرة ، قتله السلطان محمود بن محمد صبراً بين يديه لأمر : منها أنه تزوج سرية أبيه قبل انقضاء عدتها ، ونعم ما فعل وقد أراح الله المسلمين منه ما كان أظلمه وأغشمه . وفيها تولى قضاء قضاء بغداد الأكل أبو القاسم ابن علي بن أبي طالب بن محمد الزينبي ، وخلع عليه بعد موت أبي الحسن الدامغانى ، وفيها ظهر قبر إبراهيم الخليل عليه السلام وقبر ولديه إسحاق ويعقوب ، وشاهد ذلك الناس ، ولم تبلى أجسادهم ، وعندهم قناديل من ذهب وفضة ، ذكر ذلك ابن الخازن في تاريخه ، وأطال نقله من المنتظم لابن الجوزى والله أعلم .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ ابن عقيل ﴾

علي بن عقيل بن محمد ، أبو الوفا شيخ الحنابلة ببغداد ، وصاحب الفنون وغيرها من التصانيف المفيدة ، ولد سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة ، وقرأ القرآن على ابن سبطا ، وسمع الحديث الكثير ، وتفقه بالقاضى أبي يعلى بن الفراء ، وقرأ الأدب على ابن برهان ، والفرائض على عبد الملك الهمداني ، والوعظ على أبي طاهر بن الملاف ، صاحب ابن معمون ، والأصول على أبي الوليد المعتزلى ، وكان يجتمع بجميع العلماء من كل مذهب ، فربما لامه بعض أصحابه فلا يلوى عليهم ، فلهذا برز على أقرانه وساد أهل زمانه في فنون كثيرة ، مع صيانة وديانة وحسن صورة وكثرة اشتغال ، وقد وعظ في بعض الأحيان فوقعت فتنة فترك ذلك ، وقد متعه الله بجميع حواسه إلى حين موته ، توفى بكرة الجمعة ثاني جمادى الأولى من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين ، وكانت جنازته حافلة جداً ، ودفن قريباً من قبر الامام أحمد ، إلى جانب الخادم مخلص رحمه الله .

﴿ أبو الحسن علي بن محمد الدماغي ﴾

قاضى القضاة ابن قاضى القضاة ، ولد فى رجب سنة ست وأربعين وأربعمائة ، وولى القضاء بباب الطاق من بغداد وله من العمر ست وعشرون سنة ، ولا يعرف حاكم قضى لأربعة من الخلفاء غيره إلا شريح ، ثم ذكر إمامته وديانته وصيانتة مما يدل على نخوته ، وتفوقه وقوته ، تولى الحكم أربعاً وعشرين سنة وستة أشهر ، وقبره عند مشهد أبى حنيفة .

﴿ المبارك بن على ﴾

ابن الحسين أبو سعد الحرى ، سمع الحديث وتفقّه على مذهب أحمد ، وناظر وأفق ودرس ، وجمع كتباً كثيرة لم يسبق إلى مثلها ، وناب فى القضاء ، وكان حسن السيرة جميل الطريق ، سديد الأقضية ، وقد بنى مدرسة بباب الأزج وهى المنسوبة إلى الشيخ عبد القادر الجبلى الحنبلى ، ثم عزل عن القضاء وصودر بأموال جزيلة ، وذلك فى سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وتوفى فى الحرم من هذه السنة ودفن إلى جانب أبى بكر الخلال عند قبر أحمد .

﴿ ثم دخت سنة أربع عشرة وخمسمائة ﴾

فى النصف من ربيع الأول منها كانت وقعة عظيمة بين الأخوين السلطان محمود ومسعود ابنى محمد بن ملكشاه عند عقبة اسداباذ ، فانهزم عسكر مسعود وأسر وزيره الأستاذ أبو إسماعيل وجماعة من أمرائه ، فأمر السلطان محمود بقتل الوزير أبى إسماعيل ، فقتل وله نيف وستون سنة ، وله تصانيف فى صناعة الكيمياء . ثم أرسل إلى أخيه مسعود الأمان واستقدمه عليه ، فلما التقيابكيا واصطالحا . وفيها نهب ديبس صاحب الحلة البلاد ، وركب بنفسه إلى بغداد ، ونصب خيمته بأزاء دار الخلافة ، وأظهر ما فى نفسه من الضغائن ، وذكر كيف طيف برأس أبيه فى البلاد ، وتهدد المسترشد ، فأرسل إليه الخليفة يسكن جاشه ويعده أنه سيصلح بينه وبين السلطان محمود ، فلما قدم السلطان محمود بغداد أرسل ديبس يستأمن فأمنه وأجراه على عادته ، ثم إنه نهب جسر السلطان فركب بنفسه السلطان لقتاله واستصحب معه ألف سفينة ليمر فيها ، فهرب ديبس والتجأ إلى إيلغازى فأقام عنده سنة ، ثم عاد إلى الحلة وأرسل إلى الخليفة والسلطان يعتذر إليهما مما كان منه ، فلم يقبلأ منه ، وجهز إليه السلطان جيشاً فحاصروه وضيقوا عليه قريباً من سنة ، وهو ممتنع فى بلاده لا يقدر الجيش على الوصول إليه . وفيها كانت وقعة عظيمة بين الكرج والمسلمين بالقرب من تفليس ، ومع الكرج كفار الفعجاق فقتلوا من المسلمين خلقاً كثيراً ، وغنموا أموالاً جزيلة ، وأسروا نحواً من أربعة آلاف أسير ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ونهب الكرج تلك النواحي وفعلوا أشياء منكراً ، وحاصروا تفليس مدة ثم ملكوها عنوة ، بعد ما أحرقوا القاضى والخطيب حين خرجوا إليهم يطلبون منهم الأمان ، وقتلوا عامة أهلها ، وسبوا الذرية واستحرقوا على الأموال ، فلا حول ولا قوة إلا بالله . وفيها أغار

جوسكين الفرنجى على خلق من العرب والتركمان قتلهم وأخذ أموالهم ، وهذا هو صاحب الرها .
وفيهما تمردت العيارون ببغداد وأخذوا الدور جهاراً ليلاً ونهاراً ، فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفيهما كان ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب ، كان ابتداء أمر هذا الرجل أنه قدم فى
حدائة سنة من بلاد المغرب فسكن النظامية ببغداد ، واشتغل بالعلم فحصل منه جانباً جيداً من الفروع
والأصول ، على الفزالى وغيره ، وكان يظهر التعبد والزهد والورع ، وربما كان ينكر على الفزالى
حسن ملابسه ، ولا سيما لما لبس خلع التدريس بالنظامية ، أظهر الإنكار عليه جداً ، وكذلك على
غيره ، ثم إنه حج وعاد إلى بلاده ، وكان يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويقرئ الناس القرآن
ويشغلهم فى الفقه ، فطار ذكره فى الناس ، واجتمع به يحيى بن تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد
إفريقية ، فعظمه وأكرمه ، وسأله الدعاء ، فاشتهر أيضاً بذلك ، وبعد صيته ، وليس معه إلا ركوة
وعصا ، ولا يسكن إلا المساجد ، ثم جعل ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مرا كش ومعه تلميذه
عبد المؤمن بن على ، وقد كان توسم النجابة والشهامة فيه ، فرأى فى مرا كش من المنكرات أضعاف
ما رأى فى غيرها ، من ذلك أن الرجال يتلثمون والنساء يمشين حاسرات عن وجوههن ، فأخذ فى
إنكار ذلك حتى أنه اجتازت به فى بعض الأيام أخت أمير المسلمين يوسف ملك مرا كش وما حولها ،
ومعها نساء مثلها را كبات حاسرات عن وجوههن ، فشرع هو وأصحابه فى الإنكار عليهن ، وجعلوا
يضربون وجوه الدواب فسقطت أخت الملك عن دابتها ، فأحضره الملك وأحضر الفقهاء فظهر عليهم
بالحجة ، وأخذ يمظ الملك فى خاصة نفسه ، حتى أبكاه ، ومع هذا نفاه الملك عن بلده فشرع يشنع
عليه ويدعو الناس إلى قتاله ، فاتبعه على ذلك خلق كثير ، فجهز إليه الملك جيشاً كثيفاً فزيمهم ابن
تومرت ، فعظم شأنه وارتفع أمره ، وقويت شوكته ، وتسمى بالمهدى ، وسمى جيشه جيش الموحدين
وألف كتاباً فى التوحيد وعقيدة تسمى المرشدة ، ثم كانت له وقعات مع جيوش صاحب مرا كش ،
فقتل منهم فى بعض الأيام نحواً من سبعين ألفاً ، وذلك بإشارة أبى عبد الله التومرتى ، وكان ذكر أنه
نزل إليه ملك وعلمه القرآن والموطأ ، وله بذلك ملائكة يشهدون به فى بئر سماء ، فلما اجتاز به وكان
قد أرصد فيه رجالاً ، فلما سألهم عن ذلك والناس حضور معه على ذلك البئر شهدوا له بذلك ، فأمر
حينئذ بطم البئر عليهم فأتوا عن آخرهم ، ولهذا يقال من أعان ظالماً ساط علىه . ثم جهز ابن تومرت
الذى لقب نفسه بالمهدى جيشاً عليهم أبو عبد الله التومرتى ، وعبد المؤمن ، لمحاصرة مرا كش ،
فخرج إليهم أهلها فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان فى جملة من قتل أبو عبد الله التومرتى هذا الذى زعم
أن الملائكة تخاطبه ، ثم افتقدوه فى القتلى فلم يجدوه ، فقالوا : إن الملائكة رفعت ، وقد كان عبد المؤمن
دفنه والناس فى المعركة ، وقتل من معه من أصحاب المهدى خلق كثير ، وقد كان حين جهز الجيش

مريضاً مدنفاً ، فلما جاءه الخبر ازداد مرضاً إلى مرضه ، وساءه قتل أبي عبد الله التومرتي ، وجعل الأمر من بعده لعبد المؤمن بن علي ، ولقبه أمير المؤمنين . وقد كان شاباً حسناً حازماً عاقلاً ، ثم مات ابن تومرت وقد أنت عليه إحدى وخمسون سنة ، ومدة ملكه عشر سنين ، وحين صار إلى عبد المؤمن ابن علي الملك أحسن إلى الرعايا ، وظهرت له سيرة جيدة فأحبه الناس ، واتسمت بمالكه ، وكثرت جيوشه ورعيته ، ونصب العداوة إلى تاشفين صاحب مرا كش ، ولم يزل الحرب بينهما إلى سنة خمس وثلاثين ، فمات تاشفين فقام ولده من بعده ، فمات في سنة تسع وثلاثين ليلة سبع وعشرين من رمضان ، فتولى أخوه إسحاق بن علي بن يوسف بن تاشفين ، فسار إليه عبد المؤمن فملك تلك النواحي ، وفتح مدينة مرا كش ، وقتل هنالك أمماً لا يعلم عددهم إلا الله عز وجل ، قتل ملكها إسحاق وكان صغير السن في سنة ثنتين وأربعين ، وكان إسحاق هذا آخر ملوك المرابطين ، وكان ملكهم سبعين سنة . والذين ملكوا منهم أربعة : علي وولده يوسف ، وولده أبو سفيان وإسحاق ابنا علي المذكور ، فاستوطن عبد المؤمن مدينة مرا كش ، واستقر ملكه بتلك الناحية ، وظفر في سنة ثلاث وأربعين بدكالة وهي قبيلة عظيمة نحو مائتي ألف راجل وعشرين ألف فارس مقاتل ، وهم من الشجعان الأبطال ، فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجما غفيراً ، وسبى ذراريهم وغنم أموالهم حتى إنه بيعت الجارية الحسنة بدرهم معدودة ، وقد رأيت لبعضهم في سيرة ابن تومرت هذا مجلداً في أحكامه وإمامته ، وما كان في أيامه ، وكيف تملك بلاد المغرب ، وما كان يتعاطاه من الأشياء التي توهم أنها أحوال برة ، وهي محالات لا تصدر إلا عن فجرة ، وما قتل من الناس وأزهى من الأنفس .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن عبد الوهاب بن السني ﴾

أبو البركات ، أسند الحديث وكان يعلم أولاد الخليفة المستظهر ، فلما صارت الخلافة إلى المسترشد ولده الحزن ، وكان كثير الأموال والصدقات ، يتعاهد أهل العلم ، وخلف مالا كثيراً حزر بمائتي ألف دينار ، أوصى منه بثلاثين ألف دينار لمكة والمدينة ، توفي فيها عن ست وخمسين سنة وثلاثة أشهر ، وصلى عليه الوزير أبو علي بن صدقة ، ودفن بباب حرب .

﴿ عبد الرحيم بن عبد الكبير ﴾

ابن هوازن ، أبو نصر القشيري ، قرأ على أبيه وإمام الحرمين ، وروى الحديث عن جماعة ، وكان ذا ذكاء وفطنة ، وله خاطر حاضر جرىء ، ولسان ماهر فصيح ، وقد دخل بغداد فوعظ بها فوقع بسببه فتنة بين الحنابلة والشافعية ، فحبس بسببها الشريف أبو جعفر بن أبي موسى ، وأخرج ابن القشيري من بغداد لاطفاء الفتنة فعاد إلى بلده ، توفي في هذه السنة .

﴿ عبد العزيز بن علي ﴾

ابن حامد أبو حامد الدينوري ، كان كثير المال والصدقات ، ذا حشمة وثروة ووجاهة عند الخليفة ، وقد روى الحديث ووعظ ، وكان مديح الإبراد حلو المنطق ، توفي بالرى والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس عشر وخمسة ﴾

فيها أقطع السلطان محمود الأمير إيلغازي مدينة ميافارقين ، فبقيت في يد أولاده إلى أن أخذها صلاح الدين يوسف بن أيوب ، في سنة ثمانين وخمسة . وفيها أقطع آقسنقر البرشقي مدينة الموصل لقتال الفرنج ، وفيها حاصر ملك بن بهرام وهو ابن أخي إيلغازي مدينة الرها فأسر ملكها جوسكين الأفرنجي وجماعة من رؤس أصحابه وسجنهم بقلعة خربت . وفيها هبت ريح سوداء فاستمرت ثلاثة أيام فأهلكت خلقا كثيرا من الناس والدواب . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالحجاز فتضعض بسببها الركن الثاني ، وتهدم بعضه ، وتهدم شيء من مسجد رسول الله ﷺ . وفيها ظهر رجل علوي بمكة كان قد اشتغل بالنظامية في الفقه وغيره ، يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، فاتبه ناس كثير فنفاه صاحبها ابن أبي هاشم إلى البحرين . وفيها احترقت دار السلطان بأصبهان ، فلم يبق فيها شيء من الآثار والقماش والجواهر والذهب والفضة سوى الياقوت الأحمر ، وقبل ذلك بأسبوع احترق جامع أصبهان ، وكان جامعاً عظيماً ، فيه من الأخشاب ما يساوي ألف دينار ، ومن جملة ما احترق فيه خمسة مئآت مصحف ، من جملتها مصحف بخط أبي بن كعب ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفي شعبان منها جاس الخليفة المسترشد في دار الخلافة في أبهة الخلافة ، وجاء الإخوان السلطان محمود ومسعود فقبلا الأرض ووقفوا بين يديه ، فخاع علي محمود سبع خلع وطوقا وسوارين وتاجا ، وأجلس علي كرسي ووعظه الخليفة ، وتلا عليه قوله تعالى (فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره) ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره) وأمره بالاحسان إلى الرعايا ، وعقد له لواءين بيده ، وقلده الملك ، وخرجا من بين يديه مطاعين معظمين ، والجيش بين أيديهما في أبهة عظيمة جداً . وحج بالناس قطز الخادم .

﴿ ابن القطاع اللغوي أبو القاسم علي بن جعفر بن محمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن محمد بن زيادة الله بن محمد بن الأغلب السعدي الصقلي ، ثم المصري اللغوي المصنف كتاب الأفعال ، الذي برز فيه علي ابن القوطية ، وله مصنفات كثيرة ، قدم مصر في حدود سنة خمسة مئآت لما أشرفت الفرنج على أخذ صقلية ، فأكرمه المصريون وبالغوا في إكرامه ، وكان ينسب إلى التساهل في الدين ، وله شعر جيد قوى ، مات وقد جاوز الثمانين .

﴿ أبو القاسم شاهنشاه ﴾

الأفضل بن أمير الجيوش بمصر ، مدبر دولة الفاطميين ، وإليه تنسب قيسرية أمير الجيوش

بمصر ، والعامّة تقول مرجوش ، وأبوه باني الجامع الذي بشفر الاسكندرية بسوق العطارين ، ومشهد الرأس بعسقلان أيضاً ، وكان أبوه نائب المستنصر على مدينة صور ، وقيل على عكا ، ثم استدعاه إليه في فصل الشتاء فركب البحر فاستنابه على ديار مصر ، فسدت الأمور بعد فسادها ، ومات في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وقام في الوزارة ولده الأفضل هذا ، وكان كأبيه في الشهامة والصرامة ، ولما مات المستنصر أقام المستمل واستمرت الأمور على يديه ، وكان عادلاً حسن السيرة ، موصوفاً بمجودة السريرة فأنه أعلم ، ضربه فداوى وهو راكب فقتله في رمضان من هذه السنة ، عن سبع وخمسين سنة ، وكانت إمارته من ذلك بعد أبيه ثمان وعشرين سنة ، وكانت داره دار الوكالة اليوم بمصر ، وقد وجد له أموال عديدة جداً ، تفوق العد والاحصاء ، من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخليل المسومة والأنعام والحراث ، والجواهر النفائس ، فانتقل ذلك كله إلى الخليفة الفاطمي ، فجعل في خزانته ، وذهب جامعه إلى سواء الحساب ، على الفتيل من ذلك والتقيير والقطمير واعتاض عنه الخليفة بأبي عبد الله البطاحي ، ولقبه المأمون . قال ابن خلكان : ترك الأفضل من الذهب العيين ستمائة ألف دينار مكررة ، ومن الدراهم مائتين وخمسين أردبا ، وسبعين ثوب ديباج أطلس ، وثلاثين راحلة أحقاق ذهب عراقي ، ودواة ذهب فيها جوهرة باني عشر ألف دينار ، ومائة مسمار ذهب زنة كل مسمار مائة مثقال ، في عشرة مجالس كان يجلس فيها ، على كل مسمار منديل مشدود بذهب ، كل منديل على لون من الألوان من ملابسه ، وخمسمائة صندوق كسوة للبس بدنه ، قال : وخلف من الرقيق والخليل والبغال والمراكب والمسك والطيب والخل ما لا يعلم قدره إلا الله عز وجل ، وخلف من البقر والجواميس والغنم ما يستحي الإنسان من ذكره ، وبلغ ضمان ألبانها في سنة وفاته ثلاثين ألف دينار ، وترك صندوقين كبيرين مملوئين بذهب برسم النساء .

✽ عبد الرزاق بن عبد الله ✽

ابن علي بن إسحاق الطوسي ، ابن أخى نظام الملك ، تفقه بامام الحرمين ، وأفتى ودرس وناظر ، ووزر للملك سنجر

✽ خاتون السفرية ✽

حظية السلطان ملكشاه ، وهي أم السلطانين محمد وسنجر ، كانت كثيرة الصدقة والاحسان إلى الناس ، لها في كل سنة سبيل يخرج مع الحجاج . وفيها دين وخير ، ولم تزل تبحث حتى عرفت مكان أمها وأهلها ، فبعثت الأموال الجزيلة حتى استحضرتهم ، ولما قدمت عليها أمها كان لها عنها أربعين سنة لم ترها ، فأجبت أن تستعلم فهمها فجلست بين جواربها ، فلما سمعت أمها كلامها عرقها فقامت إليها فاعتنقا وبكيا ، ثم أسلمت أمها على يديها جزاها الله خيراً . وقد تفردت بولادة ملكين من ملوك المسلمين ، في دولة الأتراك والعجم ، ولا يعرف لها نظير في ذلك إلا اليسير من ذلك ، وهي

ولادة بنت العباس ، ولدت لعبد الملك الوليد وسليمان ، وشاهوند ولدت للوليد يزيد وإبراهيم ، وقد وليا الخلافة أيضاً ، والخيزران ولدت للمهدي الهادي والرشيد .

✽ الطغرائي ✽

صاحب لامية العجم ، الحسين بن علي بن عبد الصمد ، مؤيد الدين الأصبهاني ، العميد نخر الكتاب اللبني الشاعر ، المعروف بالطغرائي ، ولي الوزارة بأربل مدة ، وأورد له ابن خلكان قصيدته اللامية التي ألفها في سنة خمس وخمسمائة ، في بغداد ، يشرح فيها أحواله وأموره ، وتعرف بلامية العجم أولها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل * وحلية الفضل زانتني لدى المطل
مجدى أخيراً ومجدى أولاً شرع * والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فبم الإقامة بالزوراء ؟ لا سكنى * بها ولا ناقتي فيها ولا جملي
وقد سردها ابن خلكان بكاملها ، وأورد له غير ذلك من الشعر والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست عشرة وخمسمائة ﴾

في الحرم منها رجع السلطان طغرل بك إلى طاعة أخيه محمود ، بعد ما كان قد خرج عنها ، وأخذ بلاد أذربيجان ، وفيها أقطع السلطان محمود مدينة واسط لا آقسنقر مضافاً إلى الموصل ، فسير إليها عماد الدين زنكي بن آقسنقر ، فأحسن السيرة بها وأبان عن حزم وكفاية . وفي صفر منها قتل الوزير السلطان محمود أبو طالب السميرمي ، قتله باطنى ، وكان قد برز للمسير إلى همدان ، وكانت قد خرجت زوجته في مائة جارية بمراكب الذهب ، فلما بلغن قتله رجعن حافيات حاسرات عن وجوههن ، قد هن بعد العز ، واستوزر السلطان مكانه شمس الدين الملك عثمان بن نظام الملك . وفيها التقى آقسنقر وديس بن صدقة ، فهزمه ديس وقتل خلفاً من جيشه ، فأوثق السلطان منصور بن صدقة أخا ديس وولده ، ورفعهما إلى القلعة ، فعند ذلك آذى ديس تلك الناحية ونهب البلاد ، وجز شعره ولبس السواد ، ونهبت أموال الخليفة أيضاً ، فنودي في بغداد للخروج لقتاله ، وبرز الخليفة في الجيش وعليه قباء أسود وطرحة ، وعلى كتفيه البردة وبيده القضيبي ، وفي وسطه منطقة حريير صيني ، ومعه وزيره نظام الدين أحمد بن نظام الملك ، ونقيب النقباء علي بن طراد الزينبي ، وشيخ الشيوخ صدر الدين بن إسماعيل ، وتلقاه آقسنقر البرشقي ومعه الجيش فقبلوا الأرض ورتب البرشقي الجيش ، ووقف القراء بين يدي الخليفة ، وأقبل ديس وبين يديه الاماء يضربن بالدفوف والمخانيث بالملاهي ، والتقى الفريقان ، وقد شعر الخليفة سيفه وكبر واقترب من المعركة ، فحمل عنتر بن أبي العسكر على ميمنة الخليفة فكسرها وقتل أميرها ثم حمل مرة ثانية فكشفهم كالاولى فحمل عليه عماد

الدين زنديكى ابن آقسنقر فأسر عنبر وأسر معه بديل بن زائدة ، ثم انهزم عسكر ديبس وألقوا أنفسهم في الماء ، ففرق كثير منهم ، فأمر الخليفة بضرب أعناق الأسارى صبراً بين يديه ، وحصل نساء ديبس وسراريه تحت الأسر ، وعاد الخليفة إلى بغداد فدخلها في يوم عاشوراء من السنة الآتية ، وكانت غيبته عن بغداد ستة عشر يوماً ، وأما ديبس فإنه نجا بنفسه وقصد غزيرة ثم إلى المنتفق فصحبهم إلى البصرة فدخلها ونهبها وقتل أميرها ، ثم خاف من البرشقي فخرج منها وسار على البرية والتحق بالفرنج ، وحضر معهم حصار حلب ، ثم فارقهم والتحق بالملك طغرل أخى السلطان محمود . وفيها ملك السلطان سهام الدين تمشك براس بن إيلغازى ابن أرتق قلعة ماردين بعد وفاة أبيه ، وملك أخوه سليمان ميافارقين . وفيها ظهر معدن نحاس بديار بكر قريباً من قلعة ذى القرنين . وفيها دخل جماعة من الوعاظ إلى بغداد فوعظوا بها ، وحصل لهم قبول تام من العوام . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن عمر بن أبى الأشعث ، أبو محمد السمرقندى ، أخو أبى القاسم ، وكان من حفاظ الحديث ، وقد زعم أن عنده منه ما ليس عند أبى زرعة الرازى ، وقد صحب الخطيب مدة وجمع ألف وصنف ورحل إلى الآفاق ، توفى يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول بها عن ثمانين سنة .

﴿ على بن أحمد السمرى ﴾

نسبة إلى قرية بأصبهان ، كان وزير السلطان محمود ، وكان مجاهراً بالظلم والفسق ، وأحدث على الناس مكوساً ، وجدها بعد ما كانت قد أزيلت من مدة متطاولة ، وكان يقول : قد استحييت من كثرة ظلم من لا ناصر له ، وكثرة ما أحدثت من السنين السيئة ، ولما عزم على الخروج إلى همدان أحضر المنجمين فضربوا له تحت رمل ساعة خروجه ليكون أسرع لعودته ، فخرج في تلك الساعة وبين يديه السيوف المسلولة ، والممالك الكثيرة بالعدد الباهرة ، فما أغنى عنه ذلك شيئاً ، بل جاءه باطنى فضربه فقتله ، ثم مات الباطنى بعده ، ورجع نساؤه بعد أن ذهبن بين يديه على مراكب الذهب ، حاسرات عن وجوههن ، قد أبدطن الله الذل بعد العز ، والخوف بعد الأمن ، والحزن بعد السرور والفرح ، جزاء وفاقا ، وذلك يوم الثلاثاء سلخ صفر ، وما أشبه حاله بقول أبى العتاهية في الخيزران وجواربها حين مات المهدي :

رحن في الوشى عليهن المسوح * كل بطاح من الناس له يوم يطوح

لتموتن ولو عمرت ما عمر نوح * فعلى نفسك نوح إن كنت لا بد تنوح

﴿ الحربرى صاحب المقامات ﴾

القاسم بن على بن محمد بن محمد بن عثمان ، نحر الدولة أبو محمد الحربرى . مؤلف المقامات التى

سارت بفصاحتها الركبان ، وكاد يربو فيها على سحبان ، ولم يسبق إلى مثلها ولا يلحق ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة ومجمع الحديث واشتغل باللغة والنحو ، وصنف في ذلك كله ، وفاق أهل زمانه ، وبرز على أقرانه ، وأقام ببغداد وعمل صناعة الانشاء مع الكتاب في باب الخليفة ، ولم يكن ممن تنسك بديهته ولا تتمكر فكرته وقر يحته . قال ابن الجوزي : صنف وقرأ الأدب واللغة ، وفاق أهل زمانه بالذكاء والفظنة والفصاحة ، وحسن العبارة ، وصنف المقامات المعروفة التي من تأملها عرف ذكاء منشئها ، وقدره وفصاحته ، وعلمه . توفي في هذه السنة بالبصرة . وقد قيل إن أبا زيد والحارث بن همام المطاهر لا وجود لهما ، وإنما جعل هذه المقامات من باب الأمثال ، ومنهم من يقول أبو زيد بن سلام السروجي كن له وجود ، وكان فاضلا ، وله علم ومعرفة باللغة والله أعلم . وذكر ابن خلكان أن أبا زيد كان اسمه المطاهر بن سلام ، وكان بصريا فاضلا في النحو واللغة ، وكان يشتغل عليه الحريري بالبصرة ، وأما الحارث بن همام فانه غنى بنفسه ، لما جاء في الحديث كلكم حارث وكلكم همام . كذا قال ابن خلكان . وإنما اللفظ المحفوظ « أصدق الأسماء حارث وهمام » لأن كل أحد إما حارث وهو الفاعل ، أو همام من الهمة وهو العزم والخطا ، وذكر أن أول مقامة عملها الثامنة والأربعون وهي الحرامية ، وكان سببها أنه دخل عليهم في مسجد البصرة رجل ذو طمرين فصيح اللسان ، فاستسموه فقال أبو زيد السروجي ، فعمل فيه هذه المقامة ، فأشار عليه وزير الخليفة المسترشد جلال الدين عميد الدولة أبو علي الحسن بن أبي الميزب بن صدقة ، أن يكمل عليها تمام خمسين مقامة . قال ابن خلكان : كذا رأيته في نسخة بخط المصنف ، على حاشيتها ، وهو أصح من قول من قال إنه الوزير شرف الدين أبو نصر أنوشروان بن محمد بن خالد بن محمد القاشاني ، وهو وزير المسترشد أيضاً ، ويقال إن الحريري كان قد عملها أربعين مقامة ، فلما قدم بغداد ولم يصدق في ذلك لعجز الناس عن مثلها ، فامتحنه بعض الوزراء أن يعمل مقامة فأخذ الدواة والقرطاس وجلس ناحية فلم يتيسر له شيء ، فلما عاد إلى بلده عمل عشرة أخرى فأتىها خمسين مقامة ، وقد قال فيه أبو القاسم علي بن أفلاح الشاعر ، وكان من جملة المكذبين له فيها :

شيخ لنا من ربيعة الفرس * ينف عشونه من الهوس

أنطقه الله بالمشان كما * رماه وسط الديوان بالخرس

ومعنى قوله بالمشان هو مكان بالبصرة ، وكان الحريري صدر ديوان المشان ، ويقال إنه كان ذميم

الخلق ، فاتفق أن رجلا رحل إليه فلما رآه ازدراه ففهم الحريري ذلك فأنشأ يقول :

ما أنت أول سار غره قر * ورائدا أعجبته خضرة الدمن

فاختر لنفسك غيري إنني رجل * مثل المعبدى فاسمع بي ولا ترني

ويقال إن المعيدى اسم حصان جواد كان في العرب ذميم الخلق والله أعلم .

﴿ البغوى المفسر ﴾

الحسين بن مسعود بن محمد البغوى ، صاحب التفسير وشرح السنة والتهذيب في الفقه ، والجمع بين الصحيحين والمصابيح في الصحاح والحسان ، وغير ذلك ، اشتغل على القاضى حسين وبرع في هذه العلوم ، وكان علامة زمانه فيها ، وكان ديناً ورعاً زاهداً عابداً صالحاً . توفى في شوال منها وقيل في سنة عشر فآله أعلم . ودفن مع شيخه القاضى حسين بالطالقان والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة سبع عشرة وخمسمائة ﴾

في يوم عاشوراء منها عاد الخليفة من الحلة إلى بغداد مؤيداً منصوراً من قتال ديبس . وفيها عزم الخليفة على ظهور أولاد أخيه ، وكانوا اثني عشر ذكراً ، فزينت بغداد سبعة أيام بزيينة لم ير مثلها . وفي شعبان منها قدم أسعد المهيتى مدرساً بالنظامية ببغداد ، وناظراً عليها ، وصرف الباقر جى عنها ، ووقع بينه وبين الفقهاء فتنة بسبب أنه قطع منهم جماعة ، واكتفى بمائتى طالب منهم ، فلم يهن ذلك على كثير منهم . وفيها سار السلطان محمود إلى بلاد الكرج وقد وقع بينهم وبين القفجاق خلف فقاتلهم فهزمهم ، ثم عاد إلى همدان . وفيها ملك طغتكين صاحب دمشق مدينة حماه بعد وفاة صاحبها قراجا ، وقد كان ظالماً غاشماً . وفيها عزل نقيب العلويين وهدمت داره وهو على بن أفلاح ، لأنه كان عيناً لديس ، وأضيف إلى على بن طراد نقابة العلويين مع نقابة العباسيين .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن على بن صدقة ، التغلبى ، المعروف بابن الخياط الشاعر الدمشقى ، الكاتب ، له ديوان شعر مشهور . قال ابن عساكر ختم به شعر الشعراء بدمشق ، شعره جيد حسن ، وكان مكثراً لحفظ الأشعار المتقدمة وأخبارهم ، وأورد له ابن خلكان قطعة جيدة من شعره من قصيدته التى لولم يكن له سواها لكفته وهى التى يقول فيها :

خدا من صبا نجد أماناً لقلبه * فقد كاد رباها يطير بلبه
وإياك ذاكَ النفسيم فانه * متى هب كان الوجد أيسر خطبه
خليلى ، لو أحببتما لعلتما * محل الهوى من مغرم القلب صبه
تذكر والذكرى تشوق وذو الهوى * يتوق ومن يعلق به الحب يصبه
غرام على يأس الهوى ورجائه * وشوق على بعد المزار وقربه
وفى الركب مطوى الضلوع على جرى * متى يدعه داعى الغرام يلبه
إذا خطر من جانب الرمل نفعة * تضمن منها داؤه دون محبه

ومحتجب بين الأسنة معرض * وفي القلب من أعراضه مثل حجب
أغار إذا آتست في الحى أنه * حذارا وخوفا أن تكون لجه
توفى في رمضان منها عن سبع وتسعين سنة بدمشق .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان عشرة وخمسمائة ﴾

فيها ظهرت الباطنية بآمد فقاتلهم أهلها فقتلوا منهم سبعمائة . وفيها ردت شحنة بغداد إلى
سعد الدولة برنقش الزكوى وسلم إليه منصور بن صدقة أخو ديبس ليسله إلى دار الخلافة ، وورد الخبر
بأن ديبساً قد التجأ إلى طغرل بك وقد اتفقا على أخذ بغداد ، فأخذ الناس بالتأهب إلى قتالهما ، وأمر
آقسنقر بالعود إلى الموصل ، فاستناب على البصرة عماد الدين زنكي بن آقسنقر . وفي ربيع الأول
دخل الملك حسام تمرناش بن إيلغازى بن أرتق صاحب حلب ، وقد ملكها بعد ملكها بلك بن
بهرام ، وكان قد حاصر قلعة منبج فجاءه سهم في حلقه فمات ، فاستناب تمرناش بحلب ، ثم عاد إلى
ماردين فأخذت منه بعد ذلك ، أخذها آقسنقر مضافة إلى الموصل ، وفيها أرسل الخليفة القاضي أبا
سعد المروى ليخطب له ابنة السلطان سنجر ، وشرع الخليفة في بناء دار على حافة دجلة لأجل
العروس . وحج بالناس جمال الدولة إقبال المسترشدى .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن علي بن برهان ﴾

أبو الفتح ، ويعرف بابن الحامى ، تفرقه على أبي الوفاء بن عقيل ، وبرع في مذهب الإمام أحمد ،
ثم ندم عليه أصحابه أشياء ، فعمله ذلك على الانتقال إلى مذهب الشافعى ، فاشتغل على الغزالي
والشاشى ، وبرع وساد وشهد عند الزينبي فقبله ، ودرس في النظامية شهراً . توفى في جمادى ودفن
بباب إبرز . ﴿ عبد الله بن محمد بن جعفر ﴾

أبو على الدامغانى ، سمع الحديث وشهد عند أبيه وناب في الكرخ عن أخيه ، ثم ترك ذلك
كله ، وولى حجابة باب النبوى ، ثم عزل ثم أعيد . توفى في جمادى .

﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن إبراهيم أبو الفضل الميدانى ، صاحب كتاب الأمثال ، ليس له مثله في بابه ، له شعر جيد ،
توفى يوم الأربعاء الخامس والعشرين من رمضان والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع عشرة وخمسمائة ﴾

فيها قصد ديبس والسلطان طغرل بغداد ليأخذها من يد الخليفة ، فلما اقتربا منها برز إليهما
الخليفة في جمفل عظيم ، والناس مشاة بين يديه إلى أول منزلة ، ثم ركب الناس بعد ذلك ، فلما
أمست الليلة التى يقتتلون في صبيحتها ، ومن عزهم أن ينهبوا بغداد ، أرسل الله مطراً عظيماً ،

ومرض السلطان طغرل في تلك الليلة ، فتفرقت تلك الجوع ورجعوا على أعقابهم خائبين خائفين ، والتجأ ديبس وطغرل إلى الملك سنجر وسألاه الأمان من الخليفة ، والسلطان محمود ، فحبس ديبساً في قلعة ووشى واش أن الخليفة يريد أن يستأثر بالملك ، وقد خرج من بغداد إلى اللان لمحاربة الأعداء ، فوقع في نفس سنجر من ذلك وأضرر سوء ، مع أنه قد زوج ابنته من الخليفة . وفيها قتل القاضي أبو سعد بن نصر بن منصور الهروي بهمدان ، قتلته الباطنية ، وهو الذي أرسله الخليفة إلى سنجر ليخطب ابنته . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ آقسنقر البرشقي ﴾

صاحب حلب ، قتلته الباطنية - وهم الفداوية - في مقصورة جامعها يوم الجمعة ، وقد كان تركياً جيد السيرة ، محافظاً على الصلوات في أوقاتها ، كثير البر والصدقات إلى الفقراء ، كثير الإحسان إلى الرعايا ، وقام في الملك بعده ولده السلطان عز الدين مسعود ، وأقره السلطان محمود على عمله .

﴿ بلال بن عبد الرحمن ﴾

ابن شريح بن عمر بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن سليمان بن بلال بن رباح ، مؤذن رسول الله ﷺ ، رحل وجال في البلاد ، وكان شيخاً جهورى الصوت ، حسن القراءة ، طيب النعمة توفي في هذه السنة بسمرقند رحمه الله .

﴿ القاضي أبو سعد الهروي ﴾

أحمد^(١) بن نصر ، أحد مشاهير الفقهاء ، وسادة الكبراء ، قتلته الباطنية بهمدان فيها .

﴿ ثم دخلت سنة عشرين وخمسمائة ﴾

فيها ترأس السلطان محمود والخليفة على السلطان سنجر ، وأن يكونا عليه ، فلما علم بذلك سنجر كتب إلى ابن أخيه محمود ينهيه ويستميله إليه ، ويحذره من الخليفة ، وأنه لا تؤمن غائلته ، وأنه متى فرغ مني دار إليك فأخذك ، فأصغى إلى قول عمه ورجع عن عزمه ، وأقبل ليدخل بغداد عامه ذلك ، فكتب إليه الخليفة ينهيه عن ذلك لقلة الاقوات بها ، فلم يقبل منه ، وأقبل إليه ، فلما أرف قدمه خرج الخليفة من داره وتجهز إلى الجانب الغربي فشق عليه ذلك وعلى الناس ، ودخل عيد الأضحى فخطب الخليفة الناس بنفسه خطبة عظيمة بليغة فصيحة جـدا ، وكبر وراءه خطباء الجوامع ، وكان يوماً مشهوداً . وقد سردها ابن الجوزي بطولها ورواها عن من حضرها ، مع قاضي القضاة الزينبي ، وجماعة من العدول ، ولما نزل الخليفة عن المنبر ذبح البدنة بيده ، ودخل السراوق وتباكى الناس ودعوا للخليفة بالتوفيق والنصر ، ثم دخل السلطان محمود إلى بغداد يوم الثلاثاء الثامن عشر من ذي

الحجة ، فتلوا في بيوت الناس وحصل للناس منهم أذى كثير في حريمهم ، ثم إن السلطان راسل الخليفة في الصلح فأبى ذلك الخليفة ، وركب في جيشه وقاتل الأتراك ومعه شزيمة قليلة من المقاتلة ، ولكن العامة كلهم معه ، وقتل من الأتراك خلقا ، ثم جاء عماد الدين زنكي في جيش كثيف من واسط في سفن إلى السلطان نجدة ، فلما استشعر الخليفة ذلك دعا إلى الصلح ، فوقع الصلح بين السلطان والخليفة ، وأخذ الملك يستبشر بذلك جداً ، ويعتذر إلى الخليفة مما وقع ، ثم خرج في أول السنة الآتية إلى همدان لمرض حصل له . وفيها كان أول مجلس تكلم فيه ابن الجوزي على المنبر يعظ الناس ، وعمره إذ ذاك ثلاث عشرة سنة ، وحضره الشيخ أبو القاسم علي بن يعلى العلوي البلخي ، وكان نسيبا ، علمه كلمات ثم أصعده المنبر فقلها ، وكان يوما مشهودا . قال ابن الجوزي : وحزر الجمع يومئذ بخمسين ألفا ، والله أعلم . وفيها اقتتل طغتكين صاحب دمشق وأعداؤه من الفرنج فقتل منهم خلقا كثيرا ، وغنم منهم أموالا جزيلة والله الحمد والمنة ،
ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو الفتح الطوسي الغزالي ، أخو أبي حامد الغزالي ، كان واعظا مفوها ، ذا حظ من الكلام والزهد وحسن التأني ، وله نكت جيدة ، ووعظ مرة في دار الملك محمود فأطلق له ألف دينار ، وخرج فاذا على الباب فرس الوزير بسرجها الذهب ، وسلاحها وما عليها من الخلي ، فركبها ، فبلغ ذلك الوزير فقال : دعوه ولا يرد على الفرس ، فأخذها الغزالي ، وسمع مرة ناعورة تئن فألقى عليها رداءه فتمزق قطعا قطعا . قال ابن الجوزي : وقد كانت له نكت إلا أن الغالب على كلامه التخليط والأحاديث الموضوعية المصنوعة ، والحكايات الفارغة ، والمعاني الفاسدة ، ثم أورد ابن الجوزي أشياء منكورة من كلامه فأنه أعلم ، من ذلك أنه كان كلما أشكل عليه شيء رأى رسول الله ﷺ في اليقظة فسأله عن ذلك فدلّه على الصواب ، وكان يتعصب إلى بليس ويعتذر له ، وتكلم فيه ابن الجوزي بكلام طويل كثير . قال ونسب إلى محبة المردان والقول بالمشاهدة فأنه أعلم بصحة ذلك . قال ابن خلدون : كان واعظا مليح الوعظ حسن المنظر صاحب كرامات وإشارات ، وكان من الفقهاء ، غير أنه مال إلى الوعظ فقلب عليه ودرس بالنظامية نيابة عن أخيه لما تزهد ، واختصر إحياء علوم الدين في مجلد سماه « لباب الاحياء » وله الذخيرة في علم البصيرة ، وطاف البلاد وخدم الصوفية بنفسه ، وكان مائلا إلى الانقطاع والعزلة والله أعلم بحاله .

﴿ أحمد بن علي ﴾

ابن محمد الوكيل ، المعروف بابن برهان ، أبو الفتح الفقيه الشافعي ، تفقه على الغزالي وعلى الكيا المراسي ، وعلى الشافعي ، وكان بارعا في الأصول ، وله كتاب الذخيرة في أصول الفقه ، وكان يعرف

فنونا جيدة ، بعينها . وولى تدريس النظامية ببغداد دون شهر .

﴿ بهرام بن بهرام ﴾

أبو شجاع البيع ، سمع الحديث وبنى مدرسة لأصحاب أحمد بكلاواذى ، ووقف قطعة من أملاكه على الفقهاء بها .

﴿ صاعد بن سيار ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن إبراهيم أبو الأعلا الاسحاقى الهروى الحافظ ، أحد المتقنين ، سمع الحديث وتوفى بمتنودج قرية على باب هراة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وعشرين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة والخليفة والسلطان محمود متحاربان والخليفة فى السراشق فى الجانب الغربى ، فلما كان يوم الأربعاء رابع المحرم توصل جماعة من جند السلطان إلى دار الخلافة فحصل فيها ألف مقاتل عليهم السلاح ، فنهبوا الأموال ، وخرج الجوارى وهن حاسرات يستغثن حتى دخلن دار الخاتون . قال ابن الجوزى : وأما رأيتهن كذلك ، فلما وقع ذلك ركب الخليفة فى جيشه وجىء بالسفن وانقلبت بغداد بالصراخ حتى كأن الدنيا قدزلزلت ، وثارت العامة مع جيش الخليفة فكسروا جيش السلطان وقتلوا خلقا من الأمراء ، وأسروا آخرين ونهبوا دار السلطان ودار وزيره ودار طبيبيه أبى البركات ، وأخذوا ما كان فى داره من الودائع ، ومرت خبطة عظيمة جدا ، حتى أنهم نهبوا الصوفية ، برباط نهر جور ، وجرت أمور طويلة ، ونالت العامة من السلطان ، وجعلوا يقولون له يا باطنى تترك الفرنج والروم وتقاتل الخليفة ، ثم إن الخليفة انتقل إلى داره فى سابع المحرم ، فلما كان فى يوم عاشوراء تمائل الحال وطلب السلطان من الخليفة الأمان والصلح ، فلان الخليفة إلى ذلك ، وتباشر الناس بالصلح ، فأرسل إليه الخليفة نقيب النقباء وقاضى القضاة ، وشيخ الشيوخ وبضعا وثلاثين شاهداً ، فاحتبسهم السلطان عنده ستة أيام فساء ذلك الناس ، وخافوا من فتنة أخرى أشد من الأولى ، وكان برنقش الزكوى شحنة بغداد يفرى السلطان بأهل بغداد لينهب أموالهم ، فلم يقبل منه ، ثم أدخل لأولئك الجماعة فأدخلوه عليه وقت المغرب فصلى بهم القاضى وقرأوا عليه كتاب الخليفة ، فقام قائما ، وأجاب الخليفة إلى جميع ما اقترح عليه ، ووقع الصلح والتحليف ، ودخل جيش السلطان وهم فى غاية الجهد من قلة الطعام عندهم فى المعسكر ، وقالوا : لو لم يصالح لمتناجرعا ، وظهر من السلطان حلم كثير عن العوام ، وأمر الخليفة برد ما نهب من دور الجند ، وأن من كتم شيئا أبيح دمه . وبعث الخليفة على بن طراد الزينبى النقيب إلى السلطان سنجر ليبعد عن بابه ديبسا ، وأرسل معه الخلع والاكرام ، فأكرم سنجر رسول الخليفة ، وأمر بضرب الطبول على بابه فى ثلاثة

أوقات ، وظهر منه طاعة كثيرة ، ثم مرض السلطان محمود ببغداد فأمره الطبيب بالانتقال عنها إلى همدان ، فسار في ربيع الآخر فوضع شحنة بغداد إلى عماد الدين زنكي ، فلما وصل السلطان إلى همدان بعث على شحنة بغداد مجاهد الدين بهروز ، وجعل إليه الحالة وبعث عماد الدين زنكي إلى الموصل وأعمالها . وفيها درس الحسن بن سليمان بالنظامية ببغداد . وفيها ورد أبو الفتح الاسفرايني فوعظ ببغداد ، فأورد أحاديث كثيرة منكرة جدا ، فاستتيب منها وأمر بالانتقال منها إلى غيرها فشد معه جماعة من الأكابر وردوه إلى ما كان عليه ، فوقع بسببه فتن كثيرة بين الناس ، حتى رجمه بعض العامة بالأسواق ، وذلك لأنه كان يطلق عبارات لا يحتاج إلى إيرادها ، فنفرت منه قلوب العامة وأبغضوه ، وجلس الشيخ عبد القادر الجيلاني فتكلم على الناس فأعجبهم ، وأحبوه وتركوا ذاك . وفيها قتل السلطان سنجر من الباطنية اثنا عشر ألفا . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن إبراهيم بن أحمد ، أبو الحسن بن أبي الفضل الهمداني الفرضي ، صاحب التاريخ من بيت الحديث . وذكر ابن الجوزي عن شيخه عبد الوهاب أنه طعن فيه . توفي فجأة في شوال ، ودفن إلى جانب ابن شريح .

﴿ فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضالويه ﴾

سمعت الخطيب وابن المسلة وغيرهما ، وكانت واعظة لها رباط تجتمع فيه الزاهدات ، وقد سمع عليها ابن الجوزي مسند الشافعي وغيره .

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن السيد البطليوسي ، ثم التنيسي صاحب المصنفات في اللغة وغيرها ، جمع المثلث في مجلدين ، وزاد فيه على قطرب شيئا كثيرا جدا ، وله شرح سقط الزند لأبي العلاء ، أحسن من شرح المصنف وله شرح أدب الكاتب لابن قتيبة ، ومن شعره الذي أورده له ابن خلكان .

أخو العلم حي خالد بعد موته * وأوصاله نحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو ماش على الثرى * يظن من الأحياء وهو عديم

﴿ ثم دخلت سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة ﴾

في أولها قدم رسول سنجر إلى الخليفة يسأل منه أن يخطب له على منابر بغداد ، وكان يخطب له في كل جمعة بجامع المنصور . وفيها مات ابن صدقة وزير الخليفة ، وجعل مكانه تقيب النقيب ما وفيها اجتمع السلطان محمود بعمه سنجر واصطالحا بعد خشونة ، وسلم سنجر ديبساً إلى السلطان محمود على أن يسترضى عنه الخليفة ويعزل زنكي عن الموصل ، ويسلم ذلك إلى ديبس ، واشتهر في ربيع الأول

ببغداد أن دببسا أقبل إلى بغداد فى جيش كثيف ، فكتب الخليفة إلى السلطان محمود : إئن لم تكف دببسا عن القدوم إلى بغداد وإلا أخرجنا إليه ونقضنا ما بيننا وبينك من العهد والصلح . وفيها ملك الاتابك زنكى بن آقسنقر مدينة حلب وما حولها من البلاد . وفيها ملك تاج الملوك بورى بن طفتكين مدينة دمشق بعد وفاة أبيه ، وقد كان أبوه من ممالك ألب أرسلان ، وكان عاقلاً حازماً عادلاً خيراً ، كثير الجهاد فى الفرنج رحمه الله . وفيها عمل ببغداد مصلى للعبد ظاهر باب الحلية ، وحوط عليه ، وجعل فيه قبلة . وحج بالناس قطز الخادم المتقدم ذكره .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن على بن صدقة ﴾ أبو على وزير الخليفة المسترشد ، توفى فى رجب منها . ومن شعره الذى أورد له ابن الجوزى وقد بالغ فى مدح الخليفة فيه وأخطأ :

وجدت الورى كالماء طعماً ورقة * وأن أمير المؤمنين زلاله .
وصورت معنى العقل شخصاً مصوراً * وأن أمير المؤمنين مثاله
فلولا مكان الشرع والدين والتقى * لقلت من الأعظام جل جلاله
﴿ الحسين بن على ﴾

ابن أبى القاسم اللامتنى ، من أهل سمرقند ، روى الحديث وتفقّه ، وكان يضرب به المثل فى المناظرة ، وكان خيراً ديناً على طريقة السلف ، مطرحاً للتكلف أماراً بالمعروف ، قدم من عند الخاقان ملك ما وراء النهر فى رسالة إلى دار الخلافة ، فقبل له ألا تمجج عامك هذا ؟ فقال : لأجعل الحج تبعاً لرسالتهم ، فعاد إلى بلاده فى رمضان من هذه السنة عن إحدى وثمانين سنة رحمه الله .

﴿ طفتكين الاتابك ﴾

صاحب دمشق التركى ، أحد غلمان تتش ، كان من خيار الملوك وأعداهم وأكثرهم جهاداً للفرنج ، وقام من بعده ولده تاج الملوك بورى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة ﴾

فى الحرم منها دخل السلطان محمود إلى بغداد ، واجتهد فى إرضاء الخليفة عن دببسا ، وأن يسلم إليه بلاد الموصل ، فامتنع الخليفة من ذلك وأبى أشد الإباء ، هذا وقد تأخر دببسا عن الدخول إلى بغداد ، ثم دخلها وركب بين الناس فلعنوه وشتموه فى وجهه ، وقدم عماد الدين زنكى فبذل للسلطان فى كل سنة مائة ألف دينار ، وهدايا ونحفاً ، والتمزم للخليفة بمنزلها على أن لا يولى دببسا شيئاً وعلى أن يستمر زنكى على عمله بالموصل ، فأقره على ذلك وخلع عليه ، ورجع إلى عمله فلك حلب وحماه ، وأمر صاحبها سونج بن تاج الملوك ، فأتى نفسه بخمسين ألف دينار . وفى يوم الاثنين

سلخ ربيع الآخر خلع السلطان على نقيب النقباء استقلالاً ، ولا يعرف أحد من العباسيين بأمر
الوزارة غيره . وفي رمضان منها جاء دبيس في جيش إلى الحلة فملكها ودخلها في أصحابه ، وكانوا
ثلاثمائة فارس ، ثم إنه شرع في جمع الأموال وأخذ الغلات من القرى حتى حصل نحواً من خمسمائة
ألف دينار ، واستخدم قريباً من عشرة آلاف مقاتل ، وتفاقم الحال بأمره ، وبعث إلى الخليفة
يسترضيه فلم يرض عليه ، وعرض عليه أموالاً فلم يقبلها ، وبعث إليه السلطان جيشاً فانهزم إلى البرية
ثم أغار على البصرة فأخذ منها حواصل السلطان والخليفة ، ثم دخل البرية فأنقطع خبره . وفي هذه
السنة قتل صاحب دمشق من الباطنية ستة آلاف ، وعلق رؤس كبارهم على باب القلعة ، وأراح الله
الشام منهم . وفيها حاصرت الفرنج مدينة دمشق فخرج إليهم أهلها ، فقاتلهم قتالاً شديداً ، وبعث
أهل دمشق عبد الله الواعظ ومعه جماعة من التجار يستغيثون بالخليفة ، وهموا بكسر منبر الجامع ،
حتى وعدم بأنه سيكتب إلى السلطان ليعيئ لهم جيشاً يقاتلون الفرنج ، فسكنت الأمور ، فلم يبعث
لهم جيشاً حتى نصرهم الله من عنده ، فان المسلمين هزمهم وقتلوا منهم عشرة آلاف ، ولم يفلت منهم
سوى أربعين نفساً والله الحمد والمنة . وقتل سمند الفرنجي صاحب إنطاكية . وفيها تحبط الناس في
الحج حتى ضاق الوقت بسبب فتنة دبيس ، حتى حج بهم برنقش الزكوى ، وكان اسمه بفاجق .
ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أسعد بن أبي نصر ﴾

المبهي أبو الفتح ، أحد أئمة الشافعية في زمانه ، تفقه على أبي المظفر السمعاني ، وساد أهل زمانه
وبرع وتفرد من بين أقرانه ، وولى تدريس النظامية ببغداد ، وحصل له وجاهة عند الخاص والعام
وعاقب عنه تعلية في الخلاف ، ثم عزل عن النظامية فسار إلى همدان فأت بها في هذه السنة رحمه الله
تعالى . ﴿ ثم دخلت سنة أربع وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بالعراق تهدم بسببها دور كثيرة ببغداد . ووقع بأرض الموصل مطر
عظيم فسقط بعضه نارا تأجج فأحرقت دوراً كثيرة ، وخلقا من ذلك المطر وتهارب الناس .
وفيها وجد ببغداد عقارب طيارة لها شوكتان ، تخاف الناس منها خوفاً شديداً . وفيها ملك السلطان
سنجر مدينة سمرقند وكان بها محمد بن خاقان . وفيها ملك عماد الدين زنكي بلاداً كثيرة من الجزيرة
وهما مع الفرنج ، وجرت معهم حروب طويلة ، نصر عليهم في تلك المواقف كلها والله الحمد . وقتل
خلقا من جيش الروم حين قدموا الشام ، ومدحه الشعراء على ذلك ،

﴿ قتل خليفة مصر ﴾

وفي ثاني ذي القعدة قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بن المستعلي صاحب مصر ، قتله
الباطنية وله من العمر أربع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسعاً وعشرين سنة وخمسة أشهر

ونصفنا ، وكان هو العاشر من ولد عبيد الله المهدي ؛ ولما قتل تغلب على الديار المصرية غلام من غلمانه أرمي فاستحوذ على الأمور ثلاثة أيام حتى حضر أبو علي أحمد بن الأفضل بن بدر الجمالي فأقام الخليفة الحافظ أبا الميمون عبد المجيد بن الأمير أبي القاسم بن المستنصر ، وله من العمر ثمان وخمسون سنة ، ولما أقامه استحوذ على الأمور دونه وحصره في مجلسه ، لا يدع أحدا يدخل إليه إلا من يريد هو ، ونقل الأموال من القصر إلى داره ، ولم يبق للحافظ سوى الاسم فقط .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ إبراهيم بن يحيى بن عثمان بن محمد ﴾

أبو إسحاق السكابي من أهل غزة ، جاوز الثمانين ، وله شعر جيد في الأثر . فنه :

في فتية من جيوش الترك ما تركت * للرد كراتهم صوتا ولا صيتا

قوم إذا قوبلوا كانوا ملائكة * حسنا وإن قوتلوا كانوا عفاريتا

وله ليت الذي بالعشق دونك خصني * يا ظالمى قسم الحبة بيننا

ألقى الهزبر فلا أخاف وثوبه * ويرو عني نظر الغزال إذا دنا

وله إنما هذه الحياة متاع * والسفيه الغوى من يصطفها

ما مضى فات والمؤمل غيب * ولك الساعة التي أنت فيها

وله أيضاً : قالوا هجرت الشعر قلت ضرورة * باب الدواعي والبواعث مغلق

خلت الديار فلا كريم برنجي * منه النوال ولا ملبح يعشق

ومن العجائب أنه لا يشتري * ويخان فيه مع الكساد ويسرق

كانت وفاته في هذه السنة ببلاد بلخ ودفن بها . وما أنشده ابن خلكان له :

إشارة منك تكفيننا وأحسن ما * رد السلام غداة البين بالنعيم

حتى إذا طاح عنها المرط من دهب * وأنحل بالضم سلك العقد في الظلم

تبسمت فأضاء الليل فالتقطت * حبات منتثر في ضوء منتظم

﴿ الحسين بن محمد ﴾

ابن عبد الوهاب بن أحمد بن محمد بن الحسين بن عبيد الله بن القاسم بن عبد الله بن سليمان بن وهب الدباس أبو عبد الله الشاعر المعروف بالبارع ، قرأ القراءات وسمع الحديث ، وكان عارفا بالنحو واللغة والأدب ، وله شعر حسن ، توفي في هذه السنة وقد جاوز الثمانين .

﴿ محمد بن سعدون بن مرجا ﴾

أبو عامر العبدري القرشي الحافظ ، أصله من بيرة من بلاد المغرب وبغداد ، وسمع بها على طراد الزينبي والحيدى وغير واحد ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، وكان يذهب في الفروع مذهب

الظاهرية . توفى في ربيع الآخر في بغداد .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها ضل دبيس عن الطريق في البرية فأسره بعض أمراء الأعراب بأرض الشام ، وحمله إلى ملك دمشق بوري بن طغتكين ، فباعه من زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل بخمسين ألف دينار فلما حصل في يده لم يشك أنه سيهلكه ، لما بينهما من العداوة ، فأكرمه زنكي وأعطاه أموالاً جزيلة وقدمه واحترمه ، ثم جاءت رسل الخليفة في طلبه فبعثه معهم ، فلما وصل إلى الموصل حبس في قلعتها . وفيها وقع بين الأخوين محمود ومسعود ، فتواجهوا للقتال ثم اصطالحا . وفيها كانت وفاة الملك محمود بن ملكشاه فأقيم في الملك مكانه ابنه داود ، وجعل له إتابك وزير أبيه وخطب له بأكثر البلاد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن عبد القاهر الصوفي ﴾

سمع الحديث وتفقه بالشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، وكان شيخاً لطيفاً ، عليه نور العبادة والعلم قال ابن الجوزي أنشدني :

على كل حال فاجعل الحزم عدة * تقدمها بين النوائب والدهر
فان نلت خيراً نلت بهزيمة * وإن قصرت عنك الأمور فغن عذر
قال وأنشدني أيضاً :

لبست ثوب الرجاء والناس قد رقدوا * وقت أشكو إلى مولاي ما أجد
وقلت يا عدتي في كل نائبة * ومن عليه لكشف الضر أعتمد
وقد مددت يدي والضر مشتمل * إليك يا خير من مدت إليه يد
فلا تردنها يارب خائبة * فبعر جودك بروي كل من برد
﴿ الحسن بن سليمان ﴾

ابن عبد الله بن عبد الغني أبو علي الفقيه مدرس النظامية ، وقد وعظ بجامع القصر ، وكان يقول ما في الفقه منتهى ، ولا في الوعظ مبتدئ . توفى فيها وغسله القاضي أبو العباس بن الرطبي ، ودفن عند أبي إسحاق .

﴿ حماد بن مسلم ﴾

الرجعي الدياس ، كان يذكر له أحوال ومكاشفات واطلاع على مغيبات ، وغير ذلك من المقامات ، ورأيت ابن الجوزي يتكلم فيه ويقول : كان عرياً من العلوم الشرعية ، وإنما كان ينفق على الجهال وذكر عن ابن عقيل أنه كان ينفر منه ، وكان حماد الدياس يقول : ابن عقيل عدوي . قال ابن الجوزي : وكان الناس ينذرون له فيقبل ذلك ، ثم ترك ذلك وصار يأخذ من المنامات وينفق على أصحابه . توفى في رمضان ودفن بالشونيزية .

﴿ علي بن المستظهر بالله ﴾

أخو الخليفة المسترشد ، توفي في رجب منها وله من العمر إحدى وعشرون سنة ، فترك ضرب الطبول وجلس الناس للعرزاء أياماً . ﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن أبي الفضل الماهاني ، أحد أئمة الشافعية ، تفقه بامام الحرمين وغيره ، ورحل في طلب الحديث ، ودرس وأفتى وناظر . توفي فيها وقد جاوز التسعين ، ودفن بقرية ماهان من بلاد مرو ، ﴿ محمود السلطان بن السلطان ملكشاه ﴾

كان من خيار الملوك ، فيه حلم وإناة وصلابة ، وجلسوا للعرزاء به ثلاثة أيام سماحه الله .

﴿ هبة الله بن محمد ﴾

ابن عبد الواحد بن العباس بن الحصين ، أبو القاسم الشيباني ، راوى المسند عن علي بن المهذب عن أبي بكر بن مالك عن عبد الله بن أحمد عن أبيه ، وقد سمع قديماً لأنه ولد سنة ثنتين وثلاثين وأربع مائة ، وباكر به أبوه فأسمعه ، ومعه أخوه عبد الواحد ، على جماعة من عليّة المشايخ ، وقدرى عنه ابن الجوزى وغير واحد ، وكان ثقة ثبتاً صحيح السماع ، توفي بين الظهر والعصر يوم الأربعاء منها وله ثلاث وتسعون سنة ، رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها قدم مسعود بن محمد بن ملكشاه بغداد وقدمها قراجا الساقى ، وسلجوق شاه بن محمد ، وكل منهما يطلب الملك لنفسه ، وقدم عماد الدين زنكى لينضم إليهما فتلقاء الساقى فهزمه فهرب منه إلى تكريت ، فقدمه نائب قلعته نجم الدين أيوب والى الملك صلاح الدين يوسف ، فاتح بيت المقدس كما سيأتى إن شاء الله ، حتى عاد إلى بلاده ، وكان هذا هو السبب فى مصير نجم الدين أيوب إليه ، وهو بحلب ، فقدم عنده ثم كان من الأمور ما سيأتى إن شاء الله تعالى . ثم إن الملكين مسعود وسلجوق شاه اجتمعا فاصطالحا وركبا إلى الملك سنجر فاقتهما معه ، وكان جيشه مائة وستين ألفاً وكان جيشهما قريباً من ثلاثين ألفاً ، وكان جملة من قتل بينهما أربعين ألفاً ، وأسر جيش سنجر قراجا الساقى فقتله صبراً بين يديه ، ثم أجلس طغرل بن محمد على سرير الملك ، وخطب له على المنابر ، ورجع سنجر إلى بلاده ، وكتب طغرل إلى ديبس وزنكى لينذهبا إلى بغداد ليأخذاها ، فأقبلا فى جيش كثيف فبرز إليهما الخليفة فهزمهما ، وقتل خلقاً من أصحابهما ، وأزاح الله شرهما عنه والله الحمد . وفيها قتل أبو على الأفضل بن بدر الجمالى وزير الحافظ الفاطمى ، فنقل الحافظ الأموال التى كان أخذها إلى داره واستوزر بعده أبا الفتح ، يانس الحافظى ، ولقبه أمير الجيوش ، ثم أحنال فقتله واستوزر ولده حسنا وخطب له بولاية العهد . وفيها عزل المسترشد وزيره على بن طراد الزينبى

واستوزر أنوشروان بن خالد بعد تمنع . وفيها ملك دمشق شمس الملوك إسماعيل بن بوري بن طفتكين بعد وفاة أبيه ، واستوزر يوسف بن فيروز ، وكان خيرا ، ملك بلادا كثيرة ، وأطاعه إخوته ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن عبيد الله ﴾

ابن محمد بن عبيد الله بن محمد بن أحمد بن حمدان بن عمر بن عيسى بن إبراهيم بن غثنة بن يزيد السلمي ، ويعرف بابن كادش المكبرى ، أبو العز البغدادي ، سمع الحديث الكثير ، وكان يفهم ويرويه وهو آخر من روى عن الماوردي ، وقد أثنى عليه غير واحد ، منهم أبو محمد بن الخشاب ، وكان محمد بن ناصر يثمه ويرميه بأنه اعترف بوضع حديث فأنه أعلم . وقال عبد الوهاب الأنماطي كان مخطئا ، توفى في جمادى الأولى منها . ﴿ محمد بن محمد بن الحسين ﴾

ابن القاضي أبي يعلى بن الفراء الحنبلي ، ولد في شعبان سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، سمع أباه وغيره ، وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وكان له بيت فيه مال فعدى عليه من الليل فقتل وأخذ ماله ، ثم أظهر الله عز وجل على قاتله فقتلوه .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وعشرين وخمسمائة ﴾

في صفر منها دخل السلطان مسعود إلى بغداد فخطب له بها وخلع عليه الخليفة وولاه السلطنة ونثر الدنانير والدرهم على الناس ، وخلع على السلطان داود بن محمود . وفيها جمع ديبس جمعا كثيرا بواسط ، فأرسل إليه السلطان جيشا فكسروه وفرقوا شمله ، ثم إن الخليفة عزم على الخروج إلى الموصل ليأخذها من زنكي ، فعرض عليه زنكي من الأموال والتحف شيئا كثيرا ليرجع عنه فلم يقبل ، ثم بلغه أن السلطان مسعود قد اصطاح مع ديبس وخلع عليه ، فكر راجعا سريعا إلى بغداد سالما معظما . وفيها مات ابن الزاغوني أحد أئمة الحنابلة ، فطلب حلقته ابن الجوزي ، وكان شابا ، فحصلت لغيره ، ولكن أذن له الوزير أنوشروان في الوعظ ، فتكلم في هذه السنة على الناس في أما كن متعددة من بغداد ، وكثرت مجالسه وازدحم عليه الناس . وفيها ملك شمس الملوك إسماعيل صاحب دمشق مدينة حماه ، وكانت بيد زنكي . وفي ذى الحجة نهب التركان مدينة طرابلس وخرج إليهم القومص لعنه الله الفرنجي فهزموه وقتلوا خلقا من أصحابه ، وحاصروه فيها مدة طويلة ، حتى طال الحصار ، فانصرفوا . وفيها تولى قاسم بن أبي فليحة مكة بعد أبيه . وفيها قتل شمس الملوك أخاه سونج ، وفيها اشترى الباطنية قلعة حصن القدموس بالشام فسكنوها وحاربوا من جاورهم من المسلمين والفرنج . وفيها اقتتل الفرنج فيما بينهم قتالا شديدا فحق الله بسبب ذلك خلقا كثيرا ، وغزاهم فيها عماد الدين زنكي فقتل منهم ألف قتيل ، وغنم أموالا جزيلة ، ويقال لها غزوة أسوار . وحج بالناس فيها قطز الخادم وكذا في التي بعدها وقبلها .

وتوفى فيها من الاعيان ﴿ أحمد بن سلامة ﴾

ابن عبد الله بن مخلد بن إبراهيم ، أبو العباس بن الرطبي ، تفقه على أبي إسحاق وابن الصباغ ببغداد ، وبأصبهان على محمد بن ثابت الخجندی ، ثم تولى الحكم ببغداد بالحریم والحسبة ببغداد ، وكان يؤدب أولاد الخليفة ، توفى في رجب منها ودفن عند أبي إسحاق .

﴿ أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل ﴾

أبو الفضل الميهني مجد الدين أحد أئمة الشافعية ، وصاحب الخلاف والمطروقة ، وقد درس بالنظامية في سنة سبع عشرة وخمسمائة إلى سنة ثلاث وعشرين فعزل عنها ، واستمر أصحابه هنالك وقد تقدم في سنة سبع عشرة أنه ولها ، وأنه توفى في سنة ثلاث وعشرين . وقال ابن خلكان : توفى سنة سبع وعشرين .

﴿ ابن الزاغوني الحنبلي ﴾

على بن عبد الله بن نصر بن السري الزاغوني ، الامام المشهور ، قرأ القراءات وسمع الحديث واشتغل بالفقه والنحو واللغة ، وله المصنفات الكثيرة في الأصول والفروع ، وله يد في الوعظ ، واجتمع الناس في جنازته ، وكانت حافلة جدا .

﴿ الحسن بن محمد ﴾

ابن إبراهيم البورباري ، من قراء أصفهان ، سمع الحديث ورحل وخرج ، وله تاريخ ، وكان يكتب حسناً ويقرأ فصيحاً ، توفى بأصفهان في هذه السنة .

﴿ علي بن يعلى ﴾

ابن عوض ، أبو القاسم العلوي الهروي ، سمع مسند أحمد من أبي الحصين ، والترمذي من أبي عامر الأزدي ، وكان يعظ الناس بنيسابور ، ثم قدم بغداد فوعظ بها ، فحصل له القبول التام ، وجمع أموالاً وكتباً . قال ابن الجوزي : وهو أول من سلكني في الوعظ ، وتكلمت بين يديه وأنا صغير ، وتكلمت عند انصرافه .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن يحيى أبو عبد الله العثماني الديباجي ، وكان ببغداد يعرف بالقدس ، كان أشعري الاعتقاد ووعظ الناس ببغداد ، قال ابن الجوزي : سمعته يثشد في مجلسه قوله :

دع دموعي يحق لي أن أنوحا * لم تدع لي الذنوب قلباً صحيحاً
أخلفت مهجتي أكف المعاصي * ونعاني المشيب نعيّاً فصيحاً
كلما قلت قد برا جرح قلبي * عاد قلبي من الذنوب جريحاً
إنما الفوز والنعيم لعبد * جاء في الحشر آمننا مستريحاً

﴿ محمد بن محمد ﴾

ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن خلف بن حازم بن أبي يعلى بن الفراء ، الفقيه ابن الفقيه ، ولد سنة سبع وخمسين وأربعمائة ، سمع الحديث وكان من الفقهاء الزاهدين الأخيار ، توفي في صفر منها .
﴿ أبو محمد عبد الجبار ﴾

ابن أبي بكر محمد بن حمديس الأزدي الصقلي الشاعر المشهور ، أنشد له ابن خلدون أشعاراً رائعة فمنها قوله :

قم هاتهما من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بشير الصباح
باكر إلى اللذات واركب لها * سوابق اللهو ذوات المراح
من قبل أن ترشف شمس الضحا * ريق الغوادي من ثغور الافاح
ومن جملة معانيه النادرة

زادت على كحل الجفون تكحلا * وتسم فصل السهم وهو قتول
﴿ ثم دخلت سنة ثمان وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها اصطالح الخليفة وزنكي . وفيها فتح زنكي قلاعاً كثيرة ، وقتل خلقاً من الفرنج . وفيها فتح شمس الملوك الشقيف تيروت ، ونهب بلاد الفرنج . وفيها قدم ساجوق شاه بغداد فنزل بدار المملكة وأكرمه الخليفة وأرسل إليه عشرة آلاف دينار ، ثم قدم السلطان مسعود وأكثر أصحابه ركاب على الجبال لقلة الخيل . وفيها تولى إمرة بني عقيل أولاد سليمان بن مهارش العقيلي ، إكراماً لجدهم . وفيها أعيد ابن طراد إلى الوزارة ، وفيها خلع على إقبال المسترشد خلع الملوك ، ولقب ملك العرب سيف الدولة ، ثم ركب في الخلع وحضر الديوان . وفيها قوى أمر الملك طغرل وضعف أمر الملك مسعود .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن علي بن إبراهيم ﴾

أبو الوفا الفيروز ابادي ، أحد مشايخ الصوفية ، يسكن رباط الزوزني ، وكان كلامه يستحلى ، وكان يحفظ من أخبار الصوفية وسيرهم وأشعارهم شيئاً كثيراً .

﴿ أبو علي الفارقي ﴾

الحسن بن إبراهيم بن مرهون أبو علي الفارقي ، ولد سنة ثلاث وثلاثين وأربعمائة ، وتفقه بها على أبي عبد الله محمد بن بيان السكازروني صاحب الحاملي ، ثم على الشيخ أبي إسحاق وابن الصباغ ، وسمع الحديث وكان يكرر على المذهب والشامل ، ثم ولي القضاء بواسط ، وكان حسن السيرة جيد السريرة ، ممتعا بعقله وحواسه ، إلى أن توفي في محرم هذه السنة عن ست وسبعين سنة .

﴿ عبد الله بن محمد ﴾

ابن أحمد بن الحسن ، أبو محمد بن أبي بكر الشاشي ، سمع الحديث وتفقه على أبيه ، وناظر وأفتى وكان فاضلاً واعظاً فصيحاً مفوهاً ، شكره ابن الجوزي في وعظه وحسن نظمه ونثره ، ولفظه ، توفي في المحرم وقد قارب الحسين ، ودفن عند أبيه .

﴿ محمد بن أحمد ﴾

ابن علي بن أبي بكر العطان ، ويعرف بابن الحلاج البغدادي ، سمع الحديث وقرأ القراءات ، وكان خيراً زاهداً عابداً ، يتبرك بدعائه ويزار .

﴿ محمد بن عبد الواحد الشافعي ﴾

أبو رشيد ، من أهل آمل طبرستان ، ولد سنة أربع وثلاثين وأربعمائة ، وحج وأقام بمكة ، وسمع من الحديث شيئاً يسيراً ، وكان زاهداً منقطعاً عن الناس مشغولاً بنفسه ، ركب مرة مع تجار في البحر فأوفوا على جزيرة . فقال : دعوني في هذه أعبد الله تعالى ، فما نموه فأبى إلا المقام بها . فتركوه وساروا فردتهم الريح إليه فقالوا : إنه لا يمكن المسير إلا بك ، وإذا أردت المقام بها فارجع إليها ، فسار معهم ثم رجع إليها فأقام بها مدة ثم ترحل عنها ثم رجع إلى بلده آمل فمات بها رحمه الله ، ويقال إنه كان يقتات في تلك الجزيرة بأشياء موجودة فيها ، وكان بها ثعبان يبتلع الإنسان ، وبها عين ماء يشرب منها ويتوضأ منها ، وقبره مشهور بآمل يزار .

﴿ أم الخليفة ﴾

المسترشد توفيت ليلة الاثنين بعد العتمة تاسع عشر شوال منها والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وعشرين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة المسترشد وولاية الراشد ، وكان سبب ذلك أنه كان بين السلطان مسعود وبين الخليفة واقع كبير ، اقتضى الحال أن الخليفة أراد قطع الخطبة له من بغداد فاتفق موت أخيه طغرل بن محمد بن ملكشاه ، فسار إلى البلاد فملكها ، وقوى جأشه ، ثم شرع يجمع العساكر ليأخذ بغداد من الخليفة ، فلما علم الخليفة بذلك انزعج واستعد لذلك ، وقفز جماعة من رؤس الأمراء إلى الخليفة خوفاً على أنفسهم من سطوة الملك محمود ، وركب الخليفة من بغداد في جحافل كثيرة ، فيهم القضاة ورؤس الدولة من جميع الأصناف ، فمشوا بين يديه أول منزلة حتى وصل إلى السراوق ، وبعث بين يديه مقدمة وأرسل الملك مسعود مقدمة عليهم دبيس بن صدقة بن منصور ، فجرت خطوب كثيرة ، وحاصل الأمر أن الجيشين التقيا في عاشر رمضان يوم الاثنين فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ولم يقتل من الصفيين سوى خمسة أنفس ، ثم حمل الخليفة على جيش مسعود فهزمهم ، ثم تراجعوا فحملوا على جيش الخليفة فهزمهم

وَقَتَلُوا مِنْهُمْ خَلْقًا كَثِيرًا وَأَسْرَوْا الْخَلِيفَةَ ، ثُمَّ نَهَبَتْ أَمْوَالَهُمْ وَحَوَاصِلَهُمْ ، مِنْ جَمَلَةِ ذَلِكَ أَرْبَعَةُ آلَافٍ
أَلْفَ دِينَارٍ ، وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنَ الْأَثَاثِ وَالْخَالِجِ وَالْأَكْنِيَةِ وَالْقِمَاشِ ، فَأَنَا اللَّهُ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . وَطَارَ الْخَبِيرُ
فِي الْأَقَالِيمِ بِذَلِكَ ، وَحِينَ بَلَغَ الْخَبِيرُ إِلَى بَغْدَادٍ انْزَعَجَ النَّاسُ لِذَلِكَ ، وَزَلْزَلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ، صَوْرَةٌ
وَمَعْنَى ، وَجَاءَتِ الْعَامَّةُ إِلَى الْمَنَابِرِ فَكَسَرُوهَا وَامْتَنَعُوا مِنْ حُضُورِ الْجَمَاعَاتِ ، وَخَرَجَ النِّسَاءُ فِي الْبِلَادِ
حَامِسَاتٍ يَنْحَنُّ عَلَى الْخَلِيفَةِ ، وَمَا جَرَى عَلَيْهِ مِنَ الْأَسْرِ ، وَتَأَسَّى بِأَهْلِ بَغْدَادِ فِي ذَلِكَ خَلْقٌ كَثِيرٌ
مِنْ أَهْلِ الْبِلَادِ ، وَتَمَّتْ فِتْنَةٌ كَبِيرَةٌ وَانْتَشَرَتْ فِي الْأَقَالِيمِ ، وَاسْتَمَرَّ الْحَالُ عَلَى ذَلِكَ شَهْرَ ذِي الْقَعْدَةِ
وَالشَّعَاةِ فِي الْأَقَالِيمِ مَنْتَشِرَةً ، فَكَتَبَ الْمَلِكُ سَنْجَرَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَحْذَرُهُ غَيْبَ ذَلِكَ عَاقِبَةً مَا وَقَعَ
فِيهِ مِنَ الْأَمْرِ الْعَظِيمِ ، وَيَأْمُرُهُ أَنْ يَعِيدَ الْخَلِيفَةَ إِلَى مَكَانِهِ وَدَارِ خِلَافَتِهِ ، فَأَمْتَلَّ الْمَلِكُ مَسْعُودَ ذَلِكَ
وَضَرَبَ لِلْخَلِيفَةِ سَرَادِقَ عَظِيمٍ ، وَنَصَبَ لَهُ فِيهِ قُبَّةً عَظِيمَةً وَتَحْتَهَا سُرِيرَهَا ئِلَ ، وَأَلْبَسَ السَّوَادَ عَلَى عَادَتِهِ
وَأَرَكَبَهُ بَعْضُ مَا كَانَ يَرْكَبُهُ مِنْ مَرَاكِبِهِ ، وَأَمْسَكَ لِحَامَ الْفَرَسِ وَمَشَى فِي خِدْمَتِهِ ، وَالْجَيْشُ كُلُّهُمْ مَشَاةً
حَتَّى أَجْلَسَ الْخَلِيفَةَ عَلَى سُرِيرِهِ ، وَوَقَفَ الْمَلِكُ مَسْعُودَ قَبْلِ الْأَرْضِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلَعَ الْخَلِيفَةَ عَلَيْهِ ،
وَجِئْتُ بِدَيْسٍ مَكْتُوفًا وَعَنْ يَمِينِهِ أَمِيرَانِ ، وَعَنْ يَسَارِهِ أَمِيرَانِ ، وَسَيْفٌ مَسْلُولٌ وَنَسْعَةٌ بِيضَاءُ ،
فَطَرَحَ بَيْنَ يَدَيْ الْخَلِيفَةِ مَاذَا يَرَسُمُ تَطْبِيقًا لِقَلْبِهِ ، فَأَقْبَلَ السُّلْطَانُ فَشَفَعَ فِي دَيْسٍ وَهُوَ مَلَقَى يَقُولُ
الْعَفْوِيَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَنَا أَخْطَأْتُ وَالْعَفْوُ عِنْدَ الْمَقْدَرَةِ . فَأَمَرَ الْخَلِيفَةَ بِإِطْلَاقِهِ وَهُوَ يَقُولُ : لَا تَتْرِبْ
عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ . فَهَضَّ قَائِمًا وَالتَّمَسَّ أَنْ يَقْبَلَ يَدَ الْخَلِيفَةِ فَأَذِنَ لَهُ فَقَبَّلَهَا ، وَأَمْرَهَا عَلَى وَجْهِهِ
وَصَدْرِهِ . وَسَأَلَ الْعَفْوُ عَنْهُ وَعَمَّا كَانَ مِنْهُ ، وَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ ، وَطَارَ هَذَا الْخَبِيرُ فِي الْأَقَالِقِ وَفَرَحَ
النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَلَمَّا كَانَ مُسْتَهْلٌ ذِي الْحِجَّةِ جَاءَتِ الرِّسَالُ مِنْ جِهَةِ الْمَلِكِ سَنْجَرَ إِلَى ابْنِ أَخِيهِ يَسْتَعِثُّهُ
عَلَى الْإِحْسَانِ إِلَى الْخَلِيفَةِ ، وَأَنْ يَبَادِرَ إِلَى سُرْعَةِ رَدِّهِ إِلَى وَطَنِهِ ، وَأُرْسِلَ مَعَ الرِّسَالِ جَيْشًا لِيَكُونُوا فِي
خِدْمَةِ الْخَلِيفَةِ إِلَى بَغْدَادٍ ، فَصَحَّبَ الْجَيْشَ عَشْرَةَ مِنَ الْبَاطَنِيَّةِ ، فَلَمَّا وَصَلَ الْجَيْشُ حَمَلُوا عَلَى الْخَلِيفَةِ
فَقَتَلُوهُ فِي خِيَمَتِهِ وَقَطَعُوهُ قِطْعًا ، وَلَمْ يَلْحَقِ النَّاسُ مِنْهُ إِلَّا الرُّسُومُ ، وَقَتَلُوا مَعَهُ أَصْحَابَهُ مِنْهُمْ عَبِيدُ اللَّهِ بْنِ
سَكِينَةَ ، ثُمَّ أَخَذَ أَوْلَادُ الْبَاطَنِيَّةِ فَأَحْرَقُوا قُبُحَهُمْ اللَّهُ ، وَقِيلَ إِنَّهُمْ كَانُوا مَجْهَرِينَ لِقَتْلِهِ فَاللَّهُ أَعْلَمُ . وَطَارَ
هَذَا الْخَبِيرُ فِي الْأَقَالِقِ فَاشْتَدَّ حُزْنُ النَّاسِ عَلَى الْخَلِيفَةِ الْمُسْتَرْتَدِّ ، وَخَرَجَتِ النِّسَاءُ فِي بَغْدَادٍ حَامِسَاتٍ
عَنْ وَجُوهِنَّ يَنْحَنُّ فِي الطَّرِيقَاتِ ، قَتَلَ عَلَى بَابِ مَرَاغَةِ فِي يَوْمِ الْخَمِيسِ سَابِعَ عَشَرَ ذِي الْحِجَّةِ
وَحَمَلَتْ أَعْضَاؤُهُ إِلَى بَغْدَادٍ ، وَعَمِلَ عَزَاؤُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدَ مَا بُويعَ لَوْلَدِهِ الرَّاشِدِ ، وَقَدْ كَانَ الْمُسْتَرْتَدُّ ،
شَجَاعًا مَقْدَامًا بِعِيدِ الْهَمَةِ فَصِيحًا بَلِيغًا ، عَذِبَ الْكَلَامِ حَسَنَ الْإِبْرَادِ ، مَلِيحَ الْخَطِّ ، كَثِيرَ الْعِبَادَةِ
مُحِبِّبًا إِلَى الْعَامَةِ وَالْخَاصَّةِ ، وَهُوَ آخِرُ خَلِيفَةِ رَوْيَ خَطِيبًا ، قَتَلَ وَعُمُرُهُ خَمْسٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً ، وَثَلَاثَةَ
أَشْهُرٍ ، وَكَانَتْ مَدَّةُ خِلَافَتِهِ سَبْعَ عَشْرَةِ سَنَةً وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ وَعِشْرِينَ يَوْمًا ، وَكَانَتْ أُمُّهُ أُمٌ وَلِدَتْهُ الْأَتْرَاكُ

رحمه الله .

﴿ خلافة الراشد بالله ﴾

أبى جعفر منصور بن المسترشد ، كان أبوه قد أخذ له العهد ثم أراد أن يخلعه فلم يقدر على ذلك لأنه لم يقدر . فلما قتل أبوه بباب مراغة في يوم الخميس السابع عشر من ذى القعدة من سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، بايعه الناس والأعيان ، وخطب له على المنابر ببغداد ، وكان إذ ذاك كبيراً له أولاد ، وكان أبيض جسيماً حسن اللون ، فلما كان يوم عرفة من هذه السنة جئ بالمسترشد وصلى عليه ببيت التوبة ، وكثر الزحام ، وخرج الناس لصلاة العيد من الغد وهم في حزن شديد على المسترشد ، وقد ظهر الرضا قليلاً في أول أيام الراشد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد بن الحسين ﴾

ابن عمرو ، أبو المظفر بن أبى بكر الشاشى ، تفقه بأبيه واختارته المنية بعد أخيه ولم يبلغ سن الرواية

﴿ إسماعيل بن عبد الله ﴾

ابن على أبو القاسم الحاكم ، تفقه بامام الحرمين ، وكان رفيق الغزالي يحترمه ويكرمه ، وكان فقيهاً بارعاً ، وعابداً ورعاً ، توفى بطوس ودفن إلى جانب الغزالي .

﴿ ديبس بن صدقة ﴾

ابن منصور بن ديبس بن على بن مزيد ، أبو الأعز الأسدى الأمير من بيت الامرة وسادة الاعراب ، كان شجاعاً بطلاً ، فعل الأفاعيل وتمرق في البلاد من خوفه من الخليفة ، فلما قتل الخليفة عاش بعده أربعة وثلاثين يوماً ، ثم اتهم عند السلطان بأنه قد كاتب زنى ينهيه عن القدوم إلى السلطان ، ويحذره منه ، ويأمره أن ينجو بنفسه ، فبعث إليه السلطان غلاماً أرمنياً فوجده منكساً رأسه يفكر في خيمته ، فما كمله حتى شهر سيفه فضر به فأبان رأسه عن جنته ، ويقال بل استدعاه السلطان فقتله صبراً بين يديه فآله أعلم .

﴿ طغرل السلطان بن السلطان محمد بن ملكشاه ﴾

توفى بهمذان يوم الأربعاء ثالث المحرم منها .

﴿ على بن محمد التروجاني ﴾

كان عابداً زاهداً ، حكى ابن الجوزى عنه أنه كان يقول بأن القدرة تتعلق بالمستحيلات ، ثم أنكر ذلك وعذره لعدم تعقله لما يقول ، ولجهله .

﴿ الفضل أبو منصور ﴾

أمير المؤمنين المسترشد ، تقدم شئ من ترجمته والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاثين وخمسة ﴾

ففيها وقع بين الخليفة الراشد وبين السلطان مسعود بسبب أنه أرسل إلى الخليفة يطلب منه ما كان كتبه له والده المسترشد حين أسره ، التزم له بأربعمائة ألف دينار ، فامتنع من ذلك وقال : ليس بيننا وبينكم إلا السيف ، فوقع بينهما الخلف ، فاستجاش السلطان بالعساكر ، واستنهض الخليفة الأمراء ، وأرسل إلى عماد الدين زنكي فجاء والتف على الخليفة خلأئق ، وجاء في غضون ذلك السلطان داود بن محمود بن محمد بن ملكشاه ، فخطب له الخليفة ببغداد ، وخام عليه وبايعه على الملك ، فتأكدت الوحشة بين السلطان والخليفة جدا ، وبرز الخليفة إلى ظاهر بغداد ومشى الجيش بين يديه ، كما كانوا يعاملون أباه ، وذلك يوم الأربعاء سابع شعبان ، وخرج السلطان داود من جانب آخر ، فلما بلغهم كثرة جيوش السلطان محمود حسن عماد الدين زنكي للخليفة أن يذهب معه إلى الموصل ، واتفق دخول مسعود إلى بغداد في غيبتهم يوم الاثنين رابع شوال ، فاستحوذ على دار الخلافة بما فيها جميعه ، ثم استخلص من نساء الخليفة وحظاياه الحلى والمصاغ والثياب التي لازينة ، وغير ذلك ، وجمع القضاة والفقهاء ، وأبرز لهم خط الراشد أنه متى خرج من بغداد لقتل السلطان فقد خلع نفسه من الخلافة ، فأفتى من أفتى من الفقهاء بخلمه ، فخرج في يوم الاثنين سادس عشر شهر ذي القعدة بمحكم الحاكم وفتيا الفقهاء ، وكانت خلافته إحدى عشر شهرا وإحدى عشر يوماً ، واستدعى السلطان بعمه المقتنى بن المستظهر فبويع بالخلافة عوضاً عن ابن أخيه الراشد بالله .

﴿ خلافة المقتنى لأمر الله ﴾

أبى عبد الله بن المستظهر ، وأمه صفراء تسمى نسيما ، ويقال لها ست السادة ، وله من العمر يومئذ أربعون سنة ، بويع بالخلافة بعد خلع الراشد بيومين ، وخطب له على المنابر يوم الجمعة لعشرين من ذي القعدة ، ولقب بالمقتنى لأنه يقال إنه رأى رسول الله ﷺ وهو في المنام وهو يقول له سيصل هذا الأمر إليك فاقتف بي ، فصار إليه بعد ستة أيام فلقب بذلك

﴿ فائدة حسنة ينبغى التنبيه لها ﴾

ولى المقتنى والمسترشد الخلافة وكانا أخوين ، وكذلك السفاح والمنصور ، وكذلك الهادي والرشد ، أبنا المهدي ، وكذلك الواثق والمتوكل أبنا المعتصم أخوان ، وأما ثلاثة إخوة فلا ميم والمأمون والمعتصم بنو الرشيد ، والمنصور والمعتز والمعتد بنو المتوكل ، والمكشفي والمقتدر والقاهر بنو المعتضد ، والراضي والمقتنى والمطيع بنو المقتدر ، وأما أربعة إخوة فلم يكن إلا في بني أمية وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك بن مروان ، ولما استقر المقتنى بالخلافة استمر الراشد ذاهباً إلى الموصل محبة صاحبها عماد الدين زنكي ، فدخلها في ذي الحجة من هذه السنة .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ محمد بن حمويه ﴾

ابن محمد بن حمويه أبو عبد الله الجويني ، روى الحديث وكان صدوقاً مشهوراً بالعلم والزهد، وله كرامات ، دخل إلى بغداد فلما ودعهم بالخروج منها أنشدهم :

لئن كان لي من بعد عود إليكم * نصيب لبانات الفؤاد إليكم
وإن تكن الأخرى وفي الغيب غيره * قضاه وإلا فالسلام عليكم
﴿ محمد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن حبيب ، أبو بكر العامري ، المعروف بابن الخباز ، سمع الحديث وكان يعظ الناس على طريق التصوف ، وكان ابن الجوزي فيمن تأدب به ، وقد أثنى عليه وأنشد عنه من شعره :

كيف احتيالي وهذا في الهوى حالي * والشوق أملك لي من عذل عذالي
وكيف أشكو وفي حبي له شغل * يحول بين مهماني وأشغالي

وكانت له معرفة بالفقهاء والحديث ، وقد شرح كتاب الشهاب ، وقد أبتنى رباطاً ، وكان عنده فيه جماعة من المتعبدين والزهاد ، ولما احتضر أوصاهم بتقوى الله عز وجل والاخلاص لله والدين ، فلما فرغ شرع في التزع وعرق جبينه فمد يده وقال بيتاً لغيره :

هاقد بسطت يدي إليك فردها * بالفضل لا بشهامة الأعداء

ثم قال : أرى المشايخ بين أيديهم الأطباق وهم ينتظرونني ، ثم مات ، وذلك ليلة الأربعاء ، نصف رمضان ودفن برباطه ، ثم عرق رباطه وقبره في سنة أربعين وخمسمائة ،

﴿ محمد بن الفضل ﴾

ابن أحمد بن محمد بن أبي العباس أبو عبد الله الصاعدي الفراوي ، كان أبوه من ثغر فراوه ، وسكن نيسابور ، فولد له بها محمد هذا ، وقد سمع الحديث الكثير على جماعة من المشايخ بالآفاق ، وتفقه وأفتى وناظر ووعظ ، وكان ظريفاً حسن الوجه جميل المعاشرة كثير التبسّم ، وأملى أكثر من ألف مجاس ، ورحل إليه الطلبة من الآفاق حتى يقال للفراوي ألف راوي ، وقيل إن ذلك كان مكتوباً في خاتمه ، وقد أسمع صحيح مسلم قريباً من عشرين مرة ، توفي في شوال منها عن تسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كثر موت الفجأة بأصبهان فمات ألوف من الناس ، وأغلقت دور كثيرة . وفيها تزوج الخليفة بالخاتون فاطمة بنت محمد بن ملكشاه على صداق مائة ألف دينار ، فحضر أخوها السلطان مسعود القمد وجماعة من أعيان الدولة والوزراء والأمراء ، ونثر على الناس أنواع النثار . وفيها صام أهل بغداد رمضان ثلاثين يوماً ولم يروا الهلال ليلة إحدى وثلاثين ، مع كون السماء كانت مصحية .

قال ابن الجوزي : وهذا شيء لم يقع مثله . وفيها هرب وزير صاحب مصر وهو تاج الدولة بهرام النعماني ، وقد كان تمكن في البلاد وأساء السيرة ، فتطلبه الخليفة الحافظ حتى أخذه فسجنه ثم أطلقه فترهب وترك العمل ، فاستوزر بعده رضوان بن الرحبي ولقبه الملك الأفضل ، ولم يلقب وزير قبله بهذا ، ثم وقع بينه وبين الخليفة الحافظ ، فلم يزل به الخليفة حتى قتله واستقل بتدبير أموره وحده . وفيها ملك عماد الدين زنكي عدة بلدان . وفيها طلع بالشام سحاب أسود أظلمت له الدنيا ، ثم ظهر بعده سحاب أحمر كأنه نار أضاءت له الدنيا ، ثم جاءت ريح عاصف ألقت أشجاراً كثيرة ، ثم وقع مطر شديد ، وسقط برد كبار . وفيها قصد ملك الروم بلاد الشام فأخذ بلاداً كثيرة من أيدي الفرنج ، وأطاعه ابن اليون ملك الأرمن .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد بن ثابت ﴾
ابن الحسن أبو سعد الخجندی ، تفقه على والده الامام أبي بكر الخجندی الأصهباني ، وولى تدريس النظامية ببغداد مراراً ، ويعزل عنها ، وقد سمع الحديث ووعظ ، وتوفي في شعبان منها ، وقد قارب التسعين . ﴿ هبة الله بن أحمد ﴾

ابن عمر الحريري ، يعرف بابن الطير ، سمع الكثير وهو آخر من روى عن أبي الحسن ابن زوج الحرة ، وقد حدث عنه الخطيب ، وكان ثبتاً كثير السماع ، كثير الذكر والتلاوة ، ممتعاً بحواسه وقواه ، إلى أن توفي في جمادى الأولى عن ست وتسعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها قتل الخليفة الراشد الخلويع ، وذلك أنه اجتمع معه الملك داود وجماعة من كبار الأمراء ، فقصدهوا قتال مسعود بأرض مراغة فهزمهم وبدد شملهم ، وقتل منهم خلقاً صبراً ، منهم صدقة بن دبيس ، وولى أخاه محمداً مكانه على الحلة ، وهرب الخليفة الراشد الخلويع ، فدخل أصبهان فقتله رجل ممن كان يخدمه من الخراسانية ، وكان قد برأ من وجع أصابه ، فقتلوه في الخامس والعشرين من رمضان ، ودفن بشهرستان ظاهر أصبهان . وقد كان حسن اللون مليح الوجه شديد القوة مهيباً ، أمه أم ولد . وفيها كفى السكعية رجل من التجار يقال له راست الفارسي ، ثمانية عشر ألف دينار ، وذلك لأنه لم تأتأ كسوة في هذا العام لأجل اختلاف الملوك . وفيها كانت زلزلة عظيمة ببلاد الشام والجزيرة والعراق ، فانهدم شيء كثير من البيوت ، ومات تحت الهدم خلق كثير . وفيها أخذ الملك عماد الدين زنكي مدينة حص في المحرم ، وتزوج في رمضان بالست زمرد خاتون ، أم صاحب دمشق ، وهي التي تنسب إليها الخاتونية البرانية ، وفيها ملك صاحب الروم مدينة بزاعة ، وهي على ستة فراسخ من حلب ، فجاء أهلها الذين نجوا من القتل والسبي يستغيثون بالمسلمين ببغداد ، فنعت

الخطبة ببغداد ، وجرت قتن طويلة . وفيها تزوج السلطان مسعود بسفري بنت ديدس بن صدقة وزينت بغداد لذلك سبعة أيام . قال ابن الجوزي : فصل بسبب ذلك فساد عريض طويل منتشر ، ثم تزوج ابنة عمه فزينت بغداد ثلاثة أيام أيضا . وفيها ولد للسلطان الناصر صلاح يوسف بن أيوب ابن شاري بقلعة تكريت .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

أبو بكر بن أبي الفتح الدينوري الحنبلي ، سمع الحديث وتفقه على أبي الخطاب السكودي وأفتى ودرس وناظر ، كان أسمع المبهني يقول عنه : ما اعترض أبو بكر الدينوري على دليل أحد إلا ثلته ، وقد تخرج به ابن الجوزي وأنشد :

تمنيت أن يمدى فقيها مناظرا * بغير عياء والجنون فنون
وليس اكتساب المال دون مشقة * تلقيتها ، فالعلم كيف يكون ؟

﴿ عبد المنعم بن عبد الكريم ﴾

ابن هوازن ، أبو المظفر التشيبي ، آخر من بقى منهم ، سمع أباه وأبا بكر البيهقي وغيرهما ، وسمع منه عبد الوهاب الانماطي ، وأجاز ابن الجوزي ، وقارب التسعين .

﴿ محمد بن عبد الملك ﴾

ابن محمد بن عمر ، أبو الحسن الكرخي ، سمع الكثير في بلاد شتى ، وكان فقيها مفتيا ، تفقه بأبي إسحاق وغيره من الشافعية ، وكان شاعرا فصيحاً ، وله مصنفات كثيرة منها الفصول في اعتقاد الأئمة الفحول ، يذكر فيه مذاهب السلف في باب الاعتقاد ، ويحكي فيه أشياء غريبة حسنة ، وله تفسير وكتاب في الفقه ، وكان لا يقنت في الفجر ، ويقول : لم يصح ذلك في حديث ، وقد كان إمامنا الشافعي يقول : إذا صح الحديث فهو مذهبي ، واضربوا بقولي الحائط . وقد كان حسن الصورة جميل الماشرة ، ومن شعره قوله :

تنامت داره عني ولكن * خيال جماله في القلب ساكن
إذا امتلأ الفؤاد به فماذا * يضر إذا خلت منه الأماكن

توفي وقد قارب التسعين . ﴿ الخليفة الراشد ﴾

منصور بن المسترشد ، قتل بأصبهان بعد مرض أصابه ، فقيل إنه سم ، وقيل قتلته الباطنية ، وقيل قتله الفراسون الذين كانوا يلون أمره بالله أعلم . وقد حكى ابن الجوزي عن أبي بكر الصولي أنه قال : الناس يقولون كل سادس يقوم بأمر الناس من أول الإسلام لا بد أن يخلف . قال ابن الجوزي : فتأملت ذلك فرأيت عجبا قيام رسول الله ﷺ ثم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ثم الحسن فخلعه معاوية

ثم يزيد ومعاوية بن يزيد ومروان وعبد الملك ، ثم عبد الله بن الزبير نخلع وقتل ، ثم الوليد بن سليمان ثم عمر بن عبد العزيز ثم يزيد ثم هشام ثم الوليد بن يزيد نخلع وقتل ، ولم ينتظم لبني أمية بعده أمر حتى قام السفاح العباسي ثم أخوه المنصور ثم المهدي ثم الهادي ثم الرشيد ثم الأمين نخلع وقتل ، ثم المأمون والمعتمد والواثق والمتوكل والمنتصر ثم المستعين نخلع ثم قتل ، ثم المعتز والمهتدي والمعتمد والمعتضد والمكشفي ثم المعتذر نخلع ثم أعيد فقتل ، ثم القاهر والراضي والمتقي والمكشفي والمطيع ثم الطائع نخلع ، ثم القادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمسترشد ثم الراشد نخلع وقتل .

﴿ أنوشروان بن خالد ﴾

ابن محمد القاشاني القيني ، من قرية قين من قاشان ، الوزير أبو نصر ، وزير للسلطان محمود وللخليفة المسترشد ، وكان عاقلاً مهيئاً عظيم الخلقة ، وهو الذي ألزم أبا محمد الحريري بتكميل المقامات ، وكان سبب ذلك أن أبا محمد كان جالساً في مسجد بني حرام في محلة من محال البصرة ، فدخل عليه شيخ ذو طمرين فقالوا : من أنت ؟ قال أنا رجل من سروج ، يقال لي أبو زيد . فعمل الحريري المقامة الحرامية واشتهرت في الناس ، فلما طالعها الوزير أنوشروان أعجب بها وكلف أبا محمد الحريري أن يزيد عليها غيرها فزاد عليها غيرها إلى تمام خمسين مقامة ، فهي هذه المشهورة المتداولة بين الناس ، وقد كان الوزير أنوشروان كريماً ، وقد مدحه الحريري صاحب المقامات .

ألا ليت شعري والتفتي لعله * وإن كان فيه راحة لأخى الكرب
أتدرون أني مذتنامت دياركم * وشط اقترابي من جنابكم الرحب
أكابد شوقاً ما أزال أداره * يقلبني في الليل جنباً على جنب
وأذكر أيام التلاقي فأنثني * لتذكارها بادي الاسى طائر اللب
ولي حنة في كل وقت إليكم * ولا حنة الصادي إلى البارد العذب
فو الله لو أني كتمت هواكم * لما كان مكتوماً بشرق ولا غرب
ومما شجا قلبي المعنى وشقه * رضاكم باهمال الاجابة عن كتبي
وقد كنت لأخشى مع الذنب جفوة * فقدصرت أخشاها ومالي من ذنب
ولما سرى الوفد العراقي نحوكم * وأعوزني المسرى إليكم مع الركب
جعلت كتابي نائباً عن ضرورتني * ومن لم يجد ماء تيمم بالترب
ويعضد أيضاً بضعة من جوارحي * تنبيكم عن سر حالي وتسقني
ولست أرى اذ كاركم بعد خيركم * بمكرمة ، حسبي اعتذاركم حسبي

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كانت زلزلة عظيمة بمدينة جبرت فمات بسببها مائتا ألف وثلاثون ألفاً ، وصار مكانها ماء أسود عشرة فراسخ في مثلها ، وزلزل أهل حلب في ليلة واحدة ثمانين مرة . وفيها وضع السلطان محمود مكوسا كثيرة عن الناس ، وكثرت الأدعية له . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فهزمه سنجر وقتل ولده في المعركة ، فحزن عليه والده حزنا شديداً . وفيها قتل صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج الملوك بوري بن طغتكين ، قتله ثلاثة من خواصه ليلا وهربوا من القلعة ، فأدرك اثنان فصلبا وأفلت واحد . وفيها عزل اليهود والنصارى عن المباشرات ثم أعيدوا قبل شهر وحج بالناس فيها قطز الخادم .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ زاهر بن طاهر ﴾

ابن محمد ، أبو القاسم بن أبي عبد الرحمن بن أبي بكر السحامي المحدث المكثر ، الرجال الجوال ، سمع الكثير وأملى بجامع نيسابور ألف مجلس ، وتكلم فيه أبو سعد السمعاني ، وقال : إنه كان يخجل بالصلوات . وقد رد ابن الجوزي على السمعي المرض ويقال : إنه كان به مرض يكثر بسببه جمع الصلوات فأنه أعلم ، بلغ خمسا وثمانين سنة توفي بنيسابور في ربيع الآخر ، ودفن بمقبرته .

﴿ يحيى بن يحيى بن علي ﴾

ابن أفلح ، أبو القاسم السكاتب ، وقد خلع عليه المسترشد ولقبه جمال الملك ، وأعطاه أربعة دور ، وكانت له دار إلى جانبهم فهدمهم كاهن واتخذ مكانهم داراً هائلة ، طولها ستون ذراعاً في عرض أربعين ذراعاً ، وأطلق له الخليفة أخشابها وأجرها وطرقاتها ، وكتب عليها أشعاراً حسنة من نظمه ونظم غيره ، فمن ذلك ما هو على باب دارها :

إن أعجب الراؤن من ظاهري * فباطني لو علموا أعجب
شد باني من كفه مزنة * ينجل منها العارض الصيب
ورفحت روضة أخلاقه * في ديار نورها مذهب
صدر كسي صدرى من نوره * شمساً على الأيام لا تغرب

وعلى الطرز مكتوب :

ومن المروءة للفتى * ما عاش دارفاخره
فاقتع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخرة
هاتيك وافيت بما * وعدت وهاتى بآثره

وفي موضع آخر مكتوب :

وناد كأن جنان الخ * لدأعارته من حسنهارونقا
 وأعطته من حادثات الزما * ن أن لا يلّم به موبقا
 فأضحى ينبئه على كل ما * بنى مغربا كان أو مشرقا
 تظل الوفود به عكفا * ويمسى الضيوف به طرّقا
 بقيت له يا جمال الملو * ك وذا الفضل مهبأردت البقا
 وسالمة فيك ريب الزما * ن ووقيت فيه الذي يتقى

فما والله صدقت هذه الأمانى ، بل عما قريب اتهمه الخليفة بأنه يكاتب ديبساً فأمر بخراب داره
 تلك فلم يبق فيها جدار ، بل صارت خربة بعد ما كانت قرة العيون من أحسن المقام والقرار ، وهذه
 حكمة الله من تقلب الليل والنهار ، وما تجرى بمشيئة الأقدار ، وهى حكمته فى كل دار بنيت بالأشر
 والبطر ، وفى كل لباس اابس على التيه والكبر والأشر . وقد أورد له ابن الجوزى أشعاراً حسنة
 من نظمه ، وكلمات من نثره فمن ذلك قوله :

دع الهوى لا ناس يعرفون به * قد مارسوا الحب حتى أصعبه
 أدخلت نفسك فيما لست تجر به * والشئ صعب على من لا يجر به
 أمن اصطبار وإن لم تستطع خلدا * فرب مدرك أمر عز مطلبه
 أحن الضلوع على قلب يخبرنى * فى كل يوم يعينى تقلبه
 تأرجح الريح من نجد يهيجه * ولا مع البرق من نغمت يطر به
 هذه الخيف وهاتيك منى * فترفق أيها الحادى بنا
 واحبس الركب علينا ساعة * نندب الدار ونبكي الدنا
 فلذا الموقف أعددت البكا * ولذا اليوم الدموع تقتنى
 زماننا كان وكنا جيرة * فأعاد الله ذاك الزمنا
 بيننا يوم ائتلاف نلتقى * كان من غير تراضى بيننا
 ﴿ ثم دخلت سنة أربع وثلاثين وخمسمائة ﴾

وقوله

فيها حاصر زنكي دمشق فخصنها الأتابك معين الدين بن مملوك طغتكين ، فاتفق موت ملكها
 جمال الدين محمود بن بوري بن طغتكين ، فأرسل معين الدين إلى أخيه مجير الدين أتي ، وهو ببعليبك
 فلما دخل دمشق ، فذهب زنكي إلى بعليبك فأخذها واستناب عليها نجم الدين أيوب كصلاح الدين .
 وفيها دخل الخليفة على الخاتون فاطمة بنت السلطان مسعود ، وأغلقت بغداد أياما . وفيها نودى
 للصلاة على رجل صالح فاجتمع الناس بمدرسة الشيخ عبد القادر فاتفق أن الرجل عطس فأفاق ،

وحضرت جنازة رجل آخر غيره فصلى عليه ذلك الجمع الكثير . وفيها نقصت المياه من سائر الدنيا وفيها ولد صاحب حماء تقي الدين عمر شاهنشاه بن أيوب بن شاري .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن جعفر ﴾

ابن الفرج أبو العباس الحرابي ، أحد العباد الزهاد ، سمع الحديث وكانت له أحوال صالحة ، حتى كان يقال : إنه كان يرى في بعض السنين بعرفات ، ولم يحج في تلك السنة .

﴿ عبد السلام بن الفضل ﴾

أبو القاسم الجيلي ، سمع الحديث وتفقه على الكيا الهراسي ، وبرع في الأصول والفروع ، وغير ذلك ، وولى قضاء البصرة وكان من خيار القضاة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها وصلت البردة والقضيب إلى بغداد ، وكانا مع المسترشد حين هرب سنة تسع وعشرين ، وخمسمائة فحفظهما السلطان سنجر عنده حتى ردهما في هذه السنة . وفيها كملت المدرسة الكمالية المنسوبة إلى كمال الدين ، أبي الفتوح حمزة بن طلحة ، صاحب الخزن ، ودرس فيها الشيخ أبو الحسن الحلبي ، وحضر عنده الأعيان .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ إسماعيل بن محمد ﴾

ابن علي ، أبو القاسم الطلمحي الأصهباني ، سمع الكثير ، ورحل وكتب وأملى بأصبهان ، قريبا من ثلاثة آلاف مجلس ، وكان إماما في الحديث والفقه والتفسير واللغة ، حافظا متقنا ، توفي ليلة عيد الأضحى وقد قارب الثمانين ، ولما أراد القاسل تنحية الخرقه عن فرجه ردها بيده ، وقيل : إنه وضع يده على فرجه ﴿ محمد بن عبد الباقي ﴾

ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الربيع بن ثابت بن وهب بن مسجعة بن الحارث بن عبد الله بن كعب بن مالك الأنصاري ، سمع الحديث وتفرد عن جماعة من المشايخ ، وأملى الحديث في جامع القصر ، وكان مشاركا في علوم كثيرة ، وقد أسرف في صغره في أيدي الروم فأرادوه على أن يتكلم بكلمة الكفر فلم يفعل ، وتعلم منهم خط الروم ، وكان يقول من خدم المحابر خدمته المنابر ، ومن شعره الذي أورده له ابن الجوزي عنه وضمعه منه قوله :

احفظ لسانك لا تبسح بثلاثة * سن ومال ، إن سئلت ، ومذهب

فعلى الثلاثة تبئلي بثلاثة * بمكفر وبمحاسد ومكذب

وقوله : لي مدة لا بد أبلغها * فإذا انقضت مت

لو عاندتني الاسد ضارية * ما ضرتني ما لم يجي الوقت

قال ابن الجوزي : بلغ من العمر ثلاثاً وتسعين سنة ، لم تتغير حواسه ولا عقله ، توفي ثاني رجب منها . وحضر جنازته الأعيان وغيرهم ، ودفن قريباً من قبر بشر .

﴿ يوسف بن أيوب ﴾

ابن الحسن بن زهرة ، أبو يعقوب الهمداني ، تفقه بالشيخ أبي إسحاق ، وبرع في الفقه والمناظرة ثم ترك ذلك واشتغل بالعبادة ، وصحب الصالحين ، وأقام بالجلال ، ثم عاد إلى بغداد فوعظ بها ، وحصل له قبول . توفي في ربيع الأول ببعض قرى هراة .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها كانت حروب كثيرة بين السلطان سنجر وخوارزم شاه ، فاستحوذ خوارزم على مرو بعد هزيمة سنجر ففك بها ، وأساء التدبير بالنسبة إلى الفقهاء الخنفيه الذين بها ، وكان جيش خوارزم ثلاثمائة ألف مقاتل . وفيها تحمل عمل دمشق النهر ووز ، وخلص نهر وزشحنة بغداد على حباب صباغ الحرير الرومي ، وركب هو والسلطان مسعود في سفينة في ذلك النهر ، وفرح السلطان بذلك ، وكان قد صرف السلطان على ذلك النهر سبعين ألف دينار . وفيها حج كمال الدين طلحة صاحب الخزن ، وعاد قزهد وترك العمل ولزم داره . وفيها عقدت الجمعة بمسجد العباسيين بأذن الخليفة . وحج بالناس قطز .

﴿ ومن توفي فيها من الأعيان . ﴾

﴿ إسماعيل بن أحمد بن عمر ﴾
ابن الأشعث ، أبو القاسم بن أبي بكر السمرقندي الدمشقي ثم البغدادي ، سمع الكثير وتفرد بمشايخ ، وكان سماعه صحيحاً ، وأملئ بجامع المنصور بمجالس كثيرة نحو ثلاثمائة مجلس ، توفي وقد جاوز الثمانين

﴿ يحيى بن علي ﴾

ابن محمد بن علي ، أبو محمد بن الطراح المدبر ، ولد سنة تسع وعشرين وأربعمائة ، وسمع الكثير وأسمع ، وكان شيخاً حسناً مهيباً كثير العبادة ، توفي في رمضان منها .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها ملك عماد الدين زنكي الحديثة ، ونقل آل مهارش منها إلى الموصل ، ورتب فيها نواباً من جهته .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة ﴾

فيها تجهز السلطان مسعود ليأخذ الموصل والشام من زنكي ، فصالحه على مائة ألف دينار ، فدفع إليه منها عشرين ألف دينار ، وأطلق له الباقي ، وسبب ذلك أن ابنه سيف الدين غازي كان لا يزال في خدمة السلطان مسعود . وفيها ملك زنكي بعض بلاد بكر . وفيها حصر الملك سنجر خوارزم شاه ، ثم أخذ منه مالا وأطلقه . وفيها وجد رجل يفسق بصبي فآلق من رأس منارة ، وفي ليلة الثلاثاء الرابع

والعشرين من ذى القعدة زلزلت الأرض . وحج بالناس قطز .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الوهاب بن المبارك ﴾

ابن أحمد ، أبو البركات الأنماطى ، الحافظ الكبير ، كان ثقة ديناً ورعاً ، طليق الوجه ، سهل الأخلاق ، توفى في المحرم عن ست وتسعين سنة .

﴿ على بن طراد ﴾

ابن محمد الزينبي ، الوزير العباسي ، أبو القاسم نقيب النقباء على الطائفين ، في أيام المستظهر ، ووزر للمستترشد ، وتوفى في رمضان عن ست وسبعين سنة .

﴿ الزمخشري محمود ﴾

ابن عمر بن محمد بن عمر ، أبو القاسم الزمخشري ، صاحب الكشف في التفسير ، والمفصل في النحو وغير ذلك من المصنفات المفيدة ، وقد سمع الحديث وطاف البلاد ، وجاور بمكة مدة ، وكان يظهر مذهب الاعتزال ويصرح بذلك في تفسيره ، ويناظر عليه ، وكانت وفاته بخوارزم ليلة عرفة منها ، عن ست وسبعين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وثلاثين وخمسة ﴾

فيها أخذ العباد زنكى الرها وغيرها من حصون الجزيرة من أيدي الفرنج ، وقتل منهم خلقاً كثيراً وسبى نساء كثيرة ، وغنم أموالاً جزيلة ، وأزال عن المسلمين كرباً شديداً ، وحج بالناس قطز الخادم وتنافس هو وأمير مكة قهيب الحجيج وهم يطوفون .

وفيها توفى من الأعيان ﴿ إبراهيم بن محمد بن منصور ﴾

ابن عمر أبو الوليد الكرخي ، تفقه بأبي إسحاق وأبي سعد المتولى ، حتى صار أواخر زمانه فقهاً وصالحاً ، مات في هذه السنة . ﴿ سعد بن محمد ﴾

ابن عمر أبو منصور البزار ، سمع الحديث وتفقه بالفزالي والشاشي والمتولى والكنيا ، وولى تدريس النظامية ، وكان له سمت حسن ، وقار وسكون ، وكان يوم جنازته مشهوداً ، ودفن عند أبي إسحاق .

﴿ عمر بن إبراهيم ﴾

ابن محمد بن أحمد بن علي بن الحسين بن علي بن حمزة بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ، القرشي العلوي ، أبو البركات الكوفي ، ثم البغدادي ، سمع الكثير وكتب كثيراً ، وأقام بدمشق مدة ، وكان له معرفة جيدة بالفقه والحديث والتفسير واللغة والأدب ، وله تصانيف في النحو ، وكان خشن العيش ، صابراً محتسباً ، توفى في شعبان من هذه السنة عن سبع وتسعين سنة رحمه الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة أربعين وخمسمائة ﴾

فيها حصر على بن ديبس أخاه محمداً ولم يزل يحاصره حتى اقتلع من يده الحلقة وملكها ، وفي رجب منها دخل السلطان مسعود بغداد خوفاً من اجتماع عباس صاحب الري ، ومحمد شاه بن محمود ، ثم خرج منها في رمضان ، وحج بالناس أرجوان مملوك أمير الجيوش بسبب ما كان وقع بين قطز وأمير مكة في السنة الماضية .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسن بن علي بن أحمد بن سليمان ، أبو سعد الأنصهاني ، ثم البغدادي ، سمع الحديث وكان على طريقة السلف ، حلو الشائل ، مطرح الكلفة ، ربما خرج إلى السوق بقميص وقلنسوة . وحج أحد عشر حجة ، وكان يملئ الحديث ويكثر الصوم ، توفي بهاوند في ربيع الأول من هذه السنة ، وقد قارب الثمانين .

﴿ علي بن أحمد ﴾

ابن الحسين بن أحمد ، أبو الحسن البزدي ، تفقه بأبي بكر الشاشي ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان له ولأخيه قميص واحد ، إذا خرج هذا لبسه وجلس الآخر في البيت عريانا ، وكذا الآخر .

﴿ موهوب بن أحمد ﴾

ابن محمد بن الخضر ، أبو منصور الجواليقي ، شيخ اللغة في زمانه ، باشر مشيخة اللغة بالنظامية بعد شيخه أبي زكريا التبريزي ، وكان يؤم بالمقتنى ، وربما قرأ الخليفة عليه شيئا من الكتب ، وكان عاقلا متواضعا في ملبسه ، طويل الصمت كثير الفكر ، وكانت له حلقة بجامع القصر أيام الجمع ، وكان فيه لكنة ، وكان يجلس إلى جانبه المغربي معبر المنامات ، وكان فاضلا لكنه كان كثير النعاس في مجلسه ، فقال فيهما بعض الأدباء :

بغداد عندي ذنبها لن يغفرا * عيوبها مكشوفة لن تسترا

كون الجواليقي فيها ممليا * لغة وكون المغربي معبرا

ماسور للكنته يقول فصاحة * ويوم يقظته يعبر في الكرا

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وأربعين وخمسمائة ﴾

في ليلة مستهل ربيع الأول منها احترق القصر الذي بناه المسترشد ، وكان في غاية الحسن ، وكان الخليفة المقتنى قد انتقل بجواريه وحظايه إليه ليقم فيه ثلاثة أيام ، فها هو إلا أن ناموا احترق عليهم القصر بسبب أن جارية أخذت في يدها شمعة فعلق لها ببعض الأخشاب ، فاحترق القصر وسلم الله الخليفة وأهله ، فأصبح فتصدق بأشياء كثيرة ، وأطلق خلقا من المحبس . وفي رجب منها وقع بين الخليفة والسلطان مسعود واقع فبعث الخليفة إلى الجوامع والمساجد فأغلقت ثلاثة أيام ، حتى

اصطلاحاً . وفي يوم الجمعة نصف ذى القعدة جلس ابن العبادى الواعظ فتكلم والسلطان مسعود حاضر ، وكان قد وضع على الناس فى البيع مكساً فاحشاً ، فقال فى جملة وعظه : يا سلطان العالم ، أنت تطلق فى بعض الأحيان المغنى إذا طربت قريباً مما وضعت على المسلمين من هذا المكس ، فمبنى مغنياً وقد طربت فهب لى هذا المكس شكراً لنعم الله عليك . فأشار السلطان بيده أن قد فعلت ، فضج الناس بالدعاء له ، وكتب بذلك سجلات ، ونودى فى البلد باسقاط ذلك المكس ، وفرح الناس بذلك والله الحمد والمنة . وفيها قل المطر جداً ، وقلت مياه الأنهار ، وانتشر جراد عظيم ، وأصاب الناس داء فى حلقهم ، فمات بذلك خلأئق كثيرة فانا لله وإنا إليه راجعون . وفيها قتل الملك عماد الدين زنكى بن قيم الدولة التركى صاحب الموصل ، وحلب وغيرها من البلاد الشامية والجزيرة ، وكان محاصراً قلعة جعبر ، وفيها شهاب الدين سالم بن مالك العقيلي ، فبرطل بعض ممالك زنكى حتى قتله فى الليلة الخامسة من ربيع الأول من هذه السنة . قال العماد الكاتب : كان سكرانا لله أعلم . وقد كان زنكى من خيار الملوك وأحسنهم سيرة وشكلاً ، وكان شجاعاً مقداماً حازماً ، خضعت له ملوك الأطراف ، وكان من أشد الناس غيرة على نساء الرعية ، وأجود الملوك معاملة ، وأرفقهم بالعامه ، وقام بالأمر من بعده بالموصل ولده سيف الدولة ، وبحلب نور الدين محمود ، فاستعاد نور الدين هذا مدينة الرها ، وكان أبوه قد فتحها . فلما مات عصوا فقهرهم نور الدين . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب وخادم ابن تومرت جزيرة الأندلس ، بعد حروب طويلة . وفيها ملكت الفرنج مدينة طرابلس الغرب ، وفيها استعاد صاحب دمشق مدينة بعلبك . وفيها جاء نجم الدين أيوب إلى صاحب دمشق فسلمه القلعة وأعطاه أمزبه عنده بدمشق . وفيها قتل السلطان مسعود حاجيه عبد الرحمن بن طغرل بك وقتل عباساً صاحب الرى ، وألقى رأسه إلى أصحابه فانزعج الناس ونهبوا خيام عباس هذا ، وقد كان عباس من الشجعان المشهورين ، قاتل الباطنية مع مخدومه جوهر ، فلم يزل يقتل منهم حتى بنى مأذنة من رؤسهم بمدينة الرى . وفيها مات تقيب النقيب ببغداد محمد بن طراد الزينبي ، فتولى بعده على بن طلحة الزينبي . وفيها سقط جدار على ابنة الخليفة ، وكانت قد بلغت مبالغ النساء ، فماتت فحضر جنازتها الأعيان . وحج بالناس قطز الخادم .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ زنكى بن آقسنقر ﴾

تقدم ذكر شىء من ترجمته ، وهو أبو نور الدين محمود الشهيد ، وقد أطنب الشيخ أبو شامة فى الروضتين فى ترجمته ، وما قيل فيه من نظم ونثر رحمه الله .

﴿ سعد الخير ﴾

محمد بن سهل بن سعد ، أبو الحسن المغربى الأندلسى الأنصارى ، رحل وحصل كتباً نفيسة ،

وروى عنه ابن الجوزى وغيره ، وقد أوصى عند وفاته أن يصلى عليه الغزنوى ، وأن يدفن عند قبر عبد الله بن الإمام أحمد ، وحضر جنازته خلأئق من الناس .

﴿ شافع بن عبد الرشيد ﴾

ابن القاسم ، أبو عبد الله الجبلى الشافعى ، تفقه على الكيا وعلى الغزالى ، وكان يسكن الكرخ ، وله حلقة بجامع المنصور فى الرواق . قال ابن الجوزى وكنت أحضر حلقة .

﴿ عبد الله بن على ﴾

ابن أحمد بن عبد الله ، أبو محمد سبط أبى منصور الزاهد ، قرأ القراءات وصنف فيها ، وسمع الحديث الكثير ، واقتنى الكتب الحسنة ، وأم فى مسجده نيفا وخمسين سنة ، وعلم خلقاً القرآن . قال ابن الجوزى : ما سمعت أحداً أحسن قراءة منه ، وحضر جنازته خلق كثير .

﴿ عباس شحنة الرى ﴾

توصل إلى أن ملكها ثم قتله مسعود ، وقد كان كثير الصدقات والاحسان إلى الرعية ، وقتل من الباطنية خلقاً حتى بنى من رؤسهم منارة بالرى ، وتأسف الناس عليه .

﴿ محمد بن طراد ﴾

ابن محمد الزينبى ، أبو الحسن نقيب النقباء ، وهو أخو على بن طراد الوزير ، سمع الكثير من أبيه ومن عمه أبى نصر وغيرهما ، وقارب السبعين .

﴿ وجيه بن طاهر ﴾

ابن محمد بن محمد ، أبو بكر الشحامى ، أخو زاهر ، وقد سمع الكثير من الحديث ، وكانت له معرفة به ، وكان شيخاً حسن الوجه ، سريع الدمعة ، كثير الذكر ، جمع السماع إلى العمل إلى صدق اللهجة توفى ببغداد فى هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ﴾

ففيها ملكت الفرنج عدة حصون من جزيرة الأندلس . وفيها ملك نور الدين بن محمود زنكى عدة حصون من يد الفرنج بالسواحل . وفيها خطب للمستنجد بالله بولاية العهد من بعد أبيه المقتنى . وفيها تولى عون بن يحيى بن هبيرة كتابة ديوان الزمام ، وولى زعيم الدين يحيى بن جعفر صدرية الخزن المعمورة . وفيها اشتد الفلاء بأفريقية وهلك بسببه أكثر الناس حتى خلت المنازل ، وأقفلت المعامل . وفيها تزوج سيف الدين غازى بنت صاحب مارد بن حسام الدين نمرقش بن أرتق ، بعد أن حاصره فصالحه على ذلك ، فحملت إليه إلى الموصل بعد سنتين ، وهو مريض قد أشرف على الموت ، فلم يدخل بها حتى مات ، فتولى بعده على الموصل أخوه قطب بن مودود فتزوجها . قال ابن الجوزى :

وفي صفر رأى رجل في المنام قائلاً يقول له : من زار أحمد بن حنبل غفر له . قال فلم يبق خاص ولا عام إلا زاره . قال ابن الجوزي : وعقدت يومئذ ثم مجلساً فاجتمع فيه ألوف من الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أسعد بن عبد الله ﴾

ابن أحمد بن محمد بن عبد الله بن عبد الصمد بن المهدي بالله ، أبو منصور ، سمع الحديث الكثير ، وكان خيراً صالحاً متمتعاً بحواسه وقواه ، إلى حين الوفاة . وقد جاوز المائة بنحو من سبع سنين

﴿ أبو محمد عبد الله بن محمد ﴾

ابن خلف بن أحمد بن عمر الأحمي الأندلسي ، الرباطي الحافظ ، مصنف كتاب اقتباس الأنوار والتماس الأزهار ، في أنساب الصحابة ورواة الآثار ، وهو من أحسن التصانيف الكبار ، قتل شهيداً صبيحة يوم الجمعة العشرين من جمادى بالبرية .

﴿ نصر الله بن محمد ﴾

ابن عبد القوى ، أبو الفتح اللاذقي المصيصي الشافعي ، تفقه بالشيخ نصر بن إبراهيم المقدسي ، بصور ، وسمع بها منه ومن أبي بكر الخطيب ، وسمع ببغداد والأنبار ، وكان أحد مشايخ الشام ، فقيهاً في الأصول والفروع ، توفي فيها وقد جاوز التسعين بأربع سنين .

﴿ هبة الله بن علي ﴾

ابن محمد بن حمزة أبو السعادات ابن الشجري النحوي ، ولد سنة خمسين وأربعمائة ، وسمع الحديث وانتهت إليه رياسة النحاة . قال سمعت بيتاً في الذم أبلغ من قول مكوبه :

وما أنا إلا المسك قد ضاع عندكم * يضيع وعند الآخرين يضيع

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها استغاث مجير الدين بن أنابك دمشق بالملك نور الدين صاحب حلب على الفرنج ، فركب سريعاً فالتقى معهم بأرض بصرى فهزمهم ، ورجع فقتل على الكسوة ، وخرج ملك دمشق مجير الدين أرتق فقدمه واحترمه وشاهد الدماشقة حرمة نور الدين حتى تمنوه . وفيها ملك الفرنج المهدية وهرب منها صاحبها الحسن بن علي بن يحيى بن نعيم بن المعز بن باديس بن منصور بن يوسف بن بليكين بأهله وخاف على أمواله فتمزقت في البلاد ، وتمزق هو أيضاً في البلاد ، وأكلتهم الأقطار ، وكان آخر ملوك بني باديس ، وكان ابتداء ملكهم في سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة ، فدخل الفرنج إليها وخزائنها مشحونة بالحواصل والأموال والعدد وغير ذلك ، فأتاه الله وإنا إليه راجعون . وفيها حاصرت الفرنج وهم في سبعين ألف مقاتل ، ومعهم ملك الألمان في خلق لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، دمشق وعليها مجير الدين أرتق وأنابك معين الدين ، وهو مدبر المملكة ، وذلك يوم السبت سادس ربيع

الأول ، فخرج إليهم أهلها في مائة ألف وثلاثين ألفاً ، فاقتتلوا معهم قتالاً شديداً ، قتل من المسلمين في أول يوم نحو من مائتي رجل ، ومن الفرنج خلق كثير لا يحصون ، واستمر الحرب مدة ، وأخرج مصحف عثمان إلى وسط صحن الجامع ، واجتمع الناس حوله يدعون الله عز وجل ، والنساء والأطفال مكشفي الرؤس يدعون ويقبأ كون ، والرماد مفروش في البلد ، فاستغاث أرتق بنور الدين محمود صاحب حلب وبأخيه سيف الدين غازي صاحب الموصل ، فقصدها سريماً في نحو من سبعين ألفاً بمن انضاف إليهم من الملوك وغيرهم ، فلما سمعت الفرنج بقدوم الجيش تحولوا عن البلد ، فلحقهم الجيش فقتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وجأ غفيرا ، وقتلوا قسيساً معهم اسمه إلياس ، وهو الذي أغراه بدمشق ، وذلك أنه افترى مناماً عن المسيح أنه وعده فتح دمشق ، فقتل لعنه الله ، وقد كادوا يأخذون البلد ، ولكن الله سلم ، وحماها بحوله وقوته . قال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً) ومدينة دمشق لاسبيل للأعداء من الكفرة عليها ، لأنها الحلة التي أخبر رسول الله ﷺ عنها أنها معقل الاسلام عند الملاحم والفتن ، وبها ينزل عيسى ابن مريم ، وقد قتل الفرنج خلقاً كثيراً من أهل دمشق ، ومن قتلوا الفقيه الكبير الملقب بحجة الدين شيخ المالكية بها ، أبو الحجاج يوسف بن درناس الفندلاوي ، بأرض النيرب ، ودفن بمقابر باب الصغير ، وكان مجير الدين قد صالح الفرنج عن دمشق ببانياس ، فرحلوا عنها وتسلموا ببانياس . وفيها وقع بين السلطان مسعود وأمراه ففارقوه ، وقصدوا بغداد فاقتتلوا مع العامة ، فقتلوا منهم خلقاً كثيراً من الصغار والكبار ، ثم اجتمعوا قبالة التاج وقبلوا الأرض واعتذروا إلى الخليفة مما وقع ، وساروا نحو النهر وان فترقوا في البلاد ، ونهبوا أهلها ، فغلت الأسعار بالعراق بسبب ذلك . وفيها ولي قضاء القضاة ببغداد أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن الدامغانى ، بعد وفاة الزينبي . وفيها ملك سولى بن الحسين ملك الثغور مدينة غزنة ، فذهب صاحبها بهرام شاه بن مسعود من أولاد سبكتكين إلى فرغانة فاستغاث بملكها ، فجاء بجيوش عظيمة فاقتلع غزنة من سولى ، وأخذته أسيراً فصلبه ، وقد كان كريماً جواداً ، كثير الصدقات .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ إبراهيم بن محمد ﴾

ابن نهار بن محرز الغنوي الرقي ، جمع الحديث وتفقه بالشاشي والغزالي ، وكتب شيئاً كثيراً من مصنفاته ، وقرأها عليه ، وصحبه كثيراً ، وكان مهيباً كثير الصمت ، توفى في ذى الحجة منها وقد جاوز الثمانين . ﴿ شاهان شاه بن أيوب ﴾

ابن شادى ، استشهد مع نور الدين ، وهو والد الست عذار ، واقعة العذارية ، وتقى الدين عمر واقف التقوية .

﴿ علي بن الحسين ﴾

ابن محمد بن علي الزينبي ، أبو القاسم الأنكلمي بن أبي طالب نور الهدى بن أبي الحسن نظام الحضرتين ابن نقيب النقباء أبي القاسم بن القاضي أبي تمام العباسي ، قاضي القضاة ببغداد وغيرها ، سمع الحديث ، وكان فقيهاً رئيساً ، وقورا حسن الهيئة والسمت ، قليل الكلام ، سافر مع الخليفة الراشد إلى الموصل ، وجرت له فصول ثم عاد إلى بغداد فمات بها في هذه السنة ، وقد جاوز الستين ، وكانت جنازته حافلة ﴿ أبو الحجاج يوسف بن درباس ﴾

الفندلاوي ، شيخ المالكية بدمشق ، قتل يوم السبت سادس ربيع الأول قريبا من الربوة في أرض النيرب ، هو والشيخ عبد الرحمن الجلبولي ، أحد الزهاد رحمهما الله تعالى ، والله سبحانه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة أربع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة القاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض بن محمد بن موسى بن عياض اليحصبي السبتي ، قاضيا أحد مشايخ العلماء المالكية ، وصاحب المصنفات الكثيرة المفيدة ، منها الشفا ، وشرح مسلم ، ومشارق الأنوار ، وغير ذلك ، وله شعر حسن ، وكان إماما في علوم كثيرة ، كاللغة والحديث والأدب ، وأيام الناس ، ولد سنة ست وأربعين وأربعمائة ، ومات يوم الجمعة في جمادى الآخرة ، وقيل في رمضان من هذه السنة ، بمدينة سبته . وفيها غزا الملك نور الدين محمود بن زنكي صاحب حلب بلاد الفرنج ، فقتل منهم خلقا ، وكان فيمن قتل البرنس صاحب أنطاكية ، وفتح شيئا كثيرا من قلاعهم والله الحمد . وكان قد استنجد بمعين الدين بن أنابك دمشق ، فأرسل إليه بفريق من جيشه صحبة الأمير مجاهد الدين بن مروان بن ماس ، نائب صرخد فألبوا بلاء حسنا ، وقد قال الشعراء في هذه الغزوة أشعرا كثيرا ، منهم ابن القيسرائي وغيره ، وقد سردها أبو شامة في الروضتين . وفي يوم الأربعاء ثامن ربيع الآخر استوزر للخليفة أبو المظفر يحيى بن هبيرة ، ولقب عون الدين ، وخلع عليه . وفي رجب قصد الملك شاه بن محمود بغداد ومعه خلق من الأمراء ، ومعه علي بن ديبس وجماعة من التركان وغيرهم ، وطلبوا من الخليفة أن يخطب له فامتنع من ذلك ، وتكررت المكاتبات ، وأرسل الخليفة إلى السلطان مسعود يستحثه في القدوم ، فتمادى عليه وضاق النطاق ، واتسع الخرق على الراقع ، وكتب الملك سنجر إلى ابن أخيه يتوعده إن لم يسرع إلى الخليفة ، فاجاء إلاني أواخر السنة ، فانقضت تلك الشرور كلها ، وتبدلت سرورا أجمعها . وفي هذه السنة زلزلت الأرض زلزالا شديدا ، وتوجت الأرض عشر مرات ، وتقطع جبل بعلوان ، وانهدم الرباط النهر جوري ، وهلك خلق كثير بالبرسام ، لا يتكلم المرضي به حتى يموتوا . وفيها مات سيف الدين غازي بن زنكي صاحب الموصل ، وملك بعده أخوه قطب الدين مودود بن

زنكى ، وتزوج بامرأة أخيه التى لم يدخل بها ، الخاتون بنت تمرناش بن إيلغازى بن أرتقى ، صاحب ماردین ، فولدت له أولادا كلهم ملكوا الموصل ، وكانت هذه المرأة تضع خمارها بين خمسة عشر ملكا . وفيها سار نور الدين إلى سنجار ففتحها ، فجهز إليه أخوه قطب الدين مودود جيشا ليرده عنها ، ثم اصطالحا فعوضه منها الرحبة وحمص ، واستمرت سنجار لقطب الدين ، وعاد نور الدين إلى بلده . ثم غزا فيها الفرنج فقتل منهم خلقا وأسر البرنس صاحب إنطاكية ، فمدحه الشعراء منهم الفتح القيسرانى بقصيدة يقول فى أولها :

هذى العزائم لا ما تنعق القضب * وذى المكارم لا ما قالت الكتب
وهذه الهمم اللاتى متى خطبت * تعثرت خلفها الأشعار والخطب
صاغت يا ابن عماد الدين ذروتها * براحة للمساعى دونها تعب
ما زال جدك يبنى كل شاهقة * حتى بنى قبة أوتادها الشهب

وفى فتح نور الدين حصن فاميا وهو قريب من حمه . وفى مات صاحب مصر الحافظ لدين الله عبد المجيد بن أبى القاسم بن المستنصر ، فقام بالأمر من بعده ولده الظافر إسماعيل ، وقد كان أحمد بن الأفضل بن أمير الجيوش قد استحوذ على الحافظ وخطب له بمصر ثلاثا ، ثم آخر الأمر أذن بحى على خير العمل ، والحافظ هذا هو الذى وضع طبل القولنج الذى إذا ضرب به من به القولنج يخرج منه القولنج والريح الذى به ، وخرج بالحجاج الأمير قطز الخادم فرض بالكوفة فرجع واستخلف على الحجاج مولاه قباذ ، وحين وصوله إلى بغداد توفى بعد أيام ، فطمعت العرب فى الحجاج فوقفوا لهم فى الطريق وهم راجعون ، فضعف قباذ عن مقاومتهم فأخذ لنفسه أمانا وهرب وأسلم إليهم الحبيج ، فقتلوا أكثرهم وأخذوا أموال الناس ، وقتل من سلم فيمن نجا ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وفى مات معين الدين بن أتابك العساكر بدمشق ، وكان أحد ممالك طغتكين ، وهو والد الست خاتون زوجة نور الدين ، وهو واقف المدرسة الميعينية ، داخل باب الفرج ، وقبره فى قبة قتلى الشامية البرانية ، بمحلة العونية ، عند دار البطيخ . ولمات معين الدين قويت شوكة الوزير الرئيس مؤيد الدولة على ابن الصوفى وأخيه زين الدولة حيدرة ، ووقعت بينهما وبين الملك مجير الدين أرتقى وحشة ، اقتضت أنهما جندا من العامة والفوغاء ما يقاومه فاقتنوا فقتل خلق من الفريقين . ثم وقع الصلح بعد ذلك . ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن نظام الملك ﴾

أبو الحسن على بن نصر الوزير المسترشد ، والسلطان محمود ، وقد سمع الحديث ، وكان من خيار الوزراء . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن الحسين الارجاني ، قاضى تستر ، روى الحديث وكان له شعر رائع يتضمن معانى حسنة

فن ذلك قوله :

ولما بلوت الناس أطلب عندهم * أذا ثقة عند اعتراض الشدائد
تطعمت في حالي رخاء وشدة * وناديت في الأحياء هل من مساعد؟
فلم أر فيما ساءني غير شامت * ولم أر فيما سرني غير حاسد
فطلقت ود العالمين جميعهم * ورحت فلا ألوى على غير واحد
تمنمت يا ناظري بنظرة * وأوردت ما قلبي أمر الموارد
أعني كفا عن فؤادي فانه * من البغي سعى اثنين في قتل واحد
(والقاضي عياض بن موسى السبتي) صاحب التصانيف المفيدة ومن شعره قوله :
الله يعلم أني منذ لم أركم * كطائر خانة ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم * فان بعدكم عني جنى حيني
وقد ترجمه ابن خلكان ترجمة حسنة .

(عيسى بن هبة الله)

ابن عيسى ، أبو عبد الله النقاش ، سمع الحديث ، مولده سنة سبع وخمسين وأربعمائة . قال ابن
الجوزي : وكان ظريفاً خفيف الروح ، له نوادر حسنة رأى الناس ، وعاشراً الأكياس ، وكان يحضر
مجلسي ويكاتبني وأكاتبه ، كتبت إليه مرة ف عظمت في الكتاب فكتب إلي : قد زدني في الخطاب
حتى خشيت نقصاً من الزيادة ، وله :

إذا وجد الشيخ في نفسه * نشاطاً فذلك موت خفي
ألت ترى أن ضوء السرا * ج له لهب قبل أن ينطفئ

(غازي بن آقسنقر)

الملك سيف الدين صاحب الموصل ، وهو أخو نور الدين محمود ، صاحب حلب ثم دمشق فيما
بعد ، وقد كان سيف الدين هذا من خيار الملوك وأحسنهم سيرة ، وأجودهم سريرة ، وأصبحهم
صورة ، شجاعاً كريماً ، يذبح كل يوم لجيشه مائة من الغنم ، ولما ليكه ثلاثين رأساً ، وفي يوم العيد
ألف رأس سوى البقر والدجاج ، وهو أول من حمل على رأسه سنجق من ملوك الأطراف ، وأمر
الجنود أن لا يركبوا إلا بسيف ودبوس ، وبنى مدرسة بالموصل ورباطاً للصوفية وامتدحه الخيص بيص
فأعطاه ألف دينار عيناً ، وخلعة . ولما توفي بالحمى في جمادى الآخرة دفن في مدرسته المذكورة ، وله
من العمر أربعون سنة ، وكانت مدة ملكه بعد أبيه ثلاث سنين وخمسين يوماً ، رحمه الله .

﴿ قطز الخادم ﴾

أمير الحاج مدة عشرين سنة وأكثر ، سمع الحديث وقرأ على ابن الزاغوني ، وكان يحب العلم والصدقة ، وكان الحاج معه في غاية الدعة والراحة والأمن ، وذلك لشجاعته ووجاهته عند الخلفاء والملوك ، توفي ليلة الثلاثاء الحادى عشر من ذى القعدة ودفن بالرصافة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن فامية ، وهو من أحصن القلاع ، وقيل فتحه في التي قبلها . وفيها قصد دمشق ليأخذها فلم يتفق له ذلك ، فخلع على ملكها مجير الدين أرتق ، وعلى وزيره ابن الصوفى ، وتقررت الخطبة له بها بعد الخليفة والسلطان ، وكذلك السكة . وفيها فتح نور الدين حصن إعزاز وأسر ابن ملكها ابن جوسابق ، وفرح المسلمون بذلك ، ثم أسر بعده والده جوسليق الفرنجى ، فتزايدت الفرحة بذلك ، وفتح بلاداً كثيرة من بلاده . وفي المحرم منها حضر يوسف الدمشقى تدريس النظامية ، وخلص عليه ، ولما لم يكن ذلك باذن الخليفة بل بمرسوم السلطان وابن النظام ، منع من ذلك فلزم بيته ولم يعد إلى المدرسة بالكلية ، وتولاها الشيخ أبو النجيب باذن الخليفة ومرسوم السلطان . قال ابن الجوزى : في هذه السنة وقع مطر باليمن كاه دم ، حتى صبغ ثياب الناس .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن ذى النون ﴾

ابن أبى القاسم ، بن أبى الحسن ، أبو المفاخر النيسابورى ، قدم بغداد فوعظ بها ، وجعل ينال من الأشاعرة فأحبته الحنابلة ، ثم اختبروه فاذا هو معتزلى ففترسوقه ، وجرت بسببه فتنة ببغداد ، وقد سمع منه ابن الجوزى شيئاً من شعره ، من ذلك :

مات الكرام ومروا وانقضوا واهضوا * ومات من بعدهم تلك الكرامات

وخلفوني في قوم ذوى سفة * لو أبصروا طيف ضيف فى الكرى ماتوا

﴿ عبد الملك بن عبد الوهاب ﴾

الحنبلى القاضى بهاء الدين ، كان يعرف مذهب أبى حنيفة وأحمد ، ويناظر عنهما ، ودفن مع أبيه وجده بقبور الشهداء .

﴿ عبد الملك بن أبى نصر بن عمر ﴾

أبو المعالى الجبلى ، كان فقيها صالحاً متعبداً فقيراً ، ليس له بيت يسكنه ، وإنما يبست في المساجد المهجورة ، وقد خرج مع الحجيج فأقام بمكة يعبد ربه ويفيد العلم ، فكان أهلها يثنون عليه خيراً

﴿ الفقيه أبو بكر بن العربى ﴾

المالكي ، شارح الترمذى ، كان فقيها عالماً ، وزاهداً عابداً ، وسمع الحديث بعد اشتغاله في

الفقه ، وصحب الغزالي وأخذ عنه ، وكان يتهمه برأى الفلاسفة ، ويقول دخل في أجوافهم فلم يخرج منها والله سبحانه أعلم . ﴿ ثم دخلت سنة ست وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها أغار جيش السلطان على بلاد الاسماعيلية ، فقتلوا خلقا ورجعوا سالمين . وفيها حاصر نور الدين دمشق شهورا ثم ترحل عنها إلى حلب ، وكان الصلح على يدى البرهان البلخى . وفيها اقتتل الفرنج وجيش نور الدين فانهزم المسلمون وقتل منهم خلق ، فأن الله وإنا إليه راجعون . ولما وقع هذا الأمر شق ذلك على نور الدين وترك الترفه وهجر اللذة حتى يأخذ بالثار ، ثم إن أمراء التركان ومعهم جماعة من أعوانهم ترصدوا الملك جوسليق الأفرنجي ، فلم يزالوا به حتى أسروه في بعض متصيداته فأرسل نور الدين فكبس التركان وأخذ منهم جوسليق أسيرا ، وكان من أعيان الكفرة ، وأعظم الفجرة ، فأوقفه بين يديه في أذل حال ، ثم سجنه . ثم سار نور الدين إلى بلاده فأخذها كلها بما فيها . وفي ذى الحجة جالس ابن العبادى في جامع المنصور وتكلم ، وعنده جماعة من الأعيان ، فكادت الحنابلة يشيرون فتنه ذلك اليوم ، ولكن لطف الله وسلم . وحج بالناس فيها قبازا الأرجوانى . ومن توفى فيها من الأعيان الشيخ .

﴿ برهان الدين أبو الحسن بن على البلخى ﴾

شيخ الحنفية بدمشق ، درس بالبلخية ثم بالخاتونية البرانية ، وكان عالما عاملا ، ورعا زاهدا ، ودفن بمقابر باب الصغير .

﴿ ثم دخلت سنة سبع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها توفى السلطان مسمود وقام بالأمر من بعده أخوه ملكشاه بن محمود ، ثم جاء السلطان محمد وأخذ الملك واستقر له ، وقتل الأمير خاص بك ، وأخذ أمواله وألقاه للكلاب ، وبلغ الخليفة أن واسط قد تخبطت أيضا ، فركب إليها في الجيش في أبهة عظيمة ، وأصلح شأنها ، وكر على الكوفة والحلة ، ثم عاد إلى بغداد فزينت له البلاد . وفيها ملك عبد المؤمن صاحب المغرب بحاية وهى بلاد بنى حماد ، فكان آخر ملوكهم يحيى بن عبد العزيز بن حماد ، ثم جهز عبد المؤمن جيشا إلى صنهاجة فحاصرها ، وأخذ أموالها . وفيها كانت وقعة عظيمة بين نور الدين الشهيد وبين الفرنج ، فكسروهم وقتل منهم خلقا والله الحمد . وفيها اقتتل السلطان سنجر وملك الغور علاء الدين الحسين بن الحسن أول ملوكهم ، فكسره سنجر وأمره ، فلما أحضره بين يديه قال له : ماذا كنت تصنع بى لو أسرته ؟ فأخرج قيدا من فضة وقال : كنت أقيدك بهذا . فعفى عنه وأطلقه إلى بلاده ، فسار إلى غزنة فأنزعه من يد صاحبها بهرام شاه السبكى ، واستخلف عليها أخاه سيف الدين ففدر به أهل البلد وسلوه إلى بهرام شاه فصلبه ، ومات بهرام شاه قريبا فسار إليه علاء الدين فهرب خسرو بن بهرام

شاه عنها ، فدخلها علاء الدين فقهها ثلاثة أيام ، وقتل من أهلها بشراً كثيراً ، وسخر أهلها فحملوا تراباً في محالى إلى محلة هنالك بعيدة عن البلد ، فحفر من ذلك التراب قلعة مرفوعة إلى الآن ، وبذلك انقضت دولة بني سبكتكين عن بلاد غزنة وغيرها ، وقد كان ابتداء أمرهم في سنة ست وستين وثلثمائة إلى سنة سبع وأربعين وخمسمائة ، وكانوا من خيار الملوك ، وأكثرهم جهاداً في الكفرة ، وأكثرهم أموالاً ونساء وعدداً وعدداً ، وقد كسروا الأصنام وأبادوا الكفار ، وجعلوا من الأموال ما لم يجمع غيرهم من الملوك ، مع أن بلادهم كانت من أطيب البلاد وأكثرهم ريفاً ومياهاً ففنى جميعه وزال عنهم (قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شئ قدير) ثم ملك الغور والهند وخراسان ، واتسعت ممالكهم وعظم سلطان علاء الدين بعد الأسر ، وحكى ابن الجوزى أن في هذه السنة باض ديك بيضة واحدة ، ثم باض بازى بيضتين ، وباضت نعامة من غير ذكر ، وهذا شئ عجيب .
ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ المظفر بن أردشير ﴾

أبو منصور العبادى ، الواعظ ، سمع الحديث ودخل إلى بغداد فأملى ووعظ ، وكان الناس يكتبون ما يعظ به ، فاجتمع له من ذلك مجلدات . قال ابن الجوزى : لا تكاد تجد في المجلد خمس كلمات جيدة ، وتكلم فيه وأطال الخط عليه ، واستحسن من كلامه قوله : وقد سقط مطر وهو يعظ الناس ، وقد ذهب الناس إلى تحت الجدران ، فقال لا تفروا من رشاش ماء رحمة قطر من سحب نعمة ، ولكن فروا من رشاش نار اقتدح من زناد الغضب . توفى وقد جاوز الخمسين بقليل .

﴿ مسعود السلطان ﴾

صاحب العراق وغيرها ، حصل له من التمكن والسعادة شئ كثير لم يحصل لغيره ، وجرت له خطوط طويلة ، كما تقدم بعض ذلك ، وقد أسر في بعض حروبه الخليفة المسترشد كما تقدم ، توفى يوم الأربعاء سلخ جمادى الآخرة منها .

﴿ يعقوب الخطاط الكاتب ﴾

توفى بالنظامية ، فناء ديوان الحشر ليأخذوا ميراثه فنهزم الفقهاء فجرت فتنة عظيمة آل الحال إلى عزل المدرس الشيخ أبى النجيب وضربه في الديوان تعزيراً .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها وقع الحرب بين السلطان سنجر وبين الأتراك ، فقتل الأتراك من جيشه خلقاً كثيراً بحيث صارت القتلى مثل التلول العظيمة ، وأسروا السلطان سنجر وقتلوا من كان معه من الأمراء صبراً ، ولما أحضروه قاموا بين يديه وقبلوا الأرض له ، وقالوا نحن عبيدك ، وكانوا عدة من الأمراء الكبار

من ممالكهم ، فأقام عندهم شهرين ثم أخذوه وساروا به فدخلوا مرو ، وهي كرسى مملكة خراسان ، فسأله بعضهم أن يجعلها له إقطاعاً ، فقال سنجر هذا لا يمكن ، هذه كرسى المملكة ، فضحكوا منه وخرطوا به قنزل عن سرير المملكة ودخل خاتناه ، وصار فقيراً من جملة أهلها ، وتاب عن الملك واستحوذ أولئك الأتراك على البلاد فنهبوها وتركوها قاعاً صفصفاً ، وأفسدوا في الأرض فساداً عريضاً ، وأقاموا سليمان شاه ملكاً ، فلم تطل أيامه حتى عزلوه ، وولوا ابن أخت سنجر الخاقان محمود ابن كوخان ، وتفرقت الأمور واستحوذ كل إنسان منهم على ناحية من تلك الممالك ، وصارت الدولة دولا . وفيها كانت حروب كثيرة بين عبد المؤمن وبين العرب ببلاد المغرب . وفيها أخذت الفرنج مدينة عسقلان من ساحل غزة . وفيها خرج الخليفة إلى واسط في جحفل فأصلح شأنها وعاد إلى بغداد . وحج بالناس فيها قيمار الأرجواني .

وفيها كانت وفاة الشاعر بن القرنين الشهيرين في الزمان الأخير .

﴿ بالفردق وجري ﴾

وهما أبو الحسن أحمد بن منير الجوني بحلب ، وأبو عبد الله محمد بن نصر بن صغير القيسراني الحلبي بدمشق ، وعلى بن السار الملقب بالعدل وزير الظاهر صاحب مصر ، وهو باني المدرسة بالاسكندرية للشافعية للحفاظ أبي طاهر السلفي ، وقد كان العادل هذا ضد اسمه ، كان ظلوماً غشوماً حطوماً ، وقد ترجمه ابن خلكان

﴿ ثم دخلت سنة تسع وأربعين وخمسمائة ﴾

فيها ركب الخليفة المقتفي في جيش كثيف إلى تكريت فحاصر قلعتها ، ولقي هناك جمعاً من الأتراك والتركمان ، فأظفره الله بهم ، ثم عاد إلى بغداد .

﴿ ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق ﴾

وجاءت الأخبار بأن مصر قد قتل خليفتها الظاهر ، ولم يبق منهم إلا صبي صغير ابن خمس شهور ، قد ولوه عليهم ولقبوه الفائز ، فكتب الخليفة عهداً إلى نور الدين محمود بن زنكي بالولاية على بلاد الشام والديار المصرية ، وأرسله إليها . وفيها هاجت ربح شديدة بعد العشاء فيها نار فخاف الناس أن تكون الساعة ، وزلزلت الأرض وتغير ماء دجلة إلى الحرة ، وظهر بأرض واسط بالأرض دم لا يعرف ما سببه ، وجاءت الأخبار عن الملك سنجر أنه في أسر الترك ، وهو في غاية الذل والاهانة ، وأنه يبكي على نفسه كل وقت . وفيها انتزع نور الدين محمود دمشق من يد ملكها نور الدين أرتق ، وذلك لسوء سيرته وضعف دولته ، ومحاصرة العامة له في القلعة ، مع وزيره مؤيد الدولة علي بن الصوفي ، وتغلب الخادم عطاء على المملكة مع ظلمه وغشمه ، وكان الناس يدعون ليلاً ونهاراً أن يبدلهم بالملك نور الدين ، واتفق مع ذلك أن الفرنج أخذوا عسقلان فحزن نور الدين على ذلك ،

ولا يمكنه الوصول إليهم ، لأن دمشق بينه وبينهم ، ويخشى أن يحاصروا دمشق فيشق على أهلها ، ويخاف أن يرسل مجير الدين إلى الفرنج فيخذلونه كما جرى غير مرة ، وذلك أن الفرنج لا يريدون أن يملك نور الدين دمشق فيقوى بها عليهم ولا يطيقونه ، فأرسل بين يديه الأمير أسد الدين شيركوه في ألف فارس في صفة طلب الصباح ، فلم يلتفت إليه مجير الدين ولا عده شيئا ، ولا خرج إليه أحد من أعيان أهل البلد ، فكتب إلى نور الدين بذلك ، فركب الملك نور الدين في جيشه فنزل عيون الفاسرياء من أرض دمشق ، ثم انتقل إلى قريب من الباب الشرقي ، ففتحها قهرا ودخل من الباب الشرقي بعد حصار عشرة أيام ، وكان دخوله في يوم الأحد عاشر صفر من هذه السنة وتحصن مجير الدين في القلعة فأنزله منها وعوضه مدينة حمص ودخل نور الدين إلى القلعة واستقرت يده على دمشق والله الحمد . ونادى في البلد بالأمان والبشارة بالخير ، ثم وضع عنهم المكوس وقرئت عليهم التواقيع على المنابر ، وفرح الناس بذلك وأكثروا الدعاء له ، وكتب ملوك الفرنج إليه يهنونه بدمشق ويتقربون إليه ، ويخضعون له .

ومن توفي فيها من الأعيان . **✽ الرئيس مؤيد الدولة**

علي بن الصوفي وزير دمشق لمجير الدين ، وقد ثار على الملك غير مرة ، واستفحل أمره ، ثم يقع الصلح بينهما كما تقدم . **✽ عطاء الخادم**

أحد أمراء دمشق ، وقد تغلب على الأمور بأمر مجير الدين ، وكان ينوب على بعلبك في بعض الأحيان ، وقد كان ظالما غاشما وهو الذي ينسب إليه مسجد عطاء خارج باب شرقي والله أعلم .

✽ (ثم دخلت سنة خمسين وخمسمائة هجرية)

فيها خرج الخليفة في نجمل إلى دوقا فحاصرها فخرج إليه أهلها أن يرحل عنهم فان أهلها قد هلكوا من الجيشين ، فأجابهم ورحل عنهم ، وعاد إلى بغداد بعد شهرين ونصف ، ثم خرج نحو الحلة والكوفة والجيش بين يديه ، وقال له سليمان شاه أناولى عهد سنجر ، فان قررتنى في ذلك وإلا فانا كأحد الأمراء ، فوعده خيرا ، وكان يحمل الفاشية بين يدي الخليفة على كاهله ، فهد الأمور ووطدها ، وسلم على مشهد على إشارة بأصبعه ، وكأنه خاف عليه غائلة الروافض أو أن يعتقد في نفسه من القبر شيئا أو غير ذلك ، والله أعلم .

✽ (فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد)

وفيها افتتح نور الدين بعلبك عودا على بدء وذلك أن نجم الدين أيوب كان قائبا بها على البلد والقلعة فسلمها إلى رجل يقال له الضحاك البقاعي ، فاستحوذ عليها وكتب نجم الدين لنور الدين ، ولم يزل نور الدين يتلطف حتى أخذ القلعة أيضا واستدعى بنجم الدين أيوب إنيته إلى دمشق فأقطعه

إقطاعا حسنا ، وأكرمه من أجل أخيه أسد الدين ، فانه كانت له اليد الطولى في فتح دمشق ، وجعل الأمير شمس الدولة بوران شاه بن نجم الدين شحنة دمشق ، ثم من بعده جعل أخاه صلاح الدين يوسف هو الشحنة ، وجعله من خواصه لا يفارقه حضرا ولا سفرا ، لأنه كان حسن الشكل حسن اللعب بالكرة ، وكان نور الدين يحب لعب الكرة لتدوين الخليل وتعليمها الذكر والفر ، وفي شحنة صلاح الدين يوسف يقول عرقلة [وهو حسان بن نمير الكلبى] الشاعر :

رويدكم ياصوص الشام * فاني لكم ناصح في مقال
فاياكم ومعى النبي يوسف * رب الحجا والكمال
فذاك مقطع أيدي النسا * وهذا مقطع أيدي الرجال
وقد ملك أخاه بوران شاه بلاد اليمن فيما بعد ذلك ، وكان يلقب شمس الدولة .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ محمد بن ناصر ﴾

ابن محمد بن على الحافظ ، أبو الفضل البغدادي . ولد ليلة النصف من شعبان سنة سبع وستين وأربعمائة ، وسمع الكثير ، وتفرد بمشايخ ، وكان حافظا ضابطا مكثرا من السنة كثير الذكر ، سريع الدعة . وقد تخرج به جماعة منهم أبو الفرج ابن الجوزي ، سمع بقراءته مسند أحمد وغيره من الكتب الكبار ، وكان يثنى عليه كثيرا ، وقد رد على أبي سعد السمعماني في قوله : محمد بن ناصر يحب أن يقع في الناس . قال ابن الجوزي : والكلام في الناس بالجرح والتعديل ليس من هذا القبيل ، وإنما ابن السمعماني يحب أن يتمصب على أصحاب الامام أحمد ، فعوذ بالله من سوء القصد والتعصب . توفى محمد بن ناصر ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شعبان منها ، عن ثلاث وثمانين سنة ، وصلى عليه مرات ، ودفن بباب حرب .

﴿ مجلى بن جميع أبو المعالى ﴾

الخزومي الأرسوفي ثم المصري قاضيا ، الفقيه الشافعي ، مصنف الذخائر وفيها غرائب كثيرة وهي من الكتب المفيدة . ﴿ ثم دخلت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة ﴾

في الحرم دخل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه إلى بغداد وعلى رأسه الشمسية ، فتلقيه الوزير ابن هبيرة وأدخله على الخليفة ، فقبل الأرض وحلفه على الطاعة وصفاء النية والمناصحة والمودة ، وخلع عليه خلع الملوك ، وتقرر أن للخليفة العراق وسليمان شاه ما يفتح من خراسان ، ثم خطب له ببغداد بعد الملك سنجر ، ثم خرج منها في ربيع الأول فاقتتل هو والسلطان محمد بن محمود بن ملكشاه ، فهزمه محمد وهزم عسكره ، فذهب مهزوما فتلقيه نائب قطب الدين مودود بن زنكي ، صاحب الموصل ، فأسره وحبسه بقلعة الموصل ، وأكرمه مدة حبسه وخدمه ، وهذا من أغرب

الاتفاقات . وفيها ملكت الفرنج المهدية من بلاد المغرب بعد حصار شديد . وفيها فتح نور الدين محمود بن زنكي قلعة تل حازم واقتلها من أيدي الفرنج ، وكانت من أحصن القلاع وأمنع البقاع ، وذلك بعد قتال عظيم ووقعة هائلة كانت من أكبر الفتوحات ، وامتدحه الشعراء عند ذلك . وفيها هرب الملك سنجر من الأسر وعاد إلى ملكه بمرور ، وكان له في يد أعدائه نحو من خمس سنين . وفيها ولي عبد المؤمن ملك الغرب أولاده على بلاده ، استناب كل واحد منهم على بلد كبير ، وإقليم متسع . ﴿ ذكر حصار بغداد ﴾

وسبب ذلك أن السلطان محمد بن محمود بن ملكشاه أرسل إلى المقتفي يطلب منه أن بخطب له في بغداد ، فلم يجبه إلى ذلك ، فسار من همدان إلى بغداد ليحاصرها ، فأنجفل الناس وحصن الخليفة البلد ، وجاء السلطان محمد فحصر بغداد ، ووقف تجاه التاج من دار الخلافة في جحفل عظيم ، ورموا نحوه النشاب ، وقاتلت العامة مع الخليفة قتالا شديدا بالنفط وغيره ، واستمر القتال مدة ، فبينما هم كذلك إذ جاءه الخبر أن أخاه قد خلفه في همدان ، فانشمر عن بغداد إليها في ربيع الأول من سنة اثنتين وخمسين ، وتفرقت عنه المساكر الذين كانوا معه في البلاد ، وأصاب الناس بعد ذلك القتال مرض شديد ، وموت ذريع ، واحترقت محال كثيرة من بغداد ، واستمر ذلك فيها مدة شهرين . وفيها أطلق أبو الوليد البدر بن الوزير بن هبيرة من قلعة تكريت ، وكان معتقلا فيها من مدة ثلاث سنين ، فتنقاه الناس إلى أثناء الطريق ، وامتدحه الشعراء ، وكان من جملتهم الأبله الشاعر ، أنشد الوزير قصيدة يقول في أولها :

بأي لسان للوشاة ألام * وقد علموا أني سهرت وناموا ؟

إلى أن قال :

ويستكثرون الوصل لي ليلة * وقد مر عام بالصدود وعام

فطرب الوزير عند ذلك . وخلع عليه ثيابه وأطلق له خمسين ديناراً ، وحج بالناس قيباز .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ علي بن الحسين ﴾

أبو الحسن الغزنوي الواعظ ، كان له قبول كثير من العامة ، وبنت له الخاتون زوجة المستظهر رباطاً بباب الأرج ، ووقفت عليه أوقافاً كثيرة ، وحصل له جاه عريض وزاره السلطان . وكان حسن الإبراد مليح الوعظ ، يحضر مجلسه خلق كثير وجم غفير من أصناف الناس . وقد ذكر ابن الجوزي أشياء من وعظه ، قال وممته يوماً يقول : حزمة حزن خير من أعدال أعمال . ثم أنشد :
كم حسرة لي في الحشا * من ولد إذا نشا * أملت فيه رشده * فما يشاء كما نشا
قال وممته يوماً يفشد :

بحسدى قومى على صنعى * لأننى فى صنعى فارس
سهرت فى ليلى واستنصوا * وهل يستوى الساهر والناعس ؟

قال : وكان يقول : تولون اليهود والنصارى فيسبون نبيكم فى يوم عيدكم ، ثم يصبحون يجلسون إلى جانبكم ؟ ثم يقول : ألا هل بلغت ؟ قال : وكان يتشيع ، ثم سعى فى منعه من الوعظ ثم أذن له ، ولكن ظهر للناس أمر العبادى ، وكان كثير من الناس يميلون إليه ، وقد كان السلطان يعظمه ويحضر مجلسه ، فلما مات السلطان مسعود ولى الغزنوى بعده ، وأهين إهانة بالغة ، فرض ومات فى هذه السنة . قال ابن الجوزى : وبلغنى أنه كان يرق فى نزعته ثم يفيق وهو يقول : رضى وتسليم ، ولما مات دفن فى رباطه الذى كان فيه .

﴿ محمود بن إسماعيل بن قادوس ﴾

أبو الفتح الدمياطى ، كاتب الانشا بالديار المصرية ، وهو شيخ القاضى الفاضل ، كان يسميه ذا البلاغتين ، وذكره العماد السكاتب فى الجريدة . ومن شعره فيمن يكرر التكبير ويوسوس فى نية الصلاة فى أولها :

وفاتر النية عنينها * مع كثرة الرعدة والهمزة
يكبر التسعين فى مرة * كأنه يصلى على حمزة

﴿ الشيخ أبو البيان ﴾

بنا بن محمد المعروف بابن الحورانى ، الفقيه الزاهد العابد الفاضل الخاشع ، قرأ القرآن وكتاب التنبية على مذهب الشافعى ، وكان حسن المعرفة باللغة ، كثير المطالعة ، وله كلام يؤثر عنه ، ورأيت له كتابا بخطه فيه النظام الذى يقولها أصحابه وأتباعه بلمجة غريبة ، وقد كان من نشأته إلى أن توفى على طريقة صالحة ، وقد زاره الملك نور الدين محمود فى رباطه داخل درب الحجر ، ووقف عليه شيئا ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء ثالث ربيع الأول من هذه السنة ، ودفن بمقابر الباب الصغير ، وكان يوم جنازته يوماً مشهوداً . وقد ذكرته فى طبقات الشافعية رحمه الله .

﴿ عبد الغافر بن إسماعيل ﴾

ابن عبد القادر بن محمد بن عبد الغافر بن أحمد بن سعيد ، الفارسى الحافظ ، تفقه بإمام الحرمين ومجمع الكثير على جده لأنه أبى القاسم القشبرى ، ورحل إلى البلاد وأسمع ، وصنف المفهم فى غريب مسلم وغيره ، وولى خطابة نيسابور ، وكان فاضلاً ديناً حافظاً .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة ومحمد شاه بن محمود محاصر بغداد والعامرة والجند من جهة الخليفة المقتدى

يقاتلون أشد القتال ، والجمعة لا تقام لعذر القتال ، والفتننة منتشرة ، ثم يسر الله بذهاب السلطان ، كما تقدم في السنة التي قبلها ، وقد بسط ذلك ابن الجوزي في هذه السنة فطول . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام ، هلك بسببها خلق كثير لا يعلمهم إلا الله ، وتهدم أكثر حلب وحماه وشيزر وحصن وكفر طاب وحصن الأكراد واللاذقية والمرة وقاميه وإنطاكية وطرابلس . قال ابن الجوزي : وأما شيزر فلم يسلم منها إلا امرأة وخادم لها ، وهلك الباقون ، وأما كفر طاب فلم يسلم من أهلها أحد ، وأما قاميه فساحت قلعتها ، وتل حران انقسم نصفين فابدى نواويس وبيوت كثيرة في وسطه . قال : وهلك من مدائن الفرنج شيء كثير ، وتهدم أسوار أكثر مدن الشام ، حتى أن مكتبا من مدينة حماه انهدم على من فيه من الصغار فهلكوا عن آخرهم ، فلم يأت أحديسأل عن أحد منهم ، وقد ذكر هذا الفصل الشيخ أبو شامة في كتاب الروضتين مستقصى ، وذكر ما قاله الشعراء من القصائد في ذلك . وفيها ملك السلطان محمود بن محمد بعد خاله سنجر جميع بلاده . وفيها فتح السلطان محمود بن زنكي حصن شيزر بعد حصار ، وأخذ مدينة بعلبك ، وكان بها الضحاك البقاعي ، وقد قيل إن ذلك كان في سنة خمسين كما تقدم فأنه أعلم ، وقد تقدم ذلك . وفيها مرض نور الدين فمرض الشام بمرضه ثم عوفي ففرح المسلمون فرحاً شديداً ، واستولى أخوه قطب الدين مودود صاحب الموصل على جزيرة ابن عمر . وفيها عمل الخليفة بابا للكنيسة مصفعا بالذهب ، وأخذ بابها الأول فجعله لنفسه تابوتا . وفيها أغارت الاسماعيلية على حجاج خراسان فلم يبقوا منهم أحداً ، لا زاهداً ولا عالماً . وفيها كان غلاء شديد بخراسان حتى أكلوا الحشرات ، وذبح إنسان منهم رجلاً علواً فطبخه وباعه في السوق ، فحين ظهر عليه قتل . [وذكر أبو شامة أن فتح بانياس كان في هذه السنة على يد نور الدين بنفسه ، وقد كان معين الدين سلمها إلى الفرنج حين حاصروا دمشق ، فعوضهم بها ، وقيل ملكها وغنم شيئاً كثيراً] . وفيها قدم الشيخ أبو الوقت عبد الأول بن عيسى بن شعيب السنجري ، فسمعوا عليه البخاري في دار الوزير ببغداد ، وحج بالناس قياز .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ أحمد بن محمد ﴾

ابن عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل ، أبو الليث النسفي من أهل سمرقند ، سمع الحديث وتفقه ووعظ ، وكان حسن السمعة ، قدم بغداد فوعظ الناس ، ثم عاد إلى بلده فقتله قطاع الطريق رحمه

﴿ أحمد بن بختيار ﴾

الله تعالى

ابن علي بن محمد ، أبو العباس المارداني الواسطي قاضياً ، سمع الحديث وكانت له معرفة تامة في الأدب واللغة ، وصنف كتباً في التاريخ وغير ذلك ، وكان ثقة صدوقاً توفي ببغداد وصلى عليه بالنظامية

﴿ السلطان سنجر ﴾

ابن الملك شاه بن ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، أبو الخارث واسمه أحمد ، ولقب بسنجر ، مولده في رجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، وأقام في الملك نيفا وستين سنة ، من ذلك استقلالا إحدى وأربعين سنة ، وقد أسره الغزنويون من خمس سنين ، ثم هرب منهم وعاد إلى ملكه بمرور ، ثم توفي في ربيع الأول من هذه السنة ودفن في قبة بناها لها دار الآخرة رحمه الله .

﴿ محمد بن عبد اللطيف ﴾

ابن محمد بن ثابت ، أبو بكر الخجندی الفقيه الشافعي ، ولى تدريس النظامية ببغداد ، وكان يناظر حسنا ويعظ الناس وحوله السيوف مسللة . قال ابن الجوزي : ولم يكن ماهرا في الوعظ ، وكانت حاله أشبه بالوزراء من العلماء ، وتقدم عند السلاطين حتى كانوا يصدرون عن رأيه ، توفي بأصبهان فجأة فيها .

﴿ محمد بن المبارك ﴾

ابن محمد بن الخلل أبو الحسن بن أبي البقاء ، سمع الحديث وتفقه على الشافعي ، ودرس وأفتى ، وتوفي في محرم هذه السنة ، وتوفي أخوه الشيخ أبو الحسين بن الخلل الشاعر في ذي القعدة منها .

﴿ يحيى بن عيسى ﴾

ابن إدريس أبو البركات الأنباري الواعظ ، قرأ القرآن وسمع الحديث وتفقه ووعظ الناس على طريقة الصالحين ، وكان يبكي من أول صعوده إلى حين نزوله ، وكان زاهدا عابدا ورعا آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، ورزق أولاداً صالحين ساهم بأسماء الخلفاء الأربعة ، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي . وحفظهم القرآن كلهم بنفسه ، وختم خلقا كثيرا ، وكان هو وزوجته يصومان الدهر ، ويقومان الليل ، ولا يفطران إلا بعد العشاء ، وكانت له كرامات ومنامات صالحة ، ولما مات قالت زوجته : اللهم لا تحيي بعده ، فماتت بعده بخمسة عشر يوما ، وكانت من الصالحات رحمها الله تعالى .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها كثر فساد التركمان من أصحاب ابن برجم الايواني ، فجهز إليهم الخليفة منكورس^(١) المسترشد في جيش كثيف ، فالتقوا معهم فهزمهم أقبح هزيمة ، وجازوا بالأسارى والرؤس إلى بغداد . وفيها كانت وقعة عظيمة بين السلطان محمود وبين الغز ، فكسروه ونهبوا البلاد ، وأقاموا بمرور ثم طلبوه إليهم فخاف على نفسه فأرسل ولده بين يديه فأكرموه ، ثم قدم السلطان عليهم فاجتمعوا عليه وعظموه . وفيها وقعت فتنة كبيرة بمرور بين فقيه الشافعية المؤيد بن الحسين ، وبين نقيب العلويين بها أبي القاسم زيد بن الحسن ، فقتل منهم خلق كثير ، وأحرقت المدارس والمساجد والأسواق ، وانهزم المؤيد

(١) كذا في الأصل وفي ابن الأثير « خطلوبرس » .

الشافعي إلى بعض القلاع . وفيها ولد الناصر لدين الله أبو العباس أحمد بن المستضى بأمر الله ، وفيها خرج المقتنى نحو الأنبار متصيداً وعبر الفرات وزار الحسين ومضى إلى واسط وعاد إلى بغداد ، ولم يكن معه الوزير . وحج بالناس فيها قبحاً الأرجواني . وفيها كسر جيش مصر الفرنج بأرض عسقلان كسروهم كسرة فجيرة محبة الملك صالح أبو الفارات ، فارس الدين طلائع بن رزيك ، وامتدحه الشعراء . وفيها قدم الملك نور الدين من حلب إلى دمشق وقد شفى من المرض ففرح به المسلمون ، وخرج إلى قتال الفرنج ، فانهزم جيشه وبقي هو في شردمة قليلة من أصحابه في نحر العدو ، فرمى بالسهم الكثيرة ، ثم خاف الفرنج أن يكون وقوفه في هذه الشردمة القليلة خديعة لجي كمين إليهم ، ففروا منهزمين والله الحمد .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ عبد الأول بن عيسى ﴾

ابن شعيب بن إبراهيم بن إسحاق ، أبو الوقت السجزي الصوفي الهروي ، راوى البخارى ومسند الدارمى ، والمنتخب من مسند عبد بن حميد ، قدم بغداد فسمع عليه الناس هذه الكتب ، وكان من خيار المشايخ وأحسنهم ممثلاً وأصبرهم على قراءة الحديث . قال ابن الجوزى : أخبرنى أبو عبد الله محمد بن الحسين التكريتى الصوفى قال أسندته إلى فئات ، وكان آخر ماتكنهم به أن قال (يا ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين) .

﴿ نصر بن منصور ﴾

ابن الحسين بن أحمد بن عبد الخالق العطار ، أبو القاسم الحرائى كان كثير المال ، يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة ، ويكثر تلاوة القرآن ، ويحافظ على الصلوات فى الجماعة ، ورؤيت له منامات صالحة ، وقارب الثمانين رحمه الله .

﴿ يحيى بن سلامة ﴾

ابن الحسين أبو الفضل الشافعى ، الحصكى نسبة إلى حصن كيفا ، كان إماماً فى علوم كثيرة من الفقه والآداب ، ناظماً ناثراً ، غير أنه كان ينسب إلى الغلو فى التشيع ، وقد أورد له ابن الجوزى قطعة من نظمه ، فن ذلك قوله فى جملة قصيدة له :

تقاسموا يوم الوداع كبدى * فليس لى منذ تولوا كبد
على الجفون رحلوا فى الحشا * نزلوا وماء عيني وردوا
وأدمى مسفوحة وكبدى * مقروحة وعلتى ماقد بدوا
وصبوتى دأمة ومقاتى * دامية ونومها مشرد
تيمنى منهم غزال أغيد * يا حبذا ذاك الغزال الأغيد

حسامه مجرد وصرحه * ممرد وخده مورد
 وصدغه فوق احمرار خده * مبلبل معقرب بمجد
 كأنما نكته وريقه * مسك وخمر والثنايا برد
 يقعده عند القيام ردفه * وفي الحشامنه المقيم المقعد
 له قوام كقضيب بانه * يهتز قصداً ليس فيه أود

وهي طويلة جداً ، ثم خرج من هذا النازل إلى مدح أهل البيت والأئمة الاثني عشر رحمهم الله

وسألي عن حب أهل البيت * هل أقر إعلاناً به أم أجدد ؟
 هيهات ممزوج بلحمي ودمي * جبهم وهو الهدى والرشد
 حيدرة والحسنان بعده * ثم علي وابنه محمد
 وجعفر الصادق وابن جعفر * موسى ويتلوه علي السيد
 أعني الرضي ثم ابنه محمد * ثم علي وابنه المسدد
 والحسن الثاني ويتلوه * محمد بن الحسن المفتقد
 فانهم أئمتي وسادتي * وإن لحائي معشر وفندوا
 أئمة أكرم بهم أئمة * أسماؤهم مسرودة تطرد
 هم حجج الله على عباده * وهم إليه منهج ومقصد
 قوم لهم فضل ومجد باذخ * يعرفه المشرك والموحد
 قوم لهم في كل أرض مشهد * لا بل لهم في كل قلب مشهد
 قوم مني والمشرعان لهم * والمرونان لهم والمسجد
 قوم لهم مكة والأبطح والحد * يف وجمع والبقيع والفرقد
 ثم ذكر بلطف مقتل الحسين بالطف عبارة إلى أن قال :

يا أهل بيت المصطفى يا * عدتي ومن علي جبهم أعتمد
 أنتم إلى الله غداً وسيلتي * وكيف أخشى وبكم أعتضد
 وليكم في الخلد حي خالد * والضد في نار لظى مخلد
 ولست أهواكم بيفض غيركم * إني إذاً أشقى بكم لا أسعد
 فلا يظن رافضى أني * وافقته أو خارجي مفسد
 محمد والخلفاء بعده * أفضل خالق الله فيما أجد
 هم أسسوا قواعد الدين لنا * وهم بنوا أركانه وشيدوا

ومن يخن أحمد في أصحابه * نخصمه يوم المعاد أحمد
هذا اعتقادي فالزوه تغلجوا * هذا طريق فاسلكوه تهتدوا
والشافعي مذهبي مذهبه * لأنه في قوله مؤيد
اتبعته في الأصل والفرع معا * فليتبعن الطالب المرشد
إني بأذن الله ناج سابق * إذا وني الظالم ثم المفسد
ومن شعره أيضاً :

إذا قل مالي لم تجدني جازعا * كثير الأسى معرى بعض الانامل
ولا بطراً إن جدد الله نعمة * ولو أن ما أوتى جميع الناس لي
(ثم دخلت سنة أربع وخمسين وخمسمائة)

فيها مرض الخليفة المقتنى مرضاً شديداً ، ثم عوفي منه فزيت بغداد أياماً ، وتصدق بصدقات كثيرة . وفيها استعاد عبد المؤمن مدينة المهديّة من أيدي الفرنج ، وقد كانوا أخذوها من المسلمين في سنة ثلاث وأربعين . وفيها قاتل عبد المؤمن خلفاً كثيراً من الغرب حتى صارت عظام القتلى هناك كالثل العظم ، وفي صفر منها سقط برد بالعراق كبار ، زنة البردة قريب من خمسة أرتال ، ومنها ما هو تسعة أرتال بالبغدادى ، فهلك بذلك شيء كثير من الغلات ، وخرج الخليفة إلى واسط فاجتاز بسوقها ورأى جامعها ، وسقط عن فرسه فشح جبينه ، ثم عوفي . وفي ربيع الآخر زادت دجلة زيادة عظيمة ، ففرق بسبب ذلك محال كثيرة من بغداد ، حتى صار أكثر الدور بها تلولا ، وغرقت تربة أحمد ، وخسفت هناك القبور ، وطفئت الموى على وجه الماء . قاله ابن الجوزى : وفي هذه السنة كثر المرض والموت ، وفيها أقبل ملك الروم في جمافل كثيرة قاصداً بلاد الشام فردّه الله خائباً خاسئاً ، وذلك لضيق حالهم من الميرة ، وأسر المسلمون ابن أخته ولله الحمد . وحج بالناس فيها قباها الأرجواني .

ومن توفى فيها من الأعيان ﴿ أحمد بن معالى ﴾

ابن بركة الحربى ، تفقه بأبى الخطّاب السكّلوذانى الحنبلى ، وبرع وناظر ودرس وأفتى ، ثم صار بعد ذلك شافعيّاً ، ثم عاد حنبليّاً ، ووعظ ببغداد وتوفى في هذه السنة ، وذلك أنه دخلت به راحلته في مكان ضيق فسخل قبر بوس سرجه في صدره فمات .

﴿ السلطان محمد بن محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

لما رجع من محاصرة بغداد إلى همدان أصابه مرض السل فلم ينجح منه ، بل توفى في ذى الحجة منها ، وقبل وفاته بأيام أمر أن يعرض عليه جميع ما يملكه ويقدر عليه ، وهو جالس في المنظرة ،

فركب الجيش بكامله وأحضرت أمواله كلها ، ومماليسه حتى جواريه وحظاياها ، فجعل يبكي ويقول : هذه المساكر لا يدفعون عني مثقال ذرة من أمر ربي ، ولا يزيدون في عمري لحظة ، ثم ندم وتأسف على ما كان منه إلى الخليفة المقتنى ، وأهل بغداد وحصارهم وأذيتهم ، ثم قال : وهذه الخزائن والأموال والجواهر لو قبلهم ملك الموت مني فداء لجدت بذلك جميعه له ، وهذه الحظايا والجواري الحسان والماليك لو قبلهم فداء مني لكننت بذلك سمحاً له . ثم قال : (ما أغنى عني ماليه هلك عني سلطانيه) ثم فرق شيئاً كثيراً من ذلك من تلك الحواصل والأموال ، وتوفى عن ولد صغير ، واجتمعت المساكر والأمراء على عمه سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان مسجوناً بالواصل فأفرج عنه وانعقدت له السلطنة ، وخطب له على منابر تلك البلاد سوى بغداد والعراق . والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وفاة الخليفة المقتنى بأمر الله .

﴿ أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله ﴾

مرض بالتراقي وقيل بدمل خرج بحلقه ، فمات ليلة الأحد ثاني ربيع الأول منها عن ست وستين سنة ، إلا ثمانية وعشرين يوماً ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى الثرب ، وكانت خلافته أربعاً وعشرين سنة وثلاثة أشهر وستة وعشرين يوماً ، وكان شهياً شجاعاً مقداماً ، يباشر الأمور بنفسه ، ويشاهد الحروب ويبذل الأموال الكثيرة لأصحاب الأخبار ، وهو أول من استبد بالعراق منفرداً عن السلطان ، من أول أيام الديلم إلى أيامه ، وتمكن في الخلافة وحكم على المسكر والأمراء ، وقد وافق أباه في أشياء : من ذلك مرضه بالتراقي ، وموته في ربيع الأول ، وتقدم موت السلطان محمد شاه قبله بثلاثة أشهر ، وكذلك أبوه المستظهر مات قبله السلطان محمود بثلاثة أشهر ، وبعد غرق بغداد بسنة مات أبوه ، وكذلك هذا . قال عفيف الناسخ : رأيت في المنام قائلاً يقول : إذا اجتمعت ثلاث خآآت مات المقتنى - يعني خمساً وخمسين وخمسمائة .

﴿ خلافة المستنجد بالله أبو المظفر يوسف بن المقتنى ﴾

لما توفى أبوه كما ذكرنا بوبيع بالخلافة في صبيحة يوم الأحد ثاني ربيع الأول من هذه السنة ، بايعه أشرف بنى العباس ، ثم الوزير والقضاة والعلماء والأمراء وعمره يومئذ خمس وأربعون سنة ، وكان رجلاً صالحاً ، وكان ولي عهد أبيه من مدة متطاولة ، ثم عمل عزاء أبيه ، ولما ذكر اسمه يوم الجمعة في الخطبة نثرت الدراهم والدنانير على الناس ، وفرح المسلمون به بعد أبيه ، وأقر الوزير ابن هبيرة على منصبه ووعده بذلك إلى الممات ، وعزل قاضي القضاة ابن الدماغاني وولى مكانه أبا جعفر بن عبد الواحد ، وكان شيخاً كبيراً ، له سماع بالحديث ، وباشر الحكم بالكوفة ، ثم توفى في

ذى الحجة منها . وفي شوال من هذه السنة اتفق الأتراك بباب همدان على سليمان شاه ، وخطبوا لأرسلان شاه بن طغرل ، وفيها توفى .

﴿ الفاتر خليفة مصر الفاطمي ﴾

وهو أبو القاسم عيسى بن إسماعيل الظافر ، توفى في صفر منها وعمره يومئذ إحدى عشرة سنة ، ومدة ولايته من ذلك ست سنين وشهران ، وكان مدبر دولته أبو الفارات . ثم قام بعده العاضد آخر خلفائهم ، وهو أبو محمد عبد الله بن يوسف بن الحافظ ، ولم يكن أبوه خليفة ، وكان يومئذ قد ناهز الاحتلام ، فقام بتدبير مملكته الملك الصالح طلائع بن رزيك الوزير ، أخذ له البيعة وزوجه بابنته ، وجعلها بجهاز عظيم يعجز عنه الوصف ، وقد عمرت بعد زوجها العاضد ورأت زوال دولة الفاطميين على يد الملك صلاح الدين بن يوسف ، في سنة أربع وستين كما سيأتي . وفيها كانت وفاة السلطان الكبير صاحب غزنة .

﴿ خسرو شاه بن ملكشاه ﴾

ابن بهرام شاه بن مسعود بن إبراهيم بن محمود بن سبكتكين ، من بيت ملك ورياسة باذخة ، يرثونها كبرا عن كابر ، وكان من سادات الملوك وأحسنهم سيرة ، يحب العلم وأهله ، توفى في رجب منها ، وقام بعده ولده ملكشاه ، فسار إليه علاء الدين الحسين بن الغور فحاصر غزنة فلم يقدر عليها ، ورجع خائباً . وفيها مات .

﴿ ملكشاه بن السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ﴾

السلجوقي بأصبهان مسموماً ، فيقال إن الوزير عون الدين بن هبيرة دس إليه من سقاه إياه والله أعلم . وفيها مات أمير الحاج .

﴿ قيازين عبد الله الأرجواني ﴾

سقط عن فرسه وهو يلعب بالكرة بعيدان الخليفة ، فسال دماغه من أذنه فمات من ساعته ، وقد كان من خيار الأمراء ، فتأسف الناس عليه ، وحضر جنازته خلق كثير ، مات في شعبان منها ، فحج بالناس فيها الأمير برغش مقطع الكوفة . وحج الأمير الكبير شيركوه بن شاذي ، مقدم عساكر الملك نور الدين ، وتصدق بأموال كثيرة . وفيها استعفى القاضي زكي الدين أبو الحسن علي بن محمد ابن يحيى أبو الحسن القرشي من القضاء بدمشق ، فأعفاه نور الدين ، وولى مكانه القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهر زوري ، وكان من خيار القضاة وأكثرهم صدقة ، وله صدقات جارية بعده ، وكان عالماً ، وإليه ينسب الشباك السكالي الذي يجلس فيه الحكام بعد صلاة الجمعة من المشهد الغربي بالجامع الأموي ، والله أعلم .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ الأمير مجاهد الدين ﴾

نزار بن ماهين الكردي ، أحد مقدمي جيش الشام ، قبل نور الدين وبعده ، وقد ناب في مدينة صرخد ، وكان شهماً شجاعاً كثير البر والصدقات ، وهو واقف المدرسة المجاهدية بالقرب من الغورية جوار الخيميين ، وله أيضاً المدرسة المجاهدية داخل باب الفراديس البراني ، وبها قبره . وله السبع المجاهدي داخل باب الزيادة من الجامع بمقصورة الخضر ، توفي بداره في صفر منها ، فحمل إلى الجامع وصلى عليه ثم أعيد إلى مدرسته ودفن بها داخل باب الفراديس ، وتأسف الناس عليه .

﴿ الشيخ عدى بن مسافر ﴾

ابن إسماعيل بن موسى بن مروان بن الحسن بن مروان الهكاري ، شيخ الطائفة المدوية ، أصله من البقاع غربى دمشق ، من قرية بيت نار ، ثم دخل إلى بغداد فاجتمع فيها بالشيخ عبد القادر والشيخ حماد الدباس ، والشيخ عقيل المنبجي ، وأبي الوفا الحلواني ، وأبي النجيب السهروردي وغيرهم ، ثم انفرد عن الناس وتخلّى بجبل هكار وبنى له هناك زاوية واعتقده أهل تلك الناحية اعتقاداً بليغاً ، حتى أن منهم من يغفلوا كثيراً ومنهم من يجعله إلهاً أو شريكاً ، وهذا اعتقاد فاحش يؤدي إلى الخروج من الدين جملة . مات في هذه السنة بزاويته وله سبعون سنة رحمه الله .

﴿ عبد الواحد بن أحمد ﴾

ابن محمد بن حمزة ، أبو جعفر الثقي ، قاضي قضاة بغداد ، ولها بعد أبي الحسن الدامغانى في أول هذه السنة ، وكان قاضياً بالكوفة قبل ذلك ، توفي في ذى الحجة منها وقد ناهز الثمانين ، وولى بعده ابنه جعفر . والفائز صاحب مصر ، وقباز تقدما في الحوادث .

﴿ محمد بن يحيى ﴾

ابن علي بن مسلم أبو عبد الله الزبيدي ، ولد بمدينة زبيد باليمن سنة ثمانين تقريباً ، وقدم بغداد سنة تسع وخمسمائة ، فودع وكانت له معرفة بالنحو والأدب ، وكان صبوراً على الفقر لا يشكو حاله إلى أحد ، وكانت له أحوال صالحة رحمه الله ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها قتل السلطان سليمان شاه بن محمد بن ملكشاه ، وكان عنده استمراء وقلة مبالاة بالدين ، مدمن شرب الخمر في رمضان ، فثار عليه مدبر مملكته يزديار الخادم فقتله ، وباع بعده السلطان أرسلان شاه بن طغرل بن محمد بن ملكشاه . وفيها قتل الملك الصالح فارس الدين أبو الغارات طلائع ابن رزيك الأرميني ، وزير العاضد صاحب مصر ، ووالد زوجته ، وكان قد حجر على العاضد لصغره واستحوذ على الأمور والحاشية ، ووزر بعده ولده رزيك ، ولقب بالعاذل ، وقد كان أبوه الصالح

كريمًا أديبًا ، يحب أهل العلم ويحسن إليهم ، كان من خيار الملوك والوزراء ، وقد امتدحه غير واحد من الشعراء . قال ابن خلكان : كان أولًا متوليًا بمنية بنى الخصيب ، ثم آل به الحال إلى أن صار وزير العاضد والغائر قبله ، ثم قام في الوزارة بعده ولده العادل رزيك بن طلائع ، فلم يزل فيها حتى انتزعها منه شاور كما سيأتي . قال : والصالح هذا هو بانى الجامع عند باب زويلة ظاهر القاهرة ، قال : ومن المعجائب أنه ولى الوزارة في تاسع عشر شهر ونقل من دار الوزارة إلى القرافة في تاسع عشر شهر ، وزالت دولتهم في تاسع عشر شهر آخر . قال ومن شعره ما رواه عنه زين الدين على بن نجبا الخنبلى

مشبك قد محى صنع الشباب * وحل الباز في وكر الغراب
تنام ومقلة الحدنان يقطى * وما ناب النوائب عنك ناب
وكيف نفاد عمرك وهو كنز * وقد أنفقت منه بلا حساب
وله كم ذا يرينا الدهر من أحداثه * عبراً وفينا الصد والاعراض
نفسى المات وليس يجرى ذكره * فينا فتذكرنا به الأمراض
ومن شعره أيضاً قوله :

أبى الله إلا أن يدوم لنا الدهر * ويخدمنا فى ملكنا العز والنصر
علمنا بأن المال تفتى ألوفه * ويبقى لنا من بعده الأجر والذكر
خاطنا الندى بالأس حتى كأننا * سحاب لديه البرق والرعد والقطر
وله أيضاً وهو مما نظمه قبل موته بثلاث ليال :

[نحن فى غفلة ونوم ولبو * ت عيون يقظانة لا تنام]

قد رحلنا إلى الحمام سفينا * ليت شعري متى يكون الحمام ؟

ثم قتله غلمان العاضد فى النهار غيلة وله إحدى وستون سنة ، وخلف على ولده العادل بالوزارة ورثاه عمارة النيمى بقصائد حسان ، ولما نقل إلى تربته بالقرافة سار العاضد معه حتى وصل إلى قبره فدفنه فى التابوت . قال ابن خلكان : فعمل الفقيه عمارة فى التابوت قصيدة فجار فيها فى قوله :

وكانه تابوت موسى أودعت * فى جانيه سكينه ووقار

وفىها كانت وقعة عظيمة بين بنى خفاجة وأهل الكوفة ، فقتلوا من أهل الكوفة خلقاً ، منهم الأمير قيصر وجرحوا أمير الحاج برغش جراحات ، فنبض إليهم وزير الخلافة عون الدين بن هبيرة ، فتبعهم حتى أوغل خلفهم فى البرية فى جيش كثيف ، فبعثوا يطلبون العفو . وفىها ولى مكة الشريف عيسى بن قاسم بن أبى هاشم ، وقيل قاسم ، بن أبى فليسة بن قاسم بن أبى هاشم . وفىها أمر الخليفة بإزالة الدكاكين التى تضيق الطرقات ، وأن لا يجلس أحد من الباعة فى عرض الطريق ،

لثلا يضر ذلك بالمارة . وفيها وقع رخص عظيم ببغداد جدا . وفيها فتحت المدرسة التي بناها ابن السجحل في المأمونية ودرس فيها أبو حكيم إبراهيم بن دينار النيرواني الحنبلي ، وقد توفى من آخر هذه السنة ، ودرس بعده فيها أبو الفرج ابن الجوزي ، وقد كان عنده معيدا ، ونزل عن تدريس آخر بباب الأزج عند موته .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ حمزة بن علي بن طلحة ﴾

أبو الفتوح الحاجب ، كان خصيصاً عند المسترشد والمقتفي ، وقد بنى مدرسة إلى جانب داره ، وحج فرجع منزها ولزم بيته معظماً نحواً من عشرين سنة ، وقد امتدحه الشعراء فقال فيه بعضهم :

يا عضد الاسلام يا من سمت * إلى العلا همته الفاخرة

كانت لك الدنيا فلم ترضها * ملكاً فأخلدت إلى الآخرة

﴿ ثم دخلت سنة سبع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها دخلت الكرج بلاد المسلمين فقتلوا خلقاً من الرجال وأسروا من الذراري ، فاجتمع ملوك تلك الناحية : ايلدكز صاحب أذربيجان وابن سجان صاحب خلاط ، وابن آقسنقر صاحب مراغة ، وساروا إلى بلادهم في السنة الآتية فتهبوا ، وأسروا ذراريهم ، والتقوا معهم فكسروهم كسرة فظيمة منكسة ، مكثوا يقتلون فيهم ويأسرون ثلاثة أيام . وفي رجب أعيد يوسف الدمشقي إلى تدريس النظامية بعد عزل ابن نظام الملك بسبب أن امرأة ادعت أنه تزوجها فأنكر ثم اعترف ، فعزل عن التدريس . وفيها كملت المدرسة التي بناها الوزير ابن هبيرة بباب البصرة ، ورتب فيها مدرسا وفقها ، وحج بالناس أمير الكوفة برغش .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ شجاع شيخ الحنفية ﴾

ودفن عند المشهد ، وكان شيخ الحنفية بمشهد أبي حنيفة ، وكان جيد الكلام في النظر ، أخذ عنه الحنفية . ﴿ صدقة بن وزير الواعظ ﴾

دخل بغداد ووعظ بها وأظهر تقشفاً ، وكان يعيل إلى التشيع وعلم الكلام ، ومع هذا كله راج عند العوام وبعض الأمراء ، وحصل له فتوح كثير ، ابتنى منه رباطا ودفن فيه ساعه الله تعالى .

﴿ زمرد خاتون ﴾

بنت جاولي أخت الملك دقنق بن تقيش لأمه ، وهي بانية الخاتونية ظاهر دمشق عند قرية صنعاء بمكان يقال له تل الثعالب ، غربي دمشق ، على جانب الشرق القبلي بصنعاء الشام ، وهي قرية معروفة قديماً ، وأوقفها على الشيخ برهان الدين علي بن محمد البالخي الحنفي المتقدم ذكره ، وكانت زوجة الملك بوري بن طغتكين ، فولدت له ابنيته شمس الملوك إسماعيل المذكور ، وقد ملك بعد

أبيه وسار سيرته ، ومالاً الفرنج على المسلمين وهم بتسليم البلد والأموال إليهم قتلوه ، وتملك أخوه وذلك بعد مراجعتها ومساعدتها ، وقد كانت قرأت القرآن ، وسمعت الحديث ، وكانت حنفية المذهب تحب العلماء والصالحين ، وقد تزوجها الاتابكي زندي صاحب حلب طمعاً في أن يأخذ بسببها دمشق فلم يظفر بذلك ، بل ذهبت إليه إلى حلب ثم عادت إلى دمشق بعد وفاته ، وقد دخلت بغداد وسارت من هناك إلى الحجاز ، وجاورت بمكة سنة ، ثم جاءت فأقامت بالمدينة النبوية حتى ماتت بها ودفنت بالبقيع في هذه السنة ، وقد كانت كثيرة البر والصدقات والصلاة والصوم ، قال السبط ولم تمت حتى قل ما بيدها ، وكانت تغربل القمح والشعير وتتقوت بأجرته ، وهذا من تمام الخير والسعادة وحسن الخاتمة رحمها الله تعالى ، والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها مات صاحب المغرب عبد المؤمن بن علي التومرتي ، وخلفه في الملك من بعده ابنه يوسف وحمل أباه إلى مرا كش على صفة أنه مريض ، فلما وصلها أظهر موته فعزاه الناس وبايعوه على الملك من بعد أبيه ، ولقبوه أمير المؤمنين ، وقد كان عبد المؤمن هذا حازماً شجاعاً ، جواداً معظم الشريعة ، وكان من لا يحافظ على الصلوات في زمانه يقتل ، وكان إذا أذن المؤذن وقبل الأذان يزدحم الخلق في المساجد ، وكان حسن الصلاة ذا طمأنينة فيها ، كثير الخشوع ، ولكن كان سفاكاً للدماء ، حتى على الذنب الصغير ، فأمره إلى الله يحكم فيه بما يشاء . وفيها قتل سيف الدين محمد بن علاء الدين الغزي ، قتله الغز ، وكان عادلاً . وفيها كبست الفرنج نور الدين وجيشه فانهزم المسلمون لا يلوى أحد على أحد ، ونهض الملك نور الدين فركب فرسه والشبحة في رجله فتزل رجل كردى فقطعها فसार نور الدين فنجاً ، وأدركت الفرنج ذلك الكردى فقتلوه رحمه الله ، فأحسن نور الدين إلى ذريته ، وكان لا ينسى ذلك له . وفيها أمر الخليفة بأجلاء بني أسد عن الحلة وقتل من تخلف منهم ، وذلك لافسادهم ومكاتبهم السلطان محمد شاه ، ونحر يرضهم له على حصار بغداد ، فقتل من بني أسد أربعة آلاف ، وخرج الباقون منها ، وتسلم نواب الخليفة الحلة . وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير . وعن توفي فيها من الأعيان السلطان الكبير .

﴿ أبو محمد عبد المؤمن بن علي ﴾

القيسي الكوفي تلميذ ابن التومرت ، كان أبوه يعمل في الطين فاعلاً ، فحين وقع نظر ابن التومرت عليه أحبه وانفرد فيه أنه شجاع سعيد ، فاستصحبه فعظم شأنه ، والتفت عليه العساكر التي جمعها ابن التومرت من المصامدة وغيرهم ، وحاربوا صاحب مرا كش على بن يوسف بن تاشفين ، ملك المسلمين ، واستحوذ عبد المؤمن على وهران وتلمسان وفاس وسلا وسبته ، ثم حاصر مرا كش أحد

عشر شهراً فافتتحها في سنة ثنتين وأربعين وخمسمائة ، وتمهدت له الممالك هنالك ، وصفا له الوقت وكان عاقلاً وقوراً شكلاً حسناً محباً للخير ، توفي في هذه السنة ومكث في الملك ثلاثاً وثلاثين سنة ، وكان يسمى نفسه أمير المؤمنين رحمه الله .

﴿ طلحة بن علي ﴾

ابن طراد ، أبو أحمد الزينبي ، قتيب النقباء ، مات فجأة وولى النقباء بعده ولده أبو الحسن علي وكان أمرد فعزل وصودر في هذه السنة .

﴿ محمد بن عبد الكريم ﴾

ابن إبراهيم ، أبو عبد الله المعروف بابن الأنباري كاتب الانشاء ببغداد ، كان شيخاً حسناً ظريفاً وانفرد بصناعة الانشاء ، وبعث رسولا إلى الملك سنجر وغيره ، وخدم الملوك والخلفاء ، وقارب التسعين . ومن شعره في محبي الدنيا والصور :

يا من هجرت ولا تبالي * هل ترجع دولة الوصال
هل اطمع يا عذاب قلبي * أن ينعم في هواك بلى
ما ضرك أن تعلميني * في الوصل بموعده الحال
أهواك وأنت حظ غيري * يا قاتلتني فما احتيالي
أيام عنائي قبل سود * ما أشبهن بالليالي
العذل فيك يعذلوني * عن حبك ما لهم ومالي
يا ملزمني السلو عنها * الصب أنا وأنت سالي
والقول بتركها صواب * ما أحسنه لو استوى لي
طلقت تجملي ثلاثاً * والصبوة بعد في خيالي

﴿ ثم دخلت سنة تسع وخمسين وخمسمائة ﴾

فيها قدم شاور بن مجير الدين أبو شجاع السعدي الملقب بأمر الجيوش ، وهو إذ ذاك وزير الديار المصرية بعد آل رزيك ، لما قتل الناصر رزيك بن طلائع ، وقام في الوزارة بعده ، واستفحل أمره فيها ، ثار عليه أمير يقال له الضرغام بن سوار ، وجمع له جموعاً كثيرة ، واستظهر عليه وقتل ولديه طيباً وسليمان ، وأسر الثالث وهو الكامل بن شاور ، فسجنه ولم يقتله ، ليد كانت لأبيه عنده ، واستوزر ضرغام ولقب بالمنصور ، فخرج شاور من الديار المصرية هارباً من العاصد ومن ضرغام ، ملتجئاً إلى نور الدين محمود ، وهو نازل بجوسق الميدان الأخضر ، فأحسن ضيافته وأنزله بالجوسق المذكور ، وطلب شاور منه عسكرياً ليكونوا معه ليفتح بهم الديار المصرية ، وليكون لنور الدين

ثالث مغلها ، فأرسل معه جيشا عليه أسد الدين شيركوه بن شادى ، فلما دخلوا بلاد مصر خرج إليهم الجيش الذين بها فاقتتلوا أشد القتال ، فهزمهم أسد الدين وقتل منهم خلقا ، وقتل ضرغام بن سوار وطيف برأسه فى البلاد ، واستقر أمر شاور فى الوزارة ، وتمهد حاله ، ثم اصطالح العاضد وشاور على أسد الدين ، ورجع عما كان عاهد عليه نور الدين ، وأمر أسد الدين بالرجوع فلم يقبل منه ، وعاث فى البلاد ، وأخذ أموالا كثيرة ، وافتتح بلدانا كثيرة من الشرقية وغيرها ، فاستغاث شاور عليهم بملك الفرنج الذى بمسقلان ، واسمه مرى ، فأقبل فى خاق كثير فتحول أسد الدين إلى بلبيس وقد حصنها وشحنها بالمدد والآلات وغير ذلك ، فحصره فيها ثمانية أشهر ، وامتنع أسد الدين وأصحابه أشد الامتناع ، فبينما هم على ذلك إذ جاءت الأخبار بأن الملك نور الدين قد اغتتم غيبة الفرنج فسار إلى بلادهم فقتل منهم م خلقا كثيرا ، وفتح حارم وقتل من الفرنج بها خلقا ، وسار إلى بانياس ، فصف صاحب عسقلان الفرنجى ، وطلبوا من أسد الدين الصلح فأجابهم إلى ذلك ، وقبض من شاور ستين ألف دينار ، وخرج أسد الدين وجيشه فساروا إلى الشام فى ذى الحجة .

﴿ وقعة حارم ﴾

فتحت فى رمضان من هذه السنة ، وذلك أن نور الدين استغاث بمساكر المسلمين فجاءه من كل فج ليأخذ ثاره من الفرنج ، فالتقى معهم على حارم فكسروهم كسرة فظيمة ، وأمر البرنس بيميند صاحب إنطاكية ، والقوص صاحب طرابلس ، والدوك صاحب الروم ، وابن جوسليق ، وقتل منهم عشرة آلاف ، وقيل عشرين ألفا . وفى ذى الحجة منها فتح نور الدين مدينة بانياس ، وقيل إنه إنما فتحها فى سنة ستين فإله أعلم . وكان معه أخوه نصر الدين أمير أميران ، فأصابه سهم فى إحدى عينيه فأذهبها ، فقال له الملك نور الدين : لو نظرت لما أعد الله لك من الأجر فى الآخرة لأحببت أن تذهب الأخرى . وقال لابن ميين الدين : إنه اليوم بردت جلدة والدك من نار جهنم ، لأنه كان سدا للفرنج ، فصالحه عن دمشق . وفى شهر ذى الحجة احترق قصر جبرون حريقا عظيما ، فحضر فى تلك الليلة الأمراء منهم أسد الدين شيركوه ، بعد رجوعه من مصر ، وسعى سعيًا عظيما فى إطفاء هذه النار وصون حوزة الجامع منها .

﴿ جمال الدين ﴾ . ومن توفى فيها من الأعيان .

وزير صاحب الموصل ، قطب الدين مودود بن زنكى ، كان كثير المعروف ، واسمه محمد بن على ابن أبى منصور ، أبو جعفر الأصهبانى ، الملقب بالجمال ، كان كثير الصدقة والبر ، وقد أثر آثارا حسنة بمكة والمدينة ، من ذلك أنه ساق عينا إلى عرفات ، وعمل هناك مصانع ، وبنى مسجد الخليف ودرجه ، وعملها بالرخام ، وبنى على المدينة النبوية سوراً ، وبنى جسراً على دجلة عند جزيرة ابن

عمر بالحجر المنحوت ، والحديد والرصاص ، وبنى الربط الكثيرة ، وكان يتصدق في كل يوم في بابه بمائة دينار ، ويفتدى من الأسارى في كل سنة بعشرة آلاف دينار ، وكان لا تزال صدقاته وافدة إلى الفقهاء والعقراء ، حيث كانوا من بغداد وغيرها من البلاد ، وقد حبس في سنة ثمان وخمسين ، فذكر ابن الساعي في تاريخه عن شخص كان معه في السجن أنه نزل إليه طائر أبيض قبل موته فلم يزل عنده وهو يذكر الله حتى توفي في شعبان من هذه السنة ، ثم طار عنه ودفن في رباط بناه لنفسه بالموصل ، وقد كان بينه وبين أسد الدين شيركوه بن شادى مواخاة وعهد أبهما مات قبل الآخر أن يحمله إلى المدينة النبوية ، فحمل إليها من الموصل على أعناق الرجال ، فمروا به على بلدة الإصلاوة عليه وترحموا عليه ، وأثنوا خيرا ، فصلوا عليه بالموصل وتكررت وبغداد والحلة والكوفة وفيدو مكة وطيف به حول الكعبة ، ثم حمل إلى المدينة النبوية فدفن بها في رباط بناه شرق مسجد النبي ﷺ قال ابن الجوزى وابن الساعي : ليس بينه وبين حرم النبي ﷺ وقبره سوى خمسة عشر ذراعا . قال ابن الساعي : ولما صلى عليه بالحلة صعد شاب نشرا فأنشد :

سرى نعشه على الرقاب وطالما * سرى جوده فوق الركاب ونائله

يمر على الوادى فتثنى رماله * عليه وبالننادى فتثنى أرامله

ومن توفى بعد الحسين * ابن الخازن الكاتب *

أحمد بن محمد بن الفضل بن عبد الخالق أبو الفضل المعروف بابن الخازن الكاتب البغدادي الشاعر . كان يكتب جيدا فائقا ، اعتنى بكتابة الخطات ، وأكثر ابنه نصر الله من كتابة المقامات ، وجمع لابنه ديوان شعر أورد منه ابن خلكان قطعة كبيرة .

* ثم دخلت سنة ستين وخمسمائة *

في صفر منها وقعت بأصبهان فتنة عظيمة بين الفقهاء بسبب المذاهب دامت أياما ، وقتل فيها خاق كثير . وفيها كان حريق عظيم ببغداد فاحترقت محال كثيرة جدا ، وذكر ابن الجوزى أن في هذه السنة ولدت امرأة ببغداد أربع بنات في بطن واحد ، وحج بالناس فيها الأمير برغش الكبير ومن توفى فيها من الأعيان * (عمر بن بهليقا)

الطحان الذي جدد جامع العقبة ببغداد ، واستأذن الخليفة في إقامة الجمعة فيه ، فأذن له في ذلك ، وكان قد اشترى ما حوله من القبور فأضاف ذلك إليه ، ونش الموقى منها ، فقبض الله له من نبشه من قبره بعد دفنه ، جزاء وفاقا .

* محمد بن عبد الله بن العباس بن عبد الحميد *

أبو عبد الله الحراني ، كان آخر من بقي من الشهود المقبولين عند أبي الحسن الدامغانى ، وقد

سمع الحديث ، وكان لطيفاً ظريفاً ، جمع كتاباً سماه روضة الأدياء ، فيها تتف حسة . قال ابن الجوزى زرتة يوماً فأطلت الجلوس عنده فقلت : أقوم فقد ثقلت ، فأنشدنى :

لئن سئمت إبراما وثقلا * زيارات رفعت بهن قدرى
فما أبرمت إلا حبل ودى * ولا ثقلت إلا ظهر شكرى
﴿مرجان الخادم﴾

كان يقرأ القراءات ، وتفقه لمذهب الشافعى ، وكان يتعصب على الحنابلة ويكرههم ، ويمادى الوزير ابن هبيرة وابن الجوزى معاداة شديدة ، ويقول لابن الجوزى : مقصودى قلع مذهبكم ، وقطع ذكركم . ولما توفى ابن هبيرة فى هذه السنة قوى على بن الجوزى وخافه ابن الجوزى ، فلما توفى فى هذه السنة فرح ابن الجوزى فرحاً شديداً ، توفى [فى ذى القعدة منها .

﴿ابن التلميذ﴾

الطبيب الحاذق الماهر ، اسمه هبة الله بن صاعد توفى [عن خمس وتسعين سنة ، وكان موسعاً عليه فى الدنيا ، وله عند الناس وجاهة كبيرة ، وقد توفى قبجه الله على دينه ، ودفن بالبيعة العتيقة ، لا رحمه الله إن كان مات نصرانياً ، فانه كان يزعم أنه مسلم ، ثم مات على دينه .

﴿الوزير ابن هبيرة﴾

بجى بن محمد بن هبيرة ، أبو المظفر الوزير للخلافة عون الدين ، مصنف كتاب الافصاح ، وقد قرأ القرآن وسمع الحديث ، وكانت له معرفة جيدة بالنحو واللغة والعروض ، وتفقه على مذهب الامام أحمد ، وصنف كتاباً جيداً مفيداً ، من ذلك الافصاح فى مجلدات ، شرح فيه الحديث وتكلم على مذاهب العلماء ، وكان على مذهب السلف فى الاعتقاد ، وقد كان فقيراً لآمال له ، ثم تعرض للخدمة إلى أن وُزر المقتنى ثم لابنه المستنجد ، وكان من خيار الوزراء وأحسنهم سيرة ، وأبعدهم عن الظلم ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان المقتنى يقول ما وُزر لبني العباس مثله ، وكذلك ابنه المستنجد ، وكان المستنجد معجباً به ، قال مرجان الخادم سمعت أمير المؤمنين المستنجد ينشد لابن هبيرة وهو بين يديه من شعره .

صفت نعمتان خصتاك وعمتا * فذكرهما حق القيامة يذكر
وجودك والدنيا إليك فقيرة * وجودك والمعروف فى الناس ينكر
فلو رام يا بجى مكانك جعفر * وبجى لكفا عنه بجى وجعفر
ولم أر من ينوى لك السوء أباً * المظفر إلا كنت أنت المظفر

وقد كان يبالغ فى إقامة الدولة العباسية ، وحسم مادة الملوك السلجوقية عنهم بكل ممكن ،

حتى استقرت الخلافة في العراق كله ، ليس للملوك معهم حكم بالكلية والله الحمد . وكان يعقد في داره للعلماء مجلساً للمناظرة يبحثون فيه وينظرون عنده ، يستفيدون منه ويستفيدون منه ، فانفق يوماً أنه كلم رجلاً من الفقهاء كلمة فيها بشاعة قال له : يا حمار ، ثم ندم فقال : أريد أن تقول لي كما قلت لك ، فامتنع ذلك الرجل ، فصالحه على مائتي دينار . مات فجأة ، ويقال إنه سمه طبيب فسم ذلك الطبيب بعد ستة أشهر ، وكان الطبيب يقول سممته فسممت . مات يوم الأحد الثاني عشر من جمادى الأولى من هذه السنة ، عن إحدى وستين سنة ، وغسله ابن الجوزي ، وحضر جنازته خلق كثير وجم غفير جدا ، وغلقت الأسواق ، وتباكى الناس عليه ، ودفن بالمدرسة التي أنشأها بباب البصرة رحمه الله . وقد رثاه الشعراء بمرثي كثيرة .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وستين وخمسمائة ﴾

فيها فتح نور الدين محمود حصن المنيطرة [من الشام] وقتل عنده خلق كثير من الفرنج ، وغنم أموالاً جزيلة . وفيها هرب عز الدين بن الوزير ابن هبيرة من السجن ، ومعه مملوك تركي ، فنودي عليه في البلد من رده فله مائة دينار ، ومن وجد عنده هدمت داره وصلب على بابها ، وذبحت أولاده بين يديه ، فدلهم رجل من الأعراب عليه فأخذ من بستان فضرب ضرباً شديداً وأعيد إلى السجن وضيق عليه . وفيها أظهر الروافض سب الصحابة وتظاهر بأشياء منكورة ، ولم يكونوا يتمكنون منها في هذه الأعصار المتقدمة ، خوفاً من ابن هبيرة ، ووقع بين العوام كلام فيما يتعلق بخاق القرآن . وحج بالناس برغش .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ الحسن بن العباس ﴾

ابن أبي الطيب بن رستم ، أبو عبد الله الأصهباني ، كان من كبار الصالحين البكائين ، قال : حضرت يوماً مجلساً ماشداً وهو يتكلم على الناس فرأيت رب العزة في هذه الليلة وهو يقول لي : وقفت على مبتدع وسمعت كلامه ؟ لأحر منك النظر في الدنيا ، فأصبح لا يبصر وعيناه مفتوحتان

كانه بصير ﴿ عبد العزيز بن الحسن ﴾

ابن الحباب الأغلب السعدي القاضي ، أبو المعالي البصري ، المعروف بابن الجليس ، لأنه كان يجالس صاحب مصر ، وقد ذكره العماد في الجريدة ، وقال : كان له فضل مشهور وشعر مأنور فن ذلك قوله :

ومن عجب أن السيوف لديهم * تبيض دماً والسيوف ذكور
وأعجب من ذا أنها في أكفهم * تأجج ناراً والأكف بحور

﴿ الشيخ عبد القادر الجيلي ﴾

ابن أبي صالح أبو محمد الجيلي ، ولد سنة سبعين وأربعمائة ، ودخل بغداد فسمع الحديث وتفقه على أبي سعيد الخرمي الحنبلي ، وقد كان بنى مدرسة ففوضها إلى الشيخ عبد القادر ، فكان يتكلم على الناس بها ، ويعظمهم ، وانتفع به الناس انتفاعاً كثيراً ، وكان له شمت حسن ، وصمت غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وكان فيه تزهّد كثير وله أحوال صالحة ومكاشفات ، ولأتباعه وأصحابه فيه مقالات ، ويذكرون عنه أقوالاً وأفعالا ومكاشفات أكثرها مغالاة ، وقد كان صالحاً ورعاً ، وقد صنف كتاب الغنية وفتوح الغيب ، وفيهما أشياء حسنة ، وذكر فيهما أحاديث ضعيفة وموضوعة ، وبالجملة كان من سادات المشايخ ، [توفي] وله تسعون سنة ودفن بالمدرسة التي كانت له .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وستين وخمسة ﴾

فيها أقبأت الفرنج في جحافل كثيرة إلى الديار المصرية ، وساعدهم المصريون فتصرفوا في بعض البلاد ، فبلغ ذلك أسد الدين شيركوه فاستأذن الملك نور الدين في العود إليها ، وكان كثير الحنق على الوزير شاور ، فأذن له فسار إليها في ربيع الآخر ومعه ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب وقد وقع في النفوس أنه سيملك الديار المصرية ، وفي ذلك يقول عرقلة المسمى بحسان الشاعر :

والأتراك قد أزمعت * مصر إلى حرب الأعارب
رب كما ملكها يوسف * الصديق من أولاد يعقوب
فملكها في عصرنا يوسف * الصادق من أولاد أيوب
من لم يزل ضراب هام العدا * حقا وضراب العراقيب

ولما بلغ الوزير شاور قدوم أسد الدين والجيش معه بعث إلى الفرنج فجاءوا من كل فج إليه ، وبلغ أسد الدين ذلك من شأنهم ، وإنما معه ألفا فارس ، فاستشار من معه من الأمراء فكلهم أشار عليه بالرجوع إلى نور الدين ، لكثرة الفرنج ، إلا أميراً واحداً يقال له شرف الدين برغش ، فانه قال : من خاف القتل والأسر فليقعد في بيته عند زوجته ، ومن أكل أموال الناس فلا يسلم بلادهم إلى العدو ، وقال مثل ذلك ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، فعزم الله لهم فساروا نحو الفرنج فاقتتلوا هم وإياهم قتالاً عظيماً ، فقتلوا من الفرنج مقتلة عظيمة ، وهزموهم ، ثم قتلوا منهم خلقاً لا يعلمهم إلا الله عز وجل ، والله الحمد .

﴿ فتح الاسكندرية على يد أسد الدين شيركوه ﴾

ثم أشار أسد الدين بالمسير [إلى الاسكندرية] فملكها وجبى أموالها ، واستناب عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف وعاد إلى الصعيد فملكه ، وجع منه أموالاً جزيلة جداً ، ثم إن الفرنج

والمصريين اجتمعوا على حصار الاسكندرية ثلاثة أشهر لينتزعوها من يد صلاح الدين ، وذلك في غيبة عمه في الصعيد ، وامتنع فيها صلاح الدين أشد الامتناع ، ولكن ضاقت عليهم الأقوات وضاق عليهم الحال جداً ، فسار إليهم أسد الدين فصالحه شاور الوزير عن الاسكندرية بخمسين ألف دينار ، فأجابته إلى ذلك ، وخرج صلاح الدين منها وسلمها إلى المصريين ، وعاد إلى الشام في منتصف شوال ، وقرر شاور للفرنج على مصر في كل سنة مائة ألف دينار ، وأن يكون لهم شحنة بالقاهرة ، وعادوا إلى بلادهم بعد أن كان الملك نور الدين أعقبهم في بلادهم ، وفتح من بلادهم حصونا كثيرة ، وقتل منهم خلقا من الرجال ، وأسر جمعا غفيرا من النساء والأطفال ، وغنم شيئا كثيرا من الأمتعة والأموال والله الحمد . وكان معه أخوه قطب الدين مودود فأطلق له الرقة فسار فقتلها . وفيها في شعبان منها كان قدوم العماد الكاتب من بغداد إلى دمشق ، وهو أبو حامد محمد بن محمد الأصبهاني ، صاحب الفتح القدسي ، والبرق الشامي ، والجريدة ، وغير ذلك من المصنفات ، فأنزله قاضي القضاة كال الدين الشهر زوري بالمدرسة النورية الشافعية داخل باب الفرج ، فنسبت إليه اسكناء بها ، فيقال لها العمادية ، ثم ولى تدريسها في سنة سبع وستين بعد الشيخ الفقيه ابن عبيد ^(١) وأول من جاء للسلام عليه نجم الدين أيوب كانت له وبه معرفة من تكريت ، فامتدحه العماد بقصيدة ذكرها أبو شامة ، وكان أسد الدين وصلاح الدين بمصر فبشره فيها بولاية صلاح الدين الديار المصرية حيث

يقول : ويستقر بمصر يوسف وبه * تقر بعد التناهي عين يعقوب

ويلتقي يوسف بها باخوته * والله يجمعهم من غير تئريب

ثم تولى عماد الدين كتابة الانشاء للملك نور الدين محمود .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ برغش أمير الحاج سنين متعددة ﴾

كان مقدما على العساكر ، خرج من بغداد لقتال شملة التركاني فسقط عن فرسه فمات .

﴿ أبو المعالي الكاتب ﴾

محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون ، صاحب التذكرة الحمدونية ، وقد ولى ديوان الزمام مدة ، توفي في ذي القعدة ودفن بمقابر قریش .

﴿ الرشيد الصديقي ﴾

كان يجلس بين يدي العبادي على الكرسي ، كانت له شبيبة وممت ووقار ، وكان يدمن حضور السماع ، ويرقص ، فاتفق أنه مات وهو يرقص في بعض السماع .

(١) بياض بنسخة الاستانة ولم يكن بالمصرية بياض .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وستين وخمسمائة ﴾

في صفر منها وصل شرف الدين أبو جعفر بن البلدي من واسط إلى بغداد ، فخرج الجيش لتلقيه والنقيبان والقاضي ، ومشى الناس بين يديه إلى الديوان فجلس في دست الوزارة ، وقرئ عهده ولقب بالوزير شرف الدين جلال الاسلام معز الدولة سيد الوزراء صدر الشرق والغرب . وفيها أفسدت خفاجة في البلاد ونهبوا القرى ، فخرج إليهم جيش من بغداد فهربوا في البراري فانحسر الجيش عنهم خوفاً من العطش ، فكروا على الجيش فقتلوا منهم خلقاً وأسروا آخرين ، وكان قد أسر الجيش منهم خلقاً فصلبوا على الأسوار . وفي شوال منها وصلت امرأة الملك نور الدين محمود ابن زنكي إلى بغداد تريد الحج من هناك ، وهي الست عصمت الدين خاتون بنت معين الدين ، ومعها الخدم والخدام ، وفيهم صندل الخدام ، وحملت لها الامامات وأكرمت غاية الاكرام . وفيها مات قاضي قضاة بغداد جعفر ، فشغل البلد عن حاكم ثلاثاً وعشرين يوماً ، حتى ألزموا روح بن الحدثنى قاضي القضاة في رابع رجب .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ جعفر بن عبد الواحد ﴾

أبو البركات النقي ، قاضي قضاة بغداد بعد أبيه ، ولد سنة تسع وعشرين وخمسمائة ، وسبب وفاته أنه طلب منه مال وكلمه الوزير ابن البلدي كلاماً خشناً يخاف فرمى الدم ومات .

﴿ أبو سعد السمعاني ﴾

عبد الكريم بن محمد بن منصور ، أبو سعد السمعاني ، رحل إلى بغداد فسمع بها وذيل على تاريخها للخطيب البغدادي ، وقد ناقشه ابن الجوزي في المنتظم ، وذكر عنه أنه كان يتعصب على أهل مذهبه ، ويطن في جماعة منهم ، وأنه يترجم بعبارة عامية ، مثل قوله عن بعض الشيوخ أنها كانت عفيفة . وعن الشاعر المشهور بحبص حبص إنه كانت له أخت يقال لها دخل خرج ، وغير ذلك .

﴿ عبد القاهر بن محمد ﴾

ابن عبد الله أبو النجيب السهروردي ، كان يذكر أنه من سلالة أبي بكر الصديق رضي الله عنه سمع الحديث وتفقه وأفتى ودرس بالنظامية وابتقى لنفسه مدرسة ورباطاً ، وكان مع ذلك متصوفاً يعظ الناس ، ودفن بمدرسته .

﴿ محمد بن عبد الحميد ﴾

ابن أبي الحسين أبو الفتح الرازي ، المعروف بالعلاء العالم ، وهو من أهل ممرقند ، وكان من الفحول في المناظرة ، وله طريقة في الخلاف والجدل ، يقال لها التعليقة العالمية . قال ابن الجوزي وقد قدم بغداد وحضر مجلسي ، وقال أبو سعد السمعاني : كان يدمن شرب الخمر . قال وكان يقول ليس في الدنيا أطيب من كتاب المناظرة وباطية من خمر أشرب منها . قال ابن الجوزي : ثم بلغني عنه

أنه أقلع عن شرب الخمر والمناظرة وأقبل على الفسك والخير .

﴿ يوسف بن عبد الله ﴾

ابن بندار الدمشقي ، مدرس النظامية ببغداد ، تفقه على أسعد الميهني ، وبرع في المناظرة وكان يتعصب للأشعرية ، وقد بعث رسولا في هذه السنة إلى شملة التركاني فمات في تلك البلاد .

﴿ ثم دخلت سنة أربع وستين وخمسة ﴾

فيها كان فتح مصر على يدي الأمير أسد الدين شيركوه وفيها طفت الفرنج بالديار المصرية ، وذلك أنهم جعلوا شاور شعنة لهم بها ، وتحكموا في أموالها ومساكنها أفواجا أفواجا ، ولم يبق شيء من أن يستحوذوا عليها ويخرجوا منها أهلها من المسلمين ، وقد سكنها أكثر شجعانهم ، فلما سمع الفرنج بذلك جاؤا إليها من كل فج وناحية محبة ملك عسقلان في جحافل هائلة ، فأول ما أخذوا مدينة بلبيس وقتلوا من أهلها خلقا وأسروا آخرين ، ونزلوا بها وتركوا بها أثقالهم ، وجعلوها موثلا ومعقلا لهم ، ثم ساروا ففزلوا على القاهرة من ناحية باب البرقية ، فأمر الوزير شاور الناس أن يهرقوا مصر ، وأن ينتقل الناس منها إلى القاهرة ، فتهبوا البلد وذهب للناس أموال كثيرة جدا ، وبقيت النار تعمل في مصر أربعة وخمسين يوما ، فعند ذلك أرسل صاحبها العاضد يستغيث بنور الدين ، وبعث إليه بشعور نسائه يقول أدركني واستنقذ نسائي من أيدي الفرنج ، والنزم له بثلاث خراج مصر على أن يكون أسد الدين مقيا بها عندهم ، والتزم له بأقطاعات زائدة على الثلث ، فشرع نور الدين في تجهيز الجيوش إلى مصر ، فلما استشعر الوزير شاور بوصول المسلمين أرسل إلى ملك الفرنج يقول قد عرفت محبتي ومودتي لكم ، ولكن العاضد والمسلمين لا يوافقوني على تسليم البلد ، وصالحهم ليرجعوا عن البلد بألف ألف دينار ، وعجل لهم من ذلك ثمانمائة ألف دينار ، فانشمروا راجعين إلى بلادهم خوفا من عساكر نور الدين ، وطمعاني العودة إليها مرة ثانية ، ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . ثم شرع الوزير شاور في مطالبة الناس بالذهب الذي صالح به الفرنج ونحصيله ، وضيق على الناس مع ما نالهم من الضيق والخزي والخوف ، فحبر الله مصابهم بقدوم عساكر المسلمين عليهم وهلاك الوزير على يديهم ، وذلك أن نور الدين استدعى الأمير أسد الدين من حمص إلى حلب فساق إليه هذه المسافة وقطعها في يوم واحد ، فانه قام من حمص بعد أن صلى الصبح ثم دخل منزله فأصاب فيه شيئا من الزاد ، ثم ركب وقت طلوع الشمس فدخل حلب على السلطان نور الدين من آخر ذلك اليوم ، ويقال إن هذا لم يتفق لغيره إلا للصحابة ، فسر بذلك نور الدين فقدمه على العساكر وأنعم عليه بمائتي ألف دينار وأضاف إليه من الأمراء الأعيان ، كل منهم يتنفي بمسيره رضى الله والجهاد في سبيله ، وكان من جملة الأمراء ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ولم يكن منشرجا لخروجه هذا بل كان كارها

له ، وقد قال الله تعالى (قل اللهم مالك الملك) الآية ، وأضاف إليه ستة آلاف من التركان ، وجعل
أسد الدين مقدماً على هذه العساكر كلها ، فسار بهم من حلب إلى دمشق ونور الدين معهم ، فجهزه من
دمشق إلى الديار المصرية ، وأقام نور الدين بدمشق ، ولما وصلت الجيوش النورية إلى الديار المصرية
وجدوا الفرنج قد انشعروا عن القاهرة راجعين إلى بلادهم بالصفقة الخاسرة ، وكان وصوله إليها في
سابع ربيع الآخر ، فدخل الأمير أسد الدين على العاضد في ذلك اليوم فخلع عليه خلعة سنية
فلبسها وعاد إلى مخيمه بظاهر البلد ، وفرح المسلمون بقدومه ، وأجريت عليهم الجرايات ، وحملت
إليهم التحف والكرامات ، وخرج وجوه الناس إلى الخيم خدمة لأسد الدين ، وكان فيمن جاء إليه
الخيم الخليفة العاضد متسكراً ، فأمر إليه أموراً مهمة منها قتل الوزير شاور ، وقرر ذلك معه وأعظم
أمر الأمير أسد الدين ، ولكن شرع بماطل بما كان التزمه للملك نور الدين ، وهو مع ذلك يتردد
إلى أسد الدين ، ويركب معه ، وعزم على عمل ضيافة له فتهاء أصحابه عن الحضور خوفاً عليه من
غائلته ، وشاوروه في قتل شاور فلم يمكنهم الأمير أسد الدين من ذلك ، فلما كان في بعض الأيام
جاء شاور إلى منزل أسد الدين فوجده قد ذهب لزيارة قبر الشافعي ، وإذا ابن أخيه يوسف هنالك
فأمر صلاح الدين يوسف بالقبض على الوزير شاور ، ولم يمكنه قتله إلا بعد مشاورة عمه أسد الدين
وانهزم أصحابه فأعلموا العاضد له يبعث ينقذه ، فأرسل العاضد إلى الأمير أسد الدين يطلب منه
رأسه ، فقتل شاور وأرسلوا رأسه إلى العاضد في سابع عشر ربيع الآخر ، وفرح المسلمون بذلك
وأمر أسد الدين بنهب دار شاور ، فنهبت ، ودخل أسد الدين على العاضد فاستوزره وخلع عليه
خلعة عظيمة ، ولقبه الملك المنصور ، فسكن دار شاور وعظم شأنه هنالك ، ولما بلغ نور الدين خبر
فتح مصر فرح بذلك وقصده الشعراء بالتهنئة ، غير أنه لم يفسر لكون أسد الدين صار وزيراً
للعاضد ، وكذلك لما انتهت الوزارة إلى ابن أخيه صلاح الدين ، فشرع نور الدين في أعمال الخيلة في
إزالة ذلك فلم يتمكن ، ولا قدر عليه ، ولا سيما أنه بلغه أن صلاح الدين استحوذ على خزائن العاضد
كماسياتي بيانه إن شاء الله ، والله أعلم . وأرسل أسد الدين إلى القصر يطلب كاتباً فأرسلوا إليه القاضي
الفاضل رجاء أن يقبل منه إذا قال وأفاض فيما كانوا يؤملون ، وبعث أسد الدين العمال في الأعمال
وأقطع الاقطاعات ، وولى الولايات ، وفرح بنفسه أياماً معدودات ، فأدركه حماه في يوم السبت الثاني
والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة ، وكانت ولايته شهرين وخمسة أيام ، فلما توفي أسد
الدين رحمه الله أشار الأمراء الشاميون على العاضد بتولية صلاح الدين يوسف الوزارة بعد عمه ،
فولاه العاضد الوزارة وخلع عليه خلعة سنية ، ولقبه الملك الناصر .

﴿ صفة الخلعة التي لبسها صلاح الدين يومئذ ﴾

مما ذكره أبو شامة في الروضتين عمامة بيضاء تنسب بطرف ذهب ، وثوب ديبقى بطراز ذهب وجبة بطراز ذهب ، وطيلسان بطراز مذهبة ، وعقد جوهر بمشرة آلاف دينار ، وسيف محلى بخمسة آلاف دينار ، وحجزة بثمانية آلاف دينار ، وعليها طوق ذهب وسر فسار ذهب مجوهر ، وفي رأسها مائتا حبة جوهر ، وفي قوائمها أربعة عقود جوهر ، وفي رأسها قصبية ذهب فيها تندة بيضاء بأعلام بيض ومع الخلعة عدة بقع ، وخيل وأشياء أخر ، ومنشور الوزارة ملفوف بثوب أطلس أبيض ، وذلك في يوم الاثنين الخامس والعشرين من جمادى الآخرة ، من هذه السنة ، وكان يوما مشهودا ، وسار الجيش بكامله في خدمته ، لم يتخلف عنه سوى عين الدولة الياروقى ، وقال : لا أخدم يوسف بعد نور الدين ، ثم سار بجيشه إلى الشام فلامه نور الدين على ذلك ، وأقام الملك صلاح الدين بمصر بصفة نائب للملك نور الدين ، يخطب له على المنابر بالديار المصرية ، ويكتبه بالأمرير الاسفهار صلاح الدين ويتواضع له صلاح الدين في السكتب والعلامة ، لكن قد التفت عليه القلوب ، وخضعت له النفوس ، واضطهد العاضد في أيامه غاية الاضطهاد ، وارتفع قدر صلاح الدين بين العباد بتلك البلاد ، وزاد في إقطاعات الذين معه فأحبوه واحترموه وخدموه ، وكتب إليه نور الدين يعنفه على قبول الوزارة بدون مرسومه ، وأمره أن يقيم حساب الديار المصرية ، فلم يلتفت صلاح الدين إلى ذلك وجعل نور الدين يقول في غضون ذلك : ملك ابن أيوب . وأرسل [صلاح الدين] إلى نور الدين يطلب منه أهله وإخوته وقرباته ، فأرسلهم إليه وشرط عليهم السمع والطاعة له ، فاستقر أمره بمصر وتوطأت دولته بذلك ، وكل أمره وتمكن سلطانه وقويت أركانه . وقد قال بعض الشعراء في قتل صلاح الدين لشاور الوزير هيا لمصر حور يوسف ملكها * بأمر من الرحمن كان موقوتا

وما كان فيها قتل يوسف شاورا * يماثل لإلاقتل داود جالونا

قال أبو شامة : وقتل العاضد في هذه السنة أولاد شاور وهم شجاع الملقب بالكامل والطارى الملقب بالمعظم ، وأخوهما الآخر الملقب بفارس المسلمين ، وطيف برؤسهم ببلاد مصر .

﴿ ذكر قتل الطواشى ﴾

مؤمن الخلافة وأصحابه على يدى صلاح الدين ، وذلك أنه كتب من دار الخلافة بمصر إلى الفرنج ليقدموا إلى الديار المصرية ليخرجوا منها الجيوش الاسلامية الشامية ، وكان الذى يفد بالكتاب إليهم الطواشى مؤمن الخلافة ، مقدم المساكر بالقصر ، وكان حبشياً ، وأرسل الكتاب مع إنسان أمن إليه ، فصادفه في بعض الطريق من أنكر حاله ، فحمله إلى الملك صلاح الدين فقرره ، فأخرج الكتاب ففهم صلاح الدين الحال فكتمه ، واستنصر الطواشى مؤمن الدولة أن صلاح الدين قد اطلع على الأمر

فلازم القصر مدة طويلة خوفا على نفسه ، ثم عن له في بعض الأيام أن خرج إلى الصيد ، فأرسل صلاح الدين إليه من قبض عليه وقتله وحمل رأسه إليه ، ثم عزل جميع الخدام الذين يلون خدمة القصر ، واستناب على القصر عوضهم بهاء الدين قراقوش ، وأمره أن يطالعه بجميع الأمور ، صغارها وكبارها ﴿ وقعة السودان ﴾

وذلك أنه لما قتل الطواشي مؤتمن الخلافة الحبشي ، وعزل بقية الخدام غضبوا لذلك ، واجتمعوا قريبا من خمسين ألفا ، فاقتتلوا هم وجيش صلاح الدين بين القصرين ، فقتل خلق كثير من الفريقين ، وكان العاضد ينظر من القصر إلى المعركة ، وقد قذف الجيش الشامي من القصر بحجارة ، وجاءهم منه سهام فقتل كان ذلك بأمر العاضد ، وقيل لم يكن بأمره . ثم إن أخا الناصر نور شاه شمس الدولة - وكان حاضرا للحرب قد بعثه نور الدين لأخيه ليشد أزره - أمر باحراق منظره العاضد ، ففتح الباب ونودي إن أمير المؤمنين يأمركم أن تخرجوا هؤلاء السودان من بين أظهركم ، ومن بلادكم ، فقوى الشاميون وضعف جأش السودان جدا ، وأرسل السلطان إلى محلة السودان المعروفة بالمنصورة ، التي فيها دورهم وأهلهم بباب زويلة فأحرقها ، فولوا عند ذلك مدبرين ، وركبهم السيف فقتل منهم خلقا كثيرا ، ثم طلبوا الأمان فأجابهم إلى ذلك ، وأخرجهم إلى الجزيرة ، ثم خرج لهم شمس الدولة نور شاه أخو الملك صلاح الدين فقتل أكثرهم أيضا ، ولم يبق منهم إلا القليل ، فقتل بيوتهم خاوية بما ظلموا . وفيها افتتح نور الدين قلعة جعبر وانتزعها من يد صاحبها شهاب الدين مالك بن علي العقيلي وكانت في أيديهم من أيام السلطان ملكشاه . وفيها احترق جامع حلب فجده نور الدين . وفيها مات ماروق الذي تنسب إليه المحلة بظاهر حلب . ومن توفي فيها من الأعيان .

﴿ سعد الله بن نصر بن سعيد الدجاني ﴾

أبو الحسن الواعظ الحنبلي ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وسمع الحديث وتفقّه ووعظ ، وكان لطيف الوعظ ، وقد أثنى عليه ابن الجوزي في ذلك ، وذكر أنه سئل مرة عن أحاديث الصفات فنهى عن التعرض لذلك وأنشد :

أبي الغائب الغضبان يا نفس أن ترضى * وأنت الذي صيرت طاعته فرضا
فلا تهجرى من لا تطيقين هجره * وإن هم بالهجران خديك والأرضا
وذكر ابن الجوزي عنه أنه قال : خفت مرة من الخليفة فهتف بي هاتف في المنام وقال لي اكتب
ادفع بصبرك حادث الأيام * وترج لطف الواحد العلام
لا تياسن وإن تضايق كربها * ورمالك ريب صروفها بسهام

فله تعالى بين ذلك فرجة * تخفى على الافهام والاولهام
كم من نجا من بين اطراف القنا * وفريسة سلمت من الضرغام
توفي في شعبان منها عن أربع وثمانين سنة ، ودفن عند رباط الزورى ثم نقل إلى مقبرة الامام
أحمد ﴿ شاور بن مجير الدين ﴾

أبو شجاع السعدى ، الملقب أمير الجيوش ، وزير الديار المصرية أيام العاضد ، وهو الذى انتزع
الوزارة من يدى رزيك ، وهو أول من استكتب القاضى الفاضل ، استدعى به من اسكندرية من
باب السدرة فخطى عنده وانحصر منه الكتاب بالقصر ، لما رأوا من فضله وفضيلته . وقد امتدحه
الشعراء منهم عمارة البنى حيث يقول :

ضجر الحديد من الحديد وشاور * من نصر دين محمد لم يضجر
حلف الزمان لياتين بمثله * حنثت بيمينك يا زمان فكفر

ولم يزل أمره قائما إلى أن ثار عليه الأمير ضرغام بن سوار فالتجأ إلى نور الدين فأرسل معه
الأمير أسد الدين شيركوه فنصروه على عدوه ، فنكث عهده فلم يزل أسد الدين حنقا عليه حتى
قتله في هذه السنة ، على يدى ابن أخيه صلاح الدين ، ضرب عنقه بين يدى الأمير جردنك في
السابع عشر من ربيع الآخر ، واستوزر بعده أسد الدين ، فلم تطل مدته بعده إلا شهرين وخمسة
أيام . قال ابن خلكان : هو أبو شجاع شاور بن مجير الدين بن نزار بن عشار بن شاس بن مغيث
ابن حبيب بن الحارث بن ربيعة بن مخيس بن أبى ذؤيب عبد الله وهو والد حليلة السعدية ، كذا
قال ، وفيما قال نظر لقصر هذا النسب لبعد المدة والله أعلم .

﴿ شيركوه بن شادى ﴾

أسد الدين الكردي الزرزارى وهم أشرف شعوب الأكراد ، وهو من قرية يقال لها درين من أعمال
أذربيجان ، خدم هو وأخوه نجم الدين أيوب - وكان الأكبر - الأمير مجاهد الدين نهر و زالحام
شحنة المراق ، فاستناب نجم الدين أيوب على قلعة تكريت ، فاتفق أن دخلها عماد الدين زنكى
هاربا من قراجا الساقى ، فأحسننا إليه وخدماه ، ثم اتفق أنه قتل رجلا من العامة فأخرجهما نهر و من
القلعة فصارا إلى زنكى بحباب فأحسن إليهما ، ثم حظيا عند ولده نور الدين محمود ، فاستناب أيوب
على بعلبك ، وأقره ولده نور الدين ، وصار أسد الدين عند نور الدين أكبر أمرائه ، وأخصهم عنده
وأقطعهم الرجة وحصص مع ماله عنده من الاقطاعات ، وذلك لشهامته وشجاعته وصرامته وجهاده في
الفرنج ، في أيام معدودات ووقعات معتبرات ، ولا سيما يوم فتح دمشق ، وأعجب من ذلك ما فعله بديار
مصر ، بل الله بالرحمة تراه وجعل الجنة مأواه ، وكانت وفاته يوم السبت فجأة بخانوق حصل له ، وذلك

في الثاني والعشرين من جمادى الآخرة من هذه السنة رحمه الله . قال أبو شامة : وإليه تنسب الخانقاة الأسدية بالشرق القبلى ، ثم آل الأمر من بعده إلى ابن أخيه صلاح الدين يوسف ، ثم استوسق له الملك والممالك هنالك .

﴿ محمد بن عبد الله بن عبد الواحد ﴾

ابن سليمان المعروف بابن البطى ، سمع الحديث الكثير ، وأسمع ورحل إليه وقارب التسعين .

﴿ محمد الفارقي ﴾

أبو عبد الله الواعظ ، يقال إنه كان يحفظ نهج البلاغة ويعبر ألفاظه ، وكان فصيحاً بليغاً يكتب كلامه ويروى عنه كتاب يعرف بالحكم الفارقية .

﴿ المعمر بن عبد الواحد ﴾

ابن رجار أبو أحمد الأصبهاني أحد الحفاظ الوعاظ ، روى عن أصحاب أبي نعيم ، وكانت له معرفة جيدة بالحديث ، توفى وهو ذاهب إلى الحج بالبادية رحمه الله .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وستين وخمسة ﴾

في صفر منها حاصرت الفرنج مدينة دمياط من بلاد مصر خمسين يوماً ، بحيث ضيقوا على أهلها ، وقتلوا أنما كثيرة ، جاءوا إليهم من البر والبحر رجاء أن يملكو الديار المصرية وخوفاً من استيلاء المسلمين على القدس ، فكتب صلاح الدين إلى نور الدين يستنجد به عليهم ، ويطلب منه أن يرسل إليه بامداد من الجيوش ، فانه إن خرج من مصر خلفه أهلها بسوء ، وإن قعد عن الفرنج أخذوا دمياط وجعلوها معقلاً لهم يتقوون بها على أخذ مصر . فأرسل إليه نور الدين ببعوث كثيرة ، يتبع بعضها بعضاً . ثم إن نور الدين اغتم غيبة الفرنج عن بلادهم فصمد إليهم في جيوش كثيرة فحاص خلال ديارهم ، وغنم من أموالهم وقتل وسبي شيئاً كثيراً ، وكان من جملة من أرسله إلى صلاح الدين أبوه الأمير نجم الدين أيوب ، في جيش من تلك الجيوش ، ومعه بقية أولاده ، فتلقاه الجيش من مصر ، وخرج العاضد لتلقيه إكراماً لولده ، وأقطعهم اسكندرية ودمياط ، وكذلك لبقية أولاده ، وقد أمد العاضد صلاح الدين في هذه الكثرة بألف ألف دينار حتى انفصلت الفرنج عن دمياط ، وأجلت الفرنج عن دمياط لأنه بلغهم أن نور الدين قد غزا بلادهم ، وقتل خلقاً من رجالهم ، وسبي كثيراً من نساءهم وأطفالهم وغنم من أموالهم ، فجزاه الله عن المسلمين خيراً . ثم سار نور الدين في جمادى الآخرة إلى الكرخ ليحاصرها — وكانت من أمنع البلاد — وكاد أن يفتحها ولكن بلغه أن مقدمين من الفرنج قد أقبلوا نحو دمشق ، فخاف أن يلتف عليهما الفرنج فترك الحصار وأقبل نحو دمشق فخصنها ، ولما انجلت الفرنج عن دمياط فرح نور الدين فرحاً شديداً ، وأشد الشعراء كل منهم في ذلك قصيداً ، وقد كان

الملك نور الدين شديد الاهتمام قوى الاغتمام بذلك ، حتى قرأ عليه بعض طلبه الحديث جزءاً في ذلك فيه حديث مسلسل بالتبسم ، فطلب منه أن يتبسم ليصل التسلسل ، فامتنع من ذلك ، وقال : إني لأستحي من الله أن يراني متبسماً والمسلمون يحاصرون الفرنج بشغل دمياط . وقد ذكر الشيخ أبو شامة أن إمام مسجد أبي الدرداء بالقلمعة المنصورة رأى في تلك الليلة التي أجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول الله ﷺ وهو يقول : سلم على نور الدين وبشره بأن الفرنج قد رحلوا عن دمياط ، فقلت : يا رسول الله بأى علامة ؟ فقال : بعلامة ما مسجد يوم تل حارم وقال في سجوده : اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب ؟ . فلما صلى نور الدين عنده الصبح بشره بذلك وأخبره بالعلامة ، فلما جاء إلى عند ذكر « من هو محمود الكلب » انقبض من قول ذلك ، فقال له نور الدين : قل ما أمرك به رسول الله ﷺ . فقال ذلك : فقال : صدقت ، وبكى نور الدين تصديقاً وفرحاً بذلك ، ثم كشفوا فإذا الأمر كما أخبر في المنام .

قال العماد الكاتب : وفي هذه السنة عمر الملك نور الدين جامع داريا ، وعمر مشهد أبي سليمان الداراني بها ، وشقى بدمشق . وفيها حاصر الكرك أربعة أيام ، وفارقه من هناك نجم الدين أيوب والد صلاح الدين ، متوجهاً إلى ابنه بمصر ، وقد وصاه نور الدين أن يأمر ابنه صلاح الدين أن يخطب بمصر للخليفة المستنجد بالله العباسي ، وذلك أن الخليفة بعث يعاتبه في ذلك . وفيها قدم الفرنج من السواحل ليمنعوا الكرك مع ثيب بن الرقيق وابن القنقري ، وكانا أشجع فرسان الفرنج ، فقصدتهما نور الدين ليقابلهما فحاذا عن طريقه . وفيها كانت زلزلة عظيمة بالشام والجزيرة وعمت أكثر الأرض ، وتهدمت أسوار كثيرة بالشام ، وسقطت دور كثيرة على أهلها ، ولا سيما بدمشق وحص وحماء وحلب وبلبك ، سقطت أسوارها وأكثر قلعها ، فجدد نور الدين عمارة أكثر ما وقع بهذه الأماكن .

وفيها توفي (الملك قطب الدين مودود بن زنكي)

أخو نور الدين محمود صاحب الموصل ، وله من العمر أربعون سنة ، ومدة ملكه منها إحدى وعشرون سنة ، وكان من خيار الملوك ، محبباً إلى الرعية ، عطوفاً عليهم ، محسناً إليهم ، حسن الشكل . وتملك من بعده ولده سيف الدين غازي من الست خاتون بنت تمرقاش بن إيلغازي بن أرتق أصحاب ماردين ، وكان مدبر مملكته والمتحكم فيها فخر الدين عبد المسيح ، وكان ظالماً غاشماً . وفيها كانت حروب كثيرة بين ملوك الغرب بجزيرة الأندلس ، وكذلك كانت حروب كثيرة بين ملوك الشرق أيضاً . وحج بالناس فيها وفيما قبلها الأمير برغش الكبير ، ولم أر أحداً من أكابر الأعيان توفي فيها .

(ثم دخلت سنة ست وستين وخمسمائة)

فيها كانت وفاة المستنجد وخلافة ابنه المستضيء ، وذلك أن المستنجد كان قد مرض في أول هذه السنة ، ثم عوفي فيما يبدو للناس ، فعمل ضيافة عظيمة بسبب ذلك ، وفرح الناس بذلك ، ثم أدخله الطبيب إلى الحمام وبه ضعف شديد فمات في الحمام ، ويقال : إن ذلك كان بإشارة بعض الدولة على الطبيب ، استعجلاً لموته ، توفي يوم السبت بعد الظهر ثاني ربيع الآخر عن ثمان وأربعين سنة ، وكانت مدة خلافته إحدى عشرة سنة وشهراً ، وكان من خيار الخلفاء وأعد لهم وأرفقهم بالرعايا ، ومنع عنهم المكوس والضرائب ، ولم يترك بالعراق مكساً ، وقد شفع إليه بعض أصحابه في رجل شرير ، وبذل فيه عشرة آلاف دينار ، فقال له الخليفة أنا أعطيك عشرة آلاف دينار وأتقني بمثله لأريح المسلمين من شره ، وكان المستنجد أسمر طويل اللحية ، وهو الثاني والثلاثين من العباسيين وذلك في الجمل لام باء ولهذا قال فيه بعض الأدباء :

أصبحت لب بنى العباس جملتها * إذا عدت حساب الجمل الخلفاء

وكان أماراً بالمعروف ونهياً عن المنكر ، وقد رأى في منامه رسول الله ﷺ وهو يقول له : قل اللهم اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ ، وعافني فِيمَنْ عَافَيْتَ ، دعاء القنوت بتمامه . وصلى عليه يوم الأحد قبل الظهر ، ودفن بدار الخلافة ، ثم نقل إلى القرب من الرصافة رحمه الله تعالى .

(خلافة المستضيء)

وهو أبو محمد الحسن بن يوسف المستنجد بن المقتدي ، وأمه أرمنية تدعى عصمت ، وكان مولده في شعبان سنة ست وثلاثين وخمسمائة . بويع بالخلافة يوم مات أبوه بكرة الأحد تاسع ربيع الآخر ، وبايعه الناس ، ولم يل الخلافة أحد اسمه الحسن بعد الحسن بن علي غير هذا ، ووافقه في الكنية أيضاً ، وخلع يومئذ على الناس أكثر من ألف خلمة ، وكان يوماً مشهوداً ، وولى قضاء قضاء بغداد الروح ابن الحدثنى يوم الجمعة حادى عشرين ربيع الآخر ، وخلع على الوزير وهو الأستاذ عضد الدولة ، وضربت على بابه الدبابات ثلاثة أوقات الفجر والمغرب والعشاء ، وأمر سبعة عشر أميراً من الممالك وأذن للوعاظ فتكلموا بعد مامنعوا مدة طويلة ، لما كان يحدث بسبب ذلك من الشرور الطويلة ، ثم كثر احتجاجه ، ولما جاءت البشارة بولايته إلى الموصل قال العماد الكاتب :

قد أضاء الزمان بالمستضيء * وارث البرد وابن عم النبي

جاء بالحق والشريعة والعد * ل فيا مرحباً بهذا المحي المرح

فهنيئاً لأهل بغداد فازوا * بعد بؤس بكل عيش هني

ومضى إن كان في الزمن المظ * لم بالعود في الزمان المضى

وفيهما سار الملك نور الدين إلى الرقة فأخذها ، وكذا نصيبين والخابور وسنجار ، وسلمها إلى زوج ابنته ابن أخيه مودود بن عماد الدين ، ثم سار إلى الموصل فأقام بها أربعة وعشرين يوماً ، وأقرها على ابن أخيه سيف الدين غازي بن قطب الدين مودود ، مع الجزيرة ، وزوجه ابنته الأخرى ، وأمر بعمارة جامعها وتوسعته ، ووقف على تأسيسه بنفسه ، وجعل له خطيباً ودرساً للفقهاء ، وولى التدريس للفقهاء أبي بكر البرقاني ، تلميذ محمد بن يحيى تلميذ الغزالي ، وكتب له منشوراً بذلك ، ووقف على الجامع قرية من قرى الموصل ، وذلك كله بإشارة الشيخ الصالح العابد عمر الملا ، وقد كانت له زاوية يقصد فيها ، وله في كل سنة دعوة في شهر المولد ، يحضر فيها عنده الملوك والأمراء والعلماء والوزراء ويحتفل بذلك ، وقد كان الملك نور الدين صاحبه ، وكان يستشير في أموره ، ومن يعتمد في مهماته وهو الذي أشار عليه في مدة مقامه في الموصل بجميع ما فعله من الخيرات ، فلهذا حصل بقدمه لأهل الموصل كل مسرة ، واندفعت عنهم كل مضرة ، وأخرج من بين أظهرهم الظالم الغاشم نحر الدين عبد المسيح ، وسماه عبد الله ، وأخذه معه إلى دمشق فأقطعه إقطاعاً حسناً ، وقد كان عبد المسيح هذا نصرانياً فأظهر الاسلام ، وكان يقال إن له كنيسة في جوف داره ، وكان سعى السيرة خبيث السريرة في حق العلماء والمسلمين خاصة ، ولما دخل نور الدين الموصل كان الذي استأمن له نور الدين الشيخ عمر الملا ، وحين دخل نور الدين الموصل خرج إليه ابن أخيه فوقف بين يديه فأحسن إليه وأكرمه ، وألبسه خلعة جاءته من الخليفة فدخل فيها إلى البلد في أبهة عظيمة ، ولم يدخل نور الدين الموصل حتى قوى الشناء فأقام بها كما ذكرنا ، فلما كان في آخر ليلة من إقامته بها رأى رسول الله ﷺ يقول له : طابت لك بلدك وتركت الجهاد وقتال أعداء الله ؟ فنهض من فوره إلى السفر ، وما أصبح إلا سائراً إلى الشام ، واستنقى الشيخ ابن أبي عصرون ، وكان معه على سنجار ونصيبين والخابور ، فاستناب فيها ابن أبي عصرون نواباً وأصحاباً .

وفيهما عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم كانوا شيعة ، وولى قضاء القضاة بها لصدر الدين عبد الملك بن درباس المارداني الشافعي ، فاستناب في سائر المعاملات قضاة شافعية ، وبنى مدرسة للشافعية ، وأخرى للمالكية ، واشترى ابن أخيه تقي الدين عمر داراً تعرف بمنازل العز ، وجعلها مدرسة للشافعية ووقف عليها الروضة وغيرها . وعمر صلاح الدين أسوار البلد ، وكذلك أسوار اسكندرية ، وأحسن إلى الرعايا إحساناً كثيراً ، وركب فأغار على بلاد الفرنج بنواحي عسقلان وغزة وضرب قلعة كانت لهم على أيلة ، وقتل خلقاً كثيراً من مقاتلتهم ، وتلقى أهله وهم قادمون من الشام ، واجتمع شملهم بهم بعد فرقة طويلة . وفيها قطع صلاح الدين الأذان بحى على خير العمل من ديار مصر كلها ، وشرع في تمهيد الخطبة لبني العباس على المنابر .

ومن توفي فيها من الأعيان . ﴿ طاهر بن محمد بن طاهر ﴾
أبوزرعة المقدسي الأصل ، الرازي المولد ، الهمداني الدار ، ولد سنة إحدى وثمانين وأربعمائة
واسمعه والده الحافظ محمد بن طاهر الكثير ، ومما كان يرويه مسند الشافعي ، توفي بهمدان يوم الأربعاء
سابع ربيع الآخر ، وقد قارب التسعين .

﴿ يوسف القاضي ﴾

أبو الحجاج بن الخلال صاحب ديوان الانشاء بمصر ، وهو شيخ القاضي الفاضل في هذا الفن ،
اشغل عليه فيه فبرع حتى قدر أنه صار مكانه حين ضعف عن القيام بأعباء الوظيفة لكبره ، وكان
القاضي الفاضل يقوم به وبأهله حتى مات ، ثم كان بعد موته كثير الاحسان إلى أهله رحمهم الله .

﴿ يوسف بن الخليفة ﴾

المستنجد بالله بن المقتني بن المستظهر ، تقدم ذكر وفاته وترجمته ، وقد توفي بعده عمه أبو نصر
ابن المستظهر بأشهر ، ولم يبق بعده أحد من ولد المستظهر ، وكانت وفاته يوم الثلاثاء الثامن والعشرين
من ذي القعدة منها . ﴿ ثم دخلت سنة سبع وستين وخمسة ﴾

« فيها كانت وفاة العاضد صاحب مصر »

في أول جمعة منها ، فأمر صلاح الدين بإقامة الخطبة لبني العباس بمصر وأعمالها في الجمعة الثانية ،
وكان يوماً مشهوداً ، ولما انتهى الخبر إلى الملك نور الدين أرسل إلى الخليفة يعلمه بذلك ، مع ابن أبي
عصرون شهاب الدين أبي المعالي ، فزينت بغداد وغلقت الأسواق ، وعملت القباب وفرح المسلمون
فرحاً شديداً ، وكانت قد قطعت الخطبة لبني العباس من ديار مصر سنة تسع وخمسين وثلاثمائة في
خلافة المطيع العباسي ، حين تغلب الفاطميون على مصر أيام المعز الفاطمي ، باني القاهرة ، إلى هذا
الآن ، وذلك مائتا سنة وثمان سنين . قال ابن الجوزي : وقد ألفت في ذلك كتاباً سميته النصر
على مصر . ﴿ موت العاضد آخر خلفاء العبيديين ﴾

والعاضد في اللغة القاطع ، « لا يعضد شجرها » لا يقطع ، وبه قطعت دولتهم ، واسمه عبد الله
ويكنى بأبي محمد بن يوسف الحافظ بن المستنصر بن الحاكم بن العزيز بن المعز بن المنصور القاهري ،
أبي القناتم بن المهدي أولهم ، كان مولد العاضد في سنة ست وأربعين ، فعاش إحدى وعشرين سنة
وكانت سيرته مذكومة ، وكان شيعياً خبيثاً ، لو أمكنه قتل كل من قدر عليه من أهل السنة ، واتفق
أنه لما استقر أمر الملك صلاح الدين رسم بالخطبة لبني العباس عن مرسوم الملك نور الدين ، وذلك
أن الخليفة بعث إلى نور الدين فعاتبه في ذلك قبل وفاته ، وكان المستنجد إذ ذاك مدنفاً مريضاً ،
فلما مات تولى بعده ولده ، فكانت الخطبة بمصر له ، ثم إن العاضد مرض فكانت وفاته في يوم

عاشوراء ، فحضر الملك صلاح الدين جنازته وشهد عزاءه ، وبكى عليه وتأسف ، وظهر منه حزن كثير عليه ، وقد كان مطيعاً له فيما يأمره به ، وكان العاضد كريماً جواداً ساعه الله . ولما مات استحوذ صلاح الدين على القصر بما فيه ، وأخرج منه أهل الماض إلى دار أفرادها لهم ، وأجرى عليهم الأرزاق والنققات الهنية ، والعيشة الرضية ، عوضاً عما فاتهم من الخلافة ، وكان صلاح يتقدم على إقامة الخطبة لبني العباس بمصر قبل وفاة الماض ، وهلا صبر بها إلى بعد وفاته ، ولكن كان ذلك قدراً مقدوراً . وما نظمه العماد في ذلك :

توفى الماض الدعى فما * يفتح ذو بدعة بمصر فما
وعصر فرعونها النضى وغدا * يوسفها في الأمور محتكما
قد طفت جرة الغواة وقد * داخ من الشرك كل ما اضطرما
وصار شمل الصلاح ملتما * بها وعقد السداد منتظما
لما غدا مشعراً شعار بني الـ * عباس حقا والباطل اكنتما
وبات داعى التوحيد منتظرا * ومن دعاة الاشراك منتقما
وظل أهل الضلال في ظلال * داجية من غبائة وعمى
وارتكس الجاهلون في ظلم * لما أضاءت منابر العلما
وعاد بالمستضى معتليا * بناء حق بعد ما كان منهمدا
أعيدت الدولة التي اضطهدت * وانتصر الدين بعدما هتظما
واهتز عطف الاسلام من جلال * وافتر ثغر الاسلام وابقسما
واستبشرت أوجه الهدى فرحا * فليقرع الكفر سنه ندما
عاد حريم الاعداء منهنك الـ * حمى وفي الطغاة منقسما
قصور أهل القصور أخرجها * عامر بيت من السكال سما
أزعج بعد السكوت ساكنها * ومات ذلا وأنفه رغما
ومما قيل من الشعر ببغداد يبشر الخليفة المستضى بالخطبة له بمصر وأعمالها :

لهنيك يا مولاي فتح تنابعت * إليك به خوض الركائب توجف
أخذت به مصراً وقد حال دونها * من الشرك يأس في لها الحق يقذف
فمادت بحمد الله باسم إمامنا * نقيه على كل البلاد وتشرف
ولا غرو إن ذلت ليوسف مصره * وكانت إلى عليائه تتشوف
فشابه خلقا وخلقاً وعفة * وكل عن الرحمن في الأرض يخلف

كشفت بها عن آل هاشم سبة * وعاراً أبى إلا بسيفك يكشف
وقد ذكر ذلك أبو شامة في الروضتين ، وهي أطول من هذه ، وذكر أن أبا الفضائل الحسين بن
محمد بن بركات الوزير أنشدها للخليفة عند موته بعد منام رآه ، وأراد بيوسف الثاني المستنجد ، وهكذا
ذكر ابن الجوزي : أنها أنشئت في حياة المستنجد ، ولم يخطب بها إلا لابنه المستضيء ، فجرى
المقال باسم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ، وقد أرسل الخليفة إلى الملك نور الدين
معظمة لما بشر بالخطبة له بمصر ، وكذلك للملك صلاح الدين إلى الديار المصرية ومعها أعلام سود
ولواء معقود ، وفترقت على الجوامع بالشام وبمصر . قال ابن أبي طى في كتابه : ولما تفرغ صلاح
الدين من توطيد المملكة وإقامة الخطبة والتعمرية ، استعرض حواصل القصرين فوجد فيهما من
الحواصل والأمتعة والآلات والملابس والمفارش شيئاً باهراً ، وأمرأ هائلاً ، من ذلك سبعمائة يقيمة
من الجواهر ، وقضيب زمرد طوله أكثر من شبر وسمكه نحو الإبهام ، وحبل من ياقوت ، وإبريق
عظيم من الحجر المانع ، وطبل للقولنج إذا ضرب عليه أحد فيه ريح غليظة أو غيرها خرج منه
ذلك الريح من دبره ، وينصرف عنه ما يجده من القولنج ، فاتفق أن بعض أمراء الأكراد أخذه في
يده ولم يدر ما شأنه ، فضرب عليه فخبق - أى ضرب - فألقاه من يده على الأرض فكسره فبطل
أمره . وأما القضيب الزمرد فان صلاح الدين كسره ثلاث فلاق فقسمه بين نسائه ، وقسم بين الأمراء
شيئاً كثيراً من قطع الباخش والياقوت والذهب والفضة والأثاث والأمتعة وغير ذلك ، ثم باع ما
فضل عن ذلك وجمع عليه أعيان التجار ، فاستمر البيع فيما بقي هنالك من الأثاث والأمتعة نحو ما من
عشر سنين ، وأرسل إلى الخليفة ببغداد من ذلك هدايا سنوية نفيسة ، وكذلك إلى الملك نور الدين ،
أرسل إليه من ذلك جانباً كثيراً صالحاً ، ولم يدخر لنفسه شيئاً مما حصل له من الأموال ، بل كان
يعطى ذلك من حوله من الأمراء وغيرهم ، فكان مما أرسله إلى نور الدين ثلاث قطع بلخش زنة
الواحدة إحدى وثلاثون مثقالاً ، والأخرى ثمانية عشر مثقالاً ، والثالثة عشرة مثاقيل ، وقيل أكثر
مع لآلى كثيرة ، وستون ألف دينار ، وعطار لم يسمع بمثله ، ومن ذلك حمارة وفيل عظيم جدا ،
فأرسلت الحمارة إلى الخليفة في جملة هدايا . قال ابن أبي طى : ووجد خزانة كتب ليس لها في مدائن
الاسلام نظير ، تشتمل على ألفي ألف مجلد ، قال ومن عجائب ذلك أنه كان بها ألف ومائتان وعشرون
نسخة من تاريخ الطبري ، وكذا قال العماد الكاتب : كانت الكتب قريبة من مائة وعشرين ألف
مجلد . وقال ابن الأثير : كان فيها من الكتب بالخطوط المنسوبة مائة ألف مجلد ، وقد تسلمها القاضي
الفاضل ، فأخذ منها شيئاً كثيراً مما اختاره واتخذه ، قال وقسم القصر الشمالى بين الأمراء فسكنوه ،
وأسكن أباه نجم الدين أيوب في قصر عظيم على الخليج ، يقال له اللؤلؤة ، الذى فيه بستان الكافورى

وأسكن أكثر الأمراء في دور من كان ينتمى إلى الفاطميين ، ولا يلقى أحد من الأتراك أحداً من أولئك الذين كانوا بها من الأكراب إلا شلحوه ثيابه ونهبوا داره ، حتى تمزق كثير منهم في البلاد ، وتفرقوا شذرمذر وصاروا أيدي سبا .

وقد كانت مدة ملك الفاطميين مائتين وثمانين سنة وكسراً ، فصاروا كأئس الزاهب كأن لم يغنوا فيها . وكان أول من ملك منهم المهدي ، وكان من سلمية حدادا اسمه عبيد ، وكان يهودياً ، فدخل بلاد المغرب وتسمى بعبيد الله ، وادعى أنه شريف علوي فاطمي ، وقال عن نفسه إنه المهدي كما ذكر ذلك غير واحد من العلماء والأئمة بعد الأربعة كما قد بسطنا ذلك فيما تقدم ، والمقصود أن هذا الدعي الكذاب راج له ما افتراه في تلك البلاد ، ووازره جماعة من الجهلة ، وصارت له دولة وصوله ، ثم تمكن إلى أن بنى مدينة سماها المهدي نسبة إليه ، وصار ملكاً مطاعاً ، يظهر الرفض وينطوي على الكفر الخوض ، ثم كان من بعده ابنه القائم محمد ، ثم ابنه المنصور إسماعيل ، ثم ابنه المعز معد ، وهو أول من دخل ديار مصر منهم ، وبنيت له القاهرة المعزية والقصران ، ثم ابنه العزيز نزار ، ثم ابنه الحاكم منصور ، ثم ابنه الطاهر علي ، ثم ابنه المستنصر معد ، ثم ابنه المستعلي أحمد ، ثم ابنه الأمر منصور ، ثم ابن عمه الحافظ عبد المجيد ، ثم ابنه الظافر إسماعيل ، ثم الفاتر عيسى ، ثم ابن عمه المعاضد عبد الله وهو آخرهم ، فجملة لهم أربعة عشر ملكاً ، ومدتهم مائتان ونيّف وثمانون سنة ، وكذلك عدة خلفاء بني أمية أربعة عشر أيضاً ، ولكن كانت مدتهم نيفاً وثمانين سنة ، وقد نظمت أسماء هؤلاء وهؤلاء بأرجوزة تابعة لأرجوزة بني العباس عند انقضاء دولتهم ببغداد ، في سنة ست وخمسين وستمائة ، كما سيأتي . وقد كان الفاطميون أغنى الخلفاء وأكثرهم مالا ، وكانوا من أغنى الخلفاء وأجبرهم وأظلمهم ، وأنجس الملوك سيرة ، وأخبثهم سريرة ، ظهرت في دولتهم البدع والمنكرات وكثر أهل الفساد وقل عندهم الصالحون من العلماء والعباد ، وكثر بأرض الشام النصرانية والدرزية والحشيشية ، وتقلب الفرنج على سواحل الشام بكاله ، حتى أخذوا القدس ونابلس وعجلون والغور وبلاد غزة وعسقلان وكرك الشوبك وطبرية وبانياس وصور وعكا وصيدا وبيروت وصفد وطرابلس وإنطاكية وجميع ما والى ذلك ، إلى بلاد إياس وسيس ، واستحوذوا على بلاد آمد والرها ورأس العين وبلاد شتى غير ذلك ، وقتلوا من المسلمين خلقاً وأما لا يحصيهم إلا الله ، وسبوا ذراري المسلمين من النساء والولدان مما لا يحمد ولا يوصف ، وكل هذه البلاد كانت الصحابة قد فتحوها وصارت دار إسلام ، وأخذوا من أموال المسلمين ما لا يحمد ولا يوصف ، وكادوا أن يتغلبوا على دمشق ولكن الله سلم ، وحين زالت أيامهم وانتقض إبراهيم أعاد الله عز وجل هذه البلاد كلها إلى المسلمين بحوله وقوته وجوده ورحمته ، وقد قال الشاعر المعروف عرقلة :

أصبح الملك بعد آل على * مشرقاً بالملوك من آل شادى
وغدا الشرق يحسد الفر * ب للقوم فصر نزهو على بغداد
ما حووها إلا بعزم وحزم * وصليل الفولاذ فى الأ كباد
لا كفرعون والعزير ومن * كان بها كالخطيب والاستاد

قال أبو شامة : يعنى بالاستاد كانه نور الاخشيدى ، وقوله آل على يعنى الفاطميين على زعمهم ولم يكونوا فاطميين ، وإنما كانوا ينسبون إلى عبيد ، وكان اسمه سعيداً ، وكان يهودياً حداداً بسلامية ، ثم ذكر ما ذكرناه من كلام الأئمة فيهم وطعنهم في نسبهم . قال وقد استقصيت الكلام في مختصر تاريخ دمشق في ترجمة عبد الرحمن بن إلياس ، ثم ذكر في الروضتين في هذا الموضع أشياء كثيرة في غصون ما سقته من قبائحهم ، وما كانوا يجهرون به في بعض الأحيان من الكفريات ، وقد تقدم من ذلك شئ كثير في تراجمهم ، قال أبو شامة : وقد أفردت كتاباً سميت به « كشف ما كان عليه بنو عبيد من الكفر والكذب والمكر والسكيد » وكذا صنف العلماء في الرد عليهم كتباً كثيرة ، من أجل ما وضع في ذلك كتاب القاضي أبو بكر الباقلانى ، الذى سماه « كشف الأسرار وهتك الاستار » وما أحسن ما قاله بعض الشعراء فى بنى أيوب بمدحهم على ما فعلوه بديار مصر :

أبدتم من بلى دولة الكفر من * بنى عبيد بمصر إن هذا هو الفضل
زنادقة شيعية باطنية * مجوس ومافى الصالحين لهم أصل
يسرون كفراً يظهرون تشيعاً * ليستروا سابور عمهم الجهل

وفىها أسقط الملك صلاح الدين عن أهل مصر المكوس والضرائب ، وقرىء المنشور بذلك على رؤس الأشهاد يوم الجمعة بعد الصلاة ثالث صفر . وفىها حصلت نفرة بين نور الدين وصلاح الدين ، وذلك أن نور الدين غزا فى هذه السنة بلاد الفرنج فى السواحل فأحل بهم بأساً شديداً ، وقرر فى أنفسهم منه نقمة ووعيداً ، ثم عزم على محاصرة الكرك وكتب إلى صلاح الدين يلتقيه بالعساكر المصرية إلى بلاد الكرك ، ليجتمعا هنالك ويتفقا على المصالح التى يعود نفعها على المسلمين ، فتوهم من ذلك صلاح الدين وخاف أن يكون لهذا الأمر غائلة يزول بها ما حصل له من التمكن من بلاد مصر ، ولكنه مع ذلك ركب فى جيشه من مصر لأجل امتثال المرسوم ، فسار أياًماً ، ثم كرّ راجعاً معتلاً بقلة الظاهر ، والخوف على اختلال الأمور إذا بعد عن مصر واشتغل عنها ، وأرسل يعتذر إلى نور الدين . فوقع فى نفسه منه ، واشتد غضبه عليه ، وعزم على الدخول إلى مصر وانتزاعها من صلاح الدين وتوليئتها غيره ، ولما بلغ هذا الخبر صلاح الدين ضاق بذلك ذرعه ، وذكر ذلك بحضور الأمراء والكبراء ، فبادر ابن أخيه تقي الدين عمر وقال : والله لو قصدنا نور الدين لنقاتلنه ، فشتمة الأمير

نجم الدين أيوب والد صلاح الدين وسببه وأسكنه ، ثم قال لابنه : اسمع ما أقول لك ، والله ما ههنا أحد أشفق عليك مني ومن خالك هذا - يعنى شهاب الدين الحارمى - ولورأينا نور الدين لبادرنا إليه ولقبلنا الأرض بين يديه ، وكذلك بقية الأمراء والجيش ، ولو كتب إلى أن أبعثك إليه مع نجاب لغعلت ، ثم أمر من ههناك بالانصراف والذهاب ، فلما خلى بابنه قال له : أمالك عقل ؟ تذكر مثل هذا بمحضرة هؤلاء فيقول عمر مثل هذا الكلام فتقره عليه ، فلا يبقى عند نور الدين أهم من قصدك وقتلك وخراب ديارنا ، وأعمارنا ، ولو قد رأى الجيش كلهم نور الدين لم يبق معك واحد منهم ، ولذهبوا كلهم إليه ، ولكن ابعت إليه وترفق له وتواضع عنده ، وقل له : وأى حاجة إلى مجيئ مولانا السلطان إلى قتلى ؟ ابعت إلى بنجباب أو جمال حتى أجيئ معه إلى بين يديك . فبعث إليه بذلك فلما سمع نور الدين مثل هذا الكلام لان قلبه له ، وانصرفت همته عنه ، واشتغل بغيره ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً .

وفيهما اتخذ نور الدين الحمام الهوادى ، وذلك لامتداد مملكته واتساعها ، فانه ملك من حد النوبة إلى همدان لا يتخطاها إلا بلاد الفرنج ، وكلهم تحت قهره وهدنته ، ولذلك اتخذ في كل قلعة وحصن الحمام التى يحمل الرسائل إلى الآفاق أسرع مدة ، وأيسر عدة ، وما أحسن ما قال فيهन القاضى الفاضل الحمام ملائكة الملوك ، وقد أظنبت ذلك العماد الكاتب ، وأطرب وأعجب وأغرب .

ومن توفى فيها من الأعيان . ﴿ عبد الله بن أحمد ﴾

ابن أحمد بن أحمد أبو محمد بن الخشاب ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، واشتغل بالنحو حتى ساد أهل زمانه فيهما ، وشرح الجمل لعبد القاهر [الجرجاني] ، وكان رجلاً صالحاً متطوعاً ، وهذا نادر فى النحاة ، توفى فى شعبان من هذه السنة ودفن قريباً من الامام أحمد ، ورؤى فى المنام فقيل له ما فعل الله بك ؟ فقال غفرلى وأدخلنى الجنة إلا أنه أعرض عنى وعن جماعة من العلماء تركوا العمل واشتغلوا بالقول ، قال ابن خلكان : كان مطرحاً للكلفة فى مأكله وملبسه ، وكان لا يبالى بمن شرق أو غرب .

﴿ محمد بن محمد بن محمد ﴾

أبو المظفر الدوى ، تفقه على محمد بن يحيى تلميذ الغزالى ، وناظر ووعظ ببغداد ، وكان يظهر مذهب الأشعرى ، ويتكلم فى الحنابلة مات فى رمضان منها .

﴿ ناصر بن الجوى الصوفى ﴾

كان يمشى فى طلب الحديث حافياً ، توفى ببغداد . قال أبو شامة : وفيها توفى .

﴿ نصر الله [بن عبد الله] أبو الفتوح ﴾

الاسكندرى المعروف بابن قلاقس الشاعر بعينداب ، توفى عن خمس وأربعين سنة .

والشيخ أبو بكر يحيى بن سعدون القرطبي ، نزيل الموصل المقرئ النحوي ، قال : وفيها ولد العزيز والظاهر ابنا صلاح الدين ، والمنصور محمد بن تقي الدين عمر .
﴿ ثم دخلت سنة ثمان وستين وخمسمائة ﴾

فيها أرسل نور الدين إلى صلاح الدين - وكان الرسول موفق خالد بن القيسراني - ليقم حساب الديار المصرية ، وذلك لأن نور الدين استقل الهدية التي أرسل بها إليه من خزائن العاضد ، ومقصوده أن يقرر على الديار المصرية خراجاً منها في كل عام . وفيها حاصر صلاح الدين الكرك والشوبك فضيق على أهلها ، وخرب أماكن كثيرة من معاملاتها ، ولكن لم يظفر بها عامه ذلك . وفيها اجتمعت الفرنج بالشام لقصد زرع ^(١) ، فوصلوا إلى ممسكين فبرز إليهم نور الدين فبرزوا منه إلى الغور ، ثم إلى السواد ، ثم إلى الشلالة ، فبعث سرية إلى طبرية فعاثوا هنالك وسبوا وقتلوا وغنموا وعادوا سالمين ، ورجع الفرنج خائبين ، وفيها أرسل السلطان صلاح الدين أخاه شمس الدولة نور شاه إلى بلاد النوبة فافتتحها ، واستحوذ على مقلها وهو حصن يقال له إبراهيم ، ولما رآها بلدة قليلة الجدوى لا يفي خراجها بكلفتها ، استخاف على الحصن المذكور رجلاً من الأكراد يقال له إبراهيم ، فجعله مقدماً مقررأً بمحسن إبراهيم ، وانضاف إليه جماعة من الأكراد البطالين ، فكثرت أموالهم وحسنت أحوالهم هنالك وشنوا الغارات وحصلوا على الغنائم .

وفيها كانت وفاة الأمير نجم الدين أيوب بن شادي والد صلاح الدين ، سقط عن فرسه فمات وسنأى على ترجمته في الوفيات . وفيها سار الملك نور الدين إلى بلاد عز الدين قلعج أرسلان بن مسعود ابن قلعج أرسلان بن سليمان السلجوقي ، وأصلح ما وجدته فيها من الخلل . ثم سار فافتتح مرعش وبهسنا ، وعمل في كل منهما بالحسن . قال العماد : وفيها وصل الفقيه الامام الكبير قطب الدين النيسابوري ، وهو فقيه عصره ونسيب وحده ، فسر به نور الدين وأنزله بحلب بمدرسة باب العراق ، ثم أتى به إلى دمشق فدرس بزواية جامع الغربية المعروفة بالشيخ نصر المقدسي ، ثم نزل بمدرسة الحاروق ، ثم شرع نور الدين بإنشاء مدرسة كبيرة للشافعية ، فأدركه الأجل قبل ذلك . قال أبو شامة : وهي العادلة الكبيرة التي عمرها بعد ذلك الملك العادل أبو بكر بن أيوب . وفيها رجع شهاب الدين بن أبي عصرون من بغداد وقد أدى الرسالة بالخطبة العباسية بالديار المصرية ، ومعه توقيع من الخلافة باقطاع درب هارون وصر يمين لنور الدين ، وقد كانتا قديماً لأبيه عماد الدين زنكي ، فأراد نور الدين أن ينشئ ببغداد مدرسة على حافة الدجلة ، ويجعل هذين المكانين وقفاً عليها فعاثه القدر عن ذلك . وفيها وقعت بناحية خوارزم حرب كثيرة بين سلطان شاه وبين أعدائه ، استقصاها ابن الأثير وابن الساعي .

(١) كذا في الاصل . وفي ابن الأثير : قصدوا بلاد حوران من أعمال دمشق .

وفيهما هزم ملك الأرمن مليسح بن ليون عساكر الروم، وغنم منهم شيئاً كثيراً، وبعث إلى نور الدين بأموال كثيرة، وثلاثين رأساً من رؤس كبارهم، فأرسلها نور الدين إلى الخليفة المستضيء. وفيها بعث صلاح الدين سرية صحبه قراقش مملوك تقي الدين عمر ابن شاهنشاه إلى بلاد إفريقية، فملكوا طائفة كثيرة منها، من ذلك مدينة طرابلس الغرب وعدة مدن معها. ومن توفي فيها من الأعيان ﴿إيلدكز التركي الأتابكي﴾

صاحب أذربيجان وغيرها، كان مملوكاً للكمال السميرمي، وزير السلطان محمود، ثم علا أمره وتمكن وملك بلاد أذربيجان وبلاد الجبل وغيرها، وكان عادلاً منصفاً شجاعاً محسناً إلى الرعية، توفي بهمدان ﴿الأمير نجم الدين أبو الشكر أيوب بن شادي﴾ ابن مروان، زاد بعضهم بعد مروان بن يعقوب، والذي عليه جمهورهم أنه لا يعرف بعد شادي أحد في نسبهم، وأغرب بعضهم وزعم أنهم من سلالة مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية، وهذا ليس بصحيح، والذي نسب إليه ادعاء هذا هو أبو الفداء إسماعيل بن طغتكين بن أيوب بن شادي ويعرف بابن سيف الاسلام، وقد ملك اليمن بعد أبيه فتعاضد في نفسه وادعى الخلافة وتلقب بالامام الهادي بنور الله ولهجوا بذلك وقال هو في ذلك:

وأنا الهادي الخليفة والذي * أدوس رقاب الغلب بالضمير الجرد
ولا بد من بغداد أطوى ربوعها * وأنشرها نشر الشمس على البرد
وأنصب أعلامي على شرفاتها * وأحيي بها ما كان أسه جدي
ويخطب لي فيها على كل منبر * وأظهر أمر الله في الغور والنجد

وما ادعاء ليس بصحيح، ولا أصل له يعتمد عليه، ولا مستند يستند إليه، والمقصود أن الأمير نجم الدين كان أسن من أخيه أسد الدين شيركوه، ولد بأرض الموصل، كان الأمير نجم الدين شجاعاً، خدم الملك محمد بن ملكشاه فرأى فيه شهامة وأمانة، فولاه قلعة تكريت، فحكم فيها فعدل، وكان من أكرم الناس، ثم أقطعها الملك مسعود لمجاهد الدين نهر وزشحنة العراق، فاستمر فيها، فاجتاز به في بعض الأحيان الملك عماد الدين زنكي منهزماً من قراجا الساقى فأواه وخدمه خدمة بالغة تامة، وداوى جراحاته وأقام عنده مدة خمسة عشر يوماً، ثم ارتحل إلى بلده الموصل، ثم اتفق أن نجم الدين أيوب عاقب رجلاً نصرانياً قتلته، وقيل إنما قتل أخوه أسد الدين شيركوه، وهذا بخلاف الذي ذكره ابن خلكان، فانه قال: رجعت جارية من بعض الخدم فذكرت له أنه تعرض لها اسفهلار الذي بباب القلعة، فخرج إليه أسد الدين فطعنه بحربة فقتله، فحبسه أخوه نجم الدين وكتب إلى مجاهد الدين نهر وزيخبره بصورة الحال، فكتب إليه يقول: إن أباً كما كانت

له على خدمة ، وكان قد استنابه في هذه القلعة قبل ابنه نجم الدين أيوب ، وإني أكره أن أسوء كما ، ولكن انتقلا منها . فأخرجهما نهر ووز من قلعته . وفي ليلة خروجه منها ولد له الملك الناصر صلاح الدين يوسف . قال فتشاءمت به لفقدى بلدى ووطنى ، فقال له بعض الناس : قد نرى ما أنت فيه من التشاؤم بهذا المولود فما يؤمنك أن يكون هذا المولود ملكاً عظيماً له صيت ؟ فكان كقَالَ ، فاتصلا بخدمة الملك عماد الدين زنكى أبى نور الدين ، ثم كانا عند نور الدين متقدمان عنده ، وارتفعت منزلتهما وعظما ، فاستناب نور الدين نجم الدين أيوب على بعلبك ، وكان أسد الدين من أكبر أمرائه ، ولما تسلم بعلبك أقام مدة طويلة ، وولد له فيها أكثر أولاده ، ثم كان من أمره ما ذكرناه في دخوله الديار المصرية . ثم إنه في ذى الحجة سقط عن فرسه فمات بعد ثمانية أيام في اليوم السابع والعشرين من ذى الحجة من هذه السنة ، وكان ابنه صلاح الدين محاصر الكرك غائباً عنه ، فلما بلغه خبر موته تألم لغيبته عن حضوره ، وأرسل يتحرق ويتحزن ، وأنشد :

وتخطفه يد الردى في غيبتي * هبني حضرت ، فكنت ماذا أصنع ؟

وقد كان نجم الدين أيوب كثير الصلاة والصدقة والصيام ، كريم النفس جواداً ممدحاً . قال ابن خلكان : وله خانقاه بالديار المصرية ، ومسجد وقناة خارج باب النصر من القاهرة ، وقفها في سنة ست وستين . قلت : وله بدمشق خانقاه أيضاً ، تعرف بالنجمية ، وقد استنابه ابنه على الديار المصرية حين خرج إلى الكرك ، وحكمه في الخزائن ، وكان من أكرم الناس ، وقد امتدحه الشعراء كالعماد وغيره ورثوه بمراث كثيرة ، وقد ذكر ذلك مستقصى الشيخ أبو شامة في الروضتين ، ودفن مع أخيه أسد الدين بدار الامارة ، ثم نقلا إلى المدينة النبوية في سنة ثمانين ، فدفنا بتربة الوزير جمال الدين الموصلى ، الذى كان مواخياً لأسد الدين شيركوه ، وهو الجلال المتقدم ذكره ، الذى ليس بين تربته ومسجد النبي ﷺ إلا مقدار سبعة عشر ذراعاً ، فدفنا عنده . قال أبو شامة : وفي هذه السنة توفى ملك الرافضة والنحاة .

✽ الحسن بن ضافى بن بزدن التركى ✽

كان من أكبر أمراء بغداد المتحكمين في الدولة ، ولكنه كان رافضياً خبيثاً متمصباً للرافض ، وكانوا في خفارته وجاهه ، حتى أراح الله المسلمين منه في هذه السنة في ذى الحجة منها ، ودفن بداره ثم نقل إلى مقابر قریش فله الحمد والمنة . وحين مات فرح أهل السنة بموته فرحاً شديداً ، وأظهروا الشكر لله ، فلا تجدد أحداً منهم إلا بحمد الله ، ففضب الشيعة من ذلك ، ونشأت بينهم فتنة بسبب ذلك . وذكر ابن الساعى في تاريخه أنه كان في صغره شاباً حسناً مليحاً معشوقاً للأكابر من الناس . قال ولشيخنا أبى اليمن الكندى فيه ، وقد رمدت عينه :

بكل صباح لى وكل عشية • وقوف على أبوابكم وسلام
وقد قيل لى يشكوسقاما بعينه • فها نحن منها نشتكى ونضام
﴿ ثم دخلت سنة تسع وستين وخمسمائة ﴾

قال ابن الجوزى فى المنتظم : إنه سقط عندم ببغداد برد كبار كالنارنج ، ومنه ما وزنه سبعة أرتال ، ثم أعقب ذلك سيل عظيم ، وزيادة عظيمة فى دجلة ، لم يعهد مثلها أصلا ، فغرب أشياء كثيرة من العمران والقرى والمزارع ، حتى القبور ، وخرج الناس إلى الصحراء ، وكثر الضجيج والابتهاال إلى الله حتى فرج الله عز وجل ، وتناقصت زيادة الماء بحمد الله ومنه ، قال : وأما الموصل فانه كان بها نحو ما كان ببغداد وانهدم بالماء نحو من ألفى دار ، واستهدم بسببه مثل ذلك ، وهلك تحت الردم خلق كثير ، وكذلك الفرات زادت زيادة عظيمة ، فهلك بسببها شئ كثير من القرى ، وغلت الأسعار بالعراق فى هذه السنة فى الزروع والثمار ، ووقع الموت فى الغنم ، وأصيب كثير من أكل منها بالعراق وغيرها . قال ابن الساعى : وفى شوال منها توالى الأمطار بديار بكر والموصل أربعين يوما وليلة لم يروا الشمس سوى مرتين لحظتين يسيرتين ، ثم تستمر بالغيوم ، فتهدمت بيوت كثيرة ، ومساكن على أهلها ، وزادت الدجلة بسبب ذلك زيادة عظيمة ، وغرق كثير من مساكن بغداد والموصل ، ثم تناقص الماء باذن الله . قال ابن الجوزى : وفى رجب وصل ابن الشهر زورى من عند نور الدين ومعه ثياب مصرية ، وحجارة ملونة جلدها مخطط مثل الثوب العتاق . وفيها عزل ابن الشامى عن تدريس النظامية ووليها أبو الخير القزوينى . قال : وفى جمادى الآخرة اعتقل الحجير الفقيه ونسب إلى الزندقة والانحلال وترك الصلاة والصوم ، فغضب له ناس وزكوه وأخرج ، وذكر أنه وعظ بالحدثية فاجتمع عنده قريبا من ثلاثين ألفا . قال ابن الساعى : وفيها سقط أحمد بن أمير المؤمنين المستضى من قبة شاهقة إلى الأرض فسلم ، ولكن نبت يده اليمنى وساعده اليسرى ، وانسلخ شئ من أنفه ، وكان معه خادم أسود يقال له نجاح ، فلما رأى سيده قد سقط ألقى هو نفسه أيضا خلفه ، وقال : لا حاجة لى فى الحياة بعده ، فسلم أيضا ، فلما صارت الخلافة إلى أبى العباس الناصر - وهو هذا الذى قد سقط - لم ينسها لنجاح هذا ، فحكمه فى الدولة وأحسن إليه ، وقد كانا صغيرين لما سقطا . وفيها سار الملك نور الدين نحو بلاد الروم وفى خدمته الجيش وملك الأرمن وصاحب ملطية ، وخلق من الملوك والأمراء ، وافتتح عدة من حصونهم ، وحاصر قلعة الروم فصالحه صاحبها بخمسين ألف دينار جزية ، ثم عاد إلى حلب وقد وجد النجاح فى كل ما طلب ، ثم أتى دمشق مسرورا محبورا . وفيها كان فتح بلاد اليمن للملك صلاح الدين ، وكان سبب ذلك أن صلاح الدين بلغه أن بها رجلا يقال له عبد النبي بن مهدي ، وقد تغلب عليها ودعا إلى نفسه وتسمى بالامام ، وزعم أنه

سيملك الأرض كلها ، وقد كان أخوه على بن مهدي قد تغلب قبله عليها ، وانتزعها من أيدي أهل زبيد ، ومات سنة ستين فملكها بعده أخوه هذا ، وكل منهما كان سبي السيرة والسريرة ، فعزم صلاح الدين لكثرة جيشه وقوته على إرسال سرية إليه ، وكان أخوه الأكبر شمس الدولة شجاعاً مهيباً بطلاً وكان ممن يجالس عمارة النبي الشاعر ، وكان عمارة ينعت له بلاد اليمن وحسنها وكثرة خيرها ، فغداه ذلك على أن خرج في تلك السرية في رجب من هذه السنة ، فورد مكة فاعتمر بها ثم سار منها إلى زبيد ، فخرج إليه عبد النبي فقاتله فهزمه توران شاه ، وأسرته وأسر زوجته الحرة ، وكانت ذات أموال جزيلة فاستقرها على أشياء جزيلة ، وذخائر جليلة ، ونهب الجيش زبيد ، ثم توجه إلى عدن فقاتله بأسر ملكها فهزمه وأسرته ، وأخذ البلد بيسير من الحصار ، ومنع الجيش من نهبها ، وقال ما جئنا لنخرب البلاد ، وإنما جئنا لعمارتها وملكها ، ثم سار في الناس سيرة حسنة عادلة فأحبوه ، ثم تسلم بقية الحصون والمعقل والمخالف ، واستوسق له ملك اليمن بمخذافيره وألقى إليه أفلاذ كبده ومطاميره ، وخطب للخليفة العباسي المستضيء ، وقتل الدعى المسمى بعبس النبي ، وصفت اليمن من أكرارها ، وعادت إلى ما سبق من مضارها ، وكتب بذلك إلى أخيه الملك الناصر يخبره بما فتح الله عليه ، وأحسن إليه ، فكتب الملك صلاح الدين بذلك إلى نور الدين ، فأرسل نور الدين بذلك إلى الخليفة يبشره بفتح اليمن والخطبة بها له . وفيها خرج الموفق خالد بن القيسراني من الديار المصرية ، وقد أقام بها الملك الناصر حساب الديار المصرية وما خرج من الحواصل حسب ما رسم به الملك نور الدين كما تقدم ، وقد كاد صلاح الدين لما جاءته الرسالة بذلك يظهر شق العصا ويواجه بالمخالفة والاباء ، لكنه عاد إلى طباعه الحسنة وأظهر الطاعة المستحسنة ، وأمر بكتابة الحساب ونحري الكتاب والجواب ، فبادر إلى ذلك جماعة الدواوين والحساب والكتاب ، وبعث مع ابن القيسراني بهدية سنوية وتحف هائلة هنية ، فن ذلك خمس ختمات شريفات منغطات بخطوط مستويات ، ومائة عقد من الجواهر النفيسة ، خارجاً عن قطع البلخش واليواقيت ، والفصوص والنياب الفاخرات ، والأواني والأباريق والصحاف الذهبيات والفضيات ، والخيول المسومات ، والغلمان والجواري الحسان والحسنات ، ومن الذهب عشرة صناديق مقفلات مخنومات ، مما لا يدري كم فيها من مئين ألوف ومئات ، من الذهب المصري المعد للنفقات . فلما فصلت العير من الديار المصرية لم تصل إلى الشام حتى أن نور الدين مات رحمه الله رب الأرضين والسموات ، فأرسل صلاح الدين من ردها إليه وأعادها عليه ، ويقال إن منها ما عدى عليه وعلم بذلك حين وضعت بين يديه .

(مقتل عمارة بن أبي الحسن)

ابن زيدان الحكيم من قحطان ، أبو محمد الملقب بنجم الدين اليمني الفقيه الشاعر الشافعي ،

وسبب قتله أنه اجتمع جماعة من رؤس الدولة الفاطمية الذين كانوا فيها حكاماً فاتفقوا بينهم أن يردوا الدولة الفاطمية ، فكتبوا إلى الفرنج يستدعونهم إليهم ، وعينوا خليفة من الفاطميين ، ووزيرا وأمرأه وذلك في غيبة السلطان ببلاد الكرك لم يتم اتفاق مجيئه فحرض عمارة اليمني شمس الدولة توران شاه على المسير إلى اليمن ليضعف بذلك الجيش عن مقاومة الفرنج ، إذا قدموا لنصرة الفاطميين ، فخرج توران شاه ولم يخرج معه عمارة ، بل أقام بالقاهرة يفيض في هذا الحديث ، ويدخل المتكلمين فيه ويصافيههم ، وكان من أكبر الدعاة إليه والمحرضين عليه لم وقد أدخلوا معهم فيه بعض من ينسب إلى صلاح الدين ، وذلك من قلة عقولهم وتمجيل دمارهم ، فخافهم أحوج ما كانوا إليه وهو الشيخ زين الدين علي بن نجبا الواعظ ، فانه أخبر السلطان بما تمالؤا وتعاهدوا عليه ، فأطلق له السلطان أموالاً جزيلة ، وأفاض عليه حملاً جميلة ، ثم استدعاهم السلطان واحداً واحداً فقررهم فأقر وأبذل ، فاعتقلهم ثم استنقوا الفقهاء في أمرهم فأفتوه بقتلهم ، ثم عند ذلك أمر بقتل رؤسهم وأعيانهم ، دون أتباعهم وغلمانهم ، وأمر بنى من اتى من جيش العبيدين إلى أقصى البلاد ، وأفرد ذرية العاصد وأهل بيته في دار ، فلا يصل إليهم إصلاح ولا إفساد ، وأجرى عليهم ما يليق بهم من الأرزاق والثياب ، وكان عمارة معادياً للقاضي الفاضل ، فلما حضر عمارة بين يدي السلطان قام القاضي الفاضل إلى السلطان ليشفع فيه عنده فتوهم عمارة أنه يتكلم فيه ، فقال : يا مولانا السلطان لا تسمع منه ، فغضب الفاضل وخرج من القصر ، فقال له السلطان : إنه إنما كان يشفع فيك ، فندم ندماً عظيماً . ولما ذهب به ليصلب مر بدار الفاضل فطلبه فغيب عنه فأنشد :

عبد الرحيم قد احتجب * إن الخلاص هو المعجب

قال ابن أبي طى : وكان الذين صلبوا الفضل بن السكامل القاضي ، وهو أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن كامل قاضي قضاة الديار المصرية زمن الفاطميين ، ويلقب بفخر الأمراء ، فكان أول من صلب فيما قاله العماد ، وقد كان ينسب إلى فضيلة وأدب ، وله شعر رائع ، فمن ذلك قوله في غلام رقاء

يارافيا خرق كل ثوب * وما رفاقه اعتقادي

عسى بكف الوصال نرفو * ما مزق الهجر من فؤادي

وابن عبد القوى داعى الدعاة ، وكان يعلم بدقائق القصر فوقب ليدل عليها ، فامتنع من ذلك فمات واندرست . والعويرس وهو ناظر الديوان ، وتولى مع ذلك القضاء . وشهريار وهو كاتب السر . وعبد الصمد الكاتب وهو أحد أمراء المصريين ، ونجاح الحامى ومنجم نصراني كان قد بشرهم بأن هذا الأمر يتم بعلم النجوم .

﴿ عمارة اليمنى الشاعر ﴾

وكان عمارة شاعراً مطبقاً بليغاً فصيحاً ، لا يلحق شأوه في هذا الشأن ، وله ديوان شعر مشهور وقد ذكرته في طبقات الشافعية لأنه كان يشتغل بمذهب الشافعى ، وله مصنف في الفرائض ، وكتاب الوزراء الفاطميين ، وكتاب جمع سيرة نفيسة التى كان يعتقدوها عوام مصر ، وقد كان أديباً فاضلاً قتيماً ، غير أنه كان ينسب إلى موالاة الفاطميين ، وله فيهم وفى وزراءهم وأمرائهم مدائح كثيرة جداً وأقل ما كان ينسب إلى الرفض ، وقد اتهم بالزندقة والكفر المحض لمؤذ كر العباد فى الجريدة أنه قال فى قصيدته التى يقول فى أولها :

العلم مذ كان محتاج إلى العلم * وشفرة السيف تستغنى عن القلم
وهى طويلة جداً ، فيها كفر وزندقة كثيرة . قال وفيها :

قد كان أول هذا الدين من رجل * سعى إلى أن دعوه سيد الأمم
قال العباد فأفتى أهل العلم من أهل مصر بقتله ، وحرصوا السلطان على المثلة به وبمثله ، قال ويجوز أن يكون هذا البيت معمولاً عليه والله أعلم . وقد أورد ابن الساعى شيئاً من رقيق شعره فمن ذلك قوله يمدح بعض الملوك :

إذا قابلت بشرى جبينه * فارقه والبشر فوق جبينى
وإذا لثمت يمينه وخرجت من * بابه لثم الملوك يمينى
ومن ذلك قوله :

لى فى هوى الرشا العذرى إغذار * لم يبق لى مدا قسر الدمع إنكار
لى فى القدود وفى لثم الخدود * دوفى ضم النهود لبانات وأوطار
هذا اختيارى فوافق إن رضيت به * وإلا فدعنى لما أهوى واختار
ومما أنشده الكندى فى عمارة اليمنى حين صلب :

عمار فى الاسلام أبدى جنابة * وبأيع فيها بيعة وصليبا
وأسمى شريك الشريك فى بعض أحمد * وأصبح فى حب الصليب صليباً
سلبى غدا ما كان يسمى لنفسه * ويسقى صديداً فى لظى وصليباً

قال الشيخ أبو شامة : فالأول صليب النصرارى ، والثانى بمعنى مصلوب ، والثالث بمعنى القوى ، والرابع ودك العظام . ولما صلب الملك الناصر هؤلاء يوم السبت الثانى من شهر رمضان من هذه السنة بين القصرين من القاهرة ، كتب إلى الملك نور الدين يعلمه بما وقع منهم وبهم من الخزى والنكال ، قال العماد : فوصل الكتاب بذلك يوم توفى الملك نور الدين رحمه الله تعالى ،

وكذلك قتل صلاح الدين رجلا من أهل الاسكندرية يقال له قديد القفاجي ، كان قد افتنن به الناس ، وجعلوا له جزءا من أ كسابهم ، حتى النساء من أمواهن ، فأحيط به فأراد القفاجي الخلاص ولات حين مناص ، فقتل أسوة فيمن سلف ، ومما وجد من شهر عمارة يرثي العاضد ودولته وأيامه .

أسفى على زمان الامام العاضد * أسف العقيم على فراق الواحد
لهفى على حجرات قصرك إذ خلت * يا ابن النبي من ازدحام الوافد
وعلى انفرادك من عساكرك التي * كانوا كأمواج الخضم الراكد
قلدت مؤتمن أمرهم فكبا * وقصر عن صلاح الفاسد
فعسى الليالى أن ترد إليكم * ما عودتكم من جميل عوائد
وله من جملة قصيدة :

يا عاذلى فى هوى ابناء فاطمة * لك الملامة إن قصرت فى عدلى
بالله ذر ساحة القصرين وابك معى * لا على صفين [البكا] ولا الجلى
وقل لاهلهم والله ما التحمت * فيكم قروحي ولا جرحى بئندمل
ماذا ترى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل ابني أمير المؤمنين على
وقد أورد له الشيخ أبو شامة فى الروضتين أشعارا كثيرة من مدائحه فى الفاطميين ، وكذا ابن خلكان .

صاحب كتاب مطالع الأنوار ، وضعه على كتاب مشارق الأنوار للقاضى عياض ، وكان من علماء بلاده وفضلائهم المشهورين ، مات فجأة بعد صلاة الجمعة سادس شوال منها عن أربع وستين سنة قاله ابن خلكان والله سبحانه وتعالى أعلم .

فصل

« فى وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بن آقسنقر التركى السلجوقى فى هذه السنة وذكر شىء من سيرته العادلة الكاملة »

هو الملك العادل نور الدين أبو القاسم محمود بن الملك الاتابك قسيم الدولة عماد الدين أبى سعيد زنكى الملقب بالشهيد بن الملك آقسنقر الاتابك الملقب بقسيم الدولة التركى السلجوقى مولاهم ، ولا وقت طلوع الشمس من يوم الأحد السابع عشر من شوال سنة إحدى عشرة وخمسة مائة بمعد ونشأ فى كفالة والده صاحب حلب والموصل وغيرها من البلدان الكثيرة الكبيرة ، وتعلم

والفرسية والرمي ، وكان شهماً شجاعاً ذا همة عالية ، وقصد صالح ، وحرمة وافرة وديانة بينة ، فلما قتل أبوه سنة إحدى وأربعين وهو محاصر جعبر كما ذكرنا ، صار الملك يحلب إلى ابنه نور الدين هذا ، وأعطاه أخوه سيف الدين غازي الموصل ، ثم تقدم ، ثم افتتح دمشق في سنة تسع وأربعين فأحسن إلى أهلها وبنى لهم المدارس والمساجد والربط ، ووسع لهم الطرق على المارة ، وبنى عليها الرصافات ووسع الأسواق ، ووضع المكوس بدار الغنم والبطيخ والعرض ، وغير ذلك ، وكان حنفي المذهب يحب العلماء والفقراء ويكرمهم ويحترمهم ، ويحسن إليهم ، وكان يقوم في أحكامه بالمعدلة الحسنة ، واتباع الشرع المطهر ، ويعقد مجالس العدل ويتولاها بنفسه ، ويجتمع إليه في ذلك القاضي والفقهاء والمفتيون من سائر المذاهب ، ويجلس في يوم الثلاثاء بالمسجد المعلق ، الذي بالكشك ، ليصل إليه كل واحد من المسلمين وأهل الذمة ، حتى يساويهم ، وأحاط السور على حارة اليهود ، وكان خراباً ، وأغلق باب كسان وفتح باب الفرج ، ولم يكن هناك قبله باب بالسككية ، وأظهر ببلاده السنة وأما البدعة ، وأمر بالتأذين بحى على الصلاة حتى على الفلاح ، ولم يكن يؤذن بهما في دولتي أبيه وجده ، وإنما كان يؤذن بحى على خير العمل لأن شعار الرفض كان ظاهراً بهما ، وأقام الحدود وفتح الحصون ، وكسر الفرنج مراراً عديدة ، واستنقذ من أيديهم معاقلة كثيرة من الحصون المنيعه ، التي كانوا قد استحوذوا عليها من معاقلة المسلمين ، كما تقدم بسط ذلك في السنين المتقدمة ، وأقطع العرب إقطاعات اثلاً يتعرضوا للحجيج ، وبنى بدمشق مارستاناً لم يكن في الشام قبله مثله ولا بعده أيضاً ، ووقف وقفاً على من يعلم الأيتام الخط والقراءة ، وجعل لهم نفقة وكسوة ، وعلى الجاورين بالحرمين وله أوقاف دارة على جميع أبواب الخير ، وعلى الأراذل والحاويج ، وكان الجامع دائراً فولى نظره القاضي كمال الدين محمد بن عبد الله الشهرزوري الموصل ، الذي قدم به فولاه قضاء قضاء دمشق ، فأصلح أموره وفتح المشاهد الأربعة ، وقد كانت حواصل الجامع بها من حين احترقت في سنة إحدى وستين وأربعمائة ، وأضاف إلى أوقاف الجامع المعلومة الأوقاف التي لا يعرف واقفوها ، ولا يعرف شروطهم فيها ، وجعلها قلعاً واحداً ، وصنى مال المصالح ، ورتب عليه لذوى الحاجات والفقراء والمساكين والأراذل والأيتام وما أشبه ذلك . وقد كان رحمه الله حسن الخط كثير المطالعة للكتب الدينية ، متبعاً للآثار النبوية ، محافظاً على الصلوات في الجماعات ، كثير التلاوة محباً لفعل الخيرات ، عفيف البطن والفرج مقنصداً في الانفاق على نفسه وعباله في المطعم والملبس ، حتى قيل : إنه كان أدنى الفقراء في زمانه أعلا نفقة منه من غير اكتناز ولا استئثار بالدنيا ، ولم يسمع منه كلمة فحش قط ، في غضب ولا رضى ، صديقاً وقوراً . قال ابن الأثير : لم يكن بعد عمر بن عبد العزيز مثل الملك نور الدين ، ولا أكثر تحريراً للعدل والانصاف منه ، وكانت له دكاكين بمحصى قد اشتراها مما ينقصه من المغنم ،

فكان يقتات منها ، وزاد امرأته من كراهاها على نفقتها عليها ، واستفتى العلماء في مقدار ما يحل له من بيت المال فكان يتناوله ولا يزيد عليه شيئا ، ولو مات جوعاً ، وكان يكثر اللعب بالكرة فعاتبه رجل من كبار الصالحين في ذلك فقال : إنما الأعمال بالنيات ، وإنما أريد بذلك تمرين الخيل على الكر والفرو ، وتعليمها ذلك ، ونحن لا نترك الجهاد ، وكان لا يلبس الحرير ، وكان يأكل من كسب يده بسيفه ورمحه ، وركب يوماً مع بعض أصحابه والشمس في ظهورها والظل بين أيديهما لا يدركانه ثم رجعا فصار الظل وراءهما ثم ساق نور الدين فرسه سوقاً غنيفاً وظله يتبعه ، فقال لصاحبه : أتدري ما شبهت هذا الذي نحن فيه ؟ شبهته بالدنيا تهرب ممن يطلبها ، وتطلب من يهرب منها ، وقد أنشد بعضهم في هذا المعنى :

الذي

مثل الرزق الذي تطلبه * مثل الظل يمشي معك

أنت لا تدركه مستعجلاً * فإذا وليت عنه تبعك

وكان فقيهاً على مذهب أبي حنيفة ، وسمع الحديث وأسمعه ، وكان كثير الصلاة بالليل من وقت السحر إلى أن يركب :

جمع الشعاعة والخشوع لديه * ما أحسن الشجعان في الحراب

وكذلك كانت زوجته عصمت الدين خاتون بنت الاتابك معين الدين تكثّر القيام في الليل فنامت ذات ليلة عن وردها فأصبحت وهي غضبي ، فسألها نور الدين عن أمرها فذكرت نومها الذي فوت عليها وردها ، فأمر نور الدين عند ذلك بضرب طبليخانة في القلعة وقت السحر لتوقظ النائم ذلك الوقت لقيام الليل ، وأعطى الضارب على الطبليخانة أجراً جزيلاً ، وجراية كثيرة فلبس الله هاتيك العظام وإن * بلين تحت الثرى عفواً وغفرانا سقى نرى أودعوه رحمة ملأت * مشوى قبورهم روحاً وربحانا

وذكر ابن الأثير أن الملك نور الدين بينما هو ذات يوم يلعب بالكرة إذ رأى رجلاً يحدث آخر ويومئ إلى نور الدين ، فبعث الحاجب ليسأله ما شأنه ، فإذا هو رجل معه رسول من جهة الحاكم ، وهو يزعم أن له على نور الدين حقاً يريد أن يحاكمه عند القاضي ، فلما رجع الحاجب إلى نور الدين وأعلمه بذلك ألقى الجوكان من يده ، وأقبل مع خصمه ماشياً إلى القاضي الشهرزوري ، وأرسل نور الدين إلى القاضي أن لا تعاملني إلا معاملة الخصوم ، فحين وصلا وقف نور الدين مع خصمه بين يدي القاضي ، حتى انفصلت الخصومة والحكومة ، ولم يثبت للرجل على نور الدين حق ، بل ثبت الحق للسلطان على الرجل ، فلما تبين ذلك قال السلطان إنما جئت معه لئلا يتخلف أحد عن الحضور إلى الشرع إذا دعى إليه ، فأنما نحن معاشر الحكام أعلننا وأداننا شجنيكية لرسول الله ﷺ ولشرعه

فتمن قائمون بين يديه طوع مراسيمه ، فما أمر به امتثلناه ، وما نهانا عنه اجتنبناه ، وأنا أعلم أنه لاحق لارجل عندي ، ومع هذا أشهدكم أنني قد ملكته ذلك الذي ادعى به ووهبته له . قال ابن الأثير : وهو أول من ابتنى داراً للعدل ، وكان يجلس فيها في الأسبوع مرتين ، وقيل أربع مرات ، وقيل خمس . ويحضر القاضى والفقهاء من سائر المذاهب ، ولا يحجبه يومئذ حاجب ولا غيره بل يصل إليه القوى والضعيف ، فكان يكلم الناس ويستفهمهم ويخاطبهم بنفسه ، فيكشف المظالم ، وينصف المظلوم من الظالم ، وكان سبب ذلك أن أسد الدين شيركوه بن شادى كان قد عظم شأنه عند نور الدين ، حتى صار كأنه شريكه في المملكة ، واقتنى الأملاك والأموال والمزارع والقرى ، وكان ربما ظلم نوابه جيرانه في الأراضى والأملاك العدل ، وكان القاضى كمال الدين ينصف كل من استعده على جميع الأمراء إلا أسد الدين هذا فما كان يهجم عليه ، فلما ابتنى نور الدين دار العدل تقدم أسد الدين إلى نوابه أن لا يدعوا لأحد عنده ظلامة ، وإن كانت عظيمة ، فان زوال ماله عنده أحب إليه من أن يراه نور الدين بعين ظالم ، أو يوقفه مع خصم من العامة ، ففعلوا ذلك ، فلما جلس نور الدين بدار العدل مدة متطاولة ولم ير أحدا يستعدي على أسد الدين ، سأل القاضى عن ذلك فأعلمه بصورة الحال ، فسجد نور الدين شكراً لله ، وقال الحمد لله الذى أصحابنا ينصفون من أنفسهم . وأما شجاعته فيقال : إنه لم ير على ظهر فرس قط أشجع ولا أثبت منه ، وكان حسن اللعب بالكرة وكان ربما ضربها ثم يسوق وراءها ويأخذها من الهوى بيده ، ثم يرميها إلى آخر الميدان ، ولم ير جوكانه يعلو على رأسه ، ولا يرى الجوكان فى يده ، لأن الكم سائر لها ، ولكنه استهانة بلعب الكرة ، وكان شجاعاً صبوراً فى الحرب ، يضرب المثل به فى ذلك ، وكان يقول : قد تعرضت للشهادة غير مرة فلم يتفق لى ذلك ، ولو كان فى خير ولى عند الله قيمة لرزقنيها ، والأعمال بالنية . وقال له يوماً قطب الدين النيسابورى : بالله يا مولانا السلطان لا تخاطر بنفسك فانك لو قتلت قتل جميع من معك ، وأخذت البلاد ، وفسد حال المسلمين . فقال : له اسكت يا قطب الدين فان قولك إساءة أدب على الله ، ومن هو محمود ؟ من كان يحفظ الدين والبلاد قبلى غير الذى لا إله إلا هو ؟ ومن هو محمود ؟ قال فبكى من كان حاضراً رحمه الله .

وقد أسر بنفسه فى بعض الغزوات بعض ملوك الافرنج فاستشار الأمراء فيه هل يقتله أو يأخذ ما يبذل له من المال ؟ وكان قد بذل له فى فداء نفسه مالا كثيراً ، فاختلفوا عليه ثم حسن فى رأيه إطلاقه وأخذ الفداء منه ، فبعث إلى بلده من خلاصته من يأتيه بما افتدى به نفسه ، فجاء به سريعاً فأطلقه نور الدين ، فحين وصل إلى بلاده مات ذلك الملك ببسلته ، فأعجب ذلك نور الدين وأصحابه ، وبنى من ذلك المال المارستان الذى بدمشق ، وليس له فى البلاد نظير ، ومن شرطه أنه على الفقراء والمساكين

وإذا لم يوجد بعض الأدوية التي يعز وجودها إلا فيه فلا يمنع منه الأغنياء ، ومن جاء إليه فلا يمنع من شرابه ، ولهذا جاء إليه نور الدين وشرب من شرابه رحمه الله .

قلت : ويقول بعض الناس إنه لم تحمد منه النار منذ بنى إلى زماننا هذا فإله أعلم . وقد بنى الخانات الكثيرة في الطرقات والأبراج ، ورتب الخفراء في الأماكن الخوفة ، وجعل فيها الحمام الهوادي التي تطلعه على الأخبار في أسرع مدة ، وبنى الربط والخانات ، وكان يجمع الفقهاء عنده والمشايع والصوفية ويكرمهم ويعظمهم ، وكان يحب الصالحين ، وقد قال بعض الأمراء مرة عنده من بعض الفقهاء ، وهو قطب الدين النيسابوري ، فقال له نور الدين : ويحك إن كان ما تقول حقا فله من الحسنات الكثيرة الماحية لذلك ما ليس عندك مما يكفر عنه سيئات ما ذكرت إن كنت صادقا ، على أني والله لا أصدقك ، وإن عدت ذكرته أو أحدا غيره عندي بسوء لاؤذيتك ، فكف عنه ولم يذكره بعد ذلك . وقد ابتنى بدمشق داراً لاستماع الحديث وإسماعه . قال ابن الأثير : وهو أول من بنى دار حديث ، وقد كان مهيباً وقوراً شديداً الهيبة في قلوب الأمراء ، لا ينجس أحد أن يجلس بين يديه إلا باذنه ، ولم يكن أحد من الأمراء يجلس بلا إذن سوى الأمير نجم الدين أيوب ، وأما أسد الدين شيركوه ومجد الدين بن الداية نائب حلب ، وغيرهما من الكافرين فكانوا يقفون بين يديه ، ومع هذا كان إذا دخل أحد من الفقهاء أو الفقراء قام له ومشى خطوات وأجلسه معه على سجاده في وقار وسكون ، وإذا أعطى أحداً منهم شيئاً مستكثراً يقول : هؤلاء جند الله وبدعائهم تنصر على الأعداء ، ولهم في بيت المال حق أضعاف ما أعطيتهم ، فإذا رضوا منا ببعض حقهم فلهم المنة علينا . وقد سمع عليه جزء حديث وفيه « فخرج رسول الله ﷺ متقلداً السيف » فجعل يتعجب من تغيير عادات الناس لما ثبت عنه عليه السلام ، وكيف يربط الأجناد والأمراء على أوساطهم ولا يفعلون كما فعل رسول الله ﷺ ، ثم أمر الجند بأن لا يحملوا السيوف إلا متقلديها ، ثم خرج هو في اليوم الثاني إلى الموكب وهو متقلد السيف وجميع الجيش كذلك ، يريد بذلك الاقتداء برسول الله ﷺ فرحمه الله . وقص عليه وزيره موفق الدين خالد بن محمد بن نصر القيسرائي الشاعر أنه رأى في منامه كأنه يقفل ثياب الملك نور الدين ، فأمره بأن يكتب مناشير بوضع المكوس والضرائب عن البلاد ، وقال له هذا تأويل رؤياك . وكتب إلى الناس ليكون منهم في حل مما كان أخذ منهم ، ويقول لهم إنما صرف ذلك في قتال أعدائكم من الكفرة والدب عن بلادكم ونسائكم وأولادكم . وكتب بذلك إلى سائر ممالك وبلدان سلطانه ، وأمر الوعاظ أن يستحلوا له من النجاسات ، وكان يقول في سجوده : اللهم ارحم المكاس المشار الظالم محمود الكاب ، وقيل إن برهان الدين البلخي أنكر على الملك نور الدين في استعانتة في حروب الكفار بأموال المكوس ، وقال له مرة : كيف تنصرون وفي عسا كرم

الخور والطبول والزمور؟ ويقال إن سبب وضعه المكوس عن البلاد أن الواعظ أبا عثمان المنتخب ابن أبي محمد الواسطي - وكان من الصالحين الكبار ، وكان هذا الرجل ليس له شيء ولا يقبل من أحد شيئاً ، إنما كانت له جبة يلبسها إذا خرج إلى مجلس وعظه ، وكان يجتمع في مجلس وعظه الألوف من الناس - أنشد نور الدين أبياتاً تتضمن ما هو متلبس به في ملكه ، وفيها تحوير وتحذير شديد له : -

مثل وقوفك أيها المغرور * يوم القيامة والسماء تمور
إن قيل نور الدين رحمت مسلما * فاحذر بأن تبقى ومالك نور
أنهيت عن شرب الخور وأنت في * كأس المظالم طائش مخور
عطلت كأسات المدام تعففا * وعليك كأسات الحرام تدور
ماذا تقول إذا نقلت إلى البلى * فرداً وجاءك منكر ونكير؟
ماذا تقول إذا وقفت بموقف * فرداً ذليلاً والحساب عسير؟
وتعلقت فيك الخصوم وأنت في * يوم الحساب مسلسل مجرور
وتفرقت عنك الجنود وأنت في * ضيق القبور موسد مقبور
ووددت أنك ما وليت ولاية * يوماً ولا قال الأنام أمير
وبقيت بعد العز رهن حفيرة * في عالم الموتى وأنت حقير
وحشرت عريانا حزينا باكياً * قلنا ومالك في الأنام مجير
أرضيت أن نحيا وقلبك دارس * عافى الخراب وجسمك المعمور
أرضيت أن يحظى سواك بقربه * أبداً وأنت معذب مهجور
مهد لنفسك حجة تنجو بها * يوم المعاد ويوم تبدوالمور

فلما سمع نور الدين هذه الأبيات بكى بكاء شديداً ، وأمر بوضع المكوس والضرائب في سائر البلاد . وكتب إليه الشيخ عمر الملا من الموصل - وكان قد أمر الولاة والأشراف بها أن لا يفصلوا بها أمراً حتى يعلموا الملا به ، فما أمرهم به من شيء امتثلوه ، وكان من الصالحين الزاهدين ، وكان نور الدين يستقرض منه في كل رمضان ما يفطر عليه ، وكان يرسل إليه بفتيت ورقاق فيفطر عليه جميع رمضان - فكتب إليه الشيخ عمر بن الملا هذا : إن المفسدين قد كثروا ، ويحتاج إلى سياسة ومثل هذا لا يجيء إلا بقتل وصلب وضرب ، وإذا أخذ إنسان في البرية من يجيء يشهد له ؟ فكتب إليه الملك نور الدين على ظهر كتابه : إن الله خلق الخلق وشرع لهم شريعة وهو أعلم بما يصلحهم ، ولو علم أن في الشريعة زيادة في المصلحة لشرعها لنا ، فلا حاجة بنا إلى الزيادة على ما شرعه الله تعالى

فن زاد فقد زعم أن الشريعة ناقصة فهو يكملها بزيادته ، وهذا من الجرأة على الله وعلى ما شرعه ،
والعقول المظلمة لا تهتدي ، والله سبحانه يهدينا وإياك إلى صراط مستقيم . فلما وصل الكتاب إلى
الشيخ عمر الملا جمع الناس بالموصل وقرأ عليهم الكتاب وجعل يقول : انظروا إلى كتاب الزاهد
إلى الملك ، وكتاب الملك إلى الزاهد ،

وجاء إليه أخو الشيخ أبي البيان يستعديه على رجل أنه سبه ورماه بأنه يرأى وأنه وأنه ، وجعل
يبالغ في الشكاية عليه ، فقال له السلطان : أليس الله تعالى يقول (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)
وقال (وأعرض عن الجاهلين) فسكت الشيخ ولم يجرب جوابا . وقد كان نور الدين يعتقد ويعتقد
أخاه أبا البيان ، وأنه زائر مرات ، ووقف عليه وقفا . وقال الفقيه أبو الفتح الأشرى معيد النظامية
ببغداد ، وكان قد جمع سيرة مختصرة لنور الدين ، قال : وكان نور الدين محافظا على الصلوات في
أوقاتها في جماعة بتمام شروطها والقيام بها بأركانها والطمأنينة في ركوعها وسجودها ، وكان كثير الصلاة
بالليل ، كثير الابتغال في الدعاء والتضرع إلى الله عز وجل في أموره كلها . قال : وبلغنا عن جماعة
من الصوفية ممن يعتمد على قولهم أنهم دخلوا بلاد القدس للزيارة أيام أخذ القدس الفرنج فسمعهم
يقولون : إن القسم ابن القسم - يعنون نور الدين - له مع الله سر ، فانه لم يظفر وينصر علينا بكثرة
جنده وجيشه ، وإنما يظفر علينا وينصر بالدعاء وصلاة الليل ، فانه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله
ويدعو فانه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا . قال : فهذا كلام الكفار في حقه .

وحكى الشيخ أبو شامة أن نور الدين وقف بستان الميدان سوى الغيضة التي تليها نصفه على
تطيب جامع دمشق ، والنصف الآخر يقسم عشرة أجزاء جزآن على تطيب المدرسة التي أنشأها
للحنفية ، والثمانية أجزاء الأخرى على تطيب المساجد التسعة ، وهي مسجد الصالحين بجبل قيسون
وجامع القلعة ، ومسجد عطية ، ومسجد ابن لبيد بالعسقلان ، ومسجد الرماحين المعلق ، ومسجد
العباس بالصالحية ، ومسجد دار البطيخ المعاق ، والمسجد الذي جدده نور الدين جوار بيعة اليهود ،
لكل من هذه المساجد جزء من إحدى عشر جزء من النصف . ومناقبه وآثره كثيرة جدا . وقد
ذكرنا نبذة من ذلك يستدل بها على ما وراهها .

وقد ذكر الشيخ شهاب الدين في أول الروضتين كثيرا من محاسنه ، وذكر ما مدح به من
القصائد ، وذكر أنه لما فتح أسد الدين الديار المصرية ثممات ، ثم تولى صلاح الدين هم بعزله عنها
واستنابة غيره فيها غير مرة ، ولكن يعوقه عن ذلك ويصدّه قتال الفرنج ، واقترب أجله ، فلما كان
في هذه السنة - وهي سنة تسع وستين وخمسمائة - وهي آخر مدته ، أضمر على الدخول إلى الديار المصرية
وصمم عليه ، وأرسل إلى عساكر بلاد الموصل وغيرها ليكونوا ببلاد الشام حفظا لها من الفرنج في غيبته

ويركب هو في جمهور الجيش إلى مصر ، وقد خاف منه الملك صلاح الدين خوفاً شديداً ، فلما كان يوم عيد الفطر من هذه السنة ركب إلى الميدان الأخضر القبلي وصلى فيه صلاة عيد الفطر ، وكان ذلك نهار الأحد ، ورمى العتق في الميدان الأخضر الشمالي ، والقدر يقول له : هذا آخر أعيادك ، ومد في ذلك اليوم سباطاً حافلاً ، وأمر بانتهابه ، وطهر ولده الملك الصالح إسماعيل في هذا اليوم ، وزينت له البلد ، وضربت البشائر للعيد والختان ، ثم ركب في يوم الاثنين وأكب على العادة ثم لعب بالكرة في ذلك اليوم ، فحصل له غيظ من بعض الأمراء - ولم يكن ذلك من سجيته - فبادر إلى القلعة وهو كذلك في غاية الغضب ، وانزعج ودخل في حيز سوء المزاج ، واشتغل بنفسه وأوجاعه ، وتنكرت عليه جميع حواسه وطباعه ، واحتبس أسبوعاً عن الناس ، والناس في شغل عنه بما هم فيه من اللعب والانشراح في الزينة التي نصبوها لأجل ظهور ولده ، فهذا يجود بروحه ، وهذا يجود بموجوده ، سروراً بذلك ، فأنعكست تلك الأفراح بالأتراح ، ونسخ الجد ذلك المزاج ، وحصلت الملك خوانيق في حلقة منعه من النطق ، وهذا شأن أوجاع الخلق ، وكان قد أشير عليه بالفصد فلم يقبل ، وبالمبادرة إلى المعالجة فلم يفعل ، وكان أمر الله قدراً مقدوراً . فلما كان يوم الأربعاء الحادي عشر من شوال من هذه السنة قبض إلى رحمة الله تعالى عن ثمان وخمسين سنة ، مكث منها في الملك ثمان وعشرين سنة رحمه الله ، وصلى عليه بجامع القلعة بدمشق ، ثم حول إلى تربته التي أنشأها للحنفية بين باب الخواصين ، وباب الخميمين على الدرب ، وقبره بها يزار ، ويحلق بشيكاكه ، ويطيب ويتبرك به كل مار ، فيقول قبر نور الدين الشهيد ، لما حصل له في حلقة من الخوانيق ، وكذا كان يقال لابنه الشهيد ويلقب بالقسيم ، وكانت الفرنج تقول له القسيم ابن القسيم . وقد رثاه الشعراء بمراث كثيرة قد أوردتها أبو شامة ، وما أحسن ما قاله العماد :

صحبت من الموت لما أتى * إلى ملك في سجايا ملك
وكيف ثوى الفلك المستند * يرفى الأرض وسط فلك
وقال حسان الشاعر الملقب بالعرقلة في مدرسة نور الدين لما دفن بها رحمه الله تعالى .
ومدرسة ستدرس كل شيء * وتبقى في حمى علم ونسك
تضوع ذكرها شرقاً وغرباً * بنور الدين محمود بن زندي
يقول وقوله حق وصدق * بغير كناية وبغير شك
دمشق في المدائن بيت ملكي * وهدي في المدارس بنت ملكي
(صفة نور الدين رحمه الله تعالى)

كان طويل القامة أبيض اللون حلو العينين واسع الجبين ، حسن الصورة ، تركي الشكل ، ليس له لحية إلا في حنكه ، مهيباً متواضعاً عليه جلالة ونور ، يعظم الاسلام وقواعد الدين ، ويعظم الشرع

فصل

فلما مات نور الدين في شوال من هذه السنة ببيع من إيمده بالملك لولده الصالح إسماعيل ، وكان صغيراً ، وجعل أتابكه الأمير شمس الدين بن مقدم ، فاختلف الأمراء وحادث الآراء وظهرت الشرور ، وكثرت الخور ، وقد كانت لا توجد في زمنه ولا أحد يجسر أن يتعاطى شيئاً منها ، ولا من الفواحش ، وانتشرت الفواحش وظهرت حتى أن ابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود صاحب الموصل لما تحقق موته - وكان محصوراً منه - نادى مناديه بالبلد بالمساحة باللهب واللهو والشراب والمسكر والطرب ، ومع المنادى دف وقده ومزمار الشيطان ، فانا لله وإنا إليه راجعون . وقد كان ابن أخيه هذا وغيره من الملوك والأمراء الذين له حكم عليهم ، لا يستطيع أحد منهم أن يفعل شيئاً من المناكر والفواحش ، فلما مات مرج أمرهم وعاثوا في الأرض فساداً وتحقق قول الشاعر :

ألا فاسقني خيراً وقل لي هي الخمر * ولا تسقني سرا وقد أمكن الجهر

وطمعت الأعداء من كل جانب في المسلمين ، وعزم الفرنج على قصد دمشق وانتزاعها من أيدي المسلمين ، فبرز إليهم ابن مقدم الأتابك فواقعهم عند بانياس فضعف عن مقاومتهم ، فهادنهم مدة ، ودفع إليهم أموالاً جزيلة هملها لهم ، ولولا أنه خوفهم بقدم الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب لما هادنوه . ولما بلغ ذلك صلاح الدين كتب إلى الأمراء وخاصة ابن مقدم يلومهم على ما صنعوا من المهادنة ودفع الأموال إلى الفرنج ، وهم أقل وأذل ، وأخبرهم أنه على عزم قصد البلاد الشامية ليحفظها من الفرنج ، فردوا إليه كتاباً فيه غلظة ، وكلام فيه بشاعة ، فلم يلتفت إليهم ، ومن شدة خوفهم منه كتبوا إلى سيف الدين غازي صاحب الموصل ليلجأه عليهم ليدفع عنهم كيد الملك الناصر صلاح الدين صاحب مصر ، فلم يفعل لأنه خاف أن يكون مكيدة منهم له ، وذلك أنه كان قد هرب منه الطواشي سعد الدولة مستكين الذي كان قد جعله الملك نور الدين عيناً عليه ، وحافظاً له من تعاطي مالا يليق من الفواحش والخمر واللهو . فلما مات نور الدين ونادى في الموصل تلك المناداة القبيحة خاف منه الطواشي المذكور أن يمسكه فهرب منه سرا ، فلما تحقق غازي موت عمه بعث في إثر هذا الخادم فقاته فاستحوذ على حواصله ، ودخل الطواشي حلب ثم سار إلى دمشق فاتفق مع الأمراء على أن يأخذوا ابن نور الدين الملك الصالح إسماعيل إلى حلب فيربيه هناك مكان ربي والده ، وتكون دمشق مسجلة إلى الأتابك شمس الدولة بن مقدم ، والقلمة إلى الطواشي جمال الدين ربحان . فلما سار الملك الصالح من دمشق خرج معه الكبراء والأمراء من دمشق إلى حلب ، وذلك في الثالث والعشرين من ذي الحجة من هذه السنة ، وحين وصلوا حلب جلس الصبي على سرير ملكها

واحتاطوا على بنى الداية فشمس الدين بن الداية أخو مجد الدين الذى كان رضيع نور الدين ، وإخوته الثلاثة ، وقد كان فشمس الدين على بن الداية يظن أن ابن نور الدين يسلم إليه فيريه ، لأنه أحق الناس بذلك ، فغيبوا ظنه وسجنوه وإخوته فى الحب ، فكتب الملك صلاح الدين إلى الأمراء [يلومهم] على ما فعلوا من نقل الولد من دمشق إلى حلب ، ومن حبسهم بنى الداية وهم من خيار الأمراء ورؤس الكبراء ، ولم لا يسلموا الولد إلى مجد الدين بن الداية الذى هو أحظى عند نور الدين وعند الناس منهم . فكتبوا إليه يسيئون الأدب عليه ، وكل ذلك يزيد حنقا عليهم ، ويحرضه على القدوم إليهم ، ولكنه فى الوقت فى شغل شاغل لما دهمه ببلاد مصر من الأمر الهائل ، كما سيأتى بيانه إن شاء الله تعالى فى أول السنة الآتية .
ومن توفى فيها من الأعيان والمشاهير .

﴿ الحسن بن الحسن ﴾

ابن أحمد بن محمد المطار ، أبو العلاء الهمداني الحافظ ، سمع الكثير ورحل إلى بلدان كثيرة ، اجتمع بالمشايخ وقدم بغداد وحصل الكتب الكثيرة ، واشتغل بعلم القراءات واللغة ، حتى صار أوحده زمانه فى علمى الكتاب والسنة ، وصنف الكتب الكثيرة المفيدة ، وكان على طريقة حسنة سخياً عابدا زاهدا صحيح الاعتقاد حسن السمعة ، له ببلده المكنة والقبول التام ، وكانت وفاته ليلة الخميس الحادى عشر من جماد الآخرة من هذه السنة ، وقد جاوز الثمانين بأربعة أشهر وأيام . قال ابن الجوزى : وقد بلغنى أنه روى فى المنام أنه فى مدينة جميع جدرانها كتب وحوله كتب لا تعد ولا تحصى ، وهو مشغول بمطالعها ، فقيل له : ما هذا ؟ فقال سألت الله أن يشغلنى بما كنت أشتغل به فى الدنيا فأعطانى . وفيها توفى ﴿ الأهرامى ﴾

خازن كتب مشهد أبى حنيفة ببغداد ، توفى فجأة فى ربيع الأول من هذه السنة .

﴿ محمود بن زكى بن آقسنقر ﴾

السلطان الملك العادل نور الدين ، صاحب بلاد الشام وغيرها من البلدان الكثيرة الواسعة ، كان مجاهدا فى الفرنج ، آمرا بالمعرف ناهيا عن المنكر ، محبا للعلماء والفقراء والصالحين ، مبغضا للظلم ، صحيح الاعتقاد مؤثرا لأفعال الخير ، لا يجسر أحد أن يظلم أحدا فى زمانه ، وكان قد قمع المناكر وأهلها ، ورفع العلم والشرع ، وكان مدمنا لقيام الليل يصوم كثيرا ، ويمنع نفسه عن الشهوات ، وكان يحب التيسير على المسلمين ، ويرسل البر إلى العلماء والفقراء والمساكين والأيتام والأرامل ، وليست الدنيا عنده بشئ رحمه الله وبل نراه بالرحمة والرضوان . قال ابن الجوزى : استرجع نور الدين محمود بن زكى رحمه الله تعالى من أيدي الكفار نيفا وخمسين مدينة ، وقد كان يكتبنى وأكاتبه ، قال : ولما

حضرتة الوفاة أخذ العهد على الأمراء من بعده لولده - يعنى الصالح إسماعيل - وجدد العهد مع صاحب طرابلس أن لا يغير على الشام في المدة التي كان مابده فيها ، وذلك أنه كان قد أسره في بعض غزواته وأمر معه جماعة من أهل دولته ، فافتدى نفسه منه بثلاثمائة ألف دينار وخمسمائة حصان وخمسمائة وردية ومثلها برانس ، أى لبوس ، وقنطوريات وخمسمائة أسير من المسلمين ، وعاهده أن لا يغير على بلاد المسلمين لمدة سبعة سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام ، وأخذ منه رهائن على ذلك مائة من أولاده وأولاد أكابر الفرنج وبطارقهم ، فان نكث أراق دماءهم ، وكان قد عزم على فتح بيت المقدس شرفه الله ، فوافته المنية في شوال من هذه السنة ، والأعمال بالنيابة ، فحصل له أجر ما نوى ، وكانت ولايته ثمان وعشرين سنة وأشهرًا ، وقد تقدم ذلك . وهذا مقتضى ما ذكره ابن الجوزي ومعناه .

✽ الخضر بن نصر ✽

على بن نصر الأربلي الفقيه الشافعي ، أول من درس بأربل في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة ، وكان فاضلاً ديناً ، انتفع به الناس ، وكان قد اشتغل على الكيا الهراسي وغيره ببغداد ، وقدم دمشق فأرخه ابن عساكر في هذه السنة ، وترجمه ابن خلكان في الوفيات ، وقال قبره بزار ، وقد زرتة غير مرة ، ورأيت الناس يفتابون قبره ويتبركون به ، وهذا الذي قاله ابن خلكان مما ينكره أهل العلم عليه وعلى أمثاله ممن يعظم القبور . وفيها هلك ملك الفرنج مرى لعنه الله ، وأظنه ملك عسقلان ونحوها من البلاد ، وقد كان قارب أن يملك الديار المصرية لولا فضل الله ورحمته بعباده المؤمنين .

✽ ثم دخلت سنة سبعين وخمسمائة ✽

استهلّت [هذه السنة] والسلطان الملك الناصر صلاح الدين بن أيوب قد عزم على الدخول إلى بلاد الشام لأجل حفظه من الفرنج ، ولكن دهمه أمر شغلته عنه ، وذلك أن الفرنج قدموا إلى الساحل المصري في أسطول لم يسمع بمثله ، وكثرة مراكب وآلات من الحرب والحصار والمقاتلة ، من جملة ذلك مائتي شيني في كل منها مائة وخمسون مقاتلاً ، وأربعمائة قطعة أخرى ، وكان قدومهم من صقلية إلى ظاهر أسكندرية قبل رأس السنة بأربعة أيام ، فنصبوا المنجنيقات والدبابات حول البلد ، وبرز إليهم أهلها فقاتلهم دونها قتلاً شديداً أياماً ، وقتل من كلا الفريقين خلق كثير ، ثم اتفق أهل البلد على حريق المنجنيقات والدبابات ففعلوا ذلك ، فأضعف ذلك قلوب الفرنج ، ثم كبسهم المسلمون فقتلوا منهم جماعة وغنموا منهم ما أرادوا ، فانهزم الفرنج في كل وجه ، ولم يكن لهم ملجأ إلا البحر أو القتل أو الأسر ، واستحوذ المسلمون على أموالهم وعلى خيولهم وخيامهم ، وبالجملة قتلوا خلقاً من الرجال وركب من بقي منهم في أسطول إلى بلادهم خائبين .

ومما عوق الملك الناصر عن الشام أيضاً أن رجلاً يعرف بالكنز سماه بعضهم عباس بن شاذي

وكان من مقدمى الديار المصرية والدولة الفاطمية ، كان قد استند إلى بلد يقال له أسوان ، وجعل يجمع عليه الناس ، فاجتمع عليه خاق كثير من الرعاع من الحاضرة والغربان والرعيان ، وكان يزعم إليهم أنه سيعيد الدولة الفاطمية ، ويدحض الأتابكة التركية ، فالتف عليه خلق كثير ، ثم قصدوا قوص وأعمالها ، وقتل طائفة من أمرائها ورجالها ، فجرد إليه صلاح الدين طائفة من الجيش وأمر عليهم أخاه الملك العادل أبا بكر الكردى ، فلما التقيا هزمه أبو بكر وأسر أهله وقتله .

فصل

فلما نهبت البلاد ولم يبق بها رأس من الدولة العبيدية ، برز السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف فى الجيوش التركية فاصدا البلاد الشامية ، وذلك حين مات سلطانها نور الدين محمود بن زنكى وأخيف سكانها وتضعضت أركانها ، واختلف حكمها ، وفسد نقضها وإبرامها ، وقصده جمع شملها والاحسان إلى أهلها ، وأمن سهلها وجبلها ، ونصرة الاسلام ودفع الطغام وإظهار القرآن وإخفاء سائر الأديان ، وتكسير الصليبان فى رضى الرحمن ، وإرغام الشيطان . فنزل البركة فى مستهل صفر وأقام بها حتى اجتمع عليه العسكر واستناب على مصر أخاه أبا بكر ، ثم سار إلى بلبيس فى الثالث عشر من ربيع الأول ، فدخل مدينة دمشق فى يوم الاثنين سابع ربيع الأول ، ولم ينتطح فيها عنزان ، ولا اختلف عليه سيفان ، وذلك أن نائبها شمس الدين بن مقدم كان قد كتب إليه أولا فأغلف له فى الكتاب ، فلما رأى أمره متوجها جعل يكتبه ويستحثه على القدوم إلى دمشق ، ويعدّه بتسليم البلد ، فلما رأى الجدد لم يمكنه المخالفة ، فسلم البلد إليه بلا مدافعة ، فنزل السلطان أولا فى دار والده دار العقيلي التى بناها الملك الظاهر بيبرس مدرسة ، وجاء أعيان البلد للسلام عليه فرأوا منه غاية الاحسان ، وكان نائب القلعة إذ ذاك الطواشى ريجان ، فكاتبه وأجزل نواله حتى سلمها إليه ، ثم نزل إليه فأكرمه واحترمه ، ثم أظهر السلطان أنه أحق الناس بتربية ولد نور الدين ، لما لنور الدين عليهم من الاحسان المتين ، وذكر أنه خطب لنور الدين بالديار المصرية ، ثم إن السلطان عامل الناس بالاحسان وأمر بإبطال ما أحدث بعد نور الدين من المكوس والضرائب ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ، والله عاقبة الأمور .

فصل

فلما استقرت له دمشق بمحذافيرها نهض إلى حلب مسرعا لما فيها من التخييط والتخليط ، واستناب على دمشق أخاه طفتكين بن أيوب الملقب بسيف الاسلام ، فلما اجتاز حمص أخذ ربضها

ولم يشتغل بقلعتها ، ثم سار إلى حمّاه فقتلها من صاحبها عز الدين بن جبريل ، وسأله أن يكون
 سفيره بينه وبين الحلبيين ، فأجابه إلى ذلك ، فسار إليهم فحذّروهم بأس صلاح الدين فلم يلتفتوا إليه ،
 بل أمروا بسجنه واعتقاله ، فأبطأ الجواب على السلطان ، فكتب إليهم كتابا بليغا يلومهم فيه على
 ما هم فيه من الاختلاف ، وعدم الائتلاف ، فردوا عليه أسوأ جواب ، فأرسل إليهم يذكّرهم أيامه
 وأيام أبيه وعه في خدمة نور الدين في المواقف المحمودة التي يشهد لهم بها أهل الدين ، ثم سار إلى
 حلب فنزل على جبل جوشن ، ثم نودي في أهل حلب بالحضور في ميدان باب العراق ، فاجتمعوا
 فأشرف عليهم ابن الملك نور الدين فتودد إليهم وتباكى لديهم وحرّضهم على قتال صلاح الدين ،
 وذلك عن إشارة الأمراء المقدمين ، فأجابه أهل البلد بوجوب طاعته على كل أحد ، وشرط عليه
 الروافض منهم أن يعاد الأذان بحى على خير العمل ، وأن يذكر في الأسواق ، وأن يكون لهم في
 الجامع الجانب الشرقى ، وأن يذكر أسماء الأئمة الاثني عشر بين يدي الجنائز ، وأن يكبروا على
 الجنائز خسفاً ، وأن تكون عقود أنسكتهم إلى الشريف أبي طاهر بن أبي المسكرم حمزة بن زاهر
 الحسيني ، فأجيبوا إلى ذلك كله ، فأذن بالجامع وسائر البلد بحى على خير العمل ، وعجز أهل البلد عن
 مقاومة الناصر ، وأعملوا في كيد كل خاطر ، فأرسلوا أولاً إلى شيبان صاحب الحسبة فأرسل نفرًا من
 أصحابه إلى الناصر ليقتلوه فلم يظفر منه بشيء ، بل قتلوا بعض الأمراء ، ثم ظهر عليهم فقتلوا عن
 آخرهم ، فراسلوا عند ذلك القومص صاحب طرابلس الفرنجي ، ووعدوه بأموال جزيلة إن هو
 رحل عنهم الناصر ، وكان هذا القومص قد أسره نور الدين وهو معتقل عنده مدة عشر سنين ، ثم
 اقتدى نفسه بمائة ألف دينار وألف أسير من المسلمين ، وكان لا ينسأها لنور الدين ، بل قصد لخص
 ليأخذها فركب إليه السلطان الناصر ، وقد أرسل السلطان إلى بلده طرابلس سرية فقتلوا وأسروا
 وغنموا ، فلما اقترب الناصر منه نكص على عقبيه راجعاً إلى بلده ورأى أنه قد أجابهم إلى ما أرادوا
 منه ، فلما فصل الناصر إلى حصص لم يكن قد أخذ قلعتها فتصدى لأخذها ، فنصب عليها المنجنيقات
 فأخذها قسراً وملكها قهراً ، ثم كر راجعاً إلى حلب ، فأناه الله في هذه الكثرة ما طلب ، فلما نزل بها
 كتب إليهم القاضي الفاضل على لسان السلطان كتاباً بليغاً فصيحاً فائقاً رائقاً ، على يد الخطيب
 شمس الدين يقول فيه : « فاذا قضى التسليم حق اللقا فاستدعى الاخلاص جهد الدعا ، فليعد وليعد
 حوادث ما كان حديثاً يفترى ، وحوارى أمور إن قال فيها كثيراً فأكثر منه ما قد جرى ، ويشرح
 صدر منها لعله يشرح منها صدرا ، وليوضح الأحوال المستبشرة فان الله لا يعبد سراً .
 ومن المعائب أن تسير غرائب * في الأرض لم يعلم بها المأمول
 كالعيس أقتل ما يكون لها الصدى * والماء فوق ظمورها محمول

فأنا كنا نقبض النار بأ كفنا ، وغيرنا يستنير ، ونستنبط الماء بأيدينا وسوانا يستمير ، ونلتقي السهام بنحورنا وغيرنا يعتمد التصوير ، والأبدان تسترد بضاعتنا بموقف العدل الذي يرد به المصوب ونظهر طاعتنا فتأخذ بحظ كما أخذ بحظ القلوب ، وكان أول أمرنا أنا كنا في الشام نفتتح الفتوح بمباشرتنا أنفسنا ، ونجاهد الكفار متقدمين بمساكرنا ، نحن ووالدنا وعمنا ، فأى مدينة فتحت أوأى معقل للعدو أو عسكر أو مصاف للإسلام معه ضرب ؟ فما يجمل أحد صنعنا ، ولا يجحد عدونا أن يصطلى الجرة وتملك الكرة ، ونقدم الجماعة وترتب المقاتلة ، وندير التعبئة ، إلى أن ظهرت في الشام الآثار التي لنا أجراها ، ولا يضرنا أن يكون لغيرنا ذكرها » ثم ذكر ما صنعوا بمصر من كسر الكفر وإزالة المنكر وقمع الفرع وهدم البدع ، وما بسط من العدل ونشر من الفضل ، وما أقامه من الخطب العباسية ببلاد مصر واليمن والنوبة وإفريقية وغير ذلك ، بكلام بسيط حسن .

فلما وصلهم الكتاب أساؤا الجواب ، وقد كانوا كاتبوا صاحب الموصل سيف الدين غازي بن مودود أخى نور الدين محمود بن زنكى ، فبعث إليهم أخاه عز الدين فى عساكره ، وأقبل إليهم فى دساكره ، وانضاف إليهم الحلبيون وقصدوا حماه فى غيبة الناصر واشتغاله بقلعة حمص وعمارها ، فلما بلغه خبرهم سار إليهم فى قل من الجيش ، فأنهى إليهم وهم فى جحافل كثيرة ، فواقفوه وطمعوا فيه لقلة من معه ، وهموا بمناجزته فجعل يداريهم ويدعوهم إلى المصالحة لعل الجيش يلمحونه ، حتى قال لهم فى جملة ما قال : أنا أقنع بدمشق وحدها وأقيم بها الخطبة للملك الصالح إسماعيل ، وأترك ما عداها من أرض الشام ، فامتنع من المصالحة الخادم سعد الدولة كشتكين ، إلا أن يجمل لهم الرحبة التى هى بيد ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين ، فقال ليس لى ذلك ، ولا أقدر عليه ، فأبوا الصلح وأقدموا على القتال ، فجعل جيشه كردوساً واحداً ، وذلك يوم الأحد التاسع عشر من رمضان عند قرون حماه ، وصبر صبراً عظيماً ، وجاء فى أثناء الحال ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه ومعه أخوه فروخ شاه فى طائفة من الجيش ، وقد ترجع دسسته عليهم ، وخلص رعبه إليهم ، فولوا هنالك هاربين ، وتولوا منهزمين ، فأسر من أسر من رؤسهم ، ونادى أن لا يتبع مدبر ولا يذف على جريح ثم أطلق من وقع فى أسره وسار على الفور إلى حلب ، وقد انعكس عليهم الحال وآلوا إلى شر مآل فبالأمس كان يطلب منهم المصالحة والمسألة ، وهم اليوم يطلبون منه أن يكف عنهم ويرجع ، على أن المعرة وكفر طاب وماردين له زيادة على ما بيده من أراضى حماه وحمص ، فقبل ذلك وكف عنهم وحلف على أن لا يغزو بعدها الملك الصالح ، وأن يدعو له على سائر منابر بلاده ، وشفع فى بنى الداية أخوه محمد الدين ، على أن يخرجوا ، ففعل ذلك ثم رجع مؤيداً منصوراً .

فلما كان بحماه وصلت إليه رسل الخليفة المستنصر بأمر الله بالخلع السنية والتشريفات العباسية

والأعلام السود ، والتوقيع من الديوان بالسلطنة ببلاد مصر والشام ، وأفيضت الخلع على أهله وأقاربه وأصحابه وأعوانه ، وكان يوما مشهودا . واستناب على حماه ابن خاله وصهره الأمير شهاب الدين محمود ، ثم سار إلى حمص فأطلقها إلى ابن عمه ناصر الدين ، كما كانت من قبله لأبيه شيركوه أسد الدين ، ثم بعلمك على البقاع إلى دمشق في ذى القعدة .

وفيها ظهر رجل من قرية مشغرا من معاملة دمشق وكان مغربياً فادعى النبوة ، وأظهر شيئا من الخاريق والمحاويل والشعبذة والأبواب النارجية ، فافتتن به طوائف من الهمج والعوام ، فتطلبه السلطان فهرب إلى معاملة حلب ، فالف عليه كل مقطوع الذنب ، وأضل خلقا من الفلاحين ، وتزوج امرأة أحبها ، وكانت من أهل تلك البطائح فعلمها أن ادعت النبوة ، فأشبهها قصة مسيلة وسجاح . وفيها هرب وزير الخليفة ونهبت داره . وفيها درس أبو الفرج ابن الجوزي بمدرسة أنشئت للحنابلة فحضر عنده قاضي القضاة أبو الحسن بن الدائماني والفقهاء والكبراء ، وكان يوما مشهودا ، وخلصت عليه خلعة سنية . وفيها توفي من الأعيان

﴿ روح بن أحمد ﴾

أبو طالب الحديثي قاضي القضاة ببغداد في بعض الأحيان ، وكان ابنه في أرض الحجاز ، فلما بلغه موت أبيه مرض بعده فمات بعد أيام ، وكان ينبذ بالرفض .

﴿ شملة التركاني ﴾

كان قد تغلب على بلاد فارس واستحدث قلعا وتغلب على السلجوقية ، وانتظم له الدست نحواً من عشرين سنة ، ثم حاربه بعض التركان فقتلوه .

﴿ قياز بن عبد الله ﴾

قطب الدين المستنجدى ، وزير للخليفة المستنصر ، وكان مقدماً على العساكر كلها ، ثم خرج على الخليفة وقصد أن ينهب دار الخلافة فصعد الخليفة فوق سطح في داره وأمر العامة بنهب دار قياز ، فنهب ، وكان ذلك بافتاء الفقهاء ، فهرب فهلك هو ومن معه في المهامه والقفار .

﴿ تم دخلت سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ^{٥٧١} ﴾

فيها طلب الفرنج من السلطان صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر أن يهادنهم فأجابهم إلى ذلك ، لأن الشام كان مجدياً ، وأرسل جيشه صحبة القاضي الفاضل إلى الديار المصرية ليستغلوا المغل ثم يقبلوا ، وعزم هو على المقام بالشام ، واعتمد على كاتبه العماد عوضاً عن القاضي ، ولم يكن أحد أعز عليه منه :

وما عن رضى كانت سليمة بديلة * ولكن للضرورات أحكام

وكانت إقامة السلطان بالشام وإرسال الجيش محبة القاضي الفاضل غاية الحزم والتدبير ، ليحفظ ما استجد من الممالك خوفاً عليه مما هنالك ، فلما أرسل الجيوش إلى مصر وبقى هو في طائفة يسيرة والله قد تكفل له بالنصر ، كتب صاحب الموصل سيف الدين غازي ابن أخي نور الدين إلى جماعة الحلبيين يلومهم على ما وقع بينهم وبين الناصر من المصالحة ، وقد كان إذ ذاك مشغولاً بمحاربة أخيه ومحاصرته ، وهو عماد الدين زنكي بسنجار ، وليست هذه بفعلة صالحة ، وما كان سبب قتاله لأخيه إلا لكونه أبا طاعة الملك الناصر ، فاصطلمح مع أخيه حين عرف قوة الناصر وناصره ، ثم حرض الحلبيين على نقض العهد ونبذها إليه ، فأرسلوا إليه بالعهود التي عاهدوه عليها ودعوه إليها ، فاستعان عليهم بالله وأرسل إلى الجيوش المصرية ليقدموا عليه ، فأقبل صاحب الموصل بعساكره ودساكره ، واجتمع بابن عمه الملك الصالح عماد الدين إسماعيل ، وسار في عشرين ألف مقاتل على الخيول المضمرة الجرد الأبابيل ، وسار نحوهم الناصر وهو كاهن زبر الكاسر ، وإنما معه ألف فارس من الحماة ، وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله ، ولكن الجيوش المصرية قد خرجوا إليه قاصدين ، وله ناصرين في جحافل كالجبال ، فاجتمع الفريقان وتداعوا إلى النزال ، وذلك في يوم الخميس العاشر من شوال فاقبلوا قتالاً شديداً ، حتى حمل الملك الناصر بنفسه الكريمة ، وكانت باذن الله الهزيمة ، فقتلوا خلقاً من الحلبيين والمواصلة ، وأخذوا مضارب الملك سيف الدين غازي وحواصله ، وأمروا جماعة من رؤسهم فأطلقهم الناصر بعد ما أفاض الخلع على أبدانهم ورؤسهم ، وقد كانوا استعانوا بجماعة من الفرنج في حال القتال ، وهذا ليس من أفعال الأبطال ، وقد وجد السلطان في مخيم السلطان غازي سبباً من الأتقاص التي فيها الطيور المطربة ، وذلك في مجلس شرا به المسكر ، وكيف من هذا حاله ومسلكه ينتصر ، فأمر السلطان بردها عليه وتسييرها إليه ، وقال للرسول قل له بعد وصولك إليه وسلامك عليه : اشتغلك بهذه الطيور أحب إليك مما وقعت فيه من الخذور ، وغنم منهم شيئاً كثيراً ففرقه على أصحابه غيباً وحضوراً ، وأنعم بخيمة سيف الدين غازي على ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بن نجم الدين ، ورد ما كان في وطاقه من الجوارى والمغنيات ، وقد كان معه أكثر من مائة مغنية ، ورد آلات اللهو والألعاب إلى حلب ، وقال قولوا لهم هذه أحب إليكم من الركوع والسجود ، ووجد عسكر المواصلة كالخانة من كثرة الخمر والبرابط والملاهي ، وهذه سبيل كل فاسق ساء لاهي .

فصل

فلما رجعت الجيوش إلى حلب وقد انقلبوا شر منقلب ، وندموا على ما نقضوا من الإيمان ، وشقهم العصا على السلطان ، حصنوا البلد ، خوفاً من الأسد ، وأسرع صاحب الموصل فوصلها ، وما صدق حتى

دخلها ، فلما فرغ الناصر بما غنم أسرع المسير إلى حلب وهو في غاية القوة ، فوجدهم قد حصنوها ، فقال المصلحة أن نبادر إلى فتح الحصون التي حول البلد ، ثم نعود إليهم فلا يمتنع علينا منهم أحد ، فشرع يفتحها حصنا حصنا ، ويهدم أركان دولتهم ركنا ركنا ، ففتح مراغة ومنبج ثم سار إلى إعرزاز فأرسل الحلبيون إلى سنان فأرسل جماعة لقتل السلطان ، فدخل جماعة منهم في جيشه في زى الجند فقاتلوا أشد القتال ، حتى اختلطوا بهم فوجدوا ذات يوم فرصة والسلطان ظاهر للناس فحمل عليه واحد منهم فضر به بسكين على رأسه فاذا هو محترس منهم باللائمة ، فسلمه الله ، غير أن السكين مرت على خده فجرحته جرحا هيناً ، ثم أخذ الغداوى رأس السلطان فوضه إلى الأرض ليذبحه ، ومن حوله قد أخذتهم دهشة ، ثم تاب إليهم عقلهم فبادروا إلى الغداوى فقتلوه وقطعوه ، ثم هجم عليه آخر في الساعة الراهنة فقتل ، ثم هجم آخر على بعض الأمراء فقتل أيضاً ، ثم هرب الرابع فأدرك فقتل ، وبطل القتال ذلك اليوم ، ثم صمم السلطان على البلد ففتحها وأقطعها ابن أخيه تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، وقد اشتد حنقه على أهل حلب . لما أرسلوا إليه من الغداوية وإقدامهم على ذلك منه ، فجاء فقتل تجماء البلد على جبل جوشن ، وضربت خيمته على رأس البادوقية ، وذلك في خامس عشر ذى الحجة ، وجبى الأموال وأخذ الخراج من القرى ، ومنع أن يدخل البلد شيء أو يخرج منه أحد ، واستمر محاصراً لها حتى انسلخت السنة .

وفي ذى الحجة من هذه السنة عاد نور الدولة أخو السلطان من بلاد اليمن إلى أخيه شوقاً إليه ، وقد حصل أموالاً جزيلة ، وفرح به السلطان ، فلما اجتمعا قال السلطان البر التقي : أنا يوسف وهذا أخي ، وقد استناب على بلاد اليمن من ذوى قرابته ، فلما استقر عند أخيه استنابه على دمشق وأعمالها ، وقيل إن قدومه كان قبل وقعة المواصله ، وكان من أكبر أسباب الفتح والنصر ، لشجاعته وفروسيته / وفيها أفند تقي الدين عمر بن أخى الناصر مملوكه بهاء الدين قراقوش في جيشه إلى بلاد المغرب ففتح بلاداً كثيرة ، وغنم أموالاً جزيلة ، ثم عاد إلى مصر . وفيها قدم إلى دمشق أبو الفتح الواعظ عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخى الدمشقي الأصل ، البغدادى المنشأ ، ذكره العماد فى الجريدة . قال : وكان صاحبى ، وجلس للوعظ وحضر عنده السلطان صلاح الدين ، وأورد له مقطعات أشعار ، فن ذلك ما كان يقول :

يا مالكا مهجتي يا منتهى أملى * يا حاضرأشاهدآ فى القلب والفكر
خلقتنى من تراب أنت خالقه * حتى إذا صرت تمثالا من الصور
أجريت فى قالبى روحاً منورة * تمر فيه كجرى الماء فى الشجر
جمعتنى من صفا روح منورة * وهيكلى صفته من معدن كدر

إن غبت فيك فياغري وياشرفي * وإن حضرت فياصمعي ويابصري
أو احتجبت فسرى فيك في وله * وإن خطرت فقلبي منك في خطر
تبدو فتمحو رسومي ثم تثبتها * وإن تغيب عني عشت بالآثر
وفيها توفي من الأعيان الحافظ أبو القاسم ابن عساكر .

﴿ علي بن الحسن بن هبة الله ﴾

ابن عساكر أبو القاسم الدمشقي ، أحد أكبر حفاظ الحديث ومن عفى به سماعاً وجمعاً وتصنيفاً
واطلاعاً وحفظاً لأسانيده ومتونه ، وإتقاناً لأساليبه وفنونه ، صنف تاريخ الشام في ثمانين مجلدة ،
فهي باقية بعده مجلدة ، وقد ندر على من تقدمه من المؤرخين ، وأتعب من يأتي بعده من المتأخرين ،
فجاز فيه قصب السبق ، ومن نظر فيه وتأمله رأى ما وصفه فيه وأصله ، وحكم بأنه فريد دهره ، في
التواريخ ، وأنه الذروة العليا من الشارح ، هذا مع ماله في علوم الحديث من الكتب المفيدة ، وما
هو مشتمل عليه من العبادة والطرائق الحميدة ، فله أطراف الكتب الستة ، والشيخ النبل ، وتبيين
كذب المفترى على أبي الحسن الأشعري ، وغير ذلك من المصنفات الكبار والصغار ، والأجزاء
والأسفار ، وقد أكثر في طلب الحديث من الترحال والأسفار ، وجاز المدن والأقاليم والأمصاير ،
وجمع من الكتب ما لم يجمعه أحد من الحفاظ نسخاً واستنساخاً ، ومقابلة وتصحيح الألفاظ ، وكان
من أكبر سروات الدماشقة ، ورياسته فيهم عالية باسقة ، من ذوى الأقدار والهيئات ، والأموال
الجزيلة ، والصلاة والعبادة ، كانت وقاته في الحادى عشر من رجب ، وله من العمر ثنتان وسبعون
سنة ، وحضر السلطان صلاح الدين جنازته ودفن بمقابر باب الصغير رحمه الله تعالى . وكان الذى صلى
عليه الشيخ قطب الدين النيسابورى . قال ابن خلكان وله أشعار كثيرة منها :

أي نفس ويحك جاء المشيب * فماذا التصابي وما ذا الغزل ؟
تولى شبابي كأن لم يكن * وجاء المشيب كأن لم يزل
كأنى بنفسى على غرة * وخطب المنون بها قد نزل
فيالت شعري ممن أكون * وما قدر الله لى فى الأزل

قال : وقد التزم فيها بما لم يلزم وهو الزاى مع اللام . قال : وكان أخوه صائغ الدين هبة الله
ابن الحسن محدثاً فقيهاً ، اشتغل ببغداد على أسعد الميهنى ، ثم قدم دمشق فدرس بالقرية ،
وتوفى بها عن ثلاث وستين سنة .

﴿ ثم دخلت سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة ﴾

استهلت هذه السنة والناصر محاصر حلب ، فسألوه وتوسلوا إليه أن يصالحهم فصالحهم على أن

تكون حلب وأعمالها للملك الصالح فقط ، فكتبوا بذلك الكتاب ، فلما كان المساء بعث السلطان الصالح إسماعيل يطلب منه زيادة قلعة اعزاز ، وأرسل بأخت له صغيرة وهي الخاتون بنت نور الدين ليكون ذلك أدعى له بقبول السؤال ، وأنجح في حصول النوال ، فحين رآها السلطان قام قائماً ، وقبل الأرض وأجابها إلى سؤالها ، وأطلق لها من الجواهر والتحف شيئاً كثيراً ، ثم ترحل عن حلب قصد الغداوية الذين اعتدوا عليه فحاصر حصنهم مصبات قتل وسبي وحرق وأخذ بقارم وخرب ديارهم ، ثم شفع فيهم خاله شهاب الدين محمود بن تنقش صاحب حماه ، لأنهم جيرانه ، فقبل شفاعته ، وأحضر إليه نائب بعلبك الأمير شمس الدين محمد بن الملك مقدم ، الذي كان نائب دمشق ، جماعة من أسارى الفرنج الذين عاثوا في البقاع في غيبته ، فجدد ذلك له الغزو في الفرنج ، فصالح الغداوية الاسماعيليلة أصحاب سنان ، ثم كر راجعاً إلى دمشق فتلقيه أخوه شمس الدولة . توران شاه ، فلقبه الملك المعظم ، وعزم الناصر على دخول مصر ، وكان القاضي كمال الدين محمد الشهرزوى قد توفى في السادس من المحرم من هذه السنة ، وقد كان من خيار القضاة وأخص الناس بنور الدين الشهيد ، فوض إليه نظر الجامع ودار الضرب وعمارة الأسوار والنظر في المصالح العامة . ولما حضرته الوفاة أوصى بالقضاء لابن أخيه ضياء الدين بن تاج الدين الشهرزوى ، مع أنه كان يجد عليه ، لما كان بينه وبينه حين كان صلاح الدين سجنه بدمشق ، وكان يما كسه ويخالفه ، ومع هذا أمضى وصيته لابن أخيه ، فجلس في مجلس القضاء على عادة عمه وقاعدته ، وبقي في نفس السلطان من تولية شرف الدين أبي سعيد عبد الله بن أبي عصرون الحلبي ، وكان قد هاجر إلى السلطان إلى دمشق فوعده أن يوليه قضاءها ، وأسر بذلك إلى القاضي الفاضل ، فأشار الفاضل على الضياء أن يستعفى من القضاء فاستعفى فأعفى ، وترك له وكالة بيت المال ، وولى السلطان ابن أبي عصرون على أن يستنوب القاضي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين ، ففعل ذلك ، ثم بعد ذلك استقل بالحكم محيي الدين أبو حامد بن أبي عصرون عوضاً عن أبيه شرف الدين ، بسبب ضعف بصره .

وفي صفر منها وقف السلطان الناصر قرية حزم على الزاوية الغزالية ، ومن يشتغل بها بالعلوم الشرعية ، وما يحتاج إليه الفقيه ، وجعل النظر لقطب الدين النيسابوري مدرستها . وفي هذا الشهر تزوج السلطان الملك الناصر بالست خاتون عصمة الدين بنت معين الدين أنر ، وكانت زوجة نور الدين محمود ، وكانت مقيمة بالقلعة ، وولى تزويجها منه أخوها الأمير سعد الدين بن أنر ، وحضر القاضي ابن عصرون المقدم ومن معه من العدول ، وبات الناصر عندها تلك الليلة والتي بعدها ، ثم سافر إلى مصر بعد يومين ، ركب يوم الجمعة قبل الصلاة فتنزل مرج الصفر ، ثم سافر فعشا قريباً من الصفيين ، ثم سار فدخل مصر يوم السبت السادس عشر ربيع الأول من هذه السنة ، وتلقاه

أخوه ونائبه عليها الملك العادل سيف الدين أبو بكر إلى عند بحر القلزم ، ومعه من الهدايا شيء كثير من المآكل المتنوعة وغيرها ، وكان في صحبة السلطان العماد الكاتب ، ولم يكن ورد الديار المصرية قبل ذلك ، فجعل يذكر محاسنها وما اختصت به من بين البلدان ، وذكر الأهرام وشبههما بأنواع من التشبيهات ، وبالع في ذلك حسب ما ذكر في الروضتين .

وفي شعبان منهاركب الناصر إلى الاسكندرية فاستمع ولديه الفاضل على والعزير عثمان على الحافظ السلفي ، وتردد بهما إليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع رمضان ، وعزم الناصر على تمام الصيام بها ، وقد كمل عمارة السور على البلد ، وأمر بتجديد الاسطول وإصلاح مراكبه وسفنه وشحنه بالمقاتلة وأمرهم بغزو جزائر البحر ، وأقطعهم الاقطاعات الجزيلة على ذلك ، وأرصد للاسطول من بيت المال ما يكفيه لجميع شتونه ، ثم عاد إلى القاهرة في أثناء رمضان فأكل صومه .

وفيها أمر الناصر ببناء مدرسة للشافعية على قبر الشافعي ، وجعل الشيخ نجم الدين الخبوشاني مدرستها وناظرها . وفيها أمر ببناء المارستان بالقاهرة ووقف عليه وقفا كثيرة . وفيها بنى الأمير مجاهد الدين قياز نائب قلعة الموصل جامعاً حسناً ورباطاً ومدرسة ومارستاناً متجاورات بظاهر الموصل وقد تأخرت وفاته إلى سنة خمس وتسعين وخمسة رحمه الله . وله عدة مدارس وخوانقات وجوامع غير ما ذكرنا ، وكان ديناً خيراً فاضلاً حنفياً المذهب ، يذكر في الأدب والأشعار والفقه ، كثير الصيام وقيام الليل . وفيها أمر الخليفة بإخراج المجذومين من بغداد لناحية منها ليميزوا عن أهل العافية ، نسأل الله العافية . وذكر ابن الجوزي في المنتظم عن امرأة قالت : كنت أمشي في الطريق وكأن رجلاً يعارضني كلما مررت به ، فقلت له : إنه لا سبيل إلى هذا الذي ترومه مني إلا بكتاب وشهود ، فتزوجني عند الحاكم ، فكنيت معه مدة ثم اعتراه انتفاخ ببطنه فكنا نظن أنه استسقاء فداويه لذلك ، فلما كان بعد مدة ولد ولداً كما تلد النساء ، وإذا هو خنثى مشكل ، وهذا من أغرب الأشياء .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ علي بن عساكر ﴾

ابن المرحب بن العوام أبو الحسن البطائحي المقرئ اللغوي ، سمع الحديث وأسمعه ، وكان حسن المعرفة بالنحو واللغة ، ووقف كتبه بمسجد ابن جرارة ببغداد ، توفي في شعبان وقد نيف على الثمانين

﴿ محمد بن عبد الله ﴾

ابن القاسم أبو الفضل ، قاضي القضاة بدمشق ، كمال الدين الشهرزوري ، الموصل ، وله بها مدرسة على الشافعية ، وأخرى بنصيبين ، وكان فاضلاً ديناً أميناً ثقة ، ولي القضاة بدمشق لنور الدين الشهيد محمود بن زنكي ، واستوزره أيضاً فيما حكاه ابن الساعي . قال وكان يبعثه في الرسائل ، كتب

مرة على قصة إلى الخليفة المقتدى : محمد بن عبد الله الرسول ، فكتب الخليفة تحت ذلك : **وَاللَّهِ** . قلت : وقد فوض إليه نور الدين نظر الجامع ودار الضرب والأسوار ، وعمر له المدارس والمدارس وغير ذلك وكانت وفاته في المحرم من هذه السنة بدمشق .

﴿ الخطيب شمس الدين ﴾

ابن الوزير أبو الضياء خطيب الديار المصرية ، وابن وزيرها ، كان أول من خطب بديار مصر للخليفة المستنصر ، بأمر الله العباسي ، بأمر الملك صلاح الدين ، ثم حظى عنده حتى جعله سفيرا بينه وبين الملوك والخلفاء ، وكان رئيساً مطاعاً كريماً ممدحاً ، يقرأ عليه الشعراء والادباء . ثم جعل الناصر مكانه الشهر زوري المتقدم بمرسوم السلطان ، وصارت وظيفة مقررة .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها أمر الملك الناصر ببناء قلعة الجبل وإحاطة السور على القاهرة ومصر ، فمصر قلعة للملك لم يكن في الديار المصرية مثلها ولا على شكلها ، وولى عمارة ذلك الأمير بهاء الدين قراقوش مملوك اتقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب . وفيها كانت وقعة الرملة على المسلمين ، وفي جمادى الأولى منها سار السلطان الناصر صلاح الدين من مصر قاصداً غزو الفرنج ، فأنهى إلى بلاد الرملة فسبى وغنم ، ثم تشاغل جيشه بالغنائم وتفرقوا في القرى والحلج ، وبقي هو في طائفة من الجيش منفرداً فهجمت عليه الفرنج في جحفل من المقاتلة فأسلم إلا بعد جهد جهيد ، ثم تراجع الجيش إليه واجتمعوا عليه بعد أيام ، ووقعت الأراجيف في الناس بسبب ذلك ، وما صدق أهل مصر حتى نظروا إليه وصار الأمر كما قيل * رضيت من الغنيمة بالأياب * ومع هذا دقت البشار في البلدان فرحاً بإسلامة السلطان ، ولم تجر هذه الوقعة إلا بعد عشر سنين ، وذلك يوم حطين ، وقد ثبت السلطان في هذه الوقعة ثباتاً عظيماً ، وأسر للملك المظفر تقي الدين عمر بن أخي السلطان ولده شاهنشاه ، فبقي عندهم سبع سنين ، وقتل ابنه الآخر ، وكان شاباً قد طرّ شاربه ، فحزن على المقتول والمفقود ، وصبر تأسيّاً بأيوب ، وناح كما نوح داود ، وأسر الغقيهان الأخوان ضياء الدين عيسى وظهر الدين فافنداهما السلطان بعد سنتين بتسعين ألف دينار .

وفيها تخبطت دولة حلب وقبض السلطان الملك الصالح إسماعيل بن نور الدين على الخادم كشتكين ، وألزمه بتسليم قلعة حارم ، وكانت له ، فأبى من ذلك فعلقه منكوساً ودخن تحت أنفه حتى مات من ساعته . وفيها جاء ملك كبير من ملوك الفرنج بروم أخذ الشام لغيبة السلطان واشتغال نوابه ببلدانهم . قال العماد السكاتب : ومن شرط هدية الفرنج أنه متى جاء ملك كبير من ملوكهم لا يمكنهم دفعه أنهم يقاتلون معه ويؤازرونه وينصرونه ، فإذا انصرف عنهم عادت الهدنة كما كانت ، فقصده

هذا الملك وجملة الفرنج مدينة حماه وصاحبها شهاب الدين محمود خال السلطان مريض ، ونائب دمشق ومن معه من الأمراء مشغولون ببلدانهم ، فكادوا يأخذون البلاد ولكن هزمهم الله بعد أربعة أيام ، فانصرفوا إلى حارم فلم يتمكنوا من أخذها وكشفهم عنها الملك الصالح صاحب حلب ، وقد دفع إليهم من الأموال والأسرا ما طلبوه منه . وتوفي صاحب حماه شهاب الدين محمود خال السلطان الناصر ، وتوفي قبله ولده تنش بثلاثة أيام ، ولما سمع الملك الناصر بنزول الفرنج على حارم خرج من مصر قاصداً بلاد الشام ، فدخل دمشق في رابع عشر شوال ، وصحبته العماد الكاتب ، وتأخر القاضي الفاضل بمصر لأجل الحج .

وفيهما جاء كتاب القاضي الفاضل الناصر يهنئه بوجود مولود وهو أبو سليمان داود ، وبه كمل له اثني عشر ذكراً ، وقد ولد له بعده عدة أولاد ذكور ، فانه توفي عن سبعة عشر ذكراً وابنة صغيرة اسمها مؤنسة ، التي تزوجها ابن عمها الملك الكامل محمد بن العادل ، كما سيأتي بيان ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

وفيهما جرت فتنة عظيمة بين اليهود والعمامة ببغداد ، بسبب أن مؤذناً أذن عند كنيسة فنال منه بعض اليهود بكلام أغلظ له فيه ، فشتمه المسلم فاقنتلا ، فجاء المؤذن يشتكي منه إلى الديوان ، فتفاقم الحال ، وكثرت العوام ، وأكثروا الضجيج ، فلما حان وقت الجمعة منعت العمامة الخطباء في بعض الجوامع ، وخرجوا من فورهم فتهبوا سوق المطارين الذي فيه اليهود ، وذهبوا إلى كنيسة اليهود فتهبوها ، ولم يتمكن الشرط من ردهم ، فأمر الخليفة بصلب بعض العمامة ، فأخرج في الليل جماعة من الشطار الذين كانوا في الحبوس وقد وجب عليهم القتل فصلبوا ، فظن كثير من الناس أن هذا كان بسبب هذه الكائنة ، فسكن الناس . وفيها خرج الوزير الخليفة عضد الدولة ابن رئيس الرؤساء ابن المسلمة قاصداً الحج ، وخرج الناس في خدمته ليودعوه ، فتقدم إليه ثلاثة من الباطنية في صورة فقراء ومعهم قصص ، فتقدم أحدهم ليناوله قصة فاعتقه وضر به بالسكين ضربات ، وهجم الثاني وكذلك الثالث عليه فهبروه وجرحوا جماعة حوله ، وقتل الثلاثة من فورهم ، ورجع الوزير إلى منزله محمولا فمات من يومه ، وهذا الوزير هو الذي قتل ولدى الوزير ابن هبيرة وأعدمهما ، فسلط الله عليه من قتله ، وكما تدين تدان ، جزاء وفاقا .

ومن توفي فيها من الأعيان ﴿ صدقة بن الحسين ﴾

أبو الفرج الحداد ، قرأ القرآن وسمع الحديث ، وتفقه وأفتى ، وقال الشعر وقال في الكلام ، وله تاريخ ذيل على شيخه ابن الزاغوني ، وفيه غرائب ومجائب . قال ابن الساعي : كان شيخاً عالماً فاضلاً وكان فقيراً يأكل من أجرة النسخ ، وكان يأوي إلى مسجد ببغداد عند البدرية يؤم فيه ، وكان يعتب

على الزمان وبنيه ، ورأيت ابن الجوزي في المنتظم يذمه ويرميه بالعظام ، وأورد له من أشعاره ما فيه مشابهة لابن الراوندي في الزندقة فأنه أعلم . توفي في ربيع الآخر من هذه السنة عن خمس وسبعين سنة ، ودفن بباب حرب ، ورؤيت له منامات غير صالحة ، نسأل الله العاقبة في الدنيا والآخرة .

(محمد بن أسعد بن محمد)

أبو منصور العطار ، المعروف بمحفدة ، سمع الكثير وتفقه وناظر وأفتى ودرس ، وقدم بغداد فمات بها

(محمود بن تنش شهاب الدين الحارمي)

خال السلطان صلاح الدين ، كان من خيار الأمراء وشجعانهم ، أقطعه ابن أخيه حماء ، وقد حاصره الفرنج وهو مريض فأخذوا حماء وقتلوا بعض أهلها ، ثم تناخى أهلها فردوهم خائبين .

(فاطمة بنت نصر العطار)

كانت من سادات النساء ، وهي من سلالة أخت صاحب المحزن ، كانت من العابدات المتورعات الخدرات ، يقال إنها لم تخرج من منزلها سوى ثلاث مرات ، وقد أثنى عليها الخليفة وغيره والله أعلم .

(ثم دخلت سنة أربع وسبعين وخمسمائة)

فيها ورد كتاب من القاضي الفاضل من مصر إلى الناصر وهو بالشام يهنييه بسلامة أولاده الملوك الاثني عشر ، يقول : وهم بحمد الله بهجة الحياة وزينتها ، وريحانة القلوب والأرواح وزهرتها ، إن فؤادا وسع فراقهم لواسع ، وإن قلباً قنع بأخبارهم لقانع ، وإن طرفاً نام عن البعد عنهم لهاجع ، وإن ملكاً ملك صبره عنهم لحازم ، وإن نعمة الله بهم لنعمة بها العيش ناعم ، أما يشفق جسد المولى أن تطوق بدرهم ؟ أما نظاماً عينه أن تروى بنظرهم ؟ أما يحزن قلبه للقيهم ؟ أما يلتقط هذا الطائر بفتيلهم ؟ والمولى أبقاه الله أن يقول :

وما مثل هذا الشوق يحمل بعضه * ولكن قلبي في الهوى يتقلب

وفيها أسقط صلاح الدين المكوس والضرائب عن الحجاج بمكة ، وقد كان يؤخذ من حجاج الغرب شيء كثير ، ومن عجز عن أدائه حبس فربما فاته الوقوف بعرفة ، وعوض أمير مكة بمال أقطعه إياه بمصر ، وأن يحمل إليه في كل سنة ثمانية آلاف أردب إلى مكة ، ليكون عوناً له ولأتباعه ، ورقفاً بالمجاورين ، وقررت للمجاورين أيضاً غلات تحمل إليهم رحمه الله . وفيها عصى الأمير شمس الدين بن مقدم بعلبك ، ولم ينجى إلى خدمة السلطان ، وهو نازل على حصص ، وذلك أنه بلغه أن أخا السلطان توران شاه طلب بعلبك منه فأطلقها له ، فامتنع ابن المقدم من الخروج منها حتى جاء السلطان بنفسه فحصره فيها من غير قتال ، ثم عوض ابن المقدم عنها بتعويض كثير خير مما كان بيده ، فخرج منها وتسلمها وسلمها توران شاه . قال ابن الأثير : وكان في هذه السنة غلاء شديد بسبب

قلة المطر ، عم العراق والشام وديار مصر ، واستمر إلى سنة خمس وسبعين ، فجاء المطر ورخصت الأسعار ثم عقب ذلك وباء شديد ، وعم البلاد مرض آخر وهو السارسام ، فما ارتفع إلا في سنة ست وسبعين ، فمات بسبب ذلك خلق كثير ، وأمم لا يعلم عددهم إلا الله . وفي رمضان منها وصلت خلع الخليفة إلى الملك صلاح الدين وهو بدمشق ، وزيد في ألقابه معز أمير المؤمنين ، وخلص على أخيه توران شاه ولقب بمصطفى أمير المؤمنين .

وفيها جهز الناصر ابن أخيه فروخ شاه بن شاهنشاه بين يديه لقتال الفرنج الذين عاثوا في نواحي دمشق ، فتهبوا ما حولها ، وأمره أن يداريهم حتى يتوسطوا البلاد ولا يقاتلهم حتى يقدم عليه ، فلما رأوه عاجلوه بالقتال فكسروهم وقتل من ملوكهم صاحب الناصرة الهنفرى ، وكان من أكابر ملوكهم وشجعانهم ، لا ينهيه اللقاء ، فكبته الله في هذه الغزوة ، ثم ركب الناصر في إثر ابن أخيه فما وصل إلى الكسوة حتى تلقته الرأس على الرماح ، والغنائم والأسارى . وفيها بنت الفرنج قلعة عند بيت الأحزان للداوية فجعلوها مرصد الحرب المسلمين ، وقطع طريقهم ، ونقضت ملوكهم المهود التي كانت بينهم وبين صلاح الدين ، وأغاروا على نواحي البلدان من كل جانب ، ليشغلوا المسلمين عنهم ، وتفرقت جيوشهم فلا تجتمع في بقعة واحدة ، فرتب السلطان ابن أخيه عمر على حماه ومعه ابن مقدم وسيف الدين على بن أحمد المشطوب بنواحي البقاع وغيرها ، وبشر حص ابن عمه ناصر الدين بن أسد الدين شيركوه ، وبعث إلى أخيه الملك أبي بكر العادل نائبه بمصر أن يبعث إليه ألفا وخمسمائة فارس يستعين بهم على قتال الفرنج ، وكتب إلى الفرنج يأمرهم بتخريب هذا الحصن الذى بنوه للداوية فامتنعوا إلا أن يبذل لهم ما غرموه عليه ، فبذل لهم ستين ألف دينار فلم يقبلوا ، ثم أوصلهم إلى مائة ألف دينار ، فقال له ابن أخيه تقي الدين عمر : ابذل هذا إلى أجناد المسلمين وسر إلى هذا الحصن فخر به ، فأخذ بقوله في ذلك وخر به في السنة الآتية كما سذكركه .

وفيها أمر الخليفة المستضىء بكتابة لوح على قبر الامام أحمد بن حنبل ، فيه آية الكرسي ، وبعدها هذا قبر تاج السنة وحبر الأمة العالى الهمة العالم المابد الفقيه الزاهد ، وذكروا تاريخ وفاته رحمه الله تعالى .

وفيها احتبط ببغداد على شاعر يشدد للروافض أشعاراً في ثلب الصحابة وسبهم ، وتهجين من يحبهم ، فمعد له مجلس بأمر الخليفة ثم استنطق فاذا هورافضى خبيث داعية إليه ، فألقى الفقهاء بقطع لسانه ويديه ، ففعل به ذلك ، ثم اختطفته العسامة فما زالوا يرمونه بالآجر حتى ألقي نفسه في دجلة فاستخرجوه منها فقتلوه حتى مات ، فأخذوا شريطاً وربطوه في رجله وجروه على وجهه حتى طافوا به البلد وجميع الأسواق ، ثم ألقوه في بعض الاتونة مع الآجر والكاس ، وعجز الشرط عن تخليصه منهم

وفيهما توفي من الأعيان ﴿ أسعد بن بلدرك الجبريلي ﴾
 سمع الحديث وكان شيخاً ظريف المذاكرة جيدة المبادرة ، توفي عن مائة سنة وأربع سنين .

﴿ الحيص بيص ﴾

سعد بن محمد بن سعد [الملقب] شهاب الدين ، أبو الفوارس المعروف بحيص بيص ، له ديوان شعر مشهور ، توفي يوم الثلاثاء خامس شهر شعبان من هذه السنة ، وله ثنتان وثمانون سنة ، وصلى عليه بالنظامية ، ودفن بباب التبن ، ولم يعقب ، ولم يكن له في المراسلات بديل ، كان يتنعر فيها ويتفاحج جداً ، فلا نواتيه إلا وهى معجزة ، وكان يزعم أنه من بنى تميم ، فستل أبوه عن ذلك فقال ما سمعته إلا منه ، فقال بعض الشعراء بهجوه فيما ادعاه من ذلك :

كم تبادى وكم تطيل طرطو * رك وما فيك شعرة من تميم
 فكل الضب وأقرط الحنظل اليا * يس واشرب ان شئت بول الظلم
 فليس ذا وجه من يضيف ولاية * رى ولا يدفع الأذى عن حريم
 ومن شعر الحيص بيص الجيد :

سلامة المرء ساعة عجب * وكل شئ له خنفة سبب
 يفر والحادثات تطلبه * يفر منها ونحوها الهرب
 وكيف يبقى على قلبه * مسأله من حياته العطب

ومن شعره أيضاً :

لا تلبس الدهر على غرة * فما لموت الحى من بد
 ولا يخادعك طول البقا * فتحسب التطويل من خلد
 يقرب ما كان آخرآ * ما أقرب المهد من اللحد
 ويقرب من هذا ما ذكره صاحب المقدم أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسى فى عقده :

ألا إنما الدنيا غضارة أيكمة * إذا اخضر منها جانب جف جانب
 وما الدهر والآمال إلا فجائع * عليها وما اللذات إلا مصائب
 فلا تكتحل عينك منها بعمرة * على ذاهب منها فانك ذاهب

وقد ذكر أبو سعد السمعاني حيص بيص هذا فى ذيله وأثنى عليه ، وسمع عليه ديوانه ورسائله ، وأثنى على رسائله القاضى ابن خلكان ، وقال : كان فيه تبه وتماظم ، ولا يتكلم إلا معرباً ، وكان فقيهاً شافئ المذهب ، واشتغل بالخلاف وعلم النظر ، ثم تشاغل عن ذلك كله بالشعر ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب ، واختلاف لغاتهم . قال : وإنما قيل له الحيص بيص ، لأنه رأى الناس فى حركة

واختلاط ، فقال : ما للناس في حيص بيص ، أى في شر وهرج ، فغلب عليه هذه الكلمة ، وكان يزعم أنه من ولد أكرم بن صيفي طبيب العرب ، ولم يترك عقباً . كانت له حوالة بالحلة فذهب يتقاضاها فتوفى ببغداد في هذه السنة .

﴿ محمد بن نسيم ﴾

أبو عبد الله الخياط ، عتيق الرئيس أبي الفضل بن عبسون ، سمع الحديث وقارب الثمانين ، سقط من درجة فمات . قال : أنشدني مولى الدين يعني ابن علام الحكيم بن عبسون .

للقارئ الحزون أجدر بالتقى * من راهب في ديره متقوس
ومراقب الأفلاك كانت نفسه * بعبادة الرحمن أخرى الأنفس
والماسح الأرضين وهي فسيحة * أولى بمسح في أ كف اللمس
أولى بخشية ربه من جاهل * بثلاث ومربع وخمس

﴿ ثم دخلت سنة خمس وسبعين وخمسمائة ﴾

وفيها كانت وقعة مرج عيون استهلكت هذه السنة والسلطان صلاح الدين الناصر نازل بمجيشه على تل القاضى ببيانياس ، ثم قصده الفرنج مجتمعهم فنهض إليهم فما هو إلا أن التقى الفريقان واصطدم الجندان ، فأنزل الله نصره وأعز جنده ، فولت ألوية الصليبان ذاهبة وخيل الله لركابهم راكبة ، فقتل منهم خلق كثير ، وأسر من ملوكهم جماعة ، وأتابوا إلى السمع والطاعة ، منهم مقدم الداوية ومقدم الاسباقارية وصاحب الرملة وصاحب طبرية وقسطلان يافا وآخرون من ملوكهم ، وخلق من شجعانهم وأبطالهم ، ومن فرسان القدس جماعة كثير ون تقريباً من ثلاثمائة أسير من أشرفهم ، فصاروا يهانون في القيود . قال العماد : فاستعرضهم السلطان في الليل حتى أضاء الفجر ، وصلى يومئذ الصبح بوضوء العشاء ، وكان جالساً ليلته في نحو العشرين والفرنج كثير ، فسلمه الله منهم ، ثم أرسلهم إلى دمشق ليعتقلوا بقلعتها ، فافتدى ابن البارزاني صاحب الرملة نفسه بمائة ألف وخمسين ألف دينار صورية ، وإطلاق ألف أسير من بلاده ، فأجيب إلى ذلك ، وافتدى جماعة منهم أنفسهم بأموال جزيلة ، ومنهم من مات في السجن ، واتفق أنه في اليوم الذي ظفر فيه السلطان بالفرنج بمرج عيون ، ظهر أسطول المسلمين على بطشة للفرنج في البحر وأخرى معها فغنموا منها ألف رأس من السبي ، وعاد إلى الساحل مؤيداً منصوراً ، وقد امتدح الشعراء السلطان في هذه الغزوة بمدائح كثيرة ، وكتب بذلك إلى بغداد فدقت البشائر بها فرحاً وسروراً ، وكان الملك المظفر تقي الدين عمر غائباً عن هذه الوقعة مشتغلاً بما هو أعظم منها ، وذلك أن ملك الروم فرارسلان بعث يطلب حصن رعنان ، وزعم أن نور الدين اغتصبه منه ، وأن ولده قد عصى ، فلم يجبه إلى ذلك السلطان ، فبعث صاحب الروم

عشرين ألف مقاتل يحاصرونه ، فأرسل السلطان تقي الدين عمر في ثمانمائة فارس منهم سيف الدين على بن أحمد المشطوب ، فالتقوا معهم فهزموهم باذن الله ، واستقرت يد صلاح الدين على حصن رعنان ، وقد كان مما عوض به ابن مقدم عن بعلبك ، وكان تقي الدين عمر يفتخر بهذه الواقعة ويرى أنه قد هزم عشرين ألفاً ، وقيل ثلاثين ألفاً ثمانمائة ، وكان السبب في ذلك أنه بينهم وأغار عليهم ، فما لبثوا بل فروا منهزمين عن آخرهم ، فأكثر فيهم القتل واستحوذ على جميع ما تركوه في خيامهم ، ويقال إنه كسرهم يوم كسر السلطان الفرنج بمرج عيون والله أعلم .

﴿ ذكر تخريب حصن الاحزان ﴾

وهو قريب من صند . ثم ركب السلطان إلى الحصن الذي كانت الفرنج قد بنوه في العام الماضي وحفروا فيه بئراً وجعلوه لهم عيناً ، وسلموه إلى الداوية ، فقصده السلطان فحاصره ونقبه من جميع جهاته ، وألقى فيه النيران وخربه إلى الأساس ، وغنم جميع ما فيه ، فكان فيه مائة ألف قطعة من السلاح ، ومن المأكل شيء كثير ، وأخذ منه سبعمائة أسير فقتل بعضاً وأرسل إلى دمشق الباقي ، ثم عاد إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، غير أنه مات من أembrائه عشرة بسبب ما نالهم من الحر والوباء في مدة الحصار ، وكانت أربعة عشر يوماً ، ثم إن الناس زاروا مشهد يعقوب على عادتهم ، وقد امتدحه الشعراء فقال بعضهم :

بجـدك أعطاف القنا قد تمطفت * وطرف الأعادي دون مجدك يطرف
شهاب هدى في ظلمة الليل ثاقب * وسيف إذا ما هزه الله مرهف
وقفت على حصن المحاض وإنه * لموقف حق لا يوازيه موقف
فلم يبد وجه الأرض بل حال دونه * رجال كآساد الثرى وهى ترجف
وجرد سلهوب ودرع مضاعف * وأبيض هندی ولدن مهيف
وما رجعت أعلامك البيض ساعة * إلا غدت أكبادهـا السود ترجف
كنائس أغبياد صليب وبيعة * وشاد به دين خفيف ومصحف
صليب وعباد الصليب ومنزل * لنوال قد غادرته وهو مصنف
أنسكن أوطان النبيين عصابة * تمين لدى أيمانها وهى تحلف
نصحتكم والنصح في الدين واجب * ذروا بيت يعقوب فقد جاء يوسف

وقال آخر :

هلاك الفرنج أنى عاجلا * وقد آن تكسير صلبانها
ولولم يكن قد دنا حتفها * لما عمرت بيت أحزانها

من كتاب كتبه القاضي الفاضل إلى بغداد في خراب هذا الحصن . وقد قيس عرض حائطه فزاد على عشرة أذرع وقطعت له عظام الحجارة كل فص منها سبعة أذرع ، إلى ما فوقها ومادونها ، وعدتها تزيد على عشرين ألف حجر ، لا يستقر الحجر في بنيانه إلا بأربعة دنانير فما فوقها ، وفيما بين الحائطين حشون الحجارة الضخمة الصم ، أتواها من رؤس الجبال الشم ، وقد جمعت شمبته بالكلس الذي إذا أحاطت بالحجر مازجه بمثل جسمه ، ولا يستطيع الحديد أن يتعرض إلى هدمه . وفيها أقطع صلاح الدين ابن أخيه عز الدين فروخ شاه بعلبك . وأغار فيها على صفت وأعمالها ، فقتل طائفة كبيرة من مقاتليها ، وكان فروخ شاه من الصناديد الأبطال .

وفيها حج القاضي الفاضل من دمشق وعاد إلى مصر فقام في الطريق أهوالاً ، ولقي ترحاً وتعباً وكلالاً ، وكان في العام الماضي قد حج من مصر وعاد إلى الشام ، وكان ذلك العام في حقه أسهل من هذا العام . وفيها كانت زلزلة عظيمة أنهدم بسببها قلاع وقرى ، ومات خلق كثير فيها من النوري ، وسقط من رؤس الجبال صخور كبار ، وصادمت بين الجبال في البراري والقفار ، مع بعد ما بين الجبال من الأقطار . وفيها أصاب الناس غلاء شديد وفناء شريد وجهد جهيد ، فمات خلق كثير بهذا وهذا ، فانا لله وإنا إليه راجعون .

﴿ ذكر وفاة المستضيء بأمر الله وشي من ترجمته ﴾

كان ابتداء مرضه أواخر شوال فأرادت زوجته أن تكتن ذلك فلم يمكنها ، ووقعت فتنة كبيرة ببغداد ونهبت العوام دوراً كثيرة ، وأموالاً جزيلة ، فلما كان يوم الجمعة الثاني والعشرين من شوال خطب لولى العهد أبى العباس أحمد بن المستضيء ، وهو الخليفة الناصر لدين الله ، وكان يوماً مشهوداً نثر الذهب فيه على الخطباء والمؤذنين ، ومن حضر ذلك ، عند ذكر اسمه على المنبر . وكان مرضه بالحمى ابتدأها يوم عيد الفطر ، ولم يزل الأمر يتزايد به حتى استكمل في مرضه شهراً ، ومات سلخ شوال ، وله من العمر تسع وثلاثون سنة ، وكانت مدة خلافته تسع سنين وثلاثة أشهر وسبعة عشر يوماً ، وغسل وصلى عليه من الغد . ودفن بدار النصر التي بناها ، وذلك عن وصيته التي أوصاها ، وترك ولدين أحدهما ولي عهده وهو عدة الدنيا والدين ، أبو العباس أحمد الناصر لدين الله ، والآخر أبو منصور هاشم ، وقد وزر له جماعة من الرؤساء ، وكان من خيار الخلفاء ، أمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر ، مزيلاً عن الناس المكوسات والضرائب ، مبطلا للبدع والمعائب ، وكان حلماً وقوراً كريماً ، وبويع بالخلافة من بعده لولده الناصر .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ إبراهيم بن علي ﴾

أبو إسحاق الفقيه الشافعي ، المعروف بابن الفراء الأموي ثم البغدادي ، كان فاضلاً مناضراً

فصيحاً بليغاً شاعراً ، توفى عن أربع وسبعين سنة ، وصلى عليه أبو الحسن القزوينى مدرس النظامية ﴿ إسماعيل بن موهوب ﴾

ابن محمد بن أحمد الخضر أبو محمد الجوالقى ، حجة الاسلام ، أحد أئمة اللغة فى زمانه والمشار إليه من بين أقرانه بحسن الدين وقوة اليقين ، وعلم اللغة والنحو ، وصدق اللهجة وخلوص النية ، وحسن السيرة فى مرباه ومنشاه ومنتهاه ، سمع الحديث وسمع الأثر واتبع سبيله ومرماه ، رحمه الله تعالى . ﴿ المبارك بن على بن الحسين ﴾

أبو محمد ابن الطباخ البغدادى ، نزيل مكة ومجاورها ، وحافظ الحديث بها والمشار إليه بالعلم فيها . كان يوم جنازته يوماً مشهوداً .

﴿ ذكر خلافة الناصر لدين الله أبى العباس أحمد بن المستضى بأمر الله ﴾

لما توفى أبوه فى سابع شوال من سنة خمس وسبعين وخمسمائة ، بايعه الأمراء والوزراء والكبراء والخاصة والعامة ، وكان قد خطب له على المنابر فى حياة أبيه قبل موته ببسير ، فقبل إنه إنما عهد له قبل موته بيوم ، وقيل بأسبوع ، ولكن قدر الله أنه لم يختلف عليه اثنان بعد وفاة أبيه ، ولقب بالناصر ، ولم يل الخلافة من بنى العباس قبله أطول مدة منه ، فانه مكث خليفة إلى سنة وفاته فى ثلاث وعشرين وستمائة ، وكان ذكياً شجاعاً مهيئاً كما سيأتى ذكر سيرته عند وفاته . وفى سابع ذى القعدة من هذه السنة عزل صاحب الخزن ظاهر الدين أبو بكر بن المطار ، وأهين غاية الاهانة ، هو وأصحابه وقتل خلق منهم ، وشهر فى البلد ، وتمكن أمر الخليفة الناصر وعظمت هيئته فى البلاد ، وقام قائم الخلافة فى جميع الأمور . ولما حضر عيد الأضحى أقيم على ما جرت به العادة والله أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ست وسبعين وخمسمائة ﴾

فيها هادن السلطان صلاح الدين الفرنج وسار إلى بلاد الروم فأصلح بين ملوكها ، من بين أرتقى وكر على بلاد الأرمن فأقام عليها وفتح بعض حصونها ، وأخذ منها غنائم كثيرة جداً ، من أواني الفضة والذهب ، لأن ملكها كان قد غدر بقوم من التركان ، فردّه إلى بلاده ثم صالحه على مال يحمله إليه وأسارى يطلقهم من أسره ، وآخرين يستنقذهم من أيدي الفرنج ، ثم عاد مؤيداً منصوراً فدخل حماه فى أواخر جمادى الآخرة ، وامتدحه الشعراء على ذلك ، ومات صاحب الموصل سيف الدين غازى بن مودود ، وكان شاباً حسناً مليح الشكل قام القامة ، مدور اللحية ، مكث فى الملك عشر سنين ، ومات عن ثلاثين سنة ، وكان عفيفاً فى نفسه ، مهيئاً وقوراً ، لا يلتفت إذا ركب وإذا جلس ، وكان غيوراً لا يدع أحداً من الخدم الكبار يدخل على النساء ، وكان لا يقدم على سفك الدماء ، وكان ينسب إلى شىء من البخل سألحه الله ، توفى فى ثالث صفر ، وكان قد عزم على أن يجعل

الملك من بعده لولده عز الدين سنجر شاه ، فلم يوافقهم إلا مرأى خوفا من صلاح الدين لصغر سنه ، فاتفقوا كلهم على أخيه فأجلس مكانه في المملكة ، وكان يقال له عز الدين مسعود ، وجعل مجاهد الدين قائماز نائبه ومدير مملكته . وجاءت رسل الخليفة ياتسون من صلاح الدين أن يبقى سروج والرها والركة ، وحران والخابور ونصيبين في يده كما كانت في يد أخيه ، فامتنع السلطان من ذلك ، وقال : هذه البلاد هي حفظ ثغور المسلمين ، وإنما تركتها في يده ليساعدنا على غزو الفرنج ، فلم يفعل ذلك ، وكتب إلى الخليفة يعرفه أن المصلحة في ترك ذلك عوننا للمسلمين .

✽ وفاة السلطان توران شاه ✽

فيها توفي السلطان الملك المعظم شمس الدولة توران شاه بن أيوب ، أخي الملك صلاح الدين ، وهو الذي افتتح بلاد اليمن عن أمر أخيه ، فكث فيها حيناً واقتنى منها أموالاً جزيلة ، ثم استناب فيها وأقبل إلى الشام شوقاً إلى أخيه ، وقد كتب إليه في أثناء الطريق شعراً عمله له بعض الشعراء ، يقال له ابن المنجم ، وكانوا قد وصلوا إلى سما : -

هل لأخي بل مالكي علم بالذي * إليه وإن طال التردد راجع
وإني بيوم واحد من لقائه * على وإن عظم الموت بايع
ولم يبق إلا دون عشرين ليلة * ويحيى ألقا أبصارنا والمسامع
إلى ملك تمنو الملوك إذا بدا * وتخشع إعظامه وهو خاشع
كتبت وأشواق إليك بيمضها * تعلمت النوح الحمام السواجم
وما الملك إلا راحة أنت زندها * تضم على الدنيا ونحن الأصابع

وكان قدومه على أخيه سنة إحدى وسبعين وخمسمائة ، فشهد معه مواقف مشهودة محمودة ، واستنابه على دمشق مدة ، ثم سار إلى مصر فاستنابه على الاسكندرية فلم توافقه ، وكانت تعثره القوائج فمات في هذه السنة ، ودفن بقصر الإمارة فيها ، ثم نقلته أخته ست الشام بنت أيوب فدفنته بقربتها التي بالشامية البرانية ، فقبره القبلي ، والوسطاني قبر زوجها وابن عمها ناصر الدين محمد بن أسد الدين شيركوه ، صاحب حماء والرحبة ، والموخر قبرها ، والتربة الحسامية مفسوبة إلى ولدها حسام الدين عمر بن لا شين ، وهي إلى جانب المدرسة من غربها ، وقد كان توران شاه هذا كريماً شجاعاً عظيم الهبة كبير النفس ، واسع النفقة والعطاء ، قال فيه ابن سعدان الحلبي :

هو الملك إن تسمع بكسرى وقيصر * فانهما في الجود والبأس عباده
وما حاتم ممن يقاس بمثله * نخذ ما رأيناه ودع ما رويناه
ولد بعلاء مستجيبراً فانه * يجيرك من جور الزمان وعدواه

ولا تحمل للسحائب منه إذا * هطلت جودا سحائب كفاه
فترسل كفاه بما اشتق منهما * فلايمن بمناء واليسر يسراه
ولما بلغ موته أخاه صلاح الدين بن أيوب وهو مخيم بظاهر حمص ، حزن عليه حزنا شديدا ،
وجعل ينشد باب المرائي من الحماسة وكانت محفوظة .

وفي رجب منها قدمت رسل الخليفة الناصر وخلع وهدايا إلى الناصر صلاح الدين ، فلبس خلعة
الخليفة بدمشق ، وزينت له البلد ، وكان يوما مشهودا . وفي رجب أيضا منها سار السلطان إلى مصر
لينظر في أحوالها ويصوم بها رمضان ، ومن عزمه أن يحج عامه ذلك ، واستناب على الشام ابن أخيه
عز الدين فروخ شاه ، وكان عزيز المثل عزيز الفضل ، فكتب القاضي الفاضل عن الملك العادل أبي
بكر إلى أهل اليمن والبقيع ومكة يعلمهم بعزم السلطان الناصر على الحج ، ومعه صدر الدين أبو القاسم
عبد الرحيم شيخ الشيوخ ببغداد ، الذي قدم من جهة الخليفة في الرسالة ، وجاء بالخلع ليكون في خدمته
إلى الديار المصرية ، وفي صحبته إلى الحجاز ، فدخل السلطان مصر وتلقاه الجيش ، وأما شيخ
الشيوخ فإنه لم يبق بها إلا قليلا حتى توجه إلى الحجاز في البحر ، فأدرك الصيام في المسجد الحرام .
وفيه سار قراقوش التقوى إلى المغرب فحاصر بها فاس وقلاع كثيرة حولها ، واستحوذ على
أكثرها ، واتفق له أنه أسر من بعض الحصون غلاما أسود فأراد قتله فقال له أهل الحصن لا تقتله
وخذ لك دينه عشرة آلاف دينار ، فأبى فأوصله إلى مائة ألف ، فأبى إلا قتله فقتله ، فلما قتله نزل
صاحب الحصن وهو شيخ كبير ومعه مفاتيح ذلك الحصن ، فقال له خذ هذه فاني شيخ كبير ،
وإنما كنت أحفظه من أجل هذا الصبي الذي قتلته ، ولي أولاد داخ أكره أن يملكوه بعدى ،
فأقره فيه وأخذ منه أموالا كثيرة .

وفيه توفي من الأعيان ﴿ الحافظ أبو طاهر السلفي ﴾

أحمد بن محمد بن إبراهيم سلفه الحافظ الكبير المعمر ، أبو طاهر السلفي الأصهباني ، وإنما قيل
له السلفي لجدته إبراهيم سلفه ، لأنه كان مشقوق إحدى الشفتين ، وكان له ثلاث شفاء قسمته الأعاجم
لذلك . قال ابن خلكان : وكان يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد واشتغل بها
على الكيا الهراسي ، وأخذ اللغة عن الخطيب أبي زكريا . يجي بن علي التبريزي مع الحديث
الكثير ورحل في طلبه إلى الآفاق ثم نزل ثغر الاسكندرية في سنة إحدى عشرة وخمسمائة ، وبني
له العادل أبو الحسن علي بن السلار وزير الخليفة الظافر مدرسة ، وفوضها إليه ، فهي معروفة به إلى
الآن . قال ابن خلكان : وأما أماليه وكتبه وتعاليقه فكثيرة جدا ، وكان مولده فيها ذكر المصريون
سنة ثنتين وسبعين وأربعمائة ، ونقل الحافظ عبد الغني عنه أنه قال اذكر مقتل نظام الملك في سنة

خمس وثمانين وأربعمائة ببغداد ، وأنا ابن عشر تقريباً ، ونقل أبو القاسم الصفراوى أنه قال : مولدى بالتنخمين لا باليقين سنة ثمان وسبعين ، فيكون مبلغ عمره ثمانيا وتسعين سنة ، لأنه توفى ليلة الجمعة خامس ربيع الاخر سنة ست وسبعين وخمسمائة بشفر الاسكندرية والله أعلم ، ودفن بوعلة ، وفيها جماعة من الصالحين . وقد رجح ابن خلكان قول الصفراوى ، قال ولم يبلغنا من ثلاثمائة أن أحدا جاوز المائة إلا القاضى أبا الطيب الطبرى ، وقد ترجمه ابن عساكر فى تاريخه ترجمة حسنة ، وإن كان قد مات قبله بخمس سنين ، فذكر رحلته فى طلب الحديث ودورانه فى الأقاليم ، وأنه كان يتصوف أولا ثم أقام بشفر الاسكندرية وتزوج بامرأة ذات يسار ، فحسنت حاله ، وبنت عليه مدرسة هناك ، وذكر طرفا من أشعاره منها قوله :

أنا من إمام المنية بغتة * وأمن الفتى جهل وقد خبر الدهرا
وليس يحابى الدهر فى دورانه * أراذل أهليه ولا السادة الزهرا
وكيف وقد مات النبى وصحبه * وأزواجه طرا وفاطمة الزهرا
وله أيضا: يا قاصدا علم الحديث لدينه * إذ ضل عن طرق الهداية وهمه
إن العلوم كما علمت كثيرة * وأجلها فقه الحديث وعلمه
من كان طالبه وفيه تيقظ * فاتم سهم فى المعالى سهمه
لولا الحديث وأهله لم يستقم * دين النبى وشذ عنا حكمه
وإذا استراب بقولنا متعذلق * ما كل فهم فى البسيطة فهمه

﴿ ثم دخلت سنة سبع وسبعين وخمسمائة ﴾

استهلت وصلاح الدين مقيم بالقاهرة مواظب على سماع الحديث ، وجاءه كتاب من نائبه بالشام عز الدين فروخ شاه يخبره فيه بما من الله به على الناس من ولادة النساء بالتوأم جبراً لما كان أصابهم من الوباء بالعام الماضى والفناء ، وبأن الشام مخصبة باذن الله لما كان أصابهم من الغلاء . وفى شوال توجه الملك صلاح الدين إلى الاسكندرية لينظر ما أمر به من تحصين سورها وعمارة أبراجها وقصورها ، وسمع بها موطأ مالك على الشيخ أبى طاهر بن عوف ، عن الطرطوشى ، وسمع معه العماد الكاتب ، وأرسل القاضى الفاضل رسالة إلى السلطان يهنته بهذا السماع .

﴿ ذكر وفاة الملك الصالح بن نور الدين الشهيد ﴾

« صاحب حلب وما جرى بعده من الأمور »

كانت وفاته فى الخامس والعشرين من رجب من هذه السنة بقلعة حلب ، ودفن بها ، وكان سبب وفاته فيما قيل أن الأمير علم الدين سليمان بن حيدر سقاه سما فى عنقود عنب فى الصيد ، وقيل

بل سقاه ياقوت الأسدي في شراب فاعتراه قولنج فما زال كذلك حتى مات وهو شاب حسن الصورة ، بهي المنظر ، ولم يبلغ عشرين سنة ، وكان من أعف الملوك ومن أشبه أباء فما ظلم ، وصف له الأطباء في مرضه شرب الخمر فاستغنى الفقهاء في شربها تداويا فأفتوه بذلك ، فقال : أيزيد شربها في أجلى أو ينقص منه تركها شيئا ؟ قالوا : لا قال : فوالله لا أشربها وألقى الله وقد شربت ما حرمه على . ولما يئس من نفسه استدعا الأمراء خلفهم لابن عمه عز الدين مسعود صاحب الموصل ، لقوة سلطانه وتمكنه ، لينعما من صلاح الدين ، وخشى أن يبايع لابن عمه الآخر عماد الدين زنكي ، صاحب سنجار ، وهو زوج أخته وتربية والده ، فلا يمكنه حفظها من صلاح الدين ، فلما مات استدعى الحلبيون عز الدين مسعود بن قطب الدين ، صاحب الموصل ، فجاء إليهم فدخل حلب في أبهة عظيمة ، وكان يوما مشهودا ، وذلك في العشرين من شعبان ، فقتل خزائنها وحواصلها . وما فيها من السلاح ، وكان تقي الدين عمه في مدينة منبج فهرب إلى حماه فوجد أهلها قد نادوا بشعار صاحب الموصل وأطعم الحلبيون مسعودا بأخذ دمشق لغية صلاح الدين عنها ، وأعلموه محبة أهل الشام لهذا البيت الاتابكي نور الدين ، فقال لهم : بيننا وبين صلاح الدين أيمان وعهود ، وأنا لا أغدر به ، فأقام بحلب شهورا وتزوج بأم الملك الصالح في شوال ، ثم سار إلى الرقة فنزلها وجاءه رسل أخيه عماد الدين زنكي يطلب منه أن يقاوضه من حلب إلى سنجار ، وألح عليه في ذلك ، وتمنع أخوه ثم فعل على كره منه ، فسلم إليه حلب وتسلم عز الدين سنجار والخابور والرقة ونصيبين وسروج وغير ذلك من البلاد . ولما سمع الملك صلاح الدين بهذه الأمور ركب من الديار المصرية في عساكره فسار حتى أتى الفرات فمبرها ، وخامر إليه بعض أمراء صاحب الموصل ، وتقهر صاحب الموصل عن لقاءه ، واستحوذ صلاح الدين على بلاد الجزيرة بكاملها ، وهم بمحاصرة الموصل فلم يتفق له ذلك ، ثم جاء إلى حلب فقتلها من عماد الدين زنكي لضعفه عن ممانعتها ، ولقلة ما ترك فيها عز الدين من الأسلحة ، وذلك في السنة الآتية .

وفيها عزم البرنس صاحب الكرك على قصد تيماء من أرض الحجاز ، ليتوصل منها إلى المدينة النبوية ، فجهز له صلاح الدين سرية من دمشق تكون حاجزة بينه وبين الحجاز ، فصدده ذلك عن قصده . وفيها ولي السلطان صلاح الدين أخاه سيف الاسلام ظهير الدين طغتكين بن أيوب نيابة اليمن ، وأرسله إليها ، وذلك لاختلاف نوابها واضطراب أصحابها ، بعد وفاة المعظم أخى السلطان ، فسار إليها طغتكين فوصلها في سنة ثمان وسبعين ، فسار فيها أحسن سيرة ، واحتاط على أموال حطان بن منقذ صاحب زبيد ، وكانت تقارب ألف ألف دينار أو أكثر ، وأما نائب عدن نحر الدين عثمان [الزنجبيلي] فانه خرج من اليمن قبل قدوم طغتكين فسكن الشام ، وله أوقاف مشهورة

بالبن ومكة ، وإليه تنسب المدرسة الزنجيلية ، خارج باب توما ، تجاه دار المطعم ، وكان قد حصل من البن أموالاً عظيمة جداً .

وفيهما غدرت الفرنج ونقضت عهودها ، وقطعوا السبل على المسلمين براً وبحراً وسراً وجهراً ، فأمكن الله من لطيشة عظيمة فيها نحو من ألفين وخمسمائة من مقاتلتهم المعدودين ، ألقاها الموج إلى نهر دمياط قبل خروج السلطان من مصر ، فأحيط بها ففرق بعضهم وحصل في الأسر نحو ألف وسبعمائة . وفيها سار قراقوش إلى بلاد إفريقية ففتح بلاداً كثيرة ، وقاتل عسكر ابن عبد المؤمن صاحب المغرب ، واستفحل أمره هناك ، وقراقوش مملوك تقي الدين عمر بن أخى السلطان صلاح الدين ، ثم عاد إلى مصر فأمره صلاح الدين أن يتم السور المحيط بالقاهرة ومصر ، وذلك قبل خروجه منها في هذه السنة ، وكان ذلك آخر عهده بها حتى توفاه الله بعد أن أناله الله بلوغ مناه ، ففتح عليه بيت المقدس وما حوله ، ولما خيم بارزاً ، من مصر وأولاده حوله جعل يشبههم ويقبلهم ويضمهم فأشدد بعضهم في ذلك :

تمتع من شميم عرار نجد * فما بعد العشية من عرار

وكان الأمر كما قال ، لم يعد إلى مصر بعد هذا العام ، بل كان مقامه بالشام . وفيها ولد للسلطان ولدان أحدهما المعظم توران شاه ، والملك الحسن أحمد ، وكان بين ولادتهما سبعة أيام ، فزينت البلاد واستمر الفرح أربعة عشر يوماً .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الشيخ كمال الدين أبو البركات ﴾

عبد الرحمن بن محمد بن أبي السعادات ، عبيد الله بن محمد بن عبيد الله الأنباري النحوي الفقيه العابد الزاهد ، كان خشن العيش ، ولا يقبل من أحد شيئاً ، ولا من الخليفة ، وكان يحضر نوبة الصوفية بدار الخلافة ، ولا يقبل من جوائز الخليفة ولا فلساً ، وكان مثابراً على الاشتغال ، وله تصانيف مفيدة ، توفي في شعبان من هذه السنة . قال ابن خلكان : له كتاب أسرار العربية مفيد جداً ، وطبقات النحاة ، مفيد جداً ، وكتاب الميزان في النحو أيضاً ، والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وسبعين وخمسمائة ﴾

في خامس محرمها كان بروز السلطان من مصر قاصداً دمشق لأجل الغزو والاحسان إلى الرعايا وكان ذلك آخر عهده بمصر ، وأغار بطريقه على بعض نواحي بلاد الفرنج ، وقد جعل أخاه تاج الملوك بوري بن أيوب على الميمنة ، فالتقوا على الأزرق بعد سبعة أيام ، وقد أغار عز الدين فروخ شاه على بلاد طبرية وافتتح حصوناً جيدة ، وأسر منهم خلقاً ، واغتسم عشرين ألف رأس من الأنعام ، ودخل الناصر دمشق سابع صفر ثم خرج منها في العشر الأول من ربيع الأول ، فاقتتل مع الفرنج

في نواحي طبرية وبيسان تحت حصن كوكب ، فقتل خلق من الفريقين ، وكانت النصرة للمسلمين على الفرنج ، ثم رجع إلى دمشق مؤيداً منصوراً ، ثم ركب قاصداً حلب وبلاد الشرق ليأخذها وذلك أن المواصله والحلبيين كانوا الفرنج على حرب المسلمين ، فغارت الفرنج على بعض أطراف البلاد ليشغلوا الناصر عنهم بنفسه ، فجاء إلى حلب فحاصرها ثلاثاً ، ثم رأى العدول عنها إلى غيرها أولى ، فسار حتى بلغ الفرات ، واستحوذ على بلاد الجزيرة والرها والرقه ونصيبين ، وخضعت له الملوك ، ثم عاد إلى حلب فتسلها من صاحبها عماد الدين زنكي ، فاستوثقت له الممالك شرقاً وغرباً ، وتمكن حينئذ من قتال الفرنج .

فصل

ولما عجز ابرنس السكرك عن إيصال الأذى إلى المسلمين في البر ، عمل مراكب في بحر القلزم ليقطعوا الطريق على الحجاج والتجار ، فوصلت أذيتهم إلى عيذاب ، وخاف أهل المدينة النبوية من شرهم ، فأمر الملك العادل الأمير حسام الدين لؤلؤ صاحب الأسطول أن يعمل مراكبه في بحر القلزم ليحارب أصحاب الابرنس ، ففعل ذلك فظفر بهم في كل موطن ، فقتلوا منهم وحرقوا وغرقوا وسبوا في مواطن كثيرة ، ومواقف هائلة ، وأمن البر والبحر باذن الله تعالى ، وأرسل الناصر إلى أخيه العادل ليشكر ذلك عن مساعيه ، وأرسل إلى ديوان الخليفة يعرفهم بذلك .

(فصل في وفاة المنصور عز الدين)

فروخ شاه بن شاهنشاه بن أبوب صاحب بعلبك وتائب دمشق لعمه الناصر ، وهو والد الأئمة بهرام شاه صاحب بعلبك بعد أبيه ، وإليه تنسب المدرسة الفروخ شاهية بالشرق الشمالى بدمشق ، وإلى جانبها التربة الأجمدية لولده ، وهما وقف على الحنفية والشافعية ، وقد كان فروخ شاه شجاعاً شهماً عاقلاً ذكياً كريماً ممدحاً ، امتدحه الشعراء لفضله وجوده ، وكان من أكبر أصحاب الشيخ تاج الدين أبي البن الكندى ، عرفه من مجلس القاضى الفاضل ، فاتمى إليه ، وكان يحسن إليه ، وله وللمهاد الكاتب فيه مدائح ، وكان ابنه الأئمة شاعراً جيداً ، ولله عم أبيه صلاح الدين بعلبك بعد أبيه ، واستمر فيها مدة طويلة ، ومن محاسن فروخ شاه محبته لتاج الدين الكندى وله شعر رائع :

أنا في أسر السقام * وهو في هذا المقام * رشا يرشق عينا * ه فؤادى بسهام

كلما أرشفتى فا * ه على حر الأوام * ذقت منه الش * ه المصطفى في المدام

وقد دخل يوما الحمام فرأى رجلاً كان يعرفه من أصحاب الأموال ، وقد نزل به الحال حتى إنه كان يستتر ببعض ثيابه لثلاث تبدو عورته ، فرق له وأمر غلامه أن ينقل بقعة وبساطا إلى موضع الرجل ،

وأمره فأحضر ألف دينار و بقله وتويعا له في كل شهر بعشرين ألف دينار ، فدخل الرجل الحمام فقيرا
وخرج منه غنيا ، فرحة الله على الأجواد الجياد

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الشيخ أبو العباس ﴾

أحمد بن أبي الحسن علي بن أبي العباس أحمد المعروف بابن الرفاعي ، شيخ الطائفة الأحمدية
الرفاعية البطائحية ، لسكناه أم عبيدة من قرى البطائح ، وهي بين البصرة وواسط ، كان أصله من
العرب فسكن هذه البلاد ، والنف عليه خالق كثير ، ويقال : إنه حفظ التنبيه في الفقه على مذهب
الشافعي . قال ابن خلكان : ولأتباعه أحوال عجيبة من أكل الحيات وهي حية ، والدخول في النار
في التناير وهي تضطرم ، ويلعبون بها وهي تشتعل ، ويقال إنهم في بلادهم يركبون الأسود .
وذكر ابن خلكان أنه قال وليس للشيخ أحمد عقب ، وإنما النسل لأخيه وذريته يتوارثون المشيخة
بنك البلاد . وقال : ومن شعره على ما قيل :

إذا جن ليلى هام قلبي بذكركم * أنوح كما نوح الحمام المطوق
وفوق سحاب يطر الهم والأسى * ونحى بحار بالأسى تتدفق
سلوا أم عمرو كيف بات أسيرها * تفك الأسارى دونه وهو موثق
فلا هو مقتول ففي القتل راحة * ولا هو ممنون عليه فيطلق

ومن شعره قوله :

أغار عليها من أبيها وأما * ومن كل من يدنو إليها وينظر
وأحسد المرأة أيضا بكفها * إذا نظرت مثل الذي أنا أنظر

قال : ولم يزل على تلك الحال إلى أن توفي يوم الخميس الثاني والعشرين من جمادى الأولى
من هذه السنة . ﴿ خلف بن عبد الملك بن مسعود بن بشكوال ﴾

أبو القاسم القرطبي الحافظ المحدث المؤرخ ، صاحب التصانيف ، له كتاب الصلة جعله ذبلا على
تاريخ أبي الوليد بن الفرضي ، وله كتاب المستغِيثين بالله ، وله مجلد في تعيين الأسماء المهمة على
طريق الخطيب ، وله أسماء من روى الموطأ على حروف المعجم ، بلغوا ثلاثة وسبعين رجلا ، مات
في رمضان عن أربع وثمانين سنة .

﴿ العلامة قطب الدين أبو المعالي ﴾

مسعود بن محمد بن مسعود النيسابوري ، تفقه على محمد بن يحيى صاحب الغزالي ، قدم دمشق
ودرس بالقرطبية والجهادية ، وبجلب بمدرسة نور الدين وأسد الدين ، ثم بهمدان ، ثم رجع إلى دمشق
ودرس بالقرطبية وانتهت إليه رئاسة المذهب ، ومات بها في سلخ رمضان يوم العيد سنة ثمان وسبعين

وخمسمائة ، عن ثلاث وتسعين سنة ، وعنه أخذ الفخر ابن عساكر وغيره ، وهو الذي صلى على الحافظ ابن عساكر والله سبحانه أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة تسع وسبعين وخمسمائة ﴾

في رابع عشر محرمها تسلم السلطان الناصر مدينة آمد صلحا بعد حصار طويل ، من يد صاحبها ابن بيسان ، بعد حمل ما أمكنه من حواصله وأمواله مدة ثلاثة أيام ، ولما تسلم البلد وجد فيه شيئا كثيرا من الحواصل وآلات الحرب ، حتى إنه وجد برجا مملوءا بنبصول النشاب ، وبرجا آخر فيه مائة ألف شعبة ، وأشياء يطول شرحها ، ووجد فيها خزانة كتب ألف ألف مجلد ، وأربعين ألف مجلد ، فوهبها كلها للقاضي الفاضل ، فانتخب منها حمل سبعين حمارة . ثم وهب السلطان البلد بما فيه لنور الدين محمد بن قرا أرسلان - وكان قد وعده بها - فقبل له : إن الحواصل لم تدخل في الهبة ، فقال : لا أبخل بها عليه ، وكان في خزانها ثلاثة آلاف ألف دينار ، فامتدحه الشعراء على هذا الصنيع . ومن أحسن ذلك قول بعضهم :

قل للملوك تنحوا عن ممالككم * فقد أتى أخذ الدنيا ومعطيا

ثم سار السلطان في بقية المحرم إلى حلب فحاصرها وقتله أهلها قتالا شديدا ، ففرح أخو السلطان تاج الملوك بوري بن أيوب جرعا بليغا ، فمات منه بعد أيام ، وكان أصغر أولاد أيوب ، لم يبلغ عشرين سنة ، وقيل إنه جاوزها بثمانين ، وكان ذكيا فهما ، له ديوان شعر لطيف ، فخرن عليه أخوه صلاح الدين حزنا شديدا ، ودفنه بحلب ، ثم نقله إلى دمشق ، ثم اتفق الحال بين الناصر وبين صاحب حلب عماد الدين زنكي بن آقسنقر على عوض أطلقه له الناصر ، بأن يرد عليه سنجار ويسلمه حلب ، ففرج عماد الدين من القلعة إلى خدمة الناصر وعزاه في أخيه ونزل عنده في الخيم ، ونقل ألقاه إلى سنجار ، وزاده السلطان الخابور والركة ونصيبين ومروج واشترط عليه إرسال المسكر في الخدمة لأجل الغزاة في الفرنج ، ثم سار وودعه السلطان ومكث السلطان في الخيم يرى حلب أياما غير مكثرت بحلب ولا وقعت منه موقعا ، ثم صعد إلى قلعتها يوم الاثنين السابع والعشرين من صفر ، وعمل له الأمير طهمان وليمة عظيمة ، فتلا هذه الآية وهو داخل في بابها (قل اللهم مالك الملك) الآية . ولما دخل دار الملك تلا قوله تعالى (وأورثكم أرضهم وديارهم وأموالهم) الآية ، ولما دخل مقام إبراهيم صلى فيه ركعتين وأطال السجود به ، والدعاء والتضرع إلى الله ، ثم شرع في عمل وليمة ، وضربت البشائر ، وخلع على الأمراء ، وأحسن إلى الرؤساء والفقراء ، ووضعت الحرب أوزارها ، وقد امتدحه الشعراء بمدائح حسان . ثم إن القلعة وقعت منه بموقع عظيم ، ثم قال : ما سررت بفتح قلعة أعظم سرورا من فتح مدينة حلب ، وأسقطت عنها وعن ساثر بلاد الجزيرة المكوس

والضرائب ، وكذلك عن بلاد الشام ومصر ، وقد عاث الفرنج في غيبته في الأرض فساداً ، فأرسل إلى عساكره فاجتمعوا إليه ، وكان قد بشر بفتح بيت المقدس حين فتح حلب ، وذلك أن الفقيه مجد الدين بن جهبل الشافعي رأى في تفسير أبي الحكم العربي عند قوله : (آلم غلبت الروم في أدنى الأرض) الآية ، البشارة بفتح بيت المقدس في سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، واستدل على ذلك بأشياء ، فكتب ذلك في ورقة وأعطاهما للفقيه عيسى الهكاري ، ليبشر بها السلطان ، فلم يتجاسر على ذلك خوفاً من عدم المطابقة ، فأعلم بذلك القاضي محي الدين بن الزكي ، فنظم معناها في قصيدة يقول فيها :

وفتحكم حلب الشهباء في صفر * قضى لكم بافتتاح القدس في رجب (١)
وقدمها إلى السلطان فناقت نفسه إلى ذلك ، فلما افتتحها كما سيأتي أمر ابن الزكي فخطب يومئذ وكان يوم الجمعة ، ثم بلغه بعد ذلك أن [ابن] جهبل هو الذي قال ذلك أولاً ، فأمره فدرس على نفس الصخرة درساً عظيماً ، فأجرل له العطاء ، وأحسن عليه الثناء .

فصل

ثم رحل من حلب في أواخر ربيع الآخر واستخلف على حلب ولده الظاهر غازي ، وولى قضاءها لابن الزكي ، فاستتاب له فيها نائباً ، وسارع السلطان ، فدخلوا دمشق في ثالث جمادى الأولى وكان ذلك يوماً مشهوداً ، ثم برز منها خارجاً إلى قتال الفرنج في أول جمادى الآخرة قاصداً نحو بيت المقدس ، فأنهى إلى بيسان فتهبها ، ونزل على عين جالوت ، وأرسل بين يديه سرية هائلة فيها بردويل وطائفة من النورية ، وجاء مملوك معه أسد الدين فوجدوا جيش الفرنج قاصدين إلى أصحابهم نجدة ، فالتقوا معهم فقتلوا من الفرنج خلقاً وأمروا مائة أسير ، ولم يفقد من المسلمين سوى شخص واحد ، ثم عاد في آخر ذلك اليوم ، وبلغ السلطان أن الفرنج قد اجتمعوا لقتاله ، فقصدهم وتصدى لهم لعلمهم يضافونه ، فالتقى معهم فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وجرح مثلهم فرجعوا ناكسين على أعقابهم خائفين منه غاية المخافة ، ولا زال جيشه خلفهم يقتل ويأسر حتى غزوا في بلادهم فرجعوا عنهم ، وكتب القاضي الفاضل إلى الخليفة يعلمه بما من الله عليه وعلى المسلمين من نصره الدين ، وكان لا يفعل شيئاً ولا يريد أن يفعله إلا أطلع عليه الخليفة أدباً واحتراماً وطاعة واحتشاماً .

فصل

وفي رجب سار السلطان إلى الكرك فحاصرها وفي محبته تقي الدين عمر بن أخيه ، وقد كتب لأخيه العادل ليحضر عنده ليؤليه حلب وأعمالها وفق ما كان طلب ، واستمر الحصار على الكرك

(١) وفي النجوم الزاهرة : * وفتح حلباً بالسيف في صفر مبشر بفتح القدس في رجب .

مدة شهر رجب ، ولم يظفر منها بطلب ، وبلغه أن الفرنج قد اجتمعوا كلهم لينعموا منه الكرك فكرّ راجعاً إلى دمشق - وذلك من أكبر همته - وأرسل ابن أخيه تقي الدين إلى مصر نائباً ، وفي صحبته القاضي الفاضل ، وبعث أخاه على مملكة حلب وأعمالها ، واستقدم ولده الظاهر إليه ، وكذلك نوابه ومن يعز عليه ، وإثماً أعطى أخاه حلب ليكون قريباً منه ، فإنه كان لا يقطع أمراً دونه ، واقترض السلطان من أخيه العادل مائة ألف دينار ، وتأم الظاهر بن الناصر على مفارقة حلب ، وكانت إقامته بها ستة أشهر ، ولكن لا يقدر أن يظهر مافي نفسه لوالده ، لكن ظهر ذلك على صفحات وجهه ولغظاته لسانه ﴿ ثم دخلت سنة ثمانين وخمسمائة هجرية ﴾

فيها أرسل الناصر إلى العساكر الحلبية والجزيرية والمصرية والشامية أن يقدموا عليه لقتال الفرنج ، فقدم عليه تقي الدين عمر من مصر ومعه الفاضل ، ومن حلب العادل ، وقدمت ملوك الجزيرة وسنجار وغيرها ، فأخذ الجميع وسار نحو الكرك فأحرقوا بها في رابع عشر جمادى الأولى ، وركب عليها المنجنيقات ، وكانت تسعة ، وأخذ في حصارها ، وذلك أنه رأى أن فتحها أنفع للمسلمين من غيرها ، فإن أهلها يقطعون الطريق على الحجاج ، فبينما هو كذلك إذ بلغه أن الفرنج قد اجتمعوا له كلهم فارسهم ورجالهم ، لينعموا منه الكرك ، فاشمر عنها وقصدهم فنزل على حسان نجاهم ، ثم صار إلى ما عر ، فانهزمت الفرنج قاصدين الكرك ، فأرسل وراهم من قتل منهم مقتلة عظيمة ، وأمر السلطان بالاغارة على السواحل لخلوها من المقاتلة ، فنهبت نابلس وما حولها من القرى والرساتيق ، ثم عاد السلطان إلى دمشق فأذن للعساكر في الانصراف إلى بلادهم ، وأمر ابن أخيه عمر الملك المظفر أن يعود إلى مصر ، وأقام هو بدمشق ليؤدي فرض الصيام ، وليجل الخيل ويحدد الحسام ، وقدم على السلطان خام الخليفة فلبسها ، وألبس أخاه العادل ، وابن عمه ناصر الدين محمد بن شيركوه ، ثم خلع خلمته على ناصر الدين بن قرا أرسلان ، صاحب حصن كيفا وآمد التي أطلقها له السلطان . وفيها مات صاحب المغرب ﴿ يوسف بن عبد المؤمن بن علي ﴾ وقام في الملك بعده ولده يعقوب . وفي أواخرها بلغ صلاح الدين أن صاحب الموصل نازل أربل فبعث صاحبها يستصرخ به ، فركب من فوره إليه ، فسار إلى بعلبك ثم إلى حماه ، فأقام بها أياماً ينتظر وصول العماد إليه ، وذلك لانه حصل له ضعف فأقام ببعلبك ، وقد أرسل إليه الفاضل من دمشق طبيباً يقال له أسعد بن المطران ، فعالجه مداواة من طب لمن حب .

﴿ ثم دخلت سنة إحدى وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان مخيم بظاهر حماه ، ثم سار إلى حلب ، ثم خرج منها في صفر قاصدا الموصل فجاء إلى حران فقبض على صاحبها مظفر الدين ، وهو أخو زين الدين صاحب إربل ، ثم رضى عنه

وأعادته إلى مملكته حتى يتبين خبث طويته ، ثم سار إلى الموصل فتلقيه الملك من كل ناحية ، وجاء إلى خدمته عماد الدين أبو بكر بن قرا أرسلان ، وسار السلطان فنزل على الاسماعيليات قريباً من الموصل ، وجاءه صاحب إربل نور الدين الذي خضعت له ملوك تلك الناحية ، ثم أرسل صلاح الدين ضياء الدين الشهرزورى إلى الخليفة يعلمه بما عزم عليه من حصار الموصل ، وإنما مقصوده ردهم إلى طاعة الخليفة ، ونصرة الاسلام ، فحاصرها مدة ثم رحل عنها ولم يفتحها ، وسار إلى خلاط واستحوذ على بلدان كثيرة ، وأقاليم جهة بلاد الجزيرة وديار بكر ، وجرت أمور استقصاها ابن الأثير في كامله ، وصاحب الروضتين ، ثم وقع الصلح بينه وبين الموصل ، على أن يكونوا من جنده إذا نهبهم لقتال الفرنج ، وعلى أن يخطب له وتضرب له السكة ، ففعلوا ذلك في تلك البلاد كلها ، وانقطعت خطبة السلاجقة والازيكية بتلك البلاد كلها ، ثم اتفق مرض السلطان بعد ذلك مرضاً شديداً ، فكان يتجلى ولا يظهر شيئاً من الألم حتى قوى عليه الأمر وتزايد الحال ، حتى وصل إلى حران فمحم هنالك من شدة ألمه ، وشاع ذلك في البلاد ، وخاف الناس عليه وأرجف الكفرة والملحدون بوته ، وقصده أخوه العادل من حلب بالأطباء والأدوية ، فوجده في غاية الضعف ، وأشار عليه بأن يوصى ، فقال : ما أبالي وأنا أترك من بعدى أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً - يعنى أخاه العادل وتقى الدين عمر صاحب حمص وهو إذ ذاك نائب مصر ، وهو بها مقيم ، وابنيه العزيز عثمان والأفضل علياً - ثم نذر لئن شفاه الله من مرضه هذا ليصرفن همتي كلها إلى قتال الفرنج ، ولا يقاتل بعد ذلك مسلماً ، وليجعل أكبر همه فتح بيت المقدس ، ولو صرف في سبيل الله جميع ما يملكه من الأموال والذخائر ، وليقتان البرانس صاحب الكرك بيده ، لأنه نقض العهد وتنقص الرسول ﷺ ، وذلك أنه أخذ قافلة ذاهبة من مصر إلى الشام ، فأخذ أموالهم وضرب رقابهم ، وهو يقول : أين محمدكم ؟ دعوه ينصركم ، وكان هذا النذر كله بإشارة القاضى الفاضل ، وهو أرشده إليه وحسنه عليه ، حتى عقده مع الله عز وجل ، فعند ذلك شفاه الله وعافاه من ذلك المرض الذى كان فيه ، كفارة لذنوبه ، وجاءت البشارات بذلك من كل ناحية ، فدقت البشائر وزينت البلاد ، وكتب الفاضل من دمشق وهو مقيم بها إلى المظفر عمر أن العافية الناصرية قد استقامت واستفاضت أخبارها ، وطلعت بعد الظلمة أنوارها ، وظهرت بعد الاختفاء آثارها ، ولت الملة والله الحمد والمنة ، وطفئت نارها ، وأنجلي غبارها ، وحمد شرارها ، وما كانت إلا فلانة وفى الله شرها وشنارها ، وعظمية كفى الله الاسلام عارها ، وتوبة امتحن الله بها نفوسنا ، فرأى أقل ما عندها صبرنا ، وما كان الله ليضيع الدعاء وقد أخلصته القلوب ، ولا تتوقف الاجابة وإن سدت طريقها الذنوب ، ولا ليخلف وعد فرج وقد أيسر الصاحب والمصحوب :

نعم زاد فيه الدهر ميا * فأصبح بعد يؤسؤه نعيما

وما صدق النذير به لاني * رأيت الشمس تطلع والنجوم

وقد استقبل مولانا السلطان الملك الناصر غضة جديدة ، والعزيمة ماضية جديدة ، والنشاط إلى الجهاد ، والتوبة لرب العباد ، والجنة مبسوطة البساط ، وقد انقضى الحساب وجزنا الصراط ، وعرضنا نحن على الأهوال التي من خوفها كاد الجمل يلج بسم الخياط . ثم ركب السلطان من حران بعد العافية فدخل حلب ، ثم ركب فدخل دمشق ، وقد تكاملت عافيته ، وقد كان يوماً مشهوداً . وفيها توفي من الأعيان الفقيه مذهب الدين .

﴿ عبد الله بن أسعد الموصلی ﴾

مدرس حمص ، وكان بارعاً في فنون ، ولا سيما في الشعر والأدب ، وقد أثنى عليه العماد ، والشيخ شهاب الدين أبو شامة .

﴿ الأمير ناصر الدين محمد بن شيركوه ﴾

صاحب حمص والرحبة ، وهو ابن عم صلاح الدين ، وزوج أخته ست الشام بنت أيوب ، توفي بجمص فنقلته زوجته إلى تربتها بالشامية البرانية ، وقبره الأوسط بينها وبين أخيها المعظم توران شاه صاحب اليمن ، وقد خلف من الأموال والذخائر شيئاً كثيراً ، ينفى على ألف ألف دينار توفي يوم عرفة فجأة فولى بعده مملكة حمص ولده أسد الدين شيركوه بأمر صلاح الدين .

﴿ المحمودي بن محمد بن علي بن إسماعيل ﴾

ابن عبد الرحيم الشيخ جمال الدين أبو النشاء محمودي بن الصابوني ، كان أحد الأئمة المشهورين ، وإنما يقال له المحمودي لصحبة جده السلطان محمود بن زنكي ، فأكرمه ثم سار إلى مصر فترها ، وكان صلاح الدين يكرمه ، وأوقف عليه وعلى ذريته أرضاً ، فهي لهم إلى الآن .

﴿ الأمير الكبير سعد الدين مسعود ﴾

ابن معين الدين ، كان من كبار الأمراء أيام نور الدين وصلاح الدين ، وهو أخو الست خاتون وحين تزوجها صلاح الدين زوجه بأخته الست ريبة خاتون بنت أيوب ، التي تنسب إليها المدرسة الصاحبية بسفح قيسون على الحنابلة ، وقد تأخرت مدتها فتوفيت في سنة ثلاث وأربعين وسبعمائة ، وكانت آخر من بقي من أولاد أيوب لصلبه ، وكانت وفاته بدمشق في جمادى الآخرة من جرح أصابه وهو في حصار ميا قارقين . ﴿ الست خاتون عصمت الدين ﴾

بنت معين الدين ، نائب دمشق ، وأتابك عساكرها قبل نور الدين كما تقدم ، وقد كانت زوجة نور الدين ثم خلف عليها من بعده صلاح الدين في سنة اثنتين وسبعين وخمسائة ، وكانت من أحسن النساء وأعفهن وأكبرهن صدقة ، وهي واقفة الخاتونية الجوانية بمحلة حجر الذهب ،

وخانقات خاتون ظاهر باب النصر في أول الشرف القبلي على بانياس ، ودفنت بتربتها في سفح قايسون قريباً من قباب السركسية ، وإلى جنبها دار الحديث الأشرفية والأتابكية ، ولها أوقاف كثيرة غير ذلك ، وأما الخاتونية البرانية التي على القنوات بمحلة صنماء الشام ، ويعرف ذلك المكان التي هي فيه بتل الثعالب ، فهي من إنشاء الست زمرد خاتون بنت جاولي ، وهي أخت الملك دقاق لأمه ، وكانت زوجة زنكي والد نور الدين محمود ، صاحب حلب ، وقد ماتت قبل هذا الحين كما تقدمت وفاتها ﴿ الحافظ الكبير أبو موسى المديني ﴾

محمد بن عمر بن محمد الأصمباني الحافظ الموسوي المديني ، أحد حفاظ الدنيا الرحالين الجوالين له مصنفات عديدة ، وشرح أحاديث كثيرة رحمه الله .
﴿ السهيلي أبو القاسم ﴾

وأبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن الخطيب أبي عمر أحمد بن أبي الحسن أصبغ بن حسين بن سعدون بن رضوان بن فتوح - هو الداخل إلى الأندلس - الخشعي السهيلي ، حكى القاضي ابن خلكان أنه أُملي عليه نسبه كذلك ، قال والسهيلي نسبة إلى قرية بالقرب من مائقة اسمها سهيل ، لأنه لا يرى سهيل النجم في شيء من تلك البلاد إلا منها من رأس جبل شاهق عندها ، وهي من قرى المغرب ، ولد السهيلي سنة ثمان وخمسمائة ، وقرأ القراءات واشتغل وحصل حتى برع وساد أهل زمانه بقوة القريحة وجودة الذهن وحسن التصنيف ، وذلك من فضل الله تعالى ورحمته ، وكان ضريباً مع ذلك ، له الروض الأنف يذكر فيه نكتاً حسنة على السيرة لم يسبق إلى شيء منها أو إلى أكثرها ، وله كتاب الاعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الاعلام ، وكتاب نتائج الفكر ، ومسألة في الفرائض بديعة ، ومسألة في سركون الدجال أعور ، وأشياء فريدة كثيرة بديعة مفيدة ، وله أشعار حسنة ، وكان عفيفاً فقيراً ، وقد حصل له مال كثير في آخر عمره من صاحب مرا كش ، مات يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من هذه السنة ، وله قصيدة كان يدعو الله بها ويرتجى الاجابة فيها وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع * أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من يرجى للشدائد كلها * يا من إليه المشتكى والمفرع
يا من خزائن رزقه في قول كن * امنن فان الخير عندك أجمع
مالي سوى فقرى إليك وسيلة * فبالافتقار إليك فقرى أدفع
مالي سوى قرعى لبابك حيلة * فلتن رددت فأى باب أقرع ؟
ومن الذى أرجو وأهتف بأعنه * إن كان فضلك عن فقيرك يمنع ؟

حاشا لمجدك أن تقنط عاصياً * الفضل أجزل والمواهب أوسع

(ثم دخلت سنة اثنتين وثمانين وخسمائة)

في ثاني ربيع الأول منها كان دخول الناصر دمشق بعد عافيته ، وزار القاضي الفاضل ، واستشاره ، وكان لا يقطع أمراً دونه ، وقرر في نيابة دمشق ولده الأفضل علي ، ونزل أبو بكر العادل عن حلب لصهره زوج ابنته الملك الظاهر غازي بن الناصر ، وأرسل السلطان أخاه العادل صحبة ولده عماد الدين عثمان الملك العزيز علي ملك مصر ، ويكون الملك العادل أتابكهم ، وله إقطاع كبيرة جداً ، وعزل عن نيابتها تقي الدين عمر ، فعزم على الدخول إلى إفريقية ، فلم يزل الناصر يتلطف به ويتفرق له حتى أقبل بمجنوده نحوه ، فأكرمه واحترمه وأقطعه حماه وبلاداً كثيرة معها ، وقد كانت له قبل ذلك ، وزاد له على ذلك مدينة ميفارقين ، وامتدحه العماد بقصيدة ذكرها في الروضتين .

وفيهما هادن قومس طرابلس السلطان وصالحه وصافاه ، حتى كان يقاتل ملوك الفرنج أشد القتال وسبي منهم النساء والصبيان ، وكاد أن يسلم ولكن صده السلطان فأتى على الكفر والطاغیان ، وكانت مصلحته من أقوى أسباب النصر على الفرنج ، ومن أشد ما دخل عليهم في دينهم . قال العماد الكاتب : وأجمع المنجمون على خراب العالم في شعبان ، لأن الكواكب الستة تجتمع فيه في الميزان ، فيكون طوفان الريح في سائر البلدان ، وذكر أن ناساً من الجهلة تأهبوا لذلك بحفر مغارات في الجبال ومدخلات وأسراب في الأرض خوفاً من ذلك ، قال : فلما كانت تلك الليلة التي أشاروا إليها وأجمعوا عليها لم ير ليلة مثلها في سكونها وركودها وهدوئها ، وقد ذكر ذلك غير واحد من الناس في سائر أقطار الأرض ، وقد نظم الشعراء في تكذيب المنجمين في هذه الواقعة وغريبتها أشعاراً كثيرة حسنة منها :

مزق التقويم والزيج فقد بان الخطأ * إنما التقويم والزيج هباء وهو
قامت للبيعة إبرام ومنع وعطا * ومتى ينزلن في الميزان يستولى الهوا
ويثور الرمل حتى يمتلى منه الصفا * ويمم الأرض رجف وخراب وبلى
ويصير القاع كالقف وكالطود العدا * وحكمت فآبى الحاكم إلا ما يشا
ما أنى الشرع ولا جاءت بهذا الأنبيا * فبقيت ضحكة يضحك منها العلما
حسبك خزياً وعاراً ما يقول الشعرا * ما أطمعكم في الحكم إلا الأمرا
ليت إذ لم يحسنوا في الدين طغاما أسا * فعلى اصطرلاب بطليموس والزيج العفا
وعليه الخزي ما جادت على الأرض السما

ومن توفي فيها من الأعيان .

(أبو محمد عبد الله بن أبي الوحش)

بري بن عبد الجبار بن بري المقدسي ثم المصري ، أحد أئمة اللغة والنحو في زمانه ، وكان عليه

تعرض الرسائل بعد ابن بابشاد ، وكان كثير الاطلاع علما بهذا الشأن ، مطرحا للتكليف في كلامه ، لا يلتفت ولا يعرج على الاعراب فيه إذا خاطب الناس ، وله التصانيف المفيدة ، توفى وقد جاوز الثمانين بثلاث سنين رحمه الله تعالى ، والله سبحانه وتعالى أعلم .

﴿ ثم دخلت سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها كانت وقعة حطين التي كانت أمانة وتقدمة وإشارة لفتح بيت المقدس ، واستنقاذه من أيدي الكفرة . قال ابن الأثير: كان أول يوم منها يوم السبت ، وكان يوم النيروز ، وذلك أول سنة الفرس ، واتفق أن ذلك كان أول سنة الروم ، وهو اليوم الذي نزلت فيه الشمس برج الحمل ، وكذلك كان القمر في برج الحمل أيضاً ، وهذا شيء يبعد وقوع مثله ، وبرز السلطان من دمشق يوم السبت مستهل محرم في جيشه ، فسار إلى رأس الماء فنزل ولده الأفضل هناك في طائفة من الجيش وتقدم السلطان ببقية الجيش إلى بصرى نخيم على قصر أبي سلام ، ينتظر قدوم الحجاج ، وفيهم أخته بنت الشام وابنها حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ، ليسلوا من معرة برنس الكرك ، فلما جاز الحجاج سالمين سار السلطان فنزل على الكرك وقطع ما حوله من الأشجار ، ورعى الزرع وأكلوا الثمار ، وجاءت المساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية ، فنزلوا عند ابن السلطان على رأس المساء ، وبعث الأفضل سرية نحو بلاد الفرنج فقتلت وغنمت وسلمت ورجعت ، فبشر بمقدمات الفتح والنصر ، وجاء السلطان بمحافظه فالتفت عليه جميع المساكر ، فرتب الجيوش وسار قاصداً بلاد الساحل ، وكان جملة من معه من المقاتلة اثني عشر ألفاً غير المتطوعة ، فقسامعت الفرنج بقدمه فاجتمعوا كلهم وتصلحوا فيما بينهم ، وصالح قومن طرابلس وبرنس الكرك الفاجر ، وجاءوا بمحمد وحديدهم واستصحبوا معهم صليب الصليب بحمله منهم عباد الطاغوت ، وضلال الناسوت ، في خاق لا يعلم عدتهم إلا الله عز وجل ، يقال كانوا خمسين ألفاً وقيل ثلاثاً وستين ألفاً ، وقد خوفهم صاحب طرابلس من المسلمين فاعترض عليه البرنس صاحب الكرك فقال له لا أشك أنك تحب المسلمين وتخوفنا كثرتهم ، وسترى غيب ما أقول لك ، فتقدموا نحو المسلمين وأقبل السلطان ففتح طبرية وتقوى بما فيها من الاطعمة والامتنعة وغير ذلك ، وتمحصنت منه القلعة فلم يعبأ بها ، وحاز البحيرة في حوزته ومنع الله الكفرة أن يصلوا منها إلى قطرة ، حتى صاروا في عطش عظيم ، فبرز السلطان إلى ساطح الجبل الغربي من طبرية عند قرية يقال لها حطين ، التي يقال إن فيها قبر شعيب عليه الصلاة والسلام ، وجاء العدو الخذول ، وكان فيهم صاحب عكا وكفرنكا وصاحب الناصرة وصاحب صور وغير ذلك من جميع ملوكهم ، فتواجه الفريقان وتقابل الجيشان ، وأسفر وجه الايمان واخبر وأقم وأظلم وجه الكفر والظلمانيان ، ودارت دائرة السوء على عبدة الصليبان ، وذلك عشية يوم

الجمعة ، فبات الناس على مصافهم وأصبح صباح يوم السبت الذى كان يوماً عسيراً على أهل الأحـد وذلك لخمس بقين من ربيع الآخر ، فطلعت الشمس على وجوه الفرنج واشتد الحر وقوى بهم العطش ، وكان تحت أقدام خيولهم حشيش قد صار هشياً ، وكان ذلك عليهم مشقوماً ، فأمر السلطان النفاطة أن يرموه بالنفط ، فرموه فتأجج ناراً تحت سنايك خيولهم ، فاجتمع عليهم حر الشمس وحر العطش وحر النار وحر السلاح وحر رشق النبال ، وتبارز الشجعان ، ثم أمر السلطان بالنكبير والحلة الصادقة فحملوا وكان النصر من الله عز وجل ، ففتحهم الله أكتافهم فقتل منهم ثلاثون ألفاً فى ذلك اليوم ، وأسر ثلاثون ألفاً من شجعانهم وفرسانهم ، وكان فى جملة من أسر جميع ملوكهم سوى قومس طرابلس فانه انهزم فى أول المعركة ، واستلبهم السلطان صليبهم الأعظم ، وهو الذين يزعمون أنه صلب عليه المصلوب ، وقد غلفوه بالذهب والآلى والجواهر النفيسة ، ولم يسمع بمثل هذا اليوم فى عز الاسلام وأهله ، ودمغ الباطل وأهله كما حتى ذكر أن بعض الفلاحين رآه بعضهم يقود نيفاً وثلاثين أسيراً من الفرنج ، قد ربطهم بطنب خيمة ، وباع بعضهم أسيراً بنعل ايلبسها فى رجله ، وجرت أود لم يسمع بمثلها إلا فى زمن الصحابة والتابعين ، فله الحمد دائماً كثيراً ملياً مباركاً .

فلما تمت هذه الواقعة ووضعت الحرب أوزارها أمر السلطان بضرب مخيم عظيم ، وجلس فيه على سرير المملكة وعن يمينه أسرة وعن يساره مثلها ، وجيء بالأسارى تنهادى بقيودها ، فأمر بضرب أعناق جماعة من مقدمى الداوية - والأسارى بين يديه - صبراً ، ولم يترك أحداً منهم من كان يذكر الناس عنه شراً ، ثم جيء بملوكهم فأجلسوا عن يمينه ويساره على مراتبهم ، فأجلس ملكهم الكبير عن يمينه ، وأجلس أرياط برنس الكرك وبقيتهم عن شماله ، ثم جيء إلى السلطان بشراب من الجلاب مثلوياً ، فشرب ثم ناول الملك فشرب ، ثم ناول أرياط صاحب الكرك فنضب السلطان وقال له : إنما ناولتك ولم آذن لك أن تسقيه ، هذا لا عهد له عندى ، ثم ناول السلطان إلى خيمة داخل تلك الخيمة واستدعى أرياط صاحب الكرك ، فلما أوقف بين يديه قام إليه بالسيف ودعاه إلى الاسلام فامتنع ، فقال له : نعم أنا أنوب عن رسول الله ﷺ فى الانتصار لأمتيه ، ثم قتله وأرسل برأسه إلى الملوك وهم فى الخيمة ، وقال : إن هذا تعرض لسب رسول الله ﷺ ، ثم قتل السلطان جميع من كان من الأسارى من الداوية والأستشارية صبراً وأراح المسلمين من هذين الجنسيتين الخبيثتين ، ولم يسلم من عرض عليه الاسلام إلا القليل ، فيقال إنه بلغت القتل ثلاثين ألفاً ، والأسارى كذلك كانوا ثلاثين ألفاً ، وكان جملة جيشهم ثلاثة وستين ألفاً ، وكان من سلم مع قتلهم وهرب أكثرهم جرحى فماتوا ببلاדם ، ومن مات كذلك قومس طرابلس ، فانه انهزم جريحاً فمات بها بعد مرجه ، ثم أرسل السلطان برؤس أعيان الفرنج ومن لم يقتل من رؤسهم ، وبصليب

الصليبوت هجبة القاضي ابن أبي عصرون إلى دمشق ليودعوا في قلعتهما ، فدخل بالصليب منكوساً وكان يوما مشهودا .

ثم سار السلطان إلى قلعة طبرية فأخذها ، وقد كانت طبرية تقاسم بلاد حوران والبلقاء وما حولها من الجولان وتلك الأراضى كلها بالنصف ، فأراح الله المسلمين من تلك المقاسمة ، ثم سار السلطان إلى حطين فزار قبر شعيب ، ثم ارتفع منه إلى أقليم الأردن ، فتسلم تلك البلاد كلها ، وهي قرى كثيرة كبار وصغار ، ثم سار إلى عكا فنزل عليها يوم الأربعاء ربيع الآخر ، فافتتحها صلحا يوم الجمعة ، وأخذ ما كان بها من حواصل الملوك وأموالهم وذخائرهم ومتاجر وغيرها ، واستنقذ من كان بها من أسرى المسلمين ، فوجد فيها أربعة آلاف أسير ، ففرج الله عنهم ، وأمر بأقامة الجمعة بها ، وكانت أول جمعة أقيمت بالساحل بعد أخذه الفرنج ، نحو من سبعين سنة . ثم سار منها إلى صيدا وبيروت وتلك النواحي من السواحل يأخذها بلدا بلدا ، فخلوها من المقاتلة والملوك ، ثم رجع سائرا نحو غزة وعسقلان ونابلس وبيسان وأراضى الغور ، فملك ذلك كله ، واستناب على نابلس ابن أخيه حسام الدين عمر بن محمد بن لاشين ، وهو الذى افتتحها ، وكان جملة ما افتتحه السلطان في هذه المدة القريبة خمسين بلدا كبارا كل بلد له مقاتلة وقلعة ومنعة ، وغنم الجيش والمسلمون من هذه الأماكن شيئا كثيرا ، وسبوا خلقا .

ثم إن السلطان أمر جيوشه أن ترتفع في هذه الأماكن مدة شهر ليستربحوا وتحمو أنفسهم وخبولهم لفتح بيت المقدس ، وطار في الناس أن السلطان عزم على فتح بيت المقدس ، فقصدته العلماء والصالحون تطوعا ، وجاؤا إليه ، ووصل أخوه العادل بعد وقعة حطين وفتح عكا ففتح بنفسه حصونا كثيرة ، فاجتمع من عباد الله ومن الجيوش شئ كثير جدا ، فمعد ذلك قصد السلطان القدس بمن معه كما سيأتى . وقد امتدحه الشعراء بسبب وقعة حطين فقالوا وأكثروا ، وكتب إليه القاضي الفاضل من دمشق - وهو مقيم بها لمرض اعتراه - « ليهن المولى أن الله أقام به الدين ، وكتب للملوك هذه الخدمة والرؤس لم ترفع من سجودها ، والدموع لم تمسح من خدودها ، وكلما ذكر الملوك أن البيع تعود مساجد ، والمكان الذى كان يقال فيه إن الله ثالث ثلاثة يقال فيه اليوم إنه الواحد ، جدد الله شكرا نارة يفيض من لسانه ، ونارة يفيض من جفنه سرورا بتوحيد الله ، تعالى الملك الحق المبين ، وأن يقال محمد رسول الله الصادق الأمين ، وجزى الله يوسف خيرا عن إخراجه من سجنه ، والممالك ينتظرون المولى وكل من أراد أن يدخل الحمام بدمشق قد عزم على دخول حمام طبرية .

تلك المكارم لأقبيان من لبن * وذلك السيف لا سيف ابن ذى يزن

ثم قال : وللا تسنة بعد في هذا الفتح تسبيح طويل وقول جميل جليل .

﴿ ذكر فتح بيت المقدس في هذه السنة ﴾

« واستنقذه من أيدي النصارى بعد أن استحوذوا عليه مدة ثنتين وتسعين سنة »
لما افتتح السلطان تلك الأماكن المذكورة فيما تقدم ، أمر العساكر فاجتمعت ثم سار نحو بيت المقدس ، فنزل غربى بيت المقدس فى الخامس عشر من رجب من هذه السنة - أعنى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة - فوجد البلد قد حصنت غاية التحصين ، وكانوا سنين ألف مقاتل ، دون بيت المقدس أو يزيدون ، وكان صاحب القدس يومئذ رجلاً يقال له بالبان بن بازران ، ومعه من سلم من وقعة - حين يوم النقي الجمعان ، من الداوية والاستشارية أتباع الشيطان ، وعبدة الصليبان ، فأقام السلطان بمنزله المذكور خمسة أيام ، وسلم إلى كل طائفة من الجيش ناحية من السور وأبراجه ، ثم تحول السلطان إلى ناحية الشام لأنه رآها أوسع للمجال ، والجلاذ والنزال ، وقاتل الفرنج دون البلد قتالاً هائلاً ، وبذلوا أنفسهم وأموالهم فى نصرة دينهم وقامتهم ، واستشهد فى الحصار بعض أمراء المسلمين ، فحق عند ذلك كثير من الأمراء والصالحين ، واجتهدوا فى القتال ونصب المناجنيق والعرادات على البلد ، وغنت السيوف والرماح الخططات ، والعيون تنظر إلى الصليبان منصوبة فوق الجدران ، وفوق قبة الصخرة صليب كبير ، فزاد ذلك أهل الإيمان حنقا وشدة التشمير ، وكان ذلك يوماً عسيراً على الكافرين غير يسير ، فبادر السلطان بأصحابه إلى الزاوية الشرقية الشمالية من السور فنقبها وعاقها وحشاها وأحرقها ، فسقط ذلك الجانب وخر البرج برمته فاذا هو واجب ، فلما شاهد الفرنج ذلك الحادث الفظيع ، والخطاب المؤلم الوجيع ، قصد أكابرهم السلطان وتشفعوا إليه أن يعطيهم الأمان ، فامتنع من ذلك وقال : لا أفتحها إلا عنوة ، كما افتتحتموها أنتم عنوة ، ولا أترك بها أحداً من النصارى إلا قتلته كما قتلتم أنتم من كان بها من المسلمين ، فطلب صاحبها بالبان بن بازران الأمان ليحضر عنده فأمته ، فلما حضر ترقق للسلطان وذل ذلاً عظيماً ، وتشفع إليه بكل ما أمكنه فلم يجبه إلى الأمان لهم ، فقالوا إن لم تعطنا الأمان رجعنا فقتلنا كل أسير بأيدينا - وكانوا قريباً من أربعة آلاف - وقتلنا ذرارينا وأولادنا ونساءنا ، وخربنا الدور والأماكن الحسنة ، وأحرقنا المتاع وأتلفنا ما بأيدينا من الأموال ، وهدمنا قبة الصخرة وحرقنا ما نقدر عليه ، ولا نبقى ممكناً فى إتلاف ما نقدر عليه ، وبعد ذلك فخرج فنقاتل قتال الموت ، ولا خير فى حياتنا بعد ذلك ، فلا يقتل واحد منا حتى يقتل أعداداً منكم ، فإذا ترجى بعد هذا من الخير ؟

فلما سمع السلطان ذلك أجاب إلى الصلح وأتاب ، على أن يبذل كل رجل منهم عن نفسه عشرة دنانير ، وعن المرأة خمسة دنانير ، وعن كل صغير وصغيرة دينارين ، ومن عجز عن ذلك كان أسيراً للمسلمين ، وأن تكون الغلات والأسلحة والدور للمسلمين ، وأنهم يتحولون منها إلى مأمهم

وهي مدينة صور . فكتب الصباح بذلك ، وأن من لم يبذل ما شرط عليه إلى أربعين يوماً فهو أسير ، فكان جملة من أسره هذا الشرط ستمة عشر ألف أسير من رجال ونساء وولدان ، ودخل السلطان والمسلمون البلد يوم الجمعة قبل وقت الصلاة بقليل . ل ، وذلك يوم السابع والعشرين من رجب . قال العماد : وهي ليلة الاسراء برسول الله ﷺ من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى . قال أبو شامة : وهو أحد الأقوال في الاسراء ، ولم يتفق للمسلمين صلاة الجمعة يومئذ خلافاً لمن زعم أنها أقيمت يومئذ ، وأن السلطان خطب بنفسه بالسواد ، والصحيح أن الجمعة لم يتمكنوا من إقامتها يومئذ لضيق الوقت ، وإنما أقيمت في الجمعة المقبلة ، وكان الخطيب محي الدين بن محمد بن علي القرشي ابن الزكي كما سيأتي قريباً .

ولكن نطفوا المسجد الأقصى مما كان فيه من الصليبان والرهبان والخنازير ، وخربت دور الداوية وكانوا قد بنوها غربى الحراب الكبير ، واتخذوا الحراب مشناً لعنهم الله ، فنظف من ذلك كله ، وأعيد إلى ما كان عليه في الأيام الاسلامية ، وغسلت الصخرة بالماء الطاهر ، وأعيد غسلها بماء الورد والمسك الفاخر ، وأبرزت الناظرين ، وقد كانت مستورة مخبوءة عن الزائرين ، ووضع الصليب عن قبتها ، وعادت إلى حرمتها ، وقد كان الفرنج قلعوا منها قطعاً فباعوها من أهل البحور الجوانية بزنتها ذهباً ، فتعذر استعادة ما قطع منها .

ثم قبض من الفرنج ما كانوا بذلوه عن أنفسهم من الأموال ، وأطلق السلطان خلقاً منهم بنات الملوك بمن معهن من النساء والصبيان والرجال ، ووقعت المسامحة في كثير منهم ، وشفع في أناس كثير فعفا عنهم ، وفرق السلطان جميع ما قبض منهم من الذهب في المسكر ، ولم يأخذ منه شيئاً مما يقتني ويدخر ، وكان رحمه الله حلماً كريماً مقدماً شجاعاً رحيماً .

﴿ ذكر أول جمعة أقيمت ببيت المقدس بعد فتحه في الدولة الصلاحية ﴾

لما تطهر بيت المقدس مما كان فيه من الصليبان والنواقيس والرهبان والقساوس ، ودخله أهل الايمان ، ونودي بالأذان وقرئ القرآن ، ووجد الرحمن ، كان أول جمعة أقيمت في اليوم الرابع من شعبان ، بعد يوم الفتح بثمان ، فنصب المنبر إلى جانب الحراب ، وبسطت البسط وعلقت القناديل وتلى التنزيل ، وجاء الحق وبطلت الأباطيل ، وصفت السجادات وكثرت السجادات ، وتنوعت العبادات ، وارتفعت الدعوات ، ونزلات البركات ، وأنجأت الكربات ، وأقيمت الصلوات ، وأذن المؤذنون ، وخرس القسيسون ، وزال البوص وطابت النفوس ، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس ، وعبد الله الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد ، وكبره الراكع والساجد ، والقائم والقاعد ، وامتلأ الجامع وسالت لركة القلوب المدامع ، ولما أذن المؤذنون للصلاة قبل الزوال كادت

القلوب تطير من الفرح في ذلك الحال ، ولم يكن عين خطيب فبر زمن السلطان المرسوم الصلاحى وهو في قبة الصخرة أن يكون القاضى محيى الدين بن الزكى اليوم خطيباً ، فلبس الخلعة السوداء وخطب للناس خطبة سنية فصيحة بليغة ، ذكر فيها شرف البيت المقدس ، وما ورد فيه من الفضائل والترغيبات ، وما فيه من الدلائل والأمارات . وقد أورد الشيخ أبوشامة الخطبة في الروضتين بطولها وكان أول ما قال (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

ثم أورد تميميدات القرآن كلها ، ثم قال : « الحمد لله معز الاسلام بنصره ، ومذل الشرك بقهره ، ومصرف الأمور بأمره ، ومزيد النعم بشكره ، ومستدرج الكافرين بمكره ، الذى قدر الأيام دولاً بعدله ، وجعل العاقبة للمتقين بفضله ، وأفاض على العباد من طله وهطله ، [الذى] أظهر دينه على الدين كله ، القاهر فوق عباده فلا يمانع ، والظاهر على خليفته فلا ينزع ، والآمر بما يشاء فلا يراجع ، والحاكم بما يريد فلا يدافع ، أحمد على إظهاره وإظهاره ، وإعزازه لأوليائه ونصرة أنصاره ، ومظهر بيت المقدس من أذناس الشرك وأوضاره ، حمد من استشعر الحمد باطن سره وظاهر أجهاره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له الأحد الصمد ، الذى لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد ، شهادة من طهر بالتوحيد قلبه ، وأرضى به ربه ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله رافع الشكر وداحض الشرك ، ورافض الافك ، الذى أسرى به من المسجد الحرام إلى هذا المسجد الأقصى ، وعرج به منه إلى السموات العلى ، إلى سدة المنتهى عندها جنة المأوى ، ما زاع البصر وما طغى ، ﷺ وعلى خليفته الصديق السابق إلى الايمان ، وعلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أول من رفع عن هذا البيت شعار الصليبان ، وعلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذى النورين جامع القرآن ، وعلى أمير المؤمنين على بن أبى طالب مززل الشرك ، ومكسر الأصنام ، وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان . »

ثم ذكر الموعظة وهى مشتملة على تفبيط الحاضرين بما يستره الله على أيديهم من فتح بيت المقدس ، الذى من شأنه كذا وكذا ، فذكر فضائله وآثره ، وأنه أول القبلتين ، وثانى المسجدين ، وثالث الحرمين ، لا تشد الرحال بعد المسجدين إلا إليه ، ولا تعقد الخناصر بعد المواطنين إلا عليه ، وإليه أسرى برسول الله ﷺ من المسجد الحرام ، وصلى فيه بالأنبياء والرسل الكرام ، ومنه كان المعراج إلى السموات ، ثم عاد إليه ثم سار منه إلى المسجد الحرام على البراق ، وهو أرض المحشر والمنشر يوم التلاق ، وهو مقر الأنبياء ومقصد الأولياء ، وقد أسس على التقوى من أول يوم .

قلت : ويقال إن أول من أسسه يعقوب عليه السلام بعد أن بنى الخليل المسجد الحرام بأربعين سنة ، كما جاء فى الصحيحين ، ثم جدد بناءه سليمان بن داود عليهما السلام ، كما ثبت فيه الحديث

بالمسند والسنن ، وصحيح ابن خزيمة وابن حبان والحاكم وغيرهم ، وسأل سليمان عليه السلام الله عند فراغه منه خلافاً ثلاثاً ، حكماً يصادف حكمه ، وملكاً لا يذغى لأحد من بعده ، وأنه لا يأتي أحد هذا المسجد لا ينهزه إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه .

ثم ذكر تمام الخطبتين ، ثم دعا للخليفة الناصر العباسي ، ثم دعا للسلطان الناصر صلاح الدين . وبعد الصلاة جلس الشيخ زين الدين أبو الحسن بن علي نجا المصري على كرسي الوعظ بأذن السلطان ، فوعظ الناس ، واستمر القاضي ابن الزكي يخطب بالناس في أيام الجمع أربع جمعات ، ثم قرر السلطان للقدس خطيباً مستقراً ، وأرسل إلى حلب فاستحضر المنبر الذي كان الملك العادل نور الدين الشهيد قد استعمله لبית المقدس ، وقد كان يؤمل أن يكون فتحه على يديه ، فما كان إلا على يدي بعض أتباعه صلاح الدين بعد وفاته ﴿ نكتة غريبة ﴾

قال أبو شامة في الروضتين : وقد تكلم شيخنا أبو الحسن علي بن محمد السخاوي في تفسيره الأول فقال : وقع في تفسير أبي الحكم الأندلسي - يعني ابن برجان - في أول سورة الروم أخبار عن فتح بيت المقدس ، وأنه ينزع من أيدي النصارى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . قال السخاوي : ولم أره أخذ ذلك من علم الحروف ، وإنما أخذه فيما زعم من قوله (آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيفعلون في بضع سنين) فبنى الأمر على التاريخ كما يفعل المنجمون ، فذكر أنهم يفعلون في سنة كذا وكذا ، ويفعلون في سنة كذا وكذا ، على ما تقتضيه دوائر التقدير ، ثم قال : وهذه نجابة وافقت إصابة ، إن صح ، قال ذلك قبل وقوعه ، وكان في كتابه قبل حدوثه ، قال : وليس هذا من قبيل علم الحروف ، ولا من باب الكرامات والمكاشفات ، ولا ينال في حساب ، قال : وقد ذكر في تفسير سورة القدر أنه لو علم الوقت الذي نزل فيه القرآن لعلم الوقت الذي يرفع فيه .

قلت : ابن برجان ذكر هذا في تفسيره في حدود سنة ثنتين وعشرين وخمسمائة ، ويقال إن الملك نور الدين أوقف على ذلك فطمع أن يعيش إلى سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، لأن مولده في سنة إحدى عشر وخمسمائة ، قهياً لأسباب ذلك حتى إنه أعد منبراً عظيماً لبيت المقدس إذ افتحه والله أعلم . وأما الصخرة المعظمة فإن السلطان أزال ما حولها من المنكرات والصور والصلبان ، وظهرها بعد ما كانت جيفة ، وأظهرها بعد ما كانت خفية مستورة غير مرئية ، وأمر الفقيه عيسى الهكاري أن يعمل حولها شبائيك من حديد ، ورتب لها إماماً راتباً ، وقف عليه رزقاً جيداً ، وكذلك إمام الأقصى ، وعمل للشافعية مدرسة يقال لها الصلاحية والناصرية أيضاً ، وكان موضعها كنيسة على قبر حنة أم مريم ، ووقف على الصوفية رباطاً كان للبتريك إلى جنب القمامة ، وأجرى على الفقهاء والفقراء الجوامك ، وأرصد الخنم والربعات في أرجاء المسجد الأقصى والصخرة ، ليقرأ فيها المقيمون والزائرون

وتنافس بنوا أيوب فيما يفعلونه ببيت المقدس وغيره من الخيرات إلى كل أحد ، وعزم السلطان على هدم القمامة وأن يجعلها دكا لتتحسم مادة النصارى من بيت المقدس ، فقيل [له] إنهم لا يتركون الحج إلى هذه البقعة ، ولو كانت قاعا صافيا ، وقد فتح هذه البلد قبلك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب وترك هذه الكنيسة بأيديهم ، ولك في ذلك أسوة . فأعرض عنها وتركها على حالتها تأسيا بعمر رضى الله عنه ، ولم يترك من النصارى فيها سوى أربعة يخدمونها ، وحال بين النصارى وبينها ، وهدم المقابر التي كانت لهم عند باب الرحمة ، وعفا آثارها ، وهدم ما كان هناك من القباب .

وأما أسارى المسلمين الذين كانوا بالقدس فانه أطلقهم جميعهم ، وأحسن إليهم ، وأطلق لهم إعطاءات سفينة ، وكساحم وانطلق كل منهم إلى وطنه : وعاد إلى أهله ومسكنه ، فله الحمد على نعمه ومننه

فصل

فلما فرغ السلطان صلاح الدين من القدس الشريف انفصل عنها في الخامس والعشرين من شعبان قاصدا مدينة صور بالساحل ، وكان فتحها قد تأخر ، وقد استحوذ عليها بعد وقعة حطين رجل من تجار الفرنج يقال له المركيس ، فخصنها وضبط أمرها وحفر حولها خندقا من البحر إلى البحر ، فجاء السلطان فحاصرها مدة ، ودعا بالأسطول من الديار المصرية في البحر ، فأحاط بها برا وبحرا ، فعدت الفرنج في بعض الليالي على خمس شواني من أسطول المسلمين فلكتها ، فأصبح المسلمون واجبين حزنا وتأسفا ، وقد دخل عليهم فصل البرد وقتل الأزواد ، وكثرت الجراحات وكل الأمراء من المحاصرات ، فسألوا السلطان أن ينصرف بهم إلى دمشق حتى يستريحوا ثم يعودوا إليها بعد هذا الحين ، فأجابهم إلى ذلك على تمنع منه ، ثم توجه بهم نحو دمشق واجتاز في طريقه على عكا ، وتفرقت المساكن إلى بلادها . وأما السلطان فانه لما وصل إلى عكا نزل بقلعتها وأسكن ولده الأفضل برج الداوية ، وولى نيابتها عز الدين حردبيل ، وقد أشار بعضهم على السلطان بتخريب مدينة عكا خوفا من عود الفرنج إليها ، فكاد ولم يفعل وليته فعل ، بل وكل بعمارتها وتجديد محاسنها بهاء الدين قراقوش التنوي ، ووقف دار الاستشارية بصفين على الفقهاء والفقراء ، وجعل دار الأسقف مارستانا ووقف على ذلك كله أوقافا دارة ، وولى نظر ذلك إلى قاضيه جمال الدين ابن الشيخ أبي النجيب . ولما فرغ من هذه الأشياء عاد إلى دمشق مؤيدا منصورا ، وأرسل إليه الملوك بالتهاني والتحف والهدايا من سائر الأقطار والأمصار ، وكتب الخليفة إلى السلطان يعتب عليه في أشياء ، منها أنه بعث إليه في بشارة الفتح بوقعة حطين شابا بغداديا كان وضيعا عندهم ، لا قدر له ولا قيمة ، وأرسل بفتح القدس مع نجاب ، ولقب نفسه بالناصر مضاهاة للخليفة . فتلقى ذلك بالبشر واللفظ والسمع

والطاعة ، وأرسل يعتذر مما وقع . وقال : الحرب كانت شغلته عن التروى في كثير من ذلك ، وأما لقبه بالناصر فهو من أيام الخليفة المستضيء ، ومع هذا فهما لقبني أمير المؤمنين فلا أعدل عنه ، وتأدب مع الخليفة غاية الأدب مع غناه عنه .

وفيها كانت وقعة عظيمة ببلاد الهند بين الملك شهاب الدين الغورى صاحب غزنة ، وبين ملك الهند الكبير ، فأقبلت الهند في عدد كثير من الجنود ، ومعهم أربعة عشر فيلاً ، فالتقوا واقتتلوا قتالاً شديداً ، فانهزمت ميمنة المسلمين وميسرتهم ، وقيل للملك أنج بنفسك ، فما زاده ذلك إلا إقداماً ، فحمل على الفيلة فخرج بعضها - وجرح الفيل لا يندمل - فرماه بعض الفيلة بحربة في ساعده فخرجت من الجانب الآخر فخر صريعاً ، فحملت عليه الهند لياخذوه فحاجف عنه أصحابه فاقتلوا عنده قتالاً شديداً ، وجرت حرب عظيمة لم يسمع بمثلهما بموقف ، فغلب المسلمون الهند وخلصوا صاحبهم وحملوه على كواهلهم في محفة عشرين فرسخاً ، وقد نزفه الدم ، فلما تراجع إليه جيشه أخذ في تأنيب الأمراء ، وحلف ليا كان كل أمير علق فرسه ، وما أدخلهم غزنة إلا مشاة .

وفيها ولدت امرأة من سواد بغداد بنتاً لها أسنان . وفيها قتل الخليفة الناصر أستاذ داره أبا الفضل بن صاحب ، وكان قد استحوذ على الأمور ولم يبق للخليفة معه كلمة تطاع ، ومع هذا كان عفيفاً عن الأموال ، جيد السيرة ، فأخذ الخليفة منه شيئاً كثيراً من الحواصل والأموال . وفيها استوزر الخليفة أبا المظفر جلال الدين ، ومشى أهل الدولة في ركابه حتى قاضى القضاة ابن الدامغانى وقد كان ابن يونس هذا شاهداً عند القاضى ، وكان يقول وهو يمشى في ركابه لعن الله طول العمر ، فمات القاضى في آخر هذه السنة .

وفيها توفى من الأعيان . ﴿ الشيخ عبد المغيث بن زهير الحربى ﴾

كان من صلحاء الحنابلة ، وكان يزار ، وله مصنف في فضل يزيد بن معاوية ، أتى فيه بالغرائب والمعائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزى فأجاد وأصاب ، ومن أحسن ما اتفق لعبد المغيث هذا أن بعض الخلفاء - وأظنه الناصر - جاءه زائراً مستخفياً ، فعرفه الشيخ عبد المغيث ولم يعلمه بأنه قد عرفه ، فسأله الخليفة عن يزيد أيعلن أم لا ؟ فقال لا أسوغ لعنه لأنى لو فتحت هذا الباب لأفضى الناس إلى لعن خليفتنا . فقال الخليفة : ولم ؟ قال : لأنه يفعل أشياء منكرة كثيرة ، منها كذا وكذا ، ثم شرع يمدد على الخليفة أفعاله القبيحة ، وما يقع منه من المنكر لينتجر عنها ، فتركه الخليفة وخرج من عنده وقد أثر كلامه فيه ، وانتفع به . مات في الحرم من هذه السنة . وفيها

توفى الشيخ ﴿ على بن خطاب بن خلف ﴾

العابد الناسك ، أحد الزهاد ، وذوى الكرامات ، وكان مقامه بمجيرة ابن عمر . قال ابن الأثير

في الكامل : ولم أر مثله في حسن خلقه وصحته وكراماته وعبادته .

﴿ الأمير شمس الدين محمد بن عبد الملك بن مقدم ﴾

أحد نواب صلاح الدين ، لما افتتح الناصر بيت المقدس أحرم جماعة في زمن الحج منه إلى المسجد الحرام ، وكان ابن مقدم أمير الحاج في تلك السنة ، فلما وقف بعرفة ضرب الدباب ونشر الألوية ، وأظهر عز السلطان صلاح الدين وعظمته ، فغضب طاشتكين أمير الحاج من جهة الخليفة ، فزجره عن ذلك فلم يسمع ، فافتتلا فجرح ابن مقدم ومات في اليوم الثاني بمى ، ودفن هنالك ، وجرت خطوب كثيرة ، ولیم طاشتكين على ما فعل ، وخاف مرة ذلك من جهة صلاح الدين والخليفة ، وعزله الخليفة عن منصبه .

﴿ محمد بن عبيد الله ﴾

ابن عبد الله سبط بن التعاويذى الشاعر ، ثم أضر في آخر عمره وجاز الستين توفى في شوال

﴿ نصر بن فتيان بن مطر ﴾

الغني الحنبلي المعروف بابن المنى ، كان زاهدا عابدا ، مولده سنة إحدى وخسمائة ، ومن تفقه عليه من المشاهير الشيخ موفق الدين بن قدامة ، والحافظ عبد الغنى ، ومحمد بن خلف بن راجح ، والناصر عبد الرحمن بن المنجم بن عبد الوهاب ، وعبد الرزاق بن الشيخ عبد القادر الجيلي وغيرهم توفى خامس رمضان . وفيها توفى قاضى القضاة .

﴿ أبو الحسن الدامغانى ببغداد ﴾

وقد حكم في أيام المقتنى ثم المستنجد ثم عزل وأعيد في أيام المستفىء ، وحكم للناصر حتى توفى في هذه السنة

﴿ ثم دخلت سنة أربع وثمانين وخسمائة ﴾

في محرمها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب فرآه منيعاً صعباً ، فوكل به الأمير قايماز البجعى في خمسمائة فارس يضيّقون عليهم المسالك ، وكذلك وكل لصفى [الصفد] وكانت للداوية خمسمائة فارس مع طفرليك الجامدار بمنعون الميرة والتقاوى أن تصل إليهم ، وبعث إلى الكرك الشوبك يضيّقون على أهلها ويحاصرونهم ، ليفرغ من أمورهم لقتال هذه الأماكن ، ولما رجع السلطان من هذه الغزوة إلى دمشق وجد الصفى بن الفايض وكيل الخزانة قد بنى له داراً بالقلمة هائلة مطلة على الشرف القبلى ، فغضب عليه وعزله وقال : إنالم تخلق للمقام بدمشق ولا بغيرها من البلاد ، وإنما خلقنا لعبادة الله عز وجل والجهاد في سبيله ، وهذا الذى عملته مما يثبط النفوس ويقعدها عما خلقت له . وجلس السلطان بدار العدل فحضرت عنده القضاة وأهل الفضل ، وزار القاضى الفاضل في بستانه على الشرف في جوسق ابن الفراش ، وحكى له ما جرى من الأمور ، واستشاره فيما يفعل في المستقبل من المهمات والغزوات ، ثم خرج من دمشق فسلك على بيوس وقصد البقاع ، وسار إلى حمص وحماه

وجاءت الجيوش من الجزيرة وهو على العاصي ، فسار إلى السواحل الشمالية ففتح أنطرطوس وغيرها من الحصون ، وجبله واللاذقية ، وكانتا من أحصن المدن عمارة ورخاماً ومحالاً ، وفتح صهيون وبكاس والشفر وهما قلعتان على العاصي حصيقتان ، فتحهما عنوة ، وفتح حصن بدرية وهي قلعة عظيمة على جبل شاهق منيع ، فتحها أودية عميقة يضرب بها المثل في سائر بلاد الفرنج والمسلمين ، فحاصرها أشد حصار وركب عليها المجانيق الكبيرة ، وفرق الجيش ثلاث فرق ، كل فريق يقاقل ، فإذا كلاً وتعبوا خلفهم الفريق الآخر ، حتى لا يزال القتال مستمرا ليلاً ونهاراً ، فكان فتحها في نوبة السلطان أخذها عنوة في أيام معدودات ، ونهب جميع ما فيها ، واستولى على حواصلها وأموالها ، وقتل حمايتها ورجالها ، واستخدم نساءها وأطفالها ، ثم عدل عنها ففتح حصن دريساك وحصن بغراس ، كل ذلك يفتحه عنوة فيغنم ويسلم ، ثم سميت به همة العالية إلى فتح أنطاكية ، وذلك لأنه أخذ جميع ماحولها من القرى والمدن ، واستنظر عليها بكثرة الجنود ، فراسله صاحب أنطاكية يطلب منه الهدنة على أن يطلق من عنده من أسرى المسلمين ، فأجابه إلى ذلك لعله يتضجر من معه من الجيش ، فوعدت الهدنة على سبعة أشهر ، ومقصود السلطان أن يستريح من تعبها ، وأرسل السلطان من تسلم منه الأسارى وقد دلت دولة النصاري ، ثم سار فسأله ولده الظاهر أن يجتاز بحلب فأجابه إلى ذلك ، فنزل بقلعتها ثلاثة أيام ، ثم استقدمه ابن أخيه تقي الدين إليه إلى حماة فنزل عنده ليلة واحدة ، وأقطعته جبله واللاذقية ، ثم سار فنزل بقلعة بعلبك ، ودخل حماها ، ثم عاد إلى دمشق في أوائل رمضان ، وكان يوماً مشهوداً ، وجاءته البشائر بفتح الكرك وإنقاذه من أيدي الفرنج ، وأراح الله منهم تلك الناحية ، وسهل حزنهم على السالكين من التجار والغزاة والحجاج (فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين) .

(فصل في فتح صفد وحصن كوكب)

لم يبق السلطان بدمشق إلا أياماً حتى خرج قاصداً صفد فنزلها في العشر الأوسط من رمضان ، وحاصرها بالمجانيق ، وكان البرد شديداً يصبح الماء فيه جليداً ، فما زال حتى فتحها صلحاً في ثامن شوال ، ثم سار إلى صور فألقت إليه بقيادها ، وتبرأت من أنصارها وأجنادها وقوادها ، ونحقت لما فتحت صفد أنها مقرونة معها في أصفادها ، ثم سار منها إلى حصن كوكب - وهي معقل الاستثنائية كما أن صفد كانت معقل الداوية - وكانوا أبيض أجناس الفرنج إلى السلطان ، لا يكاد يترك منهم أحداً إلا قتله إذا وقع في المأسورين ، فحاصر قلعة كوكب حتى أخذها ، وقتل من بها وأراح المارة من شر ساكنيها ، وتمهدت تلك السواحل واستقر بها منازل قاطنيها . هذا والسماء تصب ، والرياح تهب ، والسيول تعب ، والأرجل في الأحوال تخب ، وهو في كل ذلك صابر مصابر ، وكان القاضي

الفاضل معه في هذه الغزوة ، وكتب القاضي الفاضل إلى أخى السلطان صاحب اليمن يستدعيه إلى الشام لنصرة الاسلام ، وأنه قد عزم على حصار أنطاكية ، ويكون تقي الدين عمر محاصراً طرابلس إذا انسلك هذا العام ، ثم عزم القاضي الفاضل على الدخول إلى مصر ، فودعه السلطان فدخل القدس فصلى به الجمعة وعيد فيه عيد الأضحى ، ثم سار ومعه أخوه السلطان العادل إلى عسقلان ، ثم أقطع أخاه الكرك عوضاً عن عسقلان ، وأمره بالانصراف ليكون عوناً لابنه العزيز على حوادث مصر ، وعاد السلطان فأقام بمدينة عكا حتى انسلخت هذه السنة .

وفيهما خرجت طائفة بمصر من الرافضة ليعيدوا دولة الفاطميين ، واغتمموا غيبة العادل عن مصر ، واستخفوا أمر العزيز عثمان بن صلاح الدين ، فبعثوا اثني عشر رجلاً ينادون في الليل يا آل علي ، يا آل علي ، بنيتهم على أن العامة تحبهم فلم يحبهم أحد ، ولا التففت إليهم ، فلما رأوا ذلك انهزموا فأدركوا وأخذوا وقيدوا وحبسوا ، ولما بلغ أمرهم السلطان صلاح الدين ساء ذلك واهتم له ، وكان القاضي الفاضل عنده بعد لم يفارقه ، فقال له : أيها الملك ينبغي أن تفرح ولا تحزن ، حيث لم يصغ إلى هؤلاء الجهلة أحد من رعيتك ، ولو أنك بعثت جواسيس من قبلك يخبرون الناس لسرك ما بلغك عنهم ، فسرى عنه ما كان يجد ، ورجع إلى قوله وأرسله إلى مصر ليكون له عينا وعونا .

وفيهما توفي من الأعيان . ﴿ الأمير الكبير سلالة الملوك والسلطين ﴾

الشيزرى مؤيد الدولة أبو الحارث وأبو المظفر أسامة بن مرشد بن علي بن [مقلد بن نصر بن] منقذ أحد الشعراء المشهورين ، المشكورين ، بلغ من العمر ستاً وتسعين سنة ، وكان عمره تاريخاً مستقلاً وحده ، وكانت داره بدمشق ، مكان العزيزية ، وكانت معقلاً للفضلاء ، ومنزلاً للعلماء وله أشعار رائقة ، ومعان فائقة ، ولديه علم غزير ، وعنده جود وفضل كثير ، وكان من أولاد ملوك شيزر ، ثم أقام بمصر مدة في أيام الفاطميين ، ثم عاد إلى الشام فقدم على الملك صلاح الدين في سنة سبعين وأنشده :
حدثت على طول عمرى المشيبا * وإن كنت أكثرت فيه الذنوبا

لأنى حييت إلى أن لقيت * بعد العدو صديقاً حبيباً

وله في سن قلمها وقد نفعها :

وصاحب لا أمل الدهر صحبته * يشقى لنفعي ويسمى سعى مجتهد

لم ألقه منذ تصاحبنا فحين بدا * لناطري افترقنا فرقة الأبد

وله ديوان شعر كبير ، وكان صلاح الدين يفضل على سائر الدواوين ، وقد كان مولده في سنة ثمان وثمانين وأربعمائة ، وكان في شببته شهماً شجاعاً ، قتل الأسد وحده مواجهة ، ثم عمر إلى أن توفي في هذه السنة ليلة الثلاثاء الثالث والعشرين من رمضان ، ودفن شرقي جبل قايسون . قال وزرت قبره

وأنشدت له : لا تستمر جلدا على هجرانهم * فقواك تضعف عن صدور دائم
واعلم بأنك إن رجعت إليهم * طوعا وإلا عدت عودة نادم
وله أيضاً * وأعجب لضعف يدي عن حملها قلما * من بعد حطم القناني لبة الأسد
وقل لمن يتمنى طول مدته * هذى عواقب طول العمر والمدد
قال ابن الأثير : وفيها توفي شيخه .

﴿ أبو محمد عبد الله بن علي ﴾

ابن عبد الله بن سويد التكريتي ، كان عالماً بالحديث وله تصانيف حسنة .

﴿ الحازمي الحافظ ﴾

قال أبو شامة : وفيها توفي الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمداني
ببغداد ، صاحب التصانيف ، على صغر سنه ، منها المعجالة في النسب ، والناسخ والمنسوخ وغيرها
ومولدها سنة ثمان أو تسع وأربعين وخمسمائة ، وتوفي في الثامن والعشرين من جمادى الأولى من
هذه السنة .

﴿ ثم دخلت سنة خمس وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها قدم من جهة الخليفة رسل إلى السلطان يعلمونه بولاية العهد لأبي نصر الملقب بالظاهر بن
الخليفة الناصر ، فأمر السلطان خطيب دمشق أبا القاسم عبد الملك بن زيد الدولعي أن يذكره على
المنبر ، ثم جهز السلطان مع الرسل تحفا كثيرة ، وهدايا سنية ، وأرسل بأسارى من الفرنج على هبتهم
في حال حربهم ، وأرسل بصليب الصلبوت فدفن تحت عتبة باب النوى ، من دار الخليفة ، فكان
بالأقدام يداس ، بعد ما كان يعظم ويباس ، والصحيح أن هذا الصليب كان منصوبا على الصخرة
وكان من نحاس مطلياً بالذهب ، فخطه الله إلى أسفل العتب .

﴿ قصة عكا وما كان من أمرها ﴾

لما كان شهر رجب اجتمع من كان بصور من الفرنج وساروا إلى مدينة عكا ، فأحاطوا بها بحاصر ونها
فتحصن من فيها من المسلمين ، وأعدوا للحصار ما يحتاجون إليه ، وبلغ السلطان خبرهم فسار إليهم من
دمشق مسرعاً ، فوجدهم قد أحاطوا بها إحاطة الخاتم بالخنصر ، فلم يزل يدافعهم عنها ويمنعهم منها ،
حتى جعل طريقا إلى باب القلعة يصل إليه كل من أراده ، من جندي وسوق ، وامرأة وصبي ، ثم
أدخل إليها ما أراد من الآلات والأمتعة ، ودخل هو بنفسه ، فعلا على سورها ونظر إلى الفرنج
وجيشهم وكثرة عددهم وعددهم ، والميرة تغد إليهم في البحر ، في كل وقت ، وكل ما لهم في ازدياد ،
وفي كل حين تصل إليهم الأمداد ، ثم عاد إلى مخيمه والجنود تغد إليه ، وتقدم عليه من كل جهة
وسكان ، منهم رجال وفرسان ، فلما كان في العشر الأخير من شعبان برزت الفرنج من مراكبها إلى

مواكبها ، في نحو من ألفي فارس وثلاثين ألف راجل ، فبرز إليهم السلطان فيمن معه من الشجعان فاقتلوا بمرج عكا قتلا عظيما ، وهزم جماعة من المسلمين في أول النهار ، ثم كانت الدائرة على الفرنج فكانت القتلى بينهم أزيد من سبعة آلاف قتيل ، ولما تناهت هذه الوقعة تحول السلطان عن مكانه الأول إلى موضع بعيد من رائحة القتلى ، خوفا من الوخم والأذى ، وليستريح الخيلة والخيول ، ولم يعلم أن ذلك كان من أكبر مصالح العدو الخذول ، فانهم اغتتموا هذه الفرصة فحرفوا حول مخيمهم خندقا من البحر محذقا بجيشهم ، واتخذوا من ترابه سودا شاهقا ، وجعلوا له أبوابا يخرجون منها إذا أرادوا وتمكنوا في منزلهم ذلك الذي اختاروا وارتابوا ، وتفارط الأمر على المسلمين ، وقوى الخطب وصار الداء عضالا ، وازداد الحال وبالا ، اختبارا من الله وامتحانا ، وكان رأى السلطان أن يناجزوا بعد الكرة سريعا ، ولا يتركوا حتى يطيب البحر فتأتيهم الأمداد من كل صوب ، فتعذر عليه الأمر باملال الجيش والضعف ، وكل منهم لأمر الفرنج قد احتقر ، ولم يدر ما قد حتم في القدر ، فأرسل السلطان إلى جميع الملوك يستنصر ويستنصر ، وكتب إلى الخليفة بالبت ، وبث الكتب بالتحريض والحث السريع ، فجاءته الأمداد جماعات وآحادا ، وأرسل إلى مصر يطلب أخاه العادل ويستعجل الأسطول ، فقدم عليه فوصل إليه خمسون قطعة في البحر مع الأمير حسام الدين لؤلؤ ، وقدم العادل في عسكر المصريين ، فلما وصل الأسطول حادت مراكب الفرنج عنه يمنة ويسرة ، وخافوا منه ، واتصل بالبلد الميرة والمدد والمدد ، وانشرحت الصدور بذلك ، وانسلخت هذه السنة والحال ما حال بل هو على ما هو عليه ولا ملجأ من الله إلا إليه .

وفيهما توفي من الأعيان . ❦ القاضي شرف الدين أبو سعد ❦

عبد الله بن محمد بن هبة الله بن أبي عصرون أحد أئمة الشافعية ، له كتاب الانتصاف ، وقد ولى قضاء القضاة بدمشق ، ثم أضر قبل موته بعشر سنين ، فجعل ولده نجم الدين مكانه بطبيب قلبه وقد بلغ من العمر ثلاثا وتسعين سنة ونصف ، ودفن بالمدرسة المصرية ، التي أنشأها عند سويقة باب البريد ، قبالة داره ، بينهما عرض الطريق ، وكان من الصالحين والعلماء العاملين . وقد ذكره ابن خلكان فقال : كان أصله من حديثة عانة الموصل ، ورحل في طلب العلم إلى بلدان شتى ، وأخذ عن أسعد الميمني وأبي علي الفارقي وجماعة ، وولى قضاء سنجار وحران ، وباشر في أيام نور الدين تدريس الغزالية ، ثم انتقل إلى حلب فبنى له نور الدين بحلب مدرسة وبمخصص أخرى ، ثم قدم دمشق في أيام صلاح الدين ، فولى قضاءها في سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة إلى أن توفي في هذه السنة ، وقد جمع جزءا في قضاء الأعمى ، وأنه جائز ، وهو خلاف المذهب ، وقد حكاه صاحب البيان وجهها لبعض الأصحاب . قال : ولم أره في غيره ، ولكن حبك الشيء يعمى ويصم ، وقد صنف كتباً كثيرة ،

منها صفوة المذهب في نهاية المطلب ، في سبع مجلدات ، والانتصاف في أربعة ، والخلاف في أربعة ،
والذريعة [في معرفة الشريعة] والمرشد وغير ذلك ، و [كتابا سماه مأخذ النظر ، ومختصر] في
الفرائض ، وقد ذكره ابن عساكر في تاريخه والعماد فائني عليه ، وكذلك القاضي الفاضل . وأورد
له العماد أشعاراً كثيرة وابن خلكان ، منها :

أؤمل أن أحيأ في كل ساعة * نمر بي الموتى يهزنعوشها
وهل أنا إلا مثلهم غير أن لي * بقايا ليال في الزمان أعيشها
﴿ أحمد بن عبد الرحمن بن وهبان ﴾

أبو العباس المعروف بابن أفضل الزمان ، قال ابن الأثير : كان عالماً متبحراً في علوم كثيرة من
الفقه ، والأصول والحساب والفرائض والنجوم والهيئة والمنطق وغير ذلك ، وقد جاور بمكة وأقام
بها إلى أن مات بها ، وكان من أحسن الناس صحبة وخلقاً .

﴿ الفقيه الأمير ضياء الدين عيسى الهكاري ﴾

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، دخل معه إلى مصر ، وحظى عنده ، ثم كان ملازماً للسلطان
صلاح الدين حتى مات في ركابه بمنزلة الخروبة قريباً من عكا ، فنقل إلى القدس فدفن به ، كان ممن
تفقه على الشيخ أبي القاسم بن البرزى الجزري ، وكان من الفضلاء والأمراء الكبار .

﴿ المبارك بن المبارك الكرخي ﴾

مدرس النظامية ، تفقه بابل الخلل [وحظى] بمكانة عند الخليفة والمامة ، وكان يضرب بحسن
خطه المثل . ذكرته في الطبقات .

﴿ ثم دخلت سنة ست وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان محاصر لحصن عكا ، وأمداد الفرنج تفد إليهم من البحر في كل وقت ،
حتى أن نساء الفرنج ليخرجن بنية القتال ، ومنهن من تأتي بنية راحة الغرباء لينكحوها في الغربة ،
فيجدون راحة وخدمة وقضاء وطر ، قدم إليهم مراكب فيه ثلاثمائة امرأة من أحسن النساء وأجملهن
بهذه النية ، فاذا وجدوا ذلك ثبتوا على الحرب والغربة ، حتى أن كثيراً من فسقة المسلمين تحيزوا إليهم
من أجل هذه النسوة ، واشتهر الخبر بذلك . وشاع بين المسلمين والفرنج بأن ملك الألمان قد أقبل
بثلاثمائة ألف مقاتل ، من ناحية القسطنطينية ، يريد أخذ الشام وقتل أهله ، انتصاراً لبيت المقدس
فعند ذلك حمل السلطان والمسلمون هما عظيماً ، وخافوا غاية الخوف ، مع ما هم فيه من الشغل والحصار
الهائل ، وقويت قلوب الفرنج بذلك ، واشتدوا للحصار والقتال ، ولكن لطف الله وأهلك عامة جنده
في الطرقات بالبرد والجوع والضلال في المهالك ، على ماسيأتي بيانه . وكان سبب قتال الفرنج وخروجهم

من بلادهم ونفيرهم ما ذكره ابن الأثير في كامله أن جماعة من الرهبان والقسيسين الذين كانوا يبيت المقدس وغيره ، ركبوا من صور في أربعة مراكب ، وخرجوا يطوفون ببلدان النصارى البحرية ، وما هو قاطع البحر من الناحية الأخرى ، يحرضون الفرنج ويحثونهم على الانتصار لبيت المقدس ، ويذكرون لهم ما جرى على أهل القدس ، وأهل السواحل من القتل والسبي وخراب الديار ، وقد صوروا صورة المسيح وصورة عربي آخر يضربه ويؤذيه ، فإذا سألوهم من هذا الذي يضرب المسيح؟ قالوا هذا نبي العرب يضربه وقد جرحه ومات ، فينزعجون لذلك ويحمون ويبكون ويحزنون فعند ذلك خرجوا من بلادهم لنصرة دينهم ونبيلهم ، وموضع حجهم على الصعب والدلول ، حتى النساء الخدترات والزواني والزانيات الذين هم عند أهلهم من أعز الثمرات .

وفي نصف ربيع الأول تسلم السلطان شريف أربون بالأمان ، وكان صاحبه مأسوراً في الذل والهوان ، وكان من أدهى الفرنج وأخبرهم بأيام الناس ، وربما قرأ في كتب الحديث وتفسير القرآن ، وكان مع هذا غليظ الجلد قاسى القلب ، كافر النفس / ولما انفصل فصل الشتاء وأقبل الربيع جاءت ملوك الاسلام من بلدانها بخيولها وشجعانها ، ورجالها وفرسانها ، وأرسل الخليفة إلى الملك صلاح الدين أحمالاً من النفط والرماح ، ونفاطة وثقابين ، كل منهم متقن في صنعة غاية الاتقان ، ومرسوما بعشرين ألف دينار ، وانفتح البحر وتواترت مراكب الفرنج من كل جزيرة ، لأجل نصرة أصحابهم ، يمدونهم بالقوة والميرة ، وعملت الفرنج ثلاثة أبرجة من خشب وحديد ، عليها جلود مسقاة بالخل ، لتلا يعمل فيها النفط ، يسع البرج منها خمسمائة مقاتل ، وهي أعلا من أبرجة البلد ، وهي مركبة على عجل بحيث يدبرونها كيف شاءوا ، وعلى ظهر كل منها منجنيق كبير ، فلما رأى المسلمون ذلك أهمهم أمرها وخافوا على البلد ومن فيه من المسلمين أن يؤخذوا ، وحصل لهم ضيق منها ، فأعمل السلطان فكره باحراقها ، وأحضر النفاطين ووعدهم بالأموال الجزيلة إن هم أحرقوها ، فانتدب لذلك شاب نحاس من دمشق يعرف بعلى بن عريف النحاسين ، والنزم باحراقها ، فأخذ النفط الأبيض وخلطه بأدوية يعرفها ، وعلى ذلك في ثلاثة قدور من نحاس حتى صار ناراً تأجيج ، ورمى كل برج منها بقدر من تلك القدور بالمنجنيق من داخل عكا ، فاحترقت الأبرجة الثلاثة حتى صارت ناراً باذن الله ، لها السنة في الجو متصاعدة ، واحترق من كان فيها ، فصرخ المسلمون صرخة واحدة بالتهليل ، واحترق في كل برج منها سبعون كفوراً ، وكان يوماً على الكافر بن عسيرا ، وذلك يوم الاثنين الثاني والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة ، وكان الفرنج قد تعبوا في عملها سبعة أشهر ، فاحترقت في يوم واحد (وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجملناه هباء منثوراً) ثم أمر السلطان لذلك الشاب النحاس بعطية سنوية ، وأموال كثيرة فامتنع أن يقبل شيئاً من ذلك ، وقال : إنما عملت ذلك ابتغاء وجه الله ، ورجاء

ما عنده سبحانه ، فلا أريد منكم جزاء ولا شكورا .

وأقبل الأسطول المصرى وفيه الميرة الكثيرة لأهل البلد ، فعبى الفرنج أسطولهم ليقاتلوا أسطول المسلمين ، نهض السلطان بجيشه ليشغلهم عنهم ، وقاتلهم أهل البلد أيضاً واقتتل الأسطولان فى البحر ، وكان يوما عسيرا ، وحربا فى البر والبحر ، فظفرت الفرنج بشيبنى واحد من الأسطول الذى للمسلمين ، وسلم الله الباقي فوصل إلى البلد بما فيه من الميرة ، وكانت حاجتهم قد اشتدت إليها جدا ، بل إلى بعضها

وأما ملك الألمان المتقدم ذكره فانه أقبل فى عدد وعدد كثير جداً ، قريب من ثلاثمائة ألف مقاتل ، من نيته خراب البلد وقتل أهلها من المسلمين ، والانتصار لبيت المقدس ، وأن يأخذ البلاد إقليما بعد إقليم ، حتى مكة والمدينة ، فما نال من ذلك شيئا بعون الله وقوته ، بل أهلهم الله عز وجل فى كل مكان وزمان ، فكانوا يخطفون كما يخطف الحيوان ، حتى اجتاز ملكهم بنهر شديد الجرية فدعته نفسه أن يسبح فيه ، فلما صار فيه حمله الماء إلى شجرة فشجت راسه ، وأخذت أنفاسه ، وأراح الله منه العباد والبلاد ، فأقيم ولده الأصغر فى الملك ، وقد تمزق شملهم ، وقلت منهم العدة ، ثم أقبلوا لا يجتازون ببلد إلا قتلوا فيه ، فما وصلوا إلى أصحابهم الذين على عكا إلا فى ألف فارس ، فلم يرفعوا بهم رأساً ولا لهم قدراً ولا قيمة بينهم ، ولا عند أحد من أهل ملتهم ولا غيرهم ، وهكذا شأن من أراد إطفاء نور الله وإذلال دين الاسلام . وزعم العمد فى سياقه أن الألمان وصلوا فى خمسة آلاف ، وأن ملوك الفرنج كلهم كرهوا قدومهم عليهم ، لما يخافون من سطوة ملكهم ، وزوال دولتهم بدولته ، ولم يفرح به إلا المركيس صاحب صور ، الذى أنشأ هذه الفتنة وأثار هذه الحنة ، فانه تقوى به وبكيده ، فانه كان خبيراً بالحروب ، وقد قدم بأشياء كثيرة من آلات الحرب لم تخطر لأحد ببال نصب دبابات أمثال الجبال ، تسير بمجل ولها زلوم من حديد ، تنطح السور فتحرقه ، وتتلجج جوانبه ، فن الله العظيم باحراقها ، وأراح الله المسلمين منها . ونهض صاحب الألمان بالعسكر الفرنجى فصادم به جيش المسلمين [فجاءت جيوش المسلمين] برمتها إليه ، فقتلوا من الكفرة خلقا كثيراً وجما غفيرا ، وهجموا مرة على مخيم السلطان بقتة فتهبوا بهض الأمتعة ، فنهض الملك العادل أبو بكر - وكان رأس الميمنة - فركب ، فى أصحابه وأهل الفرنج حتى توغلوا بين الخيام ، ثم حمل عليهم بالرمح والحسام ، فهربوا بين يديه فما زال يقتل منهم جماعة بعد جماعة ، وفرقة بعد فرقة ، حتى كسوا وجه الأرض منهم حللا أزهى من الرياض الباسمة ، وأحب إلى النفوس من الحدود الناعمة ، وأقل ما قيل إنه قتل منهم خمسة آلاف ، وزعم العمد أنه قتل منهم فيما بين الظهر إلى العصر عشرة آلاف والله أعلم . هذا وطرف الميسرة لم يشعر بما جرى ولادرى ، بل نائمون وقت القائلة فى خيامهم ، وكان

الذين ساقوا وراهم أقل من ألف ، وإنما قتل من المسلمين عشرة أو دونهم ، وهذه نعمة عظيمة ، وقد أوهن هذا جيش الفرنج وأضعفهم ، وكادوا يطلبون الصلح وينصرفون عن البلد ، فاتفق قدوم مدد عظيم إليهم من البحر مع ملك يقال له كيد هري ، ومعه أموال كثيرة فأنفق فيهم وغرم عليهم وأمرهم أن يبرزوا معه لقتال المسلمين ، ونصب على عكا منجنيقين ، غرم على كل واحد منهما ألفاً وخمسمائة دينار ، فأحرقهما المسلمون من داخل البلد ، وجاءت كتب صاحب الروم من القسطنطينية يمتدح لصلاح الدين من جهة ملك الألمان ، وأنه لم يتجاوز بلده باختياره ، وأنه تجاوزه لكثرة جنوده ، ولكن ليبشر السلطان بأن الله سبيلكم في كل مكان ، وكذلك وقع ، وأرسل إلى السلطان يخبره بأنه يقيم للمسلمين عنده جمعة وخطباً ، فأرسل السلطان مع رسله خطيباً ومنبراً ، وكان يوم دخولهم إليه يوماً مشهوداً ، ومشهداً محموداً ، فأقيمت الخطبة بالقسطنطينية ، ودعا للخليفة العباسي ، واجتمع فيها من هناك من المسلمين من التجار والمسلمين الأسرى والمسافرين إليها والحمد لله رب العالمين .

فصل

وكتب متولى عكا من جهة السلطان صلاح الدين وهو الأمير بهاء الدين قراقوش ، في العشر الأول من شعبان إلى السلطان : إنه لم يبق عندهم في المدينة من الأقوات إلا ما يبلغهم إلى ليلة النصف من شعبان ، فلما وصل الكتاب إلى السلطان أسرها يوسف في نفسه ولم يبدعها لهم ، خوفاً من إشاعة ذلك فيبلغ العدو فيقدموا على المسلمين ، وتضعف القلوب ، وكان قد كتب إلى أمير الأسطول بالديار المصرية أن يقدم بالميرة إلى عكا ، فتأخر سيره ، ثم وصلت ثلاث بطش ليلة النصف ، فيها من الميرة ما يكفي أهل البلد طول الشتاء ، وهي صحبة الحاجب لؤلؤ ، فلما أشرفت على البلد نهض إليها أسطول الفرنج ليحول بينها وبين البلد ، ويتلف ما فيها ، فاقتتلوا في البحر قتالاً شديداً ، والمسلمون في البر يبتلون إلى الله عز وجل في سلامتها ، والفرنج أيضاً تصرخ برأ وبجراً ، وقد ارتفع الضجيج ، فنصر الله المسلمين وسلم ما بهم ، وطابت الرياح للبطش فسارت فأحرق المراكب الفرنجية المحيطة بالميناء ، ودخلت البلد سالمة ، وفرح بها أهل البلد والجيش فرحاً شديداً ، وكان السلطان قد جهز قبل هذه البطش الثلاث بطشة كبيرة من بيروت ، فيها أربعمائة غرارة ، وفيها من الجبن والشحم والقديد والنشاب والنفط شيء كثير ، وكانت هذه البطشة من بطش الفرنج المغنومة ، وأمر من فيها من التجار أن يلبسوا زى الفرنج حتى أنهم حلقوا لحاهم ، وشدوا الزنانير ، واستصحبوا في البطشة معهم شيئاً من الخنازير ، وقدموا بها على مراكب الفرنج فاعتقدوا أنهم منهم وهي سائرة كأنها سهم إذا خرج من كبد القوس ، فحذرهم الفرنج غائلة الميناء من ناحية البلد ، فاعتذروا

بأنهم مغلوبون عنها ، ولا يمكنهم حبسها من قوة الريح ، وما زالوا كذلك حتى ولجوا الميناء فأفرغوا ما كان معهم من الميرة ، والحرب خدعة ، فعبثت المنياء فامتلاً الثغريها خيراً ، فكفتمهم إلى أن قدمت عليهم تلك البطش الثلاث المصرية / وكانت البلد يكتنفها برجان يقال لأحدهما برج الديان ، فاتخذت الفرنج بطشة عظيمة لها خرطوم وفيه محركات إذا أرادوا أن يضعوه على شيء من الأسوار والأبرجة قلبوه فوصل إلى ما أرادوا ، معظم أمر هذه البطشة على المسلمين ، ولم يزالوا في أمرها محتالين ، حتى أرسل الله عليها شواظاً من نار فأحرقها وأغرقها ، وذلك أن الفرنج أعدوا فيها نبطاً كثيراً وحطباً جزلاً ، وأخرى خلفها فيها حطب محض ، فلما أراد المسلمون المحافظة على الميناء أرسلوا النفط على بطشة الحطب فاحترقت وهي سائرة بين بطش المسلمين ، واحترقت الأخرى ، وكان في بطشة أخرى لهم مقاتلة تحت قبو قد أحكموه فيها ، فلما أرسلوا النفط على برج الديان انعكس الأمر عليهم بقدرة الله تعالى ، وذلك لشدة الهواء تلك الليلة ، فما تعدت النار بطشهم فاحترقت ، وتعدى الحريق إلى الأخرى ففرقت ، ووصل إلى بطشة المقاتلة فتلفت ، وهلك من فيها ، فاشبهوا من سلف من أهل الكتاب من الكافرين ، في قوله تعالى (يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين) .

فصل

وفي ثالث رمضان اشتد حصار الفرنج للمدينة حتى نزلوا إلى الخندق ، فبرز إليهم أهل البلد قتلوا منهم خلقاً كثيراً ، وتمكنوا من حريق الكيس والأسوار ، وسرى حريقه إلى السقوف ، وارتفعت له لهبة عظيمة في عنان السماء ، ثم اجتذبه المسلمون إليهم بكلاليب من حديد في سلاسل ، فحصل عندهم وألقوا عليه الماء البارد فبرد بعد أيام ، فكان فيه من الحديد مائة قنطار بالدمشق ، والله الحمد والمنة .

وفي الثامن والعشرين من رمضان توفي الملك زين الدين صاحب أربل في حصار عكا مع السلطان ، فتأسف الناس عليه لشبابه وغبته وجودته ، وعزى أخاه مظفر الدين فيه ، وقام بالملك من بعده وسأل من صلاح الدين أن يضيف إليه شهر زور وحران والرها وسميساط وغيرها ، وتحمل مع ذلك خمسين ألف دينار نقداً ، فأجيب إلى ذلك ، وكتب له تقليداً ، وعقد له لواء ، وأضيف مآثره إلى الملك المظفر تقي الدين ابن أخى السلطان صلاح الدين .

فصل

وكان القاضي الفاضل بمصري دبر الممالك بها ، ويجهز إلى السلطان ما يحتاج إليه من الأموال ،

وعمل الأسطول والكتب السلطانية ، فنها كتاب يذكر فيه أن سبب هذا التطويل في الحصار كثرة الذنوب ، وارتكاب المحارم بين الناس ، فإن الله لا ينال ما عنده إلا بطاعته ، ولا يفرج الشدائد إلا بالرجوع إليه ، وامتثال أمره ، فكيف لا يطول الحصار والمعاصي في كل مكان فاشية ، وقد صعد إلى الله منها ما يتوقع بعده الاستمادة منه ، وفيه أنه قد بلغه أن بيت المقدس قد ظهر فيه المنكرات والفواحش والظلم في بلاده ما لا يمكن تلافيه إلا بكلمة كثيرة . ومنها كتاب يقول فيه إنما أتينا من قبل أنفسنا ، ولو صدقنا لمجل الله لنا عواقب صدقنا ، ولو أطفئناه لما عاقبنا بعدونا ، ولو فعلنا ما نقدر عليه من أمره لفعل لنا ما لا نقدر عليه إلا به ، فلا يخضع أحد إلا نفسه وعمله ، ولا يرج إلا ربه ولا يفتخر بكثرة العساكر والأعوان ، ولا فلان الذي يعتمد عليه أن يقاتل ولا فلان ، فكل هذه مشاغل عن الله ليس النصر بها ، وإنما النصر من عند الله ، ولا نأمن أن يكلنا الله إليها ، والنصر به والطف منه ، ونستغفر الله تعالى من ذنوبنا ، فلو أنها تسد طريق دعائنا لكان جواب دعائنا قد نزل ، وفيض دموع الخاشعين قد غسل ، ولكن في الطريق عائق ، خار الله لمولانا في القضاء السابق واللاحق . ومن كتاب آخر يتألم فيه لما عند السلطان من الضعف في جسمه بسبب ما حمل على قلبه مما هو فيه من الشدائد ، أنابه الله بقوله : وما في نفس المملوك شائنة إلا بقية هذا الضعف الذي في جسم مولانا فانه بقلوبنا ، ونفديه بأسماعنا وأبصارنا ثم قال :

بنا معشر الخدام ما بك من أذى * وإن أشفقوا مما أقول في وحدي

وقد أورد الشيخ شهاب الدين صاحب الروضتين هاهنا كتباً عدة من الفاضل إلى السلطان ، فيها فصاحة وبلاغة ومواعظ وتحضيض على الجهاد ، فرحمه الله من إنسان ما أنصحه ، ومن وزير ما كان أنصحه ، ومن عقل ما كان أرجحه .

فصل

وكتب الفاضل كتاباً على لسان السلطان إلى ملك الغرب أمير المسلمين ، وسلاطان جيش الموحدين ، يعقوب بن يوسف بن عبيد المؤمن ، يستنجد في إرسال مراكب في البحر تكون عوناً للمسلمين على المراكب الفرنجية في عبارة طويلة فصيحة بليغة مليحة ، حكاه أبو شامة بطولها . وبعث السلطان صلاح الدين مع الكتاب سنية من التحف والأطاف ، صحبة الأمير الكبير شمس الدين أبي الحزم عبدالرحمن بن منقذ ، وسار في البحر في ثامن ذي القعدة ، فدخل على سلطان المغرب في العشرين من ذي الحجة ، فأقام عنده إلى عاشوراء من المحرم من سنة ثمان وثمانين ، ولم يفد هذا الإرسال شيئاً ، لأنه تفضب إذ لم يلق بأمير المؤمنين ، وكانت إشارة الفاضل إلى عدم الإرسال إليه ، ولكن وقع ما وقع بمشيئة الله .

فصل

وفيها حصل للناصر صلاح الدين سوء مزاج من كثرة ما يكابده من الأتباع ، فطعم العدو المخدول في حوزة الاسلام ، فتجرد جماعة منهم للقتال ، وثبت آخرون على الحصار ، فأقبلوا في عدد كثير وعدد ، فرتب السلطان الجيوش بمنة ويسرة ، وقلباً وجناحين ، فلما رأى العدو الجيش الكشيف فروا فقتلوا منهم خلقاً كثيراً وجماً غفيراً .

فصل

ولما دخل فصل الشتاء وانشرت مراكب الفرنج عن البلد خوفاً من الهلاك بسبب اغتلام البحر ، سأل من بالبلد من المسلمين من السلطان أن يريحهم مما هم فيه من الحصر العظيم ، والقتال ليلاً ونهاراً ، وأن يرسل إلى البلد بدلم ، فرق لهم السلطان ، وعزم على ذلك ، وكانوا قريباً من عشرين ألف مسلم ما بين أمير ومأمور ، فجهز جيشاً آخر غيرهم ، ولم يكن ذلك برأى جيد ، ولكن ما قصد السلطان إلا خيراً ، وأن هؤلاء يدخلون البلد بهم حدة شديدة ، ولهم عزم قوى ، وهم في راحة بالنسبة إلى ما أولئك ولكن أولئك الذين كانوا بالبلد وخرجوا منه كانت لهم خبرة بالبلد والقتال وكان لهم صبر ، وجلد وقد تمونوا فيها مؤنة تكفيهم سنة ، فتمحقت بسبب ذلك ، وقدم بطش من مصر فيه ميرة تكفي أهل البلد سنة كاملة لم يقدر الله العظيم - وله الأمر من قبل ومن بعد - أنها لما توسطت البحر واقتربت من المينا هاجت عليها ريح عظيمة فانقلبت تلك البطش وتغلبت على عظمها فاخترطت واضطربت وتصادمت فتكسرت وغرقت ، وغرق ما كان فيها من الميرة والبحارة ، فدخل بسبب ذلك وهن عظيم على المسلمين ، واشتد الأمر جداً ، ومرض السلطان وازداد مرضاً إلى مرضه ، فإنا لله وإنا إليه راجعون . وكان ذلك عونا للعدو المخدول على أخذ البلد ، ولا قوة إلا بالله ، وذلك في ذى الحجة من هذه السنة ، وكان المقدم على الداخلين إلى عكا الأمير سيف الدين على بن أحمد بن المشطوب .

وفي اليوم السابع من ذى الحجة سقطت ثلثة عظيمة من سور عكا ، فبادر الفرنج إليها فسبقهم المسلمون إلى سدها بصدورهم ، وقتلوا دونها بنحورهم ، وما زالوا يمانعون عنها حتى بنوها أشد مما كانت ، وأقوى وأحسن . ووقع في هذه السنة وباء عظيم في المسلمين والكافرين ، فكان السلطان يقول في ذلك :

اقتلوني ومالكا * واقتلوا مالكا معي

واتفق موت ابن ملك الألمان لعنه الله في ثاني ذي الحجة ، وجاعة من كبراء الكند هرية ،
وسادات الفرنج لعنهم الله ، فحزن الفرنج على ابن ملك الألمان وأوقدوا نارا عظيمة في كل خيمة ،
وصار كل يوم يهلك من الفرنج المائة والمائتان ، واستأمن السلطان جماعة منهم من شدة ما هم فيه من
الجوع والضيق والحصر ، وأسلم خلق كثير منهم . وفيها قدم القاضي الفاضل من مصر على
السلطان ، وكان قد طال شوق كل منهما إلى صاحبه ، فأفضى كل منهما إلى صاحبه ما كان يسره
ويكتمه من الآراء التي فيها مصالح المسلمين .

وفيها توفي من الأعيان . ﴿ ملك الألمان ﴾

وقد تقدم أنه قدم في ثلاثمائة ألف مقاتل ، فهلكوا في الطرقات ، فلم يصل إلى الفرنج إلا في خمسة
آلاف وقيل في ألفي مقاتل ، وكان قد عزم على دمار الاسلام ، واستنقاذ البلاد بكاملها من أيدي
المسلمين ، انتصاراً في زعمه إلى بيت المقدس ، فأهلكه الله بالفرق كما أهلك فرعون ، ثم ملك بعده
ولده الأصغر فأقبل بمن بقي معه من الجيش إلى الفرنج ، وهم في حصار عكا ، ثم مات في هذه السنة
فله الحمد والمنة . ﴿ محمد بن محمد بن عبد الله ﴾

أبو حامد قاضي القضاة بالموصل ، كمال الدين الشهرزوري الشافعي ، أثنى عليه العماد وأنشد
له من شعره قوله :

قامت باثبات الصفات أدلة * قصمت ظهور أئمة التعطيل
وطلائع التنزيه لما أقبلت * هزمت ذوى التشبيه والتمثيل
فلحق ما صرنا إليه جميعنا * بأدلة الأخبار والتنزيل
من لم يكن بالشرع مقننـيا فقد * ألقاه فرط الجمل في التضليل

﴿ ثم دخلت سنة سبع وثمانين وخمسمائة ﴾

فيها قدم ملك الفرنسيس وملك انكائرا وغيرهما من ملوك البحر الفرنج ، على أصحابهم
الفرنج إلى عكا ، وتماثلوا على أخذ عكا في هذه السنة كما سيأتي تفصيله ، وقد استهلكت هذه السنة
والحصار الشديد على عكا من الجانبين ، وقد استكمل دخول العدو إلى البلد والملك المعادل مخيم إلى
جانب البحر ، ليتكامل دخولهم ودخول مبرنهم ، وفي ليلة مستهل ربيع الأول منها خرج المسلمون
من عكا فهجموا على مخيم الفرنج فقتلوا منهم خلقا كثيرا ، وسبوا وغنموا شيئا كثيرا ، سبوا اثني
عشرا امرأة ، وانكسر مركب عظيم للفرنج ففرق ما فيه منهم وأسرباقيهم وأغار صاحب حص
أسد الدين بن شيركوه على سرح الفرنج بأراضي طرابلس ، فاستاق منهم شيئا كثيرا من الخيول
والأبقار والأغنام ، وظفر الترك بخلق كثير من الفرنج فقتلهم ، ولم يقتل من المسلمين سوى طواش

صغير عثر به فرسه لم وفي ثاني عشر ربيع الأول وصل إلى الفرنج ملك الفرنسيين في قريب من ستين بطش ملعونة مشحونة بعبدة الصليب ، فحين وصل إليهم وقدم عليهم لم يبق لأحد من ملوكهم معه كلام ولا حكم ، لعظمتهم عندهم ، وقدم معه باز عظيم أبيض وهو الأشهب ، هائل ، فطار من يده فوقع على سور عكا فأخذه أهلها وبعثوه إلى السلطان صلاح الدين ، فبذل الفرنجي فيه ألف دينار فلم يجبه إلى ذلك ، وقدم بعده كيد فريز وهو من أكابر ملوكهم أيضاً . ووصلت سفن ملك الانكليز ، ولم يجبه ملكهم لاشتغاله بجزيرة قبرص وأخذها من يد صاحبها ، وتواصلت ملوك الاسلام أيضاً من بلدانها في أول فصل الربيع ، لخدمة الملك الناصر / قال العماد : وقد كان للمسلمين لصوص يدخلون إلى خيام الفرنج فيسرقون ، حتى أنهم كانوا يسرقون الرجال ، فاتفق أن بعضهم أخذ صبياً رضيعاً من مهده ابن ثلاثة أشهر ، فوجدت عليه أمه وجداً شديداً ، واشتكت إلى ملوكهم فقالوا لها : إن سلطان المسلمين رحيم القلب ، وقد أذن لك أن تذهبي إليه فتشتكي أمرك إليه ، قال العماد فجاءت إلى السلطان فأنتت إليه حالها ، فرق لها رقة شديدة حتى دمعت عينه . ثم أمر باحضار ولدها فاذا هو قد بيع في السوق ، فرسم بدفع ثمنه إلى المشتري ، ولم يزل واقفاً حتى جرى بالغلالم فأخذته أمه وأرضعته ساعة وهي تبكي من شدة فرحها وشوقها إليه ، ثم أمر بحملها إلى خيمتها على فرس مكرمه رحمه الله تعالى وعفا عنه .

فصل

(في كيفية أخذ العدو الخندول عكا من يدى السلطان قسراً)

لما كان شهر جمادى الأولى اشتد حصار الفرنج لعنهم الله لمدينة عكا ، وتماثلوا عليها من كل فج عميق ، وقدم عليهم ملك الانكليز في جم غفير ، وجمع كثير ، في خمسة وعشرين قطعة مشحونة بالمقاتلة وابتلى أهل النفر منهم بلاء لا يشبه ما قبله ، فعند ذلك حركت الكؤوسات في البلد ، وكانت علامة ما بينهم وبين السلطان ، فحرك السلطان كؤوساته فاقترب من البلد وتحول إلى قريب منه ، ليشغلهم عن البلد ، وقد أحاطوا به من كل جانب ، ونصبوا عليه سبعة منجانيق ، وهي تضرب في البلد ليلاً ونهاراً ، ولا سيما على برج عين البقر ، حتى أثرت به أثراً بيناً ، وشرعوا في ردم الخندق بما أمكنهم من دواب مينة ، ومن قتل منهم ، ومن مات أيضاً ردموا به ، وكان أهل البلد يلقون ما ألقي فيه إلى البحر . وتلقى ملك الانكليز بطشة عظيمة للمسلمين قد أقبلت من بيروت مشحونة بالأمتعة والأسلحة فأخذها ، وكان واقفاً في البحر في أربعين مركباً لا يترك شيئاً يصل إلى البلد بالسكية ، وكان بالبطشة ستمائة من المقاتلين الصناديد الأبطال ، فهلكوا عن آخرهم رحمهم الله . فانه لما أخط

بهم وتحققوا إما الفرق أو القتل ، خرقوا جوانبها كلها ففرقت ، ولم يقدر الفرنج على أخذ شيء منها لا من الميرة ولا من الأساحة ، وحزن المسلمون على هذا المصائب حزنا عظيما ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ولكن جبر الله سبحانه هذا البلاء بأن أحرق المسلمون في هذا اليوم دبابه كانت أربع طبقات ، الأولى من الخشب ، والثانية من رصاص ، والثالثة من حديد ، والرابعة من نحاس ، وهي مشرفة على السور والمقانات فيها ، وقد قلق أهل البلد منها بحيث حدثتهم أنفسهم من خوفهم من شرها بأن يطلبوا الأمان من الفرنج ، ويسلموا البلد ، ففرج الله عن المسلمين وأمكنهم من حريقها ، اتفق لهم ذلك في هذا اليوم الذي غرقت فيه البطشة المذكورة فأرسل أهل البلد يشكون إلى السلطان شدة الحصار وقوته عليهم ، منذ قام ملك الانكليز لعنه الله ومع هذا قد مرض هو وجرح ملك الافرنسيين أيضاً ولا يزيدهم ذلك إلا شدة وغلظة ، وعنوا وبغيا ، وفارقهم المركيس وسار إلى بلده صور خوفاً منهم أن يخرجوا ملكها من يده . وبعث ملك الانكليز إلى السلطان صلاح الدين يذكر له أن عنده جوارح قد جاء بها من البحر ، وهو على نية إرسالها إليه ، ولكنها قد ضعفت وهو يطلب دجاجاً وطيراً لتقوى به ، فعرّف أنه إنما يطلب ذلك لنفسه يلفظها به ، فأرسل إليه شيئا كثيرا من ذلك كرمًا ، ثم أرسل يطلب منه فاكهة وثلجاً فأرسل إليه أيضاً ، فلم يفد معه الاحسان ، بل لما عوفي عاد إلى شرمما كان واشتد الحصار ليلا ونهارا ، فأرسل أهل البلد يقولون للسلطان إما أن تعملوا معنا شيئا غدا وإلا طلبنا من الفرنج الصلح والأمان ، فشق ذلك على السلطان ، وذلك لأنه كان قد بعث إليها أسلحة الشام والديار المصرية وسائر السواحل ، وما كان غنمه من وقعة حطين ومن القدس ، فهي مشحونة بذلك فعند ذلك عزم السلطان على الهجوم على العدو ، فلما أصبح ركب في جيشه فرأى الفرنج قد ركبوا من وراء خندقهم ، والرجالة منهم قد ضربوا سورا حول الفرسان ، وهم قطعة من حديد صماء لا ينفذ فيهم شيء ، فأحجم عنهم لما يعلم من نكول جيشه عما يريد ، وتحدوه عليه شجاعته رحمه الله .

هذا وقد اشتد الحصار على البلد ودخلت الرجالة منهم إلى الخندق وعالقوا بدنة في السور وحشوها وأحرقوها ، فسقطت ودخلت الفرنج إلى البلد ، فما نهم المسلمون وقاتلهم أشد القتال ، وقتلوا من رؤسهم ستة أنفس ، فاشتد حنق الفرنج على المسلمين جدا بسبب ذلك ، وجاء الليل فحال بين الفريقين ، فلما أصبح الصباح خرج أمير المسلمين بالبلد أحمد بن المشطوب فاجتمع بملك الافرنسيين وطلب منهم الأمان على أنفسهم ، ويتسلمون منه البلد فلم يجبههم إلى ذلك ، وقال له : بعد ما سقط السور جئت تطلب الأمان ؟ فأغلظ له ابن المشطوب في الكلام ، ورجع إلى البلد في حالة الله بها عليم ، فلما أخبر أهل البلد بما وقع خافوا خوفا شديدا ، وأرسلوا إلى السلطان يعلمونه بما وقع ، فأرسل

إليهم أن يسرعوا الخروج من البلد في البحر ولا يتأخروا عن هذه الليلة ، ولا يبقى بها مسلم ، فتشاغل كثير من كان بها لجمع الأمتعة والأسلحة ، وتأخروا عن الخروج تلك الليلة ، فما أصبح انطرب إلا عند الفرنج من مملوكين صغيرين سمعا بما رسم به السلطان ، فهربا إلى قومهما فأخبروهم بذلك ، فاحتفظوا على البحر احتفاظا عظيما ، فلم يتمكن أحد من أهل البلد أن يتحرك بحركة ، ولا خرج منها شيء بالكليّة ، وهذان المملوكان كانا أسيرين قد أسرها السلطان من أولاد الفرنج ، وعزم السلطان على كبس العدو في هذه الليلة ، فلم يوافق الجيش على ذلك ، وقالوا لا نخاطر بمسكّر المسلمين ، فلما أصبح بعث إلى ملوك الفرنج يطلب منهم الأمان لأهل البلد على أن يطلق عدتهم من الأسرى الذين تحت يده من الفرنج ، ويزيدهم صليب الصليبوت ، فأبوا إلا أن يطلق لهم كل أسير تحت يده ، ويطلق لهم جميع البلاد الساحلية التي أخذت منهم ، وبيت المقدس ، فأبى ذلك ، وترددت المراسلات في ذلك ، والحصار يتزايد على أسوار البلد . وقد تهدمت منه نلّم كثيرة ، وأعاد المسلمون كثيرا منها ، وسدوا ثغر تلك الأماكن بنحورهم رحمهم الله ، وصبروا صبرا عظيما ، وصابروا العدو ، ثم كان آخر الأمر وصولهم إلى درجة الشهادة ، وقد كتبوا إلى السلطان في آخر أمرهم يقولون له : يامولانا لا تخضع لمولاه الملاحين ، الذين قد أبوا عليك الإجابة إلى ما دعوتهم فينا ، فانا قد بايعنا الله على الجهاد حتى نقتل عن آخرنا ، وبالله المستعان .

فلما كان وقت الظهر في اليوم السابع من جمادى الآخرة من هذه السنة ، ما شعر الناس إلا وأعلام الكفار قد ارتفعت ، وصلبانهم وفارم على أسوار البلد ، وصاح الفرنج صيحة واحدة ، فعظمت عند ذلك المصيبة على المسلمين ، واشتد حزن الموحدين ، وانحصر كلام الناس في إنا لله وإنا إليه راجعون ، وغشى الناس بهمة عظيمة ، وحيرة شديدة ، ووقع في عسكر السلطان الصياح والعيول ، ودخل المركيس لمنه الله وقد عاد إليهم من صور بهدايا فأهداها إلى الملوك ، فدخل في هذا اليوم عكا بأربعة أعلام الملوك فنصبها في البلد ، واحداً على المأذنة يوم الجمعة ، وآخر على القلعة ، وآخر على برج الداوية ، وآخر على برج القتال ، عوضاً عن أعلام السلطان ، ونحيز المسلمون الذين بها إلى ناحية من البلد معتقلين ، محتاط بهم مضيق عليهم ، وقد أسروا النساء والأبناء ، وغنمت أموالهم ، وقيدت الأبطال وأهين الرجال ، والحرب سجال ، والحمد لله على كل حال .

فعند ذلك أمر السلطان الناس بالتأخر عن هذه المنزلة ، وثبت هو مكانه لينظر ما ذا يصنعون وما عليه يعملون ، والفرنج في البلد مشغولون مدهوشون ، ثم سار السلطان إلى العسكر وعنده من الهم ما لا يعلمه إلا الله ، وجاءت الملوك الإسلامية ، والأمراء وكبراء الدولة يعزونه فيما وقع ، ويسألونه على ذلك ثم راسل ملوك الفرنج في خلاص من بأيديهم من الأسارى فطلبوا منه عدتهم من أسراهم

ومائة ألف دينار ، و صليب الصليبوت إن كان باقياً ، فأرسل فأحضر المال والصليب ، ولم يتهياً له من الأسارى إلا ستمائة أسير ، فطلب الفرنج منه أن يريهم الصليب من بعيد ، فلما رفع سجدوا له وألقوا أنفسهم إلى الأرض ، وبعثوا يطلبون منه ما أحضره من المال والأسارى ، فامتنع إلا أن يرسلوا إليه الأسارى أو يبعثوا له برهائن على ذلك مرقالوا : لا ولكن أرسل لنا ذلك وارض بأمانتنا ، فعرف أنهم يريدون القدر والمكر ، فلم يرسل إليهم شيئاً من ذلك ، وأمر برد الأسارى إلى أهلهم بدمشق ، ورد الصليب إلى دمشق مهاتماً ، وأبرزت الفرنج خيامهم إلى ظاهر البلد وأحضروا ثلاثة آلاف من المسلمين فأوقفوهم بعد العصر وحملوا عليهم حملة رجل واحد فقتلهم عن آخرهم في صعيد واحد ، رحمهم الله وأكرم مثوam ، ولم يستبقوا بأيديهم من المسلمين إلا أميراً أو صبياً ، أو من يروونه في علمهم قوياً أو امرأة . وجرى الذى كان ، وقضى الأمر الذى فيه تستفتيان . وكان مدة إقامة صلاح الدين على عكا صابراً مصابراً مراً بطاً سبعة وثلاثين شهراً ، وجملة من قتل من الفرنج خمسين ألفاً .

فصل

فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا

ساروا برمتهم قاصدين عسقلان ، والسلطان بمجيئه يسيرهم ويعارضهم منزلة منزلة ، والمسلمون يتخطفونهم ويسلبونهم في كل مكان ، وكل أسير أتى به إلى السلطان يأمر بقتله في مكانه ، وجرى خطوب بين الجيشين ، ووقعت متعددة ، ثم طلب ملك الانكاز أن يجتمع بالملك العادل أخى السلطان يطلب منه الصلح والأمان ، على أن يعاد لأهلها بلاد السواحل ، فقال له العادل : إن دون ذلك قتل كل فارس منكم وراجل ، فغضب اللعين ونهض من عنده غضبان ، ثم اجتمعت الفرنج على حرب السلطان عند غابة أرسوف ، فكانت النصر للمسلمين ، فقتل من الفرنج عند غابة أرسوف ألفوف بعد ألفوف ، وقتل من المسلمين خلق كثير أيضاً ، وقد كان الجيش فرعن السلطان في أول الوقعة ، ولم يبق معه سوى سبعة عشر مقاتلاً ، وهو ثابت صابر ، والكؤسات لا تفتقر ، والأعلام منشورة ، ثم تراجع الناس فكانت النصر للمسلمين ، ثم تقدم السلطان بعساكره فقتل ظاهر عسقلان ، فأشار ذوو الرأي على السلطان بتخريب عسقلان خشية أن يملكها الكفار ، ويجعلونها وسيلة إلى أخذ بيت المقدس ، أو يجرى عندها من الحرب والقتال نظير ما كان عند عكا ، أو أشد ، فبالت السلطان ليلته مفكراً في ذلك ، فلما أصبح وقد أوقع الله في قلبه أن خرابها هو المصلحة ، فذكر ذلك لمن حضره ، وقال لهم والله لموت جميع أولادى أهون على من تخريب حجر واحد منها ،

ولكن إذا كان خرابها فيه مصلحة للمسلمين فلا بأس به ، ثم طلب الولاة وأمرهم بتخريب البلد سريعاً ، قبل وصول العدو إليها ، فشرع الناس في خرابه ، وأهله ومن حضره يتباكون على حسنه وطيب مقيله ، وكثرة زروعه وثماره ، ونضارة أنهاره وأزهاره ، وكثرة رخامه وحسن بساتينه . وألقيت النار في سقوفه وأتلف ما فيه من الغلات التي لا يمكن تحويلها ، ولا نقلها ، ولم يزل الخراب والحريق فيه من جمادى الآخرة إلى سلخ شعبان من هذه السنة .

ثم رحل السلطان منها في ثاني رمضان وقد تركها قاعاً صفصفاً ليس فيها معلة لأحد ، ثم اجتاز بالرملة فغرب حصنها وخرب كنيسة لد ، وزار بيت المقدس وعاد إلى الحجيم سريعاً ، وبعث ملك الانكبايز إلى السلطان إن الأمر قد طال وهلك الفرنج والمسلمون ، وإنما مقصودنا ثلاثة أشياء لا سواها ، رد الصليب وبلاد الساحل وبيت المقدس ، لا نرجع عن هذه الثلاثة ومناعين تطرف ، فأرسل إليه السلطان أشد جواب ، وأسد مقال ، فمزمت الفرنج على قصد بيت المقدس ، فتقدم السلطان بجيشه إلى القدس ، وسكن في دار القساقس قريباً من قامة ، في ذي القعدة ، وشرع في تحصين البلد وتعميق خنادقه ، وعمل فيه بنفسه وأولاده ، وعمل فيه الأمراء والقضاة والعلماء والصالحون ، وكان وقتاً مشهوداً ، والبرك حول البلد من ناحية الفرنج وفي كل وقت يستظرون على الفرنج ويقتلون ويأسرون ويفنمون ، والله الحمد والمنة . وانقضت هذه السنة والأمر على ذلك .

وفيها على ما ذكره العماد تولى القضاء محي الدين محمد بن الزكي بدمشق . وفيها عدى أمير مكة داود بن عيسى بن فليته بن هاشم بن محمد بن أبي هاشم الحسني ، فأخذ أموال الكعبة حتى انتزع طوقاً من فضة كان على دائرة الحجر الأسود ، كان قد لم شعثه حين ضربه ذلك القرمطي بالديبوس ، فلما بلغ السلطان خبره من الحجيج عزله وولى أخاه بكيرا ، ونقض القلعة التي كان بناها أخوه على أبي قبيس ، وأقام داود بنخلة حتى توفي بها سنة سبع وثمانين .

وفيها توفي من الأعيان ﴿ الملك المظفر ﴾

تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب ، كان عزيزاً على عمه صلاح الدين ، استنابه بمصر وغيرها من البلاد ، ثم أقطعه حماء ومدناً كثيرة حولها في بلاد الجزيرة ، وكان مع عمه السلطان على عكا ، ثم استأذنه أن يذهب ليشرف على بلاده المجاورة للجزيرة والفرات ، فلما صار إليها اشتغل بها وامتنعت عينه إلى أخذ خيرها من أيدي الملوك المجاورين له ، فقاتلهم فاتفق موته وهو كذلك ، والسلطان عمه غضبان عليه بسبب اشتغاله بذلك عنه ، وحملت جنازته حتى دفنت بحماه ، وله مدرسة هناك هائلة كبيرة ، وكذلك له بدمشق مدرسة مشهورة ، وعلمها أوقف كثيرة ، وقد أقام بالملك بدمشق المنصور ناصر الدين محمد ، فأقره صلاح الدين على ذلك بعد جهد جهيد ، ووعده ووعيداً .

السلطان العادل أخو صلاح الدين تشفع فيه لما أقره في مكان أبيه ، ولكن سلم الله ، توفي يوم الجمعة تاسع عشر رمضان من هذه السنة ، وكان شجاعاً فاتكاً .

﴿ الأمير حسام الدين محمد بن عمر بن لاشين ﴾

أمه ست الشام بنت أيوب ، واقفة الشاميتين بدمشق ، توفي ليلة الجمعة تاسع عشر رمضان أيضاً فنجح السلطان بآب أخيه وابن أخته في ليلة واحدة ، وقد كانا من أكبر أعوانه ، ودفن بالترتبة الحسامية ، وهي التي أنشأها أمه بمحلة العونية ، وهي الشامية البرانية .

﴿ الأمير علم الدين سليمان بن حيدر الحلبي ﴾

كان من أكابر الدولة الصلاحية ، وفي خدمة السلطان حيث كان ، وهو الذي أشار على السلطان بتخريب عسقلان ، واتفق مرضه بالقدس فاستأذن في أن يمرض بدمشق ، فأذن له ، فسار منها فلما وصل إلى غباغب مات بها في أواخر ذي الحجة . وفي رجب منها توفي الأمير الكبير نائب دمشق .

﴿ الصفي بن الفاضل ﴾

وكان من أكبر أصحاب السلطان قبل الملك ، ثم استنابه على دمشق حتى توفي بها في هذه السنة . وفي ربيع الأول توفي ﴿ الطبيب الماهر أسعد بن المطران ﴾ وقد شرف بالاسلام ، وشكره على طبه الخاص والعام .

﴿ الجيوشاتي الشيخ نجم الدين ﴾

الذي بنى تربة الشافعي بمصر بأمر السلطان صلاح الدين ، ووقف عليها أوقافاً سنوية ، وولاه تدريسها ونظرها ، وقد كان السلطان يحترمه ويكرمه ، وقد ذكرته في طبقات الشافعية ، وما صنعه في المذهب من شرح الوسيط وغيره ، ولما توفي الجيوشاتي طلب التدريس جماعة فشجع الملك العادل عند أخيه في شيخ الشيوخ أبي الحسن محمد بن حمويه ، فولاه إياه ، ثم عزله عنها بعد موت السلطان ، واستمرت عليه أيدي بني السلطان واحداً بعد واحد ، ثم عادت إليها الفقهاء والمدرسون بعد ذلك .

﴿ ثم دخلت سنة ثمان وثمانين وخمسمائة ﴾

استهلت والسلطان صلاح الدين نجيم بالقدس ، وقد قسم السور بين أولاده وأمرائه ، وهو يعمل فيه بنفسه ، ويحمل الحجر بين القربوسيين وبينه ، والناس يقتدون بهم ، والفقهاء والقراء يعملون ، والفرنج لعنهم الله حول البلد من ناحية عسقلان وما والاها ، لا يتجاسرون أن يقربوا البلد من الحرس والبزك الذين حول القدس ، إلا أنهم على نية محاصرة القدس مصممون ، ولكيد الاسلام مجمعون ، وهم والحرس تارة يغلبون وتارة يغلبون ، وتارة ينهبون وتارة ينهبون . وفي ربيع الآخر

وصل إلى السلطان الأمير سيف الدين المشطوب من الأمر ، وكان نائباً على عكا حين أخنت ، فافتدى نفسه منهم بمخمسين ألف دينار ، فأعطاه السلطان شيئاً كثيراً منها ، واستنابه على مدينة نابلس ، فتوفي بها في شوال من هذه السنة . وفي ربيع الآخر قتل الماركيس صاحب صور لعنه الله ، أرسل إليه ملك الانكليز اثنين من الغداوية فقتلوه : أظهر النصر ولزما الكنيسة حتى ظفرا به فقتلاه وقتلوا أيضاً ، فاستناب ملك الانكليز عليها ابن أخيه بلام الكندهر ، وهو ابن أخت ملك الافرنسيين لأبيه ، فهما خالاه ، ولما صار إلى صور بنى بزوجة الماركيس بعد موته بليلة واحدة ، وهي حبلى أيضاً ، وذلك لشدة العداوة التي كانت بين الانكليز وبينه ، وقد كان السلطان صلاح الدين يبغيهما ، ولكن الماركيس كان قد صانعه بعض شيء ، فلم يهن عليه قتله .

وفي تاسع جمادى الأولى استولى الفرنج لعنهم الله على قلعة الداروم نجر بوها ، وقتلوا خلقاً كثيراً من أهلها ، وأسروا طائفة من الذرية ، فانا لله وإنا إليه راجعون ، ثم أقبلوا جملة نحو القدس فبرز إليهم السلطان في حزب الايمان ، فلما تراءى الجمعان نكص حزب الشيطان راجعين ، فراراً من القتال والنزال ، وعاد السلطان إلى القدس . (وقد رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً ، وكفى الله المؤمنين القتال وكان الله قوياً عزيزاً)

ثم إن ملك الانكليز لعنه الله - وهو أكبر ملوك الفرنج ذلك الحين - ظفر ببعض فلول المسلمين فكبسهم ليلاً فقتل منهم خلقاً كثيراً ، وأسرى منهم خمسمائة أسير ، وغنم منهم شيئاً كثيراً من الأموال والجمال ، والخليل والبغال ، وكان جملة الجمل ثلاثة آلاف بعير ، فتقوى الفرنج بذلك ، وساء ذلك السلطان مساة عظيمة جداً ، وخاف من غائلة ذلك ، واستخدم الانكليز الجمالة على الجمل ، وانخر بندية على البغال ، والسياس على الخيل ، وأقبل وقد قويت نفسه جداً ، وصمم على محاصرة القدس ، وأرسل إلى ملوك الفرنج الذين بالساحل ، فاستحضرهم ومن معهم من المقاتلة ، فتعباً السلطان لهم ونهياً ، وأكل السور وعمر الخنادق ، ونصب المنجانيق ، وأمر بتغيير ما حول القدس من المياه ، وأحضر السلطان أمراءه ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الآخرة : أبا الهيجاء المبسمين ، والمشطوب ، والأسدية ، فاستشارهم فيما قد دهمه من هذا الأمر الفظيع ، الموجب المؤلم ، فافاضوا في ذلك ، وأشاروا كل برأيه ، وأشار العماد الكاتب بأن يتحالفوا على الموت عند الصخرة ، كما كان الصحابة يفعلون ، فأجابوا إلى ذلك . هذا كله والسلطان ساكت واجم مفكر ، فسكت القوم كأنما على رؤسهم الطير ، ثم قال : الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله : اعلوا أنكم جند الاسلام اليوم ومنعته ، وأنتم تعلمون أن دماء المسلمين وأموالهم وذرائعهم في ذمكم مملقة ، والله عز وجل سائلكم يوم القيامة عنهم ، وأن هذا العدو ليس له من المسلمين من يلقاه عن العباد والبلاد غيركم ،

فان وليتم والعياذ بالله طوى البلاد وأهلك العباد ، وأخذ الأموال والأطفال والذساء ، وعبد الصليب في المساجد ، وعزل القرآن منها والصلاة ، وكان ذلك كله في ذمكم ، فانكم أنتم الذين تصديتم لهذا كله ، وأكتم بيت مال المسلمين لتدفعوا عنهم عدوهم ، وتصرروا ضميمهم ، فالسعدون في سائر البلاد متعلقون بكم والسلام .

فانتدب لجوابه سيف الدين المشطوب وقال : يا مولانا نحن مع اليك وعبيدك ، وأنت الذي أعطيتنا وكبرتنا وعظمتنا ، وليس لنا إلا رقايتنا ونحن بين يديك ، والله ما يرجع أحد منا عن نصرك حتى يموت . فقال الجماعة مثل ما قال ، ففرح السلطان بذلك وطاب قلبه ، وهداهم سباطا حافلا ، وانصرفوا من بين يديه على ذلك . ثم بلغه بعد ذلك أن بعض الأمراء قال : إنا نخاف أن يجرى علينا في هذا البلد مثل ما جرى على أهل عكا ، ثم يأخذون بلاد الاسلام بلاداً ببلاداً ، والمصلحة أن نلتقيهم بظاهر البلد ، فان هزمناهم أخذنا بقية بلادهم ، وإن تكن الأخرى سلم العسكر ومضى بحاله ، ويأخذون القدس ويحفظ بقية بلاد الاسلام بدون القدس مدة طويلة ، وبعثوا إلى السلطان يقولون له : إن كنت تريدنا نقيم بالقدس تحت حصار الفرنج ، فكأن أنت معنا أو بعض أهلنا ، حتى يكون الجيش تحت أمرك ، فان الأكراد لا تطيع الترك ، والترك لا تطيع الأكراد . فلما بلغه ذلك شق عليه مشقة عظيمة ، وبات ليلته أجمع مهموماً كثيراً يفكر فيها قالوا ، ثم انجلى الامر واتفق الحال على أن يكون الملك الأنجلو صاحب بعلبك مقبلاً عندهم نائباً عنه بالقدس ، وكان ذلك نهار الجمعة ، فلما حضر إلى صلاة الجمعة وأذن المؤذن للظهر قام فصلى ركعتين بين الأذانين ، وسجد وابتهل إلى الله تعالى ابتهاً لا عظيماً ، وتضرع إلى ربه ، وتمسك وسأله فيما بينه وبينه كشف هذه الضائقة العظيمة .

فلما كان يوم السبت من القدر جاءت الكتب من الحرس الذين حول البلد بأن الفرنج قد اختلفوا فيما بينهم ، فقال ملك الافرنسيين إنا إنما جئنا من البلاد البعيدة وأنفقنا الأموال العديدة في تخليص بيت المقدس وورده إلينا ، وقد بقي بيننا وبينه مرحلة ، فقال الانكليز إن هذا البلد شق علينا حصاره ، لأن المياه حوله قد عذمت ، وإلى أن يأتي الماء من المشقة البعيدة يعطل الحصار ، ويتلف الجيش ، ثم اتفق الحال بينهم على أن حكموا عليهم ثلاثمائة منهم ، فردوا أمرهم إلى اثني عشر منهم ، فردوا أمرهم إلى ثلاثة منهم ، فباتوا ليلتهم ينتظرون ثم أصبحوا وقد حكموا عليهم بالرحيل ، فلم يمكنهم مخالفتهم فسمحوا راجعين لغنم الله أجمعين ، فساروا حتى نزلوا على الرملة وقد طالت عليهم الغربة والزملة ، وذلك في بكرة الحادى والعشرين من جمادى الآخرة ، وبرز السلطان بجيشه إلى خارج القدس ، وسار نحوهم خوفاً أن يسيروا إلى مصر ، لكثرة ما معهم من الظهر والأموال ، وكان الانكليز يلتهج بذلك كثيراً ، فخذلهم الله عن ذلك ، وترددت الرسل من الانكليز إلى السلطان

في طلب الأمان ووضع الحرب بينه وبينهم ثلاث سنين ، وعلى أن يعيد لهم عسقلان ويهب له كنيسة بيت المقدس وهي القمامة ، وأن يمكن النصارى من زيارتها وحجها بلا شيء ، فامتنع السلطان من إعادة عسقلان وأطلق لهم قمامة ، وفرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم ، فامتنع الانكليز إلا أن تعاد لهم عسقلان ، ويعمر سورها كما كانت ، فصمم السلطان على عدم الاجابة . ثم ركب السلطان حتى وافى يافا فحاصرها حصاراً شديداً ، فافتتحها وأخذوا الأمان لكبيرها وصغيرها ، فبينما هم كذلك إذ أشرفت عليهم "مراكب الانكليز على وجه البحر ، فقويت رؤسهم واستعصت نفوسهم ، فهجم الاعمى فاستعاد البلد وقتل من تأخر بها من المسلمين صبراً بين يديه ، وتقهقر السلطان عن منزلة الحصار إلى ما وراءها خوفاً على الجيش من معرة الفرنج ، فحمل ملك الانكليز يتعجب من شدة سعاوة السلطان ، وكيف فتح مثل هذا البلد العظيم في يومين ، وغيره لا يمكنه فتحه في عامين ، ولكن ماظنت أنه مع شهامته وصرامته يتأخر من منزلته بمجرد قدومي ، وأنا ومن معي لم نخرج من البحر إلا جرائد بلا سلاح ، ثم ألح في طلب الصلح وأن تكون عسقلان داخلة في صلحهم ، فامتنع السلطان ، ثم إن السلطان كبس في تلك الليالي الانكليز وهو في سبعة عشر مقاتلاً ، وحوله قليل من الرجالة فأكب بجيشه حوله وحصره حصراً لم يبق معه نجاة ، لو صمم معه الجيش ، ولكنهم نكلوا كلهم عن الحملة ، فلا قوة إلا بالله ، وجعل السلطان يحرضهم غاية التحريض ، فكلمهم يمتنع كما يمتنع المريض من شرب الدواء .

هذا وملك الانكليز قد ركب في أصحابه وأخذ عدة قتاله ، وأهبة نزاله ، واستعرض الميمنة إلى آخر الميسرة ، يعني ميمنة المسلمين وميسرتهم ، فلم يتقدم إليه أحد من الفرسان ، ولا نهره بطل من الشجعان ، فعند ذلك كر السلطان راجعاً ، وقد أحزنه أنه لم ير من الجيش مطيعاً ، فانا لله وإنا إليه راجعون . ولو أن له بهم قوة لما ترك أحداً منهم يتناول من بيت المال فلساً . ثم حصل لملك الانكليز بعد ذلك مرض شديد ، فبعث إلى السلطان يطلب فأكفه وثلجاً فأمدته بذلك من باب الكرم ، ثم عوفي لعنه الله وتكررت الرسل منه يطلب من السلطان المصالحة لكثرة شوقه إلى أولاده وبلاده ، وطاوع السلطان على ما يقول وترك طلب عسقلان ، ورضى بما رسم به السلطان ، وكتب كتاب الصلح بينهما في سابع عشر شعبان ، وأكدت اليهود والمواثيق من كل ملك من ملوكهم ، وحلف الأمراء من المسلمين وكتبوا خطوطهم ، واكتفى من السلطان بالقول المجرد كما جرت به عادة السلاطين ، وفرح كل من الفريقين فرحاً شديداً ، وأظهروا سروراً كثيراً ، ووقعت الهدنة على وضع الحرب ثلاثين سنة وستة أشهر ، وعلى أن يقرم على ما بأيديهم من البلاد الساحلية ، وللمسلمين ما يقابلها من البلاد الجبلية ، وما بينهما من المعاملات تقسم على المناصفة ، وأرسل السلطان مائة نقاب صحبة

أمير لتخريب سور عسقلان وإخراج من بها من الفرنج .

وعاد السلطان إلى القدس فرتب أحواله ووطدها ، وسدد أموره وأكدها ، وزاد وقف المدرسة سوفا بدكا كينها وأرضا بيساتينها ، وزاد وقف الصوفية ، وعزم على الحج عامه ذلك ، فكتب إلى الحجاز واليمن ومصر والشام ليعلموا بذلك ، ويتأهبوا له ، فكتب إليه القاضي الفاضل ينهيه عن ذلك خوفاً على البلاد من استيلاء الفرنج عليها ، ومن كثرة المظالم بها ، وفساد الناس والعسكر وقلة نصيحهم وأن النظر في أحوال المسلمين خير لك عامك هذا ، والعدو مخيم بعد بالشام ، وأنت تعلم أنهم يهادنون ليتقوا ويكنروا ، ثم يكمروا ويفدروا ، فسمع السلطان منه وشكر نصحه وترك ما عزم عليه وكتب به إلى سائر الممالك ، واستمر مقبلاً بالقدس جميع شهر رمضان في صيام وصلاة وقرآن ، وكلما وفد أحد من رؤساء الفرنج للزيارة فعل معه غاية الأكرام ، تأليفاً لقلوبهم ، ولم يبق أحد من ملوكهم إلا جاء لزيارة القمامة متسكراً ، ويحضر سباط السلطان فيمن حضر من جمهورهم ، بحيث لا يرى . والسلطان لا يعلم ذلك جملة ولا تفصيلاً ، ولهذا كان يعاملهم بالأكرام ، ويربهم صفحاً جميلاً ، وبراً جزيلاً .

فلما كان في خامس شوال ركب السلطان في المساكر فبرز من القدس قاصداً دمشق ، واستتاب على القدس عز الدين جو رديك ، وعلى قضائها بهاء الدين بن يوسف بن رافع بن تميم الشافعي ، فاجتاز على وادي الجيب وبات على بركة الداوية ، ثم أصبح في نابلس فنظر في أحوالها ، ثم ترحل عنها ، فجعل يمر بالقلاع والحصون والبلدان فينظر في أحوالها ويكشف المظالم عنها ، وفي أثناء الطريق جاء إلى خدمته يميند صاحب إنطاكية فأكرمه وأحسن إليه ، وأطلق له أموالاً جزيلة وخلعاً ، وكان العماد السكاتب في صحبته ، فأخبر عن منزله منزلة منزلة إلى أن قال : وعبر يوم الاثنين عين الحر إلى مرج بيوس ، وقد زال البوس ، وهناك وفد عليه أعيان دمشق وأمائلها ، ونزل يوم الثلاثاء على العراة ، وجاءه هناك التحف والمتلقون على العادة ، وأصبحنا يوم الأربعاء سادس عشر شوال بكرة بمحنة دمشق داخلين ، بسلام آمنين ، وكانت غيبة السلطان عنها أربع سنين ، فأخرجت دمشق أنقالها ، وأبرزت نساءها وأطفالها ورجالها ، وكان يوم الزينة ، وخرج أكثر أهل المدينة ، واجتمع أولاده الكبار والصغار ، وقدم عليه رسل الملوك من سائر الأمصار ، وأقام بقية عامه في اقتناص الصيد وحضور دار العدل ، والعمل بالاحسان والفضل . ولما كان عيسد الأضحي امتدحه بعض الشعراء بقصيدة يقول فيها :

وأبها لولا تغزل عينها * لما قلت في التغزل شعرا

ولكانت مدائح الملك النا * صرو إلى ما فيه أعمل فكرا

ملك طبق الممالك بالعد * ل منلما أوسع البرية برا

فيحمل الأعياد صوماً وفطراً * ويلقى الهنا برآً وبحراً
يأمر بالطاعات لله إن * أضفى عليك على المناهي مصرأ
نلت ما تسمى من الدين والدنيا * فتيها على الملوك وغفراً
قد جمعت المجدين أصلاً وفرعاً * وملكت الدارين دنيا وأخرى

ومما وقع في هذه السنة من الحوادث غزوة عظيمة بين صاحب غزنة شهاب الدين ملكها السبكتكيني وبين ملك الهند وأصحابه الذين كانوا قد كسروه في سنة ثلاث وثمانين ، فأظفروه الله بهم هذه السنة ، فكسروهم وقتل خلقاً منهم وأسر خلقاً ، وكان من جملة من أسره ملكهم الأعظم ، وثمانية عشر فيلاً ، من جملتها الذي كان جرحه ، ثم أحضر الملك بين يديه فأهانته ولم يكرمه ، واستحوذ على حصنه وأخبر بما فيه من كل جليل وحثير ، ثم قتله بعد ذلك ، وعاد إلى غزنة مؤيداً منصوراً ، مسروراً محبوراً .

وفيها اتهم أمير الحج ببغداد وهو طاشتكين ، وقد كان على إمرة الحج من مدة عشرين سنة ، وكان في غاية حسن السيرة ، واتهم بأنه يكاتب صلاح الدين بن أيوب في أخذ بغداد ، فانه ليس بينه وبينها أحد يمانعه عنها ، وقد كان مكذوباً عليه ، ومع هذا أهين وحبس وصودر .

فصل

وممن توفى فيها من الأعيان القاضي شمس الدين .

﴿ محمد بن محمد بن موسى ﴾

المعروف بابن الفراش ، كان قاضى العساكر بدمشق ، ویرسله السلطان إلى ملوك الآفاق ، ومات بملطية .

﴿ سيف الدين على بن أحمد المشطوب ﴾

كان من أصحاب أسد الدين شيركوه ، حضر معه الوقعات الثلاث بمصر ، ثم صار من كبار أمراء صلاح الدين ، وهو الذى كان نائباً على عكا لما أخذوها الفرنج ، فأسروه في جملة من أسروا فافتدى نفسه بخمسين ألف دينار ، وجاء إلى السلطان وهو بالقدس فأعطاه أكثرها ، وولاه نابلس . توفى يوم الأحد ثالث وعشرين شوال بالقدس ، ودفن في داره .

﴿ صاحب بلاد الروم عز الدين قلیج أرسلان بن مسعود ﴾

ابن قلیج أرسلان ، وكان قد قسم جميع بلاده بين أولاده ، طمعا في طاعتهم له ، فخالفوه وتجهروا وعتوا عليه ، وخفضوا قدره وارتفعوا ، ولم يزل كذلك حتى توفى في عامه هذا . وفي ربيع الآخر توفى الشاعر أبو المرحف .

{ نصر بن منصور النيرى }

سمع الحديث واشتغل بالأدب ، أصابه جدرى وهو ابن أربعة عشرة سنة فنقص بصره جداً ، وكان لا يبصر الأشياء البعيدة ، ويرى القريب منه ، ولكن كان لا يحتاج إلى قائد ، فارتحل إلى العراق لداواة عينيه فأيسته الأطباء من ذلك ، فاشتغل بحفظ القرآن ومصاحبة الصالحين فأفلح ، وله ديوان شعر كبير حسن ، وقد سئل مرة عن مذهبه واعتقاده فأنشأ يقول :

أحب عليا والبتول وولدها * ولا أجحد الشيخين فضل التقدم
وأبرأ ممن نال عثمان بالأذى * كما أتبرا من ولاء ابن ملجم
ويعجبني أهل الحديث لصدقهم * فلست إلى قوم سواهم بمنتمى
توفى ببغداد ودفن بمقابر الشهداء بباب حرب رحمه الله تعالى .

بحمد الله تعالى قد تم طبع الجزء الثانى عشر من البداية والنهاية للعلامة ابن كثير
ويليه الجزء الثالث عشر وأوله سنة تسع وثمانين وخمسمائة هجرية
على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التحية



فهرس الجزء الثاني عشر من البداية والنهاية

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
سنة سبع وعشرين وأربعمائة	٣٩	سنة ست وأربعمائة وفيها كانت وفاة أبي حامد	٢
» » ثمان »	٤٠	الاسفراييني	
» » تسع »	٤٣	سنة سبع وأربعمائة . وفيها كانت وفاة الوزير	٤
» ثلاثين »	٤٤	نفر الملك	
وفاة الحافظ أبي نعيم	٤٥	سنة ثمان وأربعمائة	٦
سنة إحدى وثلاثين وأربعمائة	٤٧	» تسع »	٧
» ثنتين »	٤٨	» عشر »	٨
» ثلاث »	٤٩	» إحدى عشر وأربعمائة وفيها كان قتل الحاكم	٩
» أربع »	٥٠	ابن المعز الفاطمي بمصر	
» خمس »	٥١	صفة مقتله لعنه الله	١٠
ذكر وفاة جلال الدولة وملك أخيه	٥٠	سنة اثني عشر وأربعمائة	١١
بغداد بعده		سنة ثلاث عشرة »	١٣
سنة ست وثلاثين وأربعمائة	٥٢	» أربع »	١٦
وفاة الشريف المرتضى	٥٣	» خمس »	١٧
سنة سبع وثلاثين وأربعمائة	٥٤	» ست »	١٨
» ثمان »	٥٥	» سبع »	٢٠
وفيها كانت وفاة الجويني الشافعي		» ثمان »	٢٢
سنة تسع وثلاثين وأربعمائة	٥٦	» تسع »	٢٤
» أربعين »	٥٧	» عشرين »	٢٦
» إحدى وأربعين »	٥٩	سنة إحدى وعشرين »	٢٧
» ثنتين »	٦١	وفاة الملك الكبير العادل محمود بن سبكتكين	٢٩
» ثلاث »	٦٢	سنة اثنين وعشرين وأربعمائة	٣١
» أربع »	٦٣	خلافة القائم بالله	٥٠
» خمس »	٦٤	سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة	٣٣
» ست »	٦٥	» أربع »	٣٥
» سبع »	٦٦	» خمس »	٥٠
وفيها ملك طغر بك السلجوقي ببغداد		» ست »	٣٧

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٠٦	وفاة السلطان ألب أرسلان	٦٧	وهو أول ملوك الدولة السلجوقية
١٠٧	» أبي القاسم القشيري	» تسع	سنة ثمان وأربعين وأربعمائة
١٠٨	سنة ست وستين وأربعمائة	» تسع	» تسع
١٠٩	» سبع	٧٢	وفاة أبي العلاء المعري الشاعر الزنديق
١١٠	صفة موت الخليفة القائم بأمر الله	٧٣	سنة خمسين وأربعمائة وفيها كانت فتنة
١١١	خلافة المقتدى بأمر الله	»	البساسيري الحبيث
١١٢	سنة ثمان وستين وأربعمائة	٧٩	وفاة أبي الطيب الطبري
١١٤	» تسع	٨٠	سنة إحدى وخمسين وأربعمائة
١١٧	» سبعين	٨٣	صفة مقتل البساسيري
١١٩	» إحدى وسبعين	٨٤	ترجمة
١٢٠	» ثنتين	٨٥	سنة اثنتين وخمسين وأربعمائة
١٢١	» ثلاث	٨٦	» ثلاث
١٢٢	» أربع	٨٧	» أربع
١٢٣	» خمس	٨٨	سنة خمس وخمسين وأربعمائة
١٢٤	وفاة ابن ما كولا الوزير	٩٠	ذكر دخول الملك طغرل بك على بفت
١٢٤	سنة ست وسبعين وأربعمائة	»	الخليفة ووفاته في هذه السنة
١٢٦	وفاة الشيخ أبي إسحاق الشيرازي	٩١	سنة ست وخمسين وأربعمائة
١٢٦	سنة سبع وسبعين وأربعمائة	٩١	وفاة ابن حزم الظاهري
١٢٧	» ثمان	٩٢	سنة سبع وخمسين وأربعمائة
١٢٨	وفاة إمام الحرمين	٩٣	» ثمان
١٣٠	سنة تسع وسبعين وأربعمائة	٩٤	وفاة الحافظ البهقي والقاضي أبي يعلى
١٣٢	» ثمانين	»	الحنبلي
١٣٣	وفاة محمد بن الخليفة المقتدى	٩٥	سنة تسع وخمسين وأربعمائة
١٣٤	سنة إحدى وثمانين وأربعمائة	٩٦	» ستين
١٣٥	سنة ثنتين	٩٧	» إحدى وستين
١٣٦	» ثلاث	٩٨	وفاة الفوراني صاحب الابانة
١٣٧	» أربع	٩٩	سنة ثنتين وستين وأربعمائة
١٣٨	» خمس	١٠٥	» أربع
١٤٠	وفاة نظام الملك الوزير	» خمس	» خمس

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٤٢	وفاة السلطان ملكشاه	١٧١	سنة ثلاث وخمسمائة
١٤٤	سنة ست وثمانين وأربعمائة	١٧٢	» » » أربع »
١٤٦	» سبع » » وفيها كانت وفاة الخليفة المقتدى	١٧٣	» خمس » »
٠٠٠	وخلافة ولده المستظهر بأمر الله		وفيها توفي أبو حامد الغزالي الامام المشهور
١٤٧	وفاة آقسنقر الاتابك وأمير الجيوش بدر الجمالي بمصر	١٧٤	سنة ست وخمسمائة
١٤٨	وفاة الخليفة المستنصر الفاطمي	١٧٥	» سبع »
١٤٨	سنة ثمان وثمانين وأربعمائة	١٧٧	وفاة أبي بكر الشاشي الشافعي
١٥٠	وفاة أبي شعجاع الوزير	١٧٨	سنة ثمان وخمسمائة
١٥١	وفاة القاضي أبي بكر الشاشي	٠٠٠	» تسع »
١٥٢	سنة تسع وثمانين وأربعمائة	١٧٩	» عشر »
١٥٤	» تسعين » »	١٨٠	» إحدى عشر وخمسمائة
١٥٥	» إحدى وتسعين »	١٨١	وفاة القاضي المرتضى الشهرزوري .
١٥٦	» ثنتين » »	١٨٢	سنة اثني عشرة وخمسمائة
١٥٨	» ثلاث » »	٠٠٠	وفاة الخليفة المستظهر بالله
١٥٩	وفاة الوزير عميد الدولة ابن جبير	٠٠٠	خلافة المسترشد أمير المؤمنين
٠٠٠	سنة أربع وتسعين وأربعمائة	١٨٤	سنة ثلاث عشرة وخمسمائة
١٦٢	» خمس » »	٠٠٠	وفاة ابن عقيل شيخ الحنابلة ببغداد
٠٠٠	وفاة أبي القاسم صاحب مصر الملقب بالمستعلي	١٨٥	وفاة أبي الحسن الدامغانى قاضى القضاة
٠٠٠	سنة ست وتسعين وأربعمائة	٠٠٠	سنة أربع عشرة وخمسمائة
١٦٣	» سبع » »	١٨٦	ابتداء ملك محمد بن تومرت ببلاد المغرب
١٦٤	» ثمان » »	١٨٨	سنة خمس عشرة وخمسمائة
٠٠٠	وفاة السلطان بركياروق بن ملكشاه	١٩٠	وفاة الطغرائي صاحب لامية العجم
١٦٥	سنة تسع وتسعين وأربعمائة	٠٠٠	سنة ست عشرة وخمسمائة
١٦٦	سنة خمسمائة من الهجرة النبوية	١٩١	وفاة الحريري صاحب المقامات
١٦٧	قتل نغر الملك أبي المظفر	١٩٣	سنة سبع عشرة وخمسمائة
١٦٩	سنة إحدى وخمسمائة من الهجرة	٠٠٠	وفاة ابن الخياط الشاعر
١٧٠	» ثنتين » »	١٩٤	سنة ثمان عشرة وخمسمائة
		٠٠٠	» تسع » »
		١٩٥	وفاة آقسنقر البرشي

صفحة	الموضوع	صفحة	الموضوع
١٩٥	سنة عشرين وخمسمائة	٢١٨	سنة ست وثلاثين وخمسمائة
١٩٦	وفاة أبي الفتح الطوسي وابن برهان	٠٠٠	سنة سبع وثلاثين وخمسمائة
١٩٧	سنة إحدى وعشرين وخمسمائة وفيها كانت حرب بين الخليفة العباسي والسلطان محمود بن زنكي	٠٠٠	سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة
١٩٨	سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة	٢١٩	وفاة الزمخشري صاحب السكشاف
١٩٩	سنة ثلاث وعشرين وخمسمائة وفيها تصالح السلطان محمود والخليفة العباسي	٠٠٠	سنة تسع وثلاثين وخمسمائة
٢٠٠	سنة أربع وعشرين وخمسمائة وفيها كان قتل الخليفة الفاطمي الأمر بأحكام الله بمصر	٢٢٠	سنة أربعين وخمسمائة
٢٠٢	سنة خمس وعشرين وخمسمائة	٠٠٠	سنة إحدى وأربعين وخمسمائة
٢٠٣	سنة ست وعشرين وخمسمائة	٢٢٢	سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة وفيها ملك الفرنج عدة حصون من جزيرة الاندلس
٢٠٤	سنة سبع وعشرين وخمسمائة	٢٢٣	سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة
٢٠٥	وفاة ابن الزاغوني الامام المشهور	٠٠٠	حرب الملكين بجير الدين ونور الدين مع الفرنج
٢٠٦	سنة ثمان وعشرين وخمسمائة	٢٢٥	سنة أربع وأربعين وخمسمائة وفيها كانت وفاة القاضي عياض وغيره من الشعراء والاعيان
٢٠٧	سنة تسع وعشرين وخمسمائة وفيها كانت وفاة الخليفة المسترشد وولاية الراشد	٢٢٨	سنة خمس وأربعين وخمسمائة
٢٠٩	خلافة الراشد		وفاة أبي بكر بن العربي
٢١٠	سنة ثلاثين وخمسمائة . وفيها كان خلع الخليفة الراشد وخلافة المقتدى لأمر الله .	٢٢٩	سنة ست وأربعين وخمسمائة
٢١١	سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة	٠٠٠	سنة سبع وأربعين وخمسمائة
٢١٢	سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة	٢٣٠	سنة ثمان وأربعين وخمسمائة
٢١٣	وفاة الخليفة الراشد	٢٣١	وفاة الشاعر بن الفرزدق وجري
٢١٤	وفاة القاشاني	٠٠٠	سنة تسع وأربعين وخمسمائة
٢١٥	سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة وفيها كانت وفاة يحيى بن يحيى بن أفلح الكاتب	٠٠٠	ملك السلطان نور الدين الشهيد بدمشق
٢١٦	سنة أربع وثلاثين وخمسمائة	٢٣٢	سنة خمسين وخمسمائة
٢١٧	سنة خمس وثلاثين وخمسمائة	٠٠٠	فتح بعلبك بيد نور الدين الشهيد
		٢٣٣	سنة إحدى وخمسين وخمسمائة
		٢٣٤	ذكر حصار بغداد
		٢٣٥	سنة ثنتين وخمسين وخمسمائة

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
٢٦٢ وفاة الخليفة المستنجد بالله		٢٣٧ وفاة السلطان سنجر	
٠٠٠ خلافة المستنجد		٠٠٠ سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة	
٢٦٣ عزل صلاح الدين قضاة مصر لأنهم شيعة		٢٤٠ سنة أربع وخمسين وخمسمائة	
٢٦٤ سنة سبع وستين وخمسمائة		٠٠٠ وفاة السلطان محمد بن محمد بن ملكشاه	
٠٠٠ موت العاضد آخر خلفاء العبديين بمصر		٢٤١ سنة خمس وخمسين وخمسمائة	
٢٦٧ مدة ملك الفاطميين بمصر		٠٠٠ وفاة الخليفة المقتنى بأمر الله	
٢٧٠ سنة ثمان وستين وخمسمائة		٠٠٠ خلافة المستنجد بالله	
٢٧١ وفاة نجم الدين أيوب والد صلاح الدين الأيوبي		٢٤٢ وفاة الفائز خليفة مصر الفاطمي	
٢٧٣ سنة تسع وستين وخمسمائة		٢٤٣ سنة ست وخمسين وخمسمائة	
٢٧٦ وفاة عمارة التيمي الشاعر		٠٠٠ قتل السلطان سليمان شاه	
٢٧٧ فصل في وفاة الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي		٢٤٥ سنة سبع وخمسين وخمسمائة	
٢٨٤ صفة نور الدين رحمه الله		٢٤٦ « ثمان » * ووفاته عبد المؤمن	
٢٨٥ فصل فيما جرى بعد وفاته		ابن علي تلميذ ابن التومرت	
٢٨٧ سنة سبعين وخمسمائة		٢٤٧ سنة تسع وخمسين وخمسمائة	
٢٨٨ فصل في ذكر عدة حوادث		٢٤٨ وقعة حارم	
٠٠٠ فصل في ذكر عدة حوادث		٢٤٩ سنة ستين وخمسمائة	
٢٩١ سنة إحدى وسبعين وخمسمائة وفيها وقعت الهدنة بين الفرنج وصلاح الدين		٢٥٠ وفاة الوزير ابن هبيرة	
٢٩٢ فصل في ذكر عدة حوادث		٢٥١ سنة إحدى وستين وخمسمائة	
٢٩٤ سنة ثنتين وسبعين وخمسمائة وما وقع فيها من الحروب والحصار لبلاد الفرنج وجملة حوادث أخرى		٢٥٢ وفاة الشيخ عبد القادر الجيلاني	
٢٩٧ سنة ثلاث وسبعين وخمسمائة		٠٠٠ سنة اثنتين وستين وخمسمائة	
بناء القلعة وإحاطة السور على القاهرة ومصر		٠٠٠ فتح الاسكندرية على يدى أسد الدين	
٢٩٩ سنة أربع وسبعين وخمسمائة وما فيها من الحروب والحوادث		٢٥٤ سنة ثلاث وستين وخمسمائة	
		٢٥٥ سنة أربع وستين وخمسمائة	
		٠٠٠ فتح مصر على يدى أسد الدين شيركوه	
		٢٥٧ صفة الخلة التي لبسها صلاح الدين	
		٢٥٨ وقعة السودان	
		٢٦٠ سنة خمس وستين وخمسمائة	
		٠٠٠ حصار الفرنج مدينة دمياط	
		٢٦٢ سنة ست وستين وخمسمائة	

الموضوع	صفحة	الموضوع	صفحة
ذكر فتح بيت المقدس	٣٢٣	٣٠١ وفاة الحيص بيص الشاعر	
أول جمعة أقيمت ببيت المقدس	٣٢٤	٣٠٢ سنة خمس وسبعين وخمسمائة	
فصل في قصد صلاح الدين مدينة صور	٣٢٧	٠٠٠ وقعة مرج العيون بين صلاح الدين والفرنج	
سنة أربع وثمانين وخمسمائة	٣٢٩	٣٠٣ نحر يب حصن الاحزان	
٠٠٠ وفيها حاصر السلطان صلاح الدين حصن كوكب		٣٠٤ وفاة الخليفة المستضيء بأمر الله وبعض ترجمته	
٣٣٠ فصل في فتح صغد وحصن كوكب		٣٠٥ خلافة الناصر لدين الله	
سنة خمس وثمانين وخمسمائة	٣٣٢	سنة ست وسبعين وخمسمائة	
٠٠٠ قصة عكا وما كان من أمرها		٣٠٦ وفاة السلطان توران شاه	
٣٣٣ وفاة القاضي شرف الدين ابن أبي عسرون		٣٠٨ سنة سبع وسبعين وخمسمائة	
سنة ست وثمانين وخمسمائة	٣٣٤	٠٠٠ ذكر وفاة الملك الصالح ابن نور الدين الشهيد	
٣٣٧ فصل في شئون شتى		٣١٠ سنة ثمان وسبعين وخمسمائة	
٣٣٨ فصل في اشتداد حصار الفرنج للمدينة		٣١١ فصل في حوادث متنوعة	
فصل ذكر فيه مهمة القاضي الفاضل بمصر		٠٠٠ فصل في وفاة المنصور عز الدين صاحب بعلبك	
٣٣٩ فصل فيما كتبه القاضي الفاضل إلى ملك العرب		٣١٣ سنة تسع وسبعين وخمسمائة	
٣٤٠ فصلان في أمور شتى		٠٠٠ ما جرى فيها من الحروب والمصالحات والحوادث المختلفة	
سنة سبع وثمانين وخمسمائة	٣٤١	٢١٥ سنة ثمانين وخمسمائة	
٣٤٢ فصل في كيفية أخذ العد ومدينة عكا		٠٠٠ سنة إحدى وثمانين وخمسمائة	
٣٤٥ فصل فيما حدث بعد أخذ الفرنج عكا		٣١٧ من توفي فيها من الاعيان	
٣٤٦ وفاة الملك المظفر عمر بن شاه شاه		٣١٨ المديني وأبو القاسم القشيري	
٣٤٧ « الجيوشاني باني تربة الامام الشافعي رضي الله عنه		٣١٩ سنة ثنتين وثمانين وخمسمائة	
٠٠٠ سنة ثمان وثمانين وخمسمائة		٣٢٠ « ثلاث »	
٣٤٨ قتل المركيس صاحب صور لعنه الله		٠٠٠ وقعة حطين	
٣٤٩ رجوع الفرنج عن محاصرة بيت المقدس			
٣٥٢ فصل فيمن توفي فيها من الأعيان			